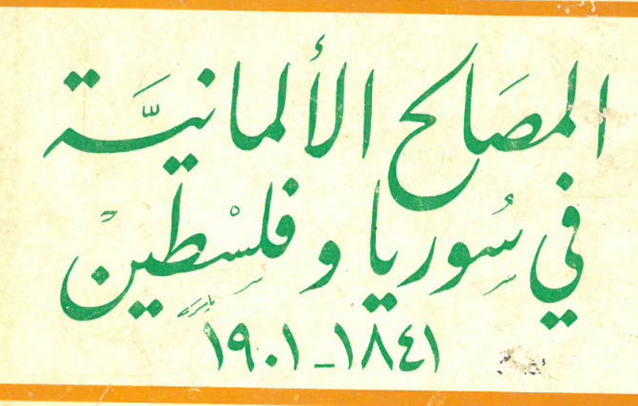




د. عبد الرؤوف سنو



معهد الإنماء العربي

المصالح الألمانية في سوريا وفلسطين ١٨٤١ - ١٩٠١

د. عبد الرؤوف سنو

الدراسات التاريخية

ص - ب ١٤/٥٣٠٠
الطبعة الأولى - بيروت ١٩٨٧

توطئة

هذا الكتاب هو محاولة لدراسة المصالح الألمانية الدينية - الثقافية والسياسية والاقتصادية في سوريا وفلسطين، في إطار السياسة الألمانية في الشرق الأدنى. وقد حدَّدنا الفترة (١٨٤١ - ١٩٠١) إطاراً زمنياً للدراسة. فالأزمة المصرية (١٨٣١ - ١٨٤٠) تمثِّل نقطة هامة في التغلغل الغربي في السلطنة العثمانية وفي الأقطار العربية الخاضعة لها، حين استقرت الارساليات التبشيرية الأوروبية والأميركية في سوريا وفلسطين وافتتحت أول قنصلية أجنبية في بيت المقدس. كذلك تتميز تلك الفترة بعقد بريطانيا والدولة العثمانية لمعاهدة بلطا - ليمان التجارية في عام ١٨٣٨، التي كانت بآثارها الوخيمة على الاقتصاد العثماني فاتحة لسلسلة من معاهدات الاختراق الغربية للسلطنة. وبالنسبة الى بروسيا، المملكة الألمانية الكبيرة، فقد مهدت مشاركتها في مؤتمر لندن عام ١٨٤٠ لحل المسألة الشرقية بداية تدخلها في شؤون الشرق عامة وسوريا وفلسطين خاصة. ففي عام ١٨٤٠ قامت بروسيا بمشاركة بريطانية بانشاء مطرانية القدس الانجيلية. وفي نهاية القرن الماضي عام ١٨٩٨ قام عاهل ألمانيا وليم الثاني بزيارة تاريخية الى سوريا وفلسطين مثَّلت ليس فقط ذروة النفوذ الألماني في الشرق فحسب، بل أيضاً مساعي ألمانيا إلى أن يكون لها كلمة مسموعة ودور بارز في السياسة العالمية.

إن الهدف من هذه الدراسة هو تتبع تطور النفوذ الألماني بأوجهه التبشيري الثقافي والسياسي والاقتصادي في سوريا وفلسطين وكشف أبعاد

السياسة الألمانية في المنطقة، هذه الأنشطة التي ابتدأت تبشيرية ثقافية وانتهت اقتصادية وسياسية. وسوف يلقى الضوء على تحول النشاطات التبشيرية - الثقافية منذ الربع الأخير من القرن التاسع عشر إلى أداة فعَّالة لتقوية النفوذين السياسي والاقتصادي لألمانيا في سوريا وفلسطين. ولذا فإن نشاطات الألمان ذات الطابع التبشيري الثقافي سوف تحتل مكاناً بارزاً في هذه الدراسة. ورغم أن بداية تلك النشاطات جاءت بمبادرة رسمية، إلا أن المبشرين الألمان كانوا لفترة طويلة الممثلين الحقيقيين للوجود الألماني في سوريا وفلسطين. ومنذ الثمانينات من القرن الماضي أخذت المصالح السياسية والاقتصادية تحتل الصدارة في العلاقات الألمانية - السورية الفلسطينية.

تعالج المقدمة نقاط الالتقاء بين سوريا وفلسطين من جهة وأوروبا من جهة أخرى على مدار القرون الماضية. وفي الفصل الأول تتطرق الدراسة إلى المشروع البروسي - البريطاني لإنشاء مطرانية القدس الإنجيلية، التي كانت الأساس لنشاطات الإرساليات البروتستانتية في الشرق الأدنى عامة والإرساليات البروتستانتية الألمانية خاصة. وفي الفصول (٢ - ٨) تحلل الدراسة بإسهاب أعمال الجمعيات والهيئات الألمانية البروتستانتية والكاثوليكية والمبادرات الفردية للمبشرين والموقف الألماني الرسمي من هذه النشاطات. وفي الفصلين التاسع والعاشر تعالج الدراسة نمو العلاقات الاقتصادية بين المانيا من جهة وسوريا وفلسطين من جهة أخرى، حتى بناء قنال السويس في عام ١٨٦٩ وتأسيس الرايخ الألماني في عام ١٨٧١، وبعد ذلك حتى نهاية القرن التاسع عشر. وفي الفصل الحادي عشر، تهتم الدراسة بإظهار مدى أهمية سوريا وفلسطين بالنسبة للسياسة الألمانية خلال عملية تورطها المباشر في المسألة الشرقية في الربع الأخير من القرن الماضي.

تغفل الدراسة ثلاث مسائل تتعلق بالمصالح الألمانية في سوريا وفلسطين في القرن التاسع عشر. أولاً: مسألة مستوطنات «جمعية الهيكل الألمانية» في فلسطين، حيث توجد حولها دراسة وثائقية للمؤرخ اليهودي ألكس كارمل[١]. ثانياً: نشاطات الجمعيات الألمانية المنقبة عن الآثار، لكون هذا الموضوع يتعلق بعلم الآثار أكثر منه بعلم التاريخ[٢]. وثالثاً: علاقة الدولة الألمانية بنشاطات اليهود الاستيطانية في فلسطين والتي أخذت منحى

جدياً بعد المؤتمر الصهيوني الأول عام ١٨٩٧[٣].

لقد تطلبت الدراسة استخدام عدد كبير من سجلات دور الوثائق الغربية أمكن بواسطتها إلقاء ضوء جديد على السياسة الألمانية في الشرق الأدنى. ورغم ذلك فقد واجهت صعوبات جمَّة، ومنها الافتقار إلى إحصاءات موثوق بها عن العلاقات التجارية لألمانيا بالشرق. فمعظم الإحصاءات التي تم العثور عليها تعطي فقط صورة تقريبية عن المستوى الحقيقي للتبادل التجاري بين ألمانيا من جهة وسوريا وفلسطين من جهة أخرى.

أخيراً لا بد لي من أن أشكر كل من ساعدني ومدَّ لي يد العون في إخراج هذه الدراسة إلى حيز الوجود.

بيروت في ٢٠ كانون الثاني ١٩٨٧

عبد الرؤوف سنّو

قائمة الاختصارات الواردة في حواشي الكتاب

AAZ	Augsburger Allgemeine Zeitung
AJ	Archiv Jerusalem
AJV	Archiv des Jerusalemsvereins
AKF	Armen - und Krankenfreund
B	Bericht
BAA	Bericht ûber das Aussâtzigenasyl «Jesus Hilfe»
BDSM	Bericht ûber die Diakonissen - Stationen im Morgenlande
BPP	British Parliamentary Papers
BZ	Bote aus Zion
CMS	Church Missionary Society
DAK	Diakonissenanstalt Kaiserswerth
DDB	Dank - und Denkblâtter
DLZ	Deutsche Levante - Zeitung
EGBP	Evangelisches Gemeindeblatt fûr Palâstina
F.O.	Foreign Office
GP	Die Grosse Politik der Europâischen Kabinette
HA	Handelsarchiv
HL	Das Heilige Land
Jb.	Jahresbericht
IJMES	International Journal of Middle East Studies
JV	Jerusalemsverein
KHB	Konstantinopler Handelsblatt
KHMS	Kinder - Hospital Marienstift
KM	Die katholischen Missionen
KW	Kaiserswerth
L.J.S.	London Jews Society
MS	Mâdchen - Waisenhaus Talitha - Kumi des Kaisers - werther Mutterhauses
NNM	Neueste Nachrichten aus dem Morgenlande
PAAA	Politisches Archiv des Auswârtigen Amts, Bonn
PB	Palâstina - Blatt
PGSA	Preussisches Geheimes Staatsarchiv, Berlin
RGG	Religion in Geschichte und Gegenwart
RSFP	Rundschreiben an die Freunde der Pilgermission

SyrW	Syrisches Waisenhaus
WBJO	Wochenblatt der Johanniter - Ordens - Bally Brandenburg
ZDMG	Zeitschrift der Deutschen Morgenlândischen Gesellschaft
ZDPV	Zeitschrift des Deutschen Palâstina - Vereins

قيمة العملات الواردة في الدراسة

تميزت العملات الأجنبية المتداولة في السلطنة العثمانية باختلاف قيمتها من منطقة إلى أخرى ومن زمن إلى آخر. وعلى العموم فالدراسة تعطي صورة تقريبية لقيمة العملات التي وردت على الشكل التالي:

ليرة عثمانية ذهبية	١٢٢ قرشاً عثمانياً
جنيه استرليني	١٣٦ قرشاً عثمانياً
قطعة ٢٠ فرنكاً فرنسياً	١١٠ قروش عثمانية
«مارك» ألماني	٦ قروش عثمانية

جنيه استرليني = ٢٥ فرنكاً = ٢٠ ماركاً ألمانياً

تال واحد = ٣ ماركات

على العموم فقد أوردنا العملات في النص كما جاءت في المصادر.

مقدمة

ليست سوريا وفلسطين اصطلاحاً سياسياً محدداً، إذ شكلتا في الفترة، موضوع دراستنا هذه، جزءاً من السلطنة العثمانية، فيما كانتا جغرافياً وتاريخياً جزءاً من المنطقة الواقعة على الساحل الشرقي للبحر المتوسط بين سلسلة جبال طوروس وشبه جزيرة سيناء التي أطلق عليها إسم «بلاد الشام» وأصبحت منذ عام ١٥١٦ تحت السيطرة العثمانية.

خلال السيطرة المصرية على سوريا وفلسطين (١٨٣١ - ١٨٤٠) كانت هذه المنطقة تقسم إدارياً إلى أربع إيالات (في ما بعد ولايات): حلب وطرابلس ودمشق وصيدا. وبعد إخلاء المصريين سوريا وفلسطين وعودة الحكم العثماني إليهما ألغيت إيالة طرابلس وضمت إلى إيالة صيدا التي كانت بيروت مقراً لواليها. وفي عام ١٨٦١ سُلخ جبل لبنان عن ولاية صيدا وأعلن متصرفية تتبع الباب العالي مباشرة. وبعدها بثلاث سنوات ألغيت ولاية صيدا بدورها وألحقت بولاية دمشق التي عُرفت بولاية سوريا. وبحلول عام ١٨٨٧ حصلت القدس على حقوق «متصرفية» تخابر الآستانة مباشرة. وفي العام التالي شُكلت «ولاية بيروت» من المنطقة الساحلية الممتدة من طرابلس إلى عكا. وفي نهاية القرن الماضي كان هناك ثلاث ولايات هي حلب وسوريا وبيروت، ومتصرفيتان هما «متصرفية جبل لبنان» و«متصرفية القدس». ولذا فحينما نتحدث عن «سوريا» فإننا نقصد بها ولاية حلب وولاية سوريا ومتصرفية جبل لبنان والجزء الشمالي من ولاية بيروت. أما «فلسطين» فنعني بها متصرفية القدس

والجزء الجنوبي من ولاية بيروت. وتتبع الأولى أقضية بئر السبع والخليل وغزة ويافا وبيت لحم وأريحا. أما الجزء الجنوبي من ولاية بيروت فضم: لواء نابلس ومن أعماله طولكرم وجنين وطوباس وبيسان، ولواء عكا ومن أعماله صفد وطبرية والناصرة وحيفا[١].

ورغم هذه التقسيمات التي جعلت من سوريا وفلسطين منطقة تتقاسمها التشكيلات الإدارية العثمانية، فإن سوريا وفلسطين ظلتا تتمتعان في الواقع بوحدة مميزة عن غيرهما من المناطق الخاضعة للحكم العثماني. فبعد مرور أكثر من ثلاثة قرون على السيطرة العثمانية على سوريا وفلسطين فقد حافظت المنطقة على طابعها العربي الإسلامي الذي اكتسبته منذ الفتح العربي للمنطقة في القرن السابع الميلادي، إذ ظلت اللغة العربية لغة التعامل حتى بين الأقليات المتعددة. وطبقاً لتقديرات معاصرة فقد بلغ عدد سكان سوريا وفلسطين أقل من ٢ مليون نسمة في عام ١٨٤٠، ونحو ٣ مليون نسمة في نهاية القرن التاسع عشر[٢]. وفي فلسطين وحدها بلغ عدد السكان عام ١٨٩٥ ما يزيد عن ٤٥٧ ألف نسمة[٣].

وفي كلا المنطقتين شكَّل المسلمون السُّنة غالبية السكان، ولكن مع وجود فرق متعددة للشيعة، في حين استقر الدروز في جنوب لبنان وحوران. أما المسيحيون فشكلوا في سوريا وفلسطين نحو رُبع السكان. وفي متصرفية جبل لبنان سادت الطائفة المارونية، في حين كان معظم المسيحيين خارج الجبل من أتباع الكنيستين الأرثوذكسية والكاثوليكية. وفيما لم يشكِّل اليهود في فلسطين في البداية أية قوة عددية، إلا أن عددهم ظل في تزايد مضطرد حتى بلغ نحو ٨٥ ألفاً على أبواب الحرب العالمية الأولى[٤].

وطبقا لتشريع إسلامي قديم فقد تمتعت الطوائف غير الإسلامية (أهل الذِّمة أو الملل) باستقلال ذاتي في ممارسة شؤونها الداخلية. فقد كان رئيس كل ملّة مخولاً أيضاً بجمع الضرائب من ملّته وتسليمها إلى الخزينة العثمانية[٥]. ولقد لعب المسيحيون واليهود بشكل خاص دوراً هاماً في حقل التجارة. فيذكر تقرير إنكليزي لعام ١٨٤٠ أن المؤسسات التجارية في سوريا وفلسطين كانت في معظمها بأيدي المسيحيين أو اليهود[٦].

إضافة إلى ما ذكرناه، كانت أهمية سوريا وفلسطين تعود إلى مركزهما الاستراتيجي الهام عند ملتقى قارتي آسيا وأفريقيا، وإلى دورهما التجاري السياسي كحلقة اتصال بين البحر المتوسط والشرق الأقصى، وأخيراً كونهما ملتقى الأديان السماوية الكبرى، اليهودية والمسيحية والإسلام.

من الأمور المهمة في تاريخ سوريا وفلسطين في القرن التاسع عشر أنهما وضعتا على خريطة المصالح الأوروبية المتضاربة التي يعبر عنها بـ«**المسألة الشرقية**». وباختصار تشمل المسألة الشرقية جميع المشكلات التي ارتبطت بانهيار السلطنة العثمانية داخلياً وثورات الشعوب المحكومة منها، وأخيراً تضارب المصالح الأوروبية وتشابكها مع الدولة العثمانية وتدخل هذه الدول في عملية الانهيار العثماني[٧]. ومع ذلك فان هناك أسباباً عديدة لتدهور الدولة العثمانية منذ القرنين السابع عشر والثامن عشر لم تستطع الأبحاث أن تحسمها حتى الآن. وعموما يمكن الأخذ برأي ستافريانوس، الذي يقول:

> «إن إخفاق الدولة العثمانية كان في أوسع معانيه إخفاقاً في التنظيم وإخفاقاً في الاستجابة إلى تحدِّي الغرب الديناميكي الجديد»[٨].

بفعل الهزائم العسكرية المتتالية في القرن الثامن عشر أدرك سلاطين آل عثمان أن إصلاح الدولة ضروري وإن يكن بالاقتباس عن الغرب[٩]. ولكن جهود السلطان سليم الثالث (١٧٨٩ - ١٨٠٧) لإعادة تنظيم الجيش على النمط الأوروبي ما لبثت ان تلاشت بسبب معارضة الانكشارية المدعومة من رجال الدين العثمانيين. وكانت فرق الانكشارية قد تشكلت أصلاً لخدمة السلطان، لكنها تحولت مع الوقت إلى قوة عسكرية اجتماعية مستقلة انحرفت عن واجباتها فضعفت قدرتها العسكرية وتعرضت للعديد من الهزائم أمام الجيوش الأوروبية، فضلاً عن تهديدها للسلاطين أنفسهم. ولكن اتجاهات «التغريب» westernization كانت في عصر السلطان محمود الثاني (١٨٠٨ - ١٨٣٩) أقوى من مقاومة الانكشارية والعلماء المتزمتين. وفي عام ١٨٢٦ تمكَّن السلطان محمود الثاني من القضاء على الإنكشارية في مذبحة دموية شهيرة. وعن طريق الاستعانة بالمستشارين العسكريين الغربيين قام السلطان ببناء جيش جديد. ومع ذلك فإصلاحات محمود الثاني لم تقتصر على الجيش فحسب، إذ قلَّص من نفوذ الحكام المحليين ووضع الأسس لإنشاء جهاز إداري عصري.

وفي عهده أنشئت المدارس العلمية والفنية. كما ظهرت في عام ١٨٣١ أول صحيفة عثمانية رسمية ناطقة باللغة الفرنسية. وتابع خلفاءمحمود الثاني رحلة الإصلاح، فصدر «**خطي شريف كلخانة**» في عام ١٨٣٩، الذي كان فاتحة عصر عرف في التاريخ العثماني بـ«**التنظيمات الخيرية**» واستمرت رسميا حتى عام ١٨٧٦. وكان المبدأ الأساسي في التنظيمات هو الإصلاح بعلمنة الدولة والمجتمع. إذ تضمنت هذه التنظيمات المبادىء الأساسية بعدم المساس بالحقوق الشخصية والملكية لكل الرعايا العثمانيين أياً كانت عقائدهم الدينية، كما وُضع نظام جديد للضرائب وخُفضت فترة التجنيد الإلزامي.

ورغم تطبيق العديد من الإصلاحات التي يجب ألّا يقلل من شأنها في عملية تحديث الدولة، إلا أنها لم تستطع وقف تدهور الدولة العثمانية بسبب شدَّة التناقضات الداخلية والتيارات الإقليمية والقومية والمصالح المتضاربة للدول الأوروبية في الدولة العثمانية ومحاولة إبقاء «**الرجل المريض**»، على حد تعبير القيصر نيقولا الأول عن الدولة العثمانية[١٠]، مريضاً على قيد الحياة.

ولقد سعت الدول الكبرى فرنسا وانكلترا والنمسا وروسيا باكراً للحصول على امتيازات من الدولة العثمانية خولتها التدخل في شؤون السلطنة الداخلية. فمن خلال تحالفها مع الدولةالعثمانية الموجَّه ضد النمسا حصلت فرنسا عام ١٥٣٥ على امتيازات واسعة في السلطنة عن طريق المعاهدات المسماة «**الامتيازات**» capitulations[١١]. ومن هذه الامتيازات التي منحها السلطان لفرنسا: السماح للتجار الفرنسيين بممارسة تجارة غير مقيَّدة في الأراضي العثمانية. إقامة قنصليات في السلطنة تتمتع بسلطات قضائية على الرعايا الفرنسيين. حرية ممارسة الشعائر الدينية وتسهيلات ضريبية لكل الفرنسيين المتواجدين في أراضي السلطان. ومع الوقت أخذت هذه الامتيازات تتوسع وتتجدد حتى اكتسبت عام ١٧٤٠ صفة العقد الدائم. وإضافة إلى البنود المتعلقة بحماية الرعايا الفرنسيين، حصلت فرنسا أيضاً ـ وبشكل صريح منذ معاهدة ١٦٠٤ ـ على حق حماية الأماكن المقدسة في فلسطين، وأن تشمل حمايتها كل المسيحيين في الشرق. وبعبارة أخرى، حصلت فرنسا على حق التدخل لمصلحة مسيحيي الدولةالعثمانية.

لقرون عدة ظلَّ النفوذ الفرنسي مهيمناً في الدولة العثمانية. لكن هذه

العلاقات الحميمة أخذ يعتريها الفتور والنفور منذ حملة نابوليون بونابرت على مصر في عام ١٧٩٨ وتبني فرنسا لسياسة تقوم على تقسيم الدولة العثمانية، إما بالوفاق مع روسيا وإما بتشجيع محمد علي والي مصر في سياسته التوسعية على حساب السلطنة خلال الثلاثينات من القرن التاسع عشر. وقبل أن نتطرق إلى موضوع الأزمة الشرقية (١٨٣١ ـ ١٨٤٠) وأهميتها بالنسبة إلى المنطقة السورية التي كانت تضم فلسطين، ينبغي أن نتابع تحديد مواقف الدول الأوروبية الأخرى من السلطنة العثمانية.

لحق الانكليز بالفرنسيين في توطيد علاقاتهم بالسلطنة العثمانية. وفي البداية كانت مصالحهم التجارية هي التي حدَّدت أُطر هذه العلاقات. ففي عام ١٥٨١ تأسست «**شركة الليفانت**» **Levant company** التي سرعان ما جعلت حرية التجارة مع الشرق وتنميتها مطلباً بريطانياً سياسياً. وبذلك قفزت الأهداف السياسية البريطانية إلى المقدمة وهي: تحجيم النفوذ الفرنسي في المنطقة وتأمين خطوط المواصلات الاستراتيجية مع الهند. وفي عام ١٥٨٣ عقد الإنكليز أول «امتيازاتهم» مع العثمانيين وقد خولتهم حق التجارة غير المقيَّدة في أراضي السلطنة تحت علمهم، وكذلك إقامة القنصليات[١٢]. على أن أهم الامتيازات البريطانية كانت معاهدة ١٦٧٥ التي منحت الإنكليز الحقوق نفسها التي حصل عليها الفرنسيون. وقد جُددت الامتيازات البريطانية في السنوات التالية مرَّات عديدة[١٣].

فيما المصالح الفرنسية والبريطانية طُورت حتى نهاية القرن الثامن عشر بأسلوب «الدبلوماسية الهادئة» diplomatie pacifique، فإن نفوذ كل من النمسا وروسيا لم يدعم في الدولة العثمانية إلا بفضل الصراع العسكري الطويل مع السلطنة. ويُعتبر انتصار «**الجامعة المقدسة**» **Holy League** على الدولة العثمانية الذي أدى إلى صلح كارلوفيتز Karlowitz في عام ١٦٩٩ نقطة تحوُّل هامة في العلاقات الأوروبية العثمانية. وبموجب الصلح المذكور حصلت النمسا بدورها على حقوق مساوية لتلك التي سبقتها إليها فرنسا. وقد جُددت الامتيازات النمساوية في معاهدة بساروفيتز Passarowitz عام ١٧١٨ وخلال حربي(١٧٦٨ ـ ١٧٧٤) و(١٧٨٧-١٧٩٢). أما روسيا التي تبوأت مكانة كدولة أوروبية كبيرة لها كلمة مسموعة في المسألة الشرقية منذ عصر بطرس الأكبر،

فقد حصلت ـ على أقل تقدير طبقا لتفسيراتها ـ بموجب المادة السابعة من معاهدة السلام لعام ١٧٧٤ مع الدولة العثمانية على حق حماية كل المسيحيين الأرثوذكس القاطنين في أراضي السلطنة[١٤].

تحولت المسألة الشرقية خلال حرب الاستقلال اليونانية والحرب الروسية العثمانية(١٨٢٦ ـ ١٨٢٩) إلى مشكلة أوروبية عامة تدخل في صميم التوازن والتجانس الأوروبيين. وبموجب صلح أدرنة عام ١٨٢٩ تعاظم النفوذ الروسي في الدولة العثمانية. فقبل توقيع الصلح اندفعت الجيوش الروسية إلى مشارف الأستانة وظهر أن لا شيء يعيقها للسيطرة على البوسفور. ولكن قيصر روسيا قرر فجأة أن المحافظة على كيان الدولة العثمانية وسيادتها هما أكثر حيوية لبلاده من زوالها، إذ أدرك أن انهيارها سوف يورط روسيا في تعقيدات دولية حول اقتسام الممتلكات العثمانية. وقد وُضعت هذه السياسة موضع التطبيق بعد سنوات عندما هددت جيوش محمد علي باشا سلامة السلطنة. وقد عبَّر نسلرود Nesselrode، المستشار الروسي عن هذه السياسة بقوله: إن رؤية محمد علي بالتوسع على حساب السلطنة العثمانية يهدد مصالح روسيا التي سترى **«جاراً قوياً ومنتصراً يأخذ مكان جار ضعيف مهزوم»**[١٥].

في نظرة عجلى إلى سيرة محمد علي نجد أنه كان أحد الضباط الألبانيين في الجيش العثماني الذين دافعوا عن مصر ضد الحملة الفرنسية. وقد استغل محمد علي الاضطرابات السياسية الداخلية في مصر في أعقاب الحملة والتدخل البريطاني ليستولي على السلطة في البلاد. ففي عام ١٨٠٦، أي بعد عام على دخوله القاهرة، عُين والياً رسمياً على مصر من قبل السلطان[١٦]. وفي الفترة التالية أمكنه القضاء على زعماء المماليك (١٨١١) وعلى الوهّابيين (١٨١٨) الذين سيطروا على مكّة والمدينة ودانت له أجزاء كبيرة من الجزيرة العربية وشرقي السودان. ويعود الفضل في هذه الانتصارات إلى سياسته الإصلاحية في تحديث الدولة. وفي هذا المضمار كان متفوقاً على السلطان محمود الثاني الذي كان يسعى بدوره إلى إصلاح السلطنة وعصرنتها. والحق أن محمد علي هو مؤسس مصر الحديثة. فمن خلال الاستعانة بالخبراء والمستشارين الفرنسيين استطاع أن يؤسس جيشاً وأسطولاً قويين، مما أفسح له المجال في دعم السلطان في حرب الاستقلال اليونانية.

لكن أهداف محمد علي كانت تتعدى مهمة باشا عثماني محدد الصلاحيات وتابع للسلطان. ولهذا أرسل جيشه في عام ١٨٣١ لاحتلال سوريا، التي سقطت في يديه منتصف العام التالي[١٧]. وعقب ذلك زحفت جيوشه عبر جبال طوروس بقيادة ابنه بالتبني ابراهيم باشا وأحرزت في كانون الأول ١٨٣٢ انتصاراً رائعاً على الجيش العثماني عند قونية، وبذلك فُتح الطريق أمامه للوصول إلى الأستانة.

كان هذا الاندفاع المصري في قلب الدولة العثمانية تهديداً مباشراً لمصالح الدول الكبرى في الدولة العثمانية، حتى أن فرنسا المتعاطفة مع محمد علي رفضت أي تقدم مصري جديد على حساب السلطان. وعندما تباطأت بريطانيا في مد يد العون للسلطان، قررت روسيا أن تستغل الموقف الدولي وتقوم بتحرك منفرد لإنقاذ **«الرجل المريض»** طبقاً للسياسة التي تبنتها بعد صلح أدرنة. وفي نيسان ١٨٣٣ نزل بضعة آلاف من الجنود الروس منطقة البوسفور وعسكروا هناك. وقد سبب ذلك قلقاً وصدمة لكل من بريطانيا وفرنسا والنمسا، إذ خشيت هذه الدول من أن تستغل روسيا انهيار الحكومة العثمانية لتقوي من مركزها في الممرات، ورأت أن خير ما تقوم به هو التوسط لعقد سلام بين محمد علي والسلطان، وبذلك تفقد روسيا مبرر وجود قواتها في الممرات. وفي ١٨ نيسان ١٨٣٣ عُقد صلح كوتاهية بين مصر والدولة العثمانية، اعترف بموجبه السلطان بمحمد علي حاكماً على سوريا. لكن روسيا تمكنت رغم ذلك في ٨ تموز ١٨٣٣ من توقيع معاهدة دفاعية مع الدولة العثمانية (معاهدة خنكار أسكلسي) من أهم بنودها المادة السرية المنفصلة التي نصّت على إقفال الممرات العثمانية في وجه السفن الحربية الأجنبية. وتكمن أهمية المعاهدة في الوعود المتبادلة بين القيصر والسلطان بالتفاهم حول كل مسألة تتعلق بأمن بلديهما واستقرارهما (المادة ١)[١٨]. وباختصار فقد حصلت روسيا على حق أن يكون لها كلمة مسموعة لدى الباب العالي.

شكلت معاهدة خنكار أسكلسي في الواقع نقطة تحول في السياسة البريطانية من المسألة الشرقية. فقررت أخذ زمام المبادرة في الأزمة المصرية والوقوف الى جانب السلطان، وهي تعتقد أنها بمقدار تقربها منه والوقوف إلى جانبه سوف تبعد الأطماع الروسية عن الدولة العثمانية، وبعبارة أخرى، سوف

تجعل معاهدة خنكار أسكلسي عديمة الجدوى. وفي ١١ تموز ١٨٣٣ صرح بالمرستون Palmerston وزير الخارجية البريطاني أمام مجلس العموم:

«إن سلامة الدولة العثمانية واستقلالها هما ضروريان لأجل المحافظة على السلم والحرية وتوازن القوى لبقية أوروبا»[١٩].

يُذكر أن روسيا وحدها لم تكن المهدِّد الوحيد للمصالح البريطانية في الشرق الأدنى، بل إن سياسة محمد علي التوسعية وإقامة دولة حديثة بمساعدة فرنسية كان من شأنه أن يهدد المصالح البريطانية مع الهند. وعندما فشل السلطان مرة أخرى في ١٨٣٩ في وقف محمد علي عن التوسع والحقت به هزيمة ساحقة، رأى بالمرستون أن بقاء بريطانيا في موقف المتفرج حيال الأزمة سوف يجعل الدول الأوروبية الأخرى طليقة اليد في تنفيذ سياساتها في الدولة العثمانية:

«وإن النتائج الحتمية لمثل هذا القرار (بقاء بريطانيا على الحياد) سوف تكون التقسيم الفعلي للدولة التركية الى دولتين منفصلتين، واحدة سوف تكون تابعة لفرنسا، والأخرى تدور في فلك روسيا. وفي كلا الحالتين فسوف يُقضى على نفوذنا السياسي ويضحى بمصالحنا التجارية. وهذه التجزئة ستؤدي حتماً إلى صراعات ونزاعات محلية، مما سيورِّط دول أوروبا بصراعات خطيرة»[٢٠].

بفضل دبلوماسيته تمكن بالمرستون من أن يجمع كلًّا من النمسا وروسيا وبروسيا والباب العالي حول طاولة المفاوضات في لندن. أما فرنسا فقد بقيت مؤقتا خارج قاعات المؤتمر، مما ساعد في عزلتها الدولية وأجبرها بعد قليل على الانضمام إلى المؤتمر. وفي معاهدة لندن في ١٥ تموز ١٨٤٠ أنذرت الدول موقعة المعاهدة، محمد علي بالانسحاب الفوري من سوريا. وعندما دعمت هذه الدول تهديداتها بإنزال قوات على السواحل السورية، اضطر محمد علي إلى إخلاء سوريا وفلسطين. وفي مقابل ذلك حصل على اعتراف السلطان له بحكم وراثي لأسرته في مصر.

رغم التعاون المؤقت بين بريطانيا وروسيا في حل الأزمة المصرية، إلا أن العداء بين الدولتين استمر في السنوات التالية وخاصة في حرب القرم. وبعد عام ١٨٤١ سارت السياسة الفرنسية بشكل عام في تجانس الى جانب السياسة البريطانية.

استطاع محمد علي خلال فترة حكمه لسوريا وفلسطين، التي لم تتعد الثماني سنوات أن يضع الأسس المتينة لبناء الدولة الحديثة في سوريا[٢١]. فقد تمكن من القضاء على النزاعات القبلية الداخلية وجعل الإدارة مركزية ونظَّم الجباية وأحدث ازدهاراً في الاقتصاد. كما عمل على تأسيس عدد من المدارس وحسَّن قطاع الخدمات. وحين واجه محمد علي معارضة إسلامية متزايدة لمشروع التجنيد، كانت الطوائف غير الإسلامية المستفيد الحقيقي من الحكم المصري. ويذكر أن المصريين طبقوا مبدأ المساواة بين السكان من دون إقامة اعتبار للدين، وكان ذلك قبل صدور مرسوم كلخانة عام ١٨٣٩[٢٢]. ففي عام ١٨٣٢ أصدر ابراهيم باشا أمراً شدد فيه على أن:

«المسلمين والمسيحيين كلهم رعايانا. لا علاقة لمسألة الدين بالاعتبارات السياسية. وكل فرد يتمتع بحرية (في المسائل الدينية): أن يمارس المسلم عقيدته والمسيحي عقيدته أيضاً. ولكن ليس لأحد منهم سلطة على الآخر...»[٢٣].

لا شك أن ممارسة محمد علي للمساواة والعدل بين طوائف المجتمع السوري لم تكن وحدها في سبيل التودد الى الدول الكبرى ومراعاتها. فمحمد علي لم يكتف بإعلان النيَّات الحسنة فحسب، بل عمل على تحسين الأحوال المعيشية لغير المسلمين وبشكل ملحوظ. فقد شارك اليهود والمسيحيون بفاعلية أكبر في حكم البلاد وتبوأوا أعلى المناصب. وحول أوضاع المسيحيين السوريين، يذكر تقرير لمجلس العموم البريطاني لعام ١٨٤٠:

«إن التجار المسيحيين في سوريا يشتكون من ثقل الضرائب التي عليهم تأديتها. ولكنهم يقولون إن وضعهم العام قد تحسن كثيراً تحت حكم ابراهيم باشا. ويقولون خاصة إنهم لا يتعرضون لأية مضايقة في ممارسة معتقداتهم أو شعائرهم. إن الضرائب -وهي كبيرة في حجمها- تُجبى بالتساوي. وأصبحت المخالفات والابتزازات التي كانت تحدث في السابق نادرة الحدوث. وهم يمارسون طرقهم الدينية علناً ودون مضايقات أو تدخل. وفي الواقع فإن بكري بك- رئيس الادارة المالية- وهو مسيحي، هو أحد أكثر أصحاب النفوذ في سوريا»[٢٤].

قد اجتذب التسامح الديني والاستقرار الداخلي عموماً الكثير من التجار

الأوروبيين ورجال الدين والرحالة لزيارة سوريا وفلسطين. وتوافق ذلك مع بدء استقرار الإرساليات التبشيرية المسيحية وازدياد نشاطها في سوريا والأراضي المقدسة. ورغم عراقة كل من الكنيستين الأرثوذكسية والكاثوليكية في المشرق، فإنهما لم تمارسا نشاطات تبشيرية مباشرة بين السكان المسلمين في سوريا وفلسطين. فطبقاً للشريعة الإسلامية كانت الدولة العثمانية بصفتها خلافة إسلامية تفرض عقوبة الإعدام على المرتدين عن الإسلام(٢٥). كذلك كان التبشير بين أفراد الطوائف غير الإسلامية ممنوعاً منذ القرن الثامن عشر(٢٦).

أول نشاط تبشيري بين رعايا الدولة العثمانية قامت به الارساليات الانجلوسكسونية البروتستانتية وقد حُمل على أكتاف الإرسالية الأميركية ومركزها بوسطن Prudential Committee of the Americans Board of Commissioners for Foreign Mission in Boston وجمعية التبشير الكنائسية Church Missionary Society وجمعية يهود لندن London Jews Society(٢٧). فمنذ العقد الثاني من القرن التاسع عشر أخذ المبشّرون الأميركيون والإنكليز يجوبون سوريا وفلسطين فاستقروا في المنطقة: المبشّرون الإنكليز في القدس منذ عام ١٨٣٣ والمبشّرون الأميركيون في بيروت منذ عام ١٨٣٤ حيث أسسوا لهم مطبعة باللغة العربية. وفيها الإنكليز نشطوا أساساً بين اليهود، ركز الأميركيون نشاطاتهم التبشيرية بين المسيحيين الشرقيين.

منذ البداية ارتبطت الأهداف التبشيرية للجمعيات بالمصالح القومية والسياسية لدولها(٢٨). وبفضل الحاح جمعية يهود لندن قامت الحكومة البريطانية عام ١٨٣٨ بافتتاح أول قنصلية أوروبية في مدينة القدس(٢٩).

وبانفتاح المنطقة السورية الفلسطينية أمام الإرساليات البروتستانتية أصبحت المنطقة معرضة للمنافسات والصراعات الدينية السياسية التي تورطت فيها الدول الأوروبية مباشرة بسبب تأييد كل واحدة لجمعياتها العاملة في المنطقة. فبعد إخلاء محمد علي لسوريا وفلسطين أخذت الدول الأوروبية تتسابق في ما بينها لفرض حمايتها على رعايا السلطان من المسيحيين، هادفة من وراء ذلك إلى تقوية نفوذها على حساب الدول الأخرى. وتحت هذه الظروف نمت الاهتمامات الألمانية في سوريا وفلسطين. ففي أحد المؤلفات الألمانية لعام ١٨٩٥ حول التبشير الانجيلي في القدس ذكر المؤلف عطفاً على أحداث الأزمة

المصرية لعام ١٨٤٠ ما يلي:

«لقد تمّت هزيمة محمد علي عن طريق التحالف الرباعي وأعيدت سوريا وفلسطين إلى السلطان. لقد أيقظت هذه الأحداث في العالم المسيحي ذكرى الحروب الصليبية. والحق أن أصواتاً علت في ألمانيا ترى أن الوقت قد حان لانتزاع الأرض المقدسة من سيطرة المحمديين وإعادتها إلى السيطرة المسيحية»(٣٠).

وحتى حدوث الأزمة المصرية كانت بروسيا لا تعير القضايا الشرقية الكثير من الاهتمام. فقد انصب همها في الحصول على مركز مرموق في «**المجموعة الأوروبية**». فخلال حرب السنوات السبع ١٧٥٦ ـ ١٧٦٣ حاول ملك بروسيا فريدريك الثاني أن يكسب الدولة العثمانية كحليف له ضد النمسا وروسيا، لكن المفاوضات باءت بالفشل لرفض الباب العالي التورط في «**المسألة الأوروبية**»(٣١). وعلى كل حال فقد تمكنت بروسيا والدولة العثمانية في ٢٢ آذار ١٧٦١ من عقد إتفاقية صداقة ومعاهدة تجارية، حصلت بروسيا بموجبها على امتيازات مساوية لتلك التي حصلت عليها الدول الأوروبية الأخرى، وأهمها ما يتعلق بالتجارة الألمانية في الدولة العثمانية وكذلك امتيازات للوزير البروسي في الاستانة. وأخيراً حرية ممارسة البروسيين لشعائرهم الدينية(٣٢).

رغم تجديد هاتين المعاهدتين في عام ١٧٩٠(٣٣)، إلا أنهما لم تساعدا على تمتين العلاقات السياسية والتجارية بين الدولتين. فلوقت طويل لم تمارس بروسيا أي دور سياسي بارز في ما يتعلق بالمسألة الشرقية. كذلك ظلت العلاقات التجارية بين بروسيا ودول الهنزا من جهة وبين الدولة العثمانية ضعيفة بسبب الصناعة الألمانية نفسها التي كانت أقل تطوراً من الصناعات الأوروبية الأخرى، تمزق السوق الألمانية الداخلية، الحصار القاري في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، وكذلك نظرة الدولة العثمانية الى بروسيا على انها دولة أقل شأناً من الدول الأوروبية الكبرى. وكان الافتقار إلى بحرية حربية ألمانية له آثار سيئة على التجارة الألمانية مع الشرق. فقد عجزت السفن التجارية الألمانية عن مقاومة «**الجهاد البحري**» أو «**القرصنة**»، كما يطلق الغرب على تلك الحركة الإسلامية التي كانت تقوم بها دويلات المغرب العربي في شمال أفريقيا. خلال القرن الثامن عشر فشلت كل المحاولات الألمانية للوصول إلى اتفاقات سلمية مع هذه الدويلات(٣٤). كما ظهر بوضوح عجز الباب العالي في ضمان

حرية التجارة في البحر المتوسط. وبديهي ألا تكترث الدول الأوروبية الأخرى لحل مشكلة التجارة الألمانية في المتوسط، فقد كانت الدول الأوروبية تتقاضى أجور شحن وتأمين مرتفعة من جرَّاء نقل البضائع الألمانية على متن سفنها إلى مرافىء البحر المتوسط التي كانت تحميها السفن الحربية أو عقود مع دويلات المغرب العربي. وبذلك كان تقديم أية مساعدة للأسطول التجاري الألماني في عبوره الى المتوسط معناه خسارة صفقة رابحة(٣٥). ولم تُحل مشكلة التجارة الألمانية إلا بعد صلح أدرنة عام ١٨٢٩ وبعدما احتلت فرنسا الجزائر عام ١٨٣٠ وأرغمت كلا من تونس وطرابلس على الامتناع عن «القرصنة»، مما جعل البحر المتوسط أكثر أمناً للتجارة الألمانية(٣٦).

تمثل الفترة الممتدة بين صلح أدرنة وبين إنهاء الأزمة المصرية في عام ١٨٤٠ نقطة تحول هامة في السياسة البروسية من المسألة الشرقية. فخلال مفاوضات السلام عام ١٨٢٩ توسطت بروسيا بين روسيا وبين الدولة العثمانية من خلال الجنرال البروسي موفلينغ Mûffling(٣٧). وبموافقة فريدريك وليم الثالث Friedrich Wilhelm III وصل إلى الأستانة عام ١٨٣٥ الضابط البروسي هلمُت فون مولتكه Helmut von Moltke في زيارة تستغرق ستة شهور. ولكن هذه الزيارة تحولت إلى إقامة استمرت أربع سنوات قضاها مولتكه كمستشار لإعادة تنظيم الجيش العثماني. وفي عام ١٨٣٧ أرسل ضباط آخرون للخدمة في الجيش العثماني، وإن بصفة خاصة(٣٨). وأخيراً شاركت بروسيا - كما أسلفنا - بنشاط في المسألة الشرقية مما زادها تورطاً في قضايا المشرق العثماني. وخلال ذلك طرحت بروسيا بمشاركة بريطانيا خطة للتدخل المباشر في شؤون فلسطين، وهذا ما سنعالجه في الفصل التالي.

الفصل الأول

مطرانية القدس البروسية-الانكليزية المشتركة (١٨٤١ - ١٨٨٦)

يُعتبر إنشاء مطرانية القدس البروتستانتية من قبل بروسيا وإنكلترا Das Englisch - Preussische Bistum in Jerusalem, عام ١٨٤١ أحد أهم معالم السياسة الكنسية الأوروبية خلال القرن التاسع عشر في منطقة الشرق الأدنى عموماً وفلسطين خصوصاً. فبعد الانتهاء المؤقت من المسألة الشرقية عام ١٨٤٠ وإنقاذ الدولة العثمانية عن طريق التدخل المباشر لبريطانيا وبروسيا وروسيا والنمسا، اشتد النفوذ الكنسي الثقافي لبريطانيا وبروسيا في تلك الدولة كممثلتين للبروتستانتية في الشرق. وكان تكثيف الدولتين لنشاطهما الكنسي في أعقاب إنشاء المطرانية إحدى الخطوات التي دعت الباب العالي عام ١٨٥٠ إلى الاعتراف بالملة البروتستانتية إسوة ببقية الملل المسيحية. وبالاضافة إلى ذلك فقد استُخدمت المطرانية كرأس جسر في توطين اليهود بفلسطين بإشراف الدولتين.

ولمعرفة السياسة البروسية في الشرق الأدنى وتتبع مراحل تدخلها بالمسألة الشرقية، كان لا بد من بحث أسباب ودوافع إنشاء مطرانية القدس من قبل بروسيا، حيث شكل إنشاء المطرانية الانطلاقة للنفوذ البروسي الألماني في الشرق. إن التركيز في هذا الفصل على الدوافع والأسباب لانشاء المطرانية تطلب سبر المصادر والتقارير وفي نفس الوقت عدم إغفال المؤلفات المعاصرة

عن إنشاء المطرانية والتي كَتبت إما تأييداً أو معارضة للمشروع[١] مما طمس الدوافع الحقيقية لإنشاء المطرانية. كذلك تغفل أبحاث حديثة بوضوح العلاقة بين إنشاء المطرانية ومشروع توطين اليهود في فلسطين[٢].

١ ـ مشروع بروسي فاشل: حماية أوروبية على الأماكن المقدسة في فلسطين:

قُبيل نهاية حكمه عام ١٨٣٩ رفض ملك بروسيا فريدريك وليم الثالث Friedrich Wilhelm III. دعوة مستشاره أرنست أوغست كزيمير درشاو Ernst August Kasimir Derschau للتدخل في فلسطين بهدف حماية المسيحيين. فالمسألة، كما أعتقد الملك، كانت على جانب كبير من الأهمية بالنسبة للعالم المسيحي وتستحق عناية خاصة منه وأن بروسيا ليست في وضع سياسي دولي يمكنها من تنفيذ مثل هذه الخطوة منفردة[٣].

لكن هذه السياسة تجاه فلسطين سرعان ما تبددت باعتلاء فريدريك وليم الرابع Friedrich Wilhelm IV. عرش بروسيا في عام ١٨٤٠. وقد وجدت بعض الدوائر البروسية المهتمّة بأوضاع فلسطين لدى الملك الجديد تحمساً لمشاريعها الدينية هناك. ففريدريك وليم الرابع الذي وصف **«بالرومانسي المتربع على العرش»**[٤] كان شخصية ذات طبيعة فنية وعبقرية وورع ديني أكثر منها شخصية ملك أو حاكم[٥]. فقد كان شغوفاً منذ نشأته بالعلوم الطبيعية والاقتصادية والسياسية، إلى جانب مواقف سياسية إكليريكية. فقد كان يؤمن بالحق الإلهي وإن الله يمنح الحكام إلهاماً خاصاً مميزاً. فالأمير الحاكم تعلو سلطته كلاً من الكنيسة والدولة معاً وهو الذي يوحدهما معاً بشخصه ـ هذه النظرة إلى طبيعة الحكم لدى الأمراء البروتستانت الالمان، التي كانت تقوم على اساس حقوقهم الخاصة فيما يتعلق بالكنيسة ius episcopale حيث كان الأمير الحاكم يُعتبر رأس الكنيسة summus episcopus في منطقته، ظلت سائدة في ألمانيا منذ عصر الإصلاحات الدينية Reformations وحتى إلغاء الملكية عام ١٩١٨[٦].

من الشخصيات التي مارست نفوذاً خاصاً على فريدريك وليم الرابع وأحاطته بأفكارها الإخوة فون جرلاخ[٧] Brûder von Gerlach وجوزيف ماريا

فون رادوفيتز Joseph Maria Von Radowitz الذي اشتهر بثقافته وعلمه وتبوأ رغم كاثوليكيته أعلى المناصب العسكرية في بروسيا[٨]، وأخيراً البارون كريستيان شارلز فون بونسن Christian Carl Josias Freiherr von Bunsen، الذي كان متعمقاً بالتاريخ الكنسي للعصور الوسطى ومحبباً في الوقت نفسه إلى الملك، والذي كان يناقش معه مشاريعه الرومانسية. ومن نتائج متانة العلاقة بينهما تعيين الملك لبونسن مفاوضاً لبروسيا مع الإنكليز خلال مفاوضات إنشاء المطرانية (١٨٤١) ومبعوثا له في لندن (١٨٤٢)، رغم فشل بونسن كمبعوث لبلاده إلى الفاتيكان عام ١٨٣٧[٩].

توافق اعتلاء فريدريك وليم الرابع العرش في حزيران ١٨٤٠ وأدق مراحل الأزمة الشرقية نتيجة سياسة محمد علي باشا التوسعية على حساب الدولة العثمانية، وهي طرح المسألة على طاولة المفاوضات في لندن[١٠]. وكان الجديد في هذه المفاوضات هو مشاركة بروسيا فيها. وكانت بروسيا، التي ظلت حتى ذلك الوقت مستثناة من قبل مجموعة **«التجانس الاوروبي»** European Concert قد أخذت تشارك لاول مرة بفعالية في شؤون المشرق. ولقد كانت الفرصة مواتية لها حيث أن فرنسا المؤيدة لمحمد علي كانت في تلك المرحلة بعيدة عن جلسات المؤتمر. وبسخرية لاذعة انتقد محمد علي الدول الكبرى لسماحها لبروسيا **«الفقيرة والضئيلة الشأن»** بالاشتراك في مؤتمر لندن. فبروسيا ـ على حد قول محمد علي ـ لم تستطع أبداً ان تدفع بانتظام مرتب قنصلها في مصر ـ هذا القنصل الذي كان مُمثلاً من قبل تاجر أوروبي بسبب تغيبه معظم الاوقات عن وظيفته[١١]. وعلى ما يبدو فقد كان محمد علي قصير النظر سياسياً في انتقاده مشاركة بروسيا في مفاوضات لندن. فهو لم يدرك ان بروسيا اخذت بعد مؤتمر فيينا عام ١٨١٥ تلعب دوراً هاماً في التوازن الأوروبي وأن اشتراكها في المؤتمر كان حيوياً لهذا التوازن. وبالإضافة إلى ذلك كانت بروسيا قد أخذت تحصل على إحترام متزايد في الدولة العثمانية نتيجة لبعثتها العسكرية (١٨٣٥ ـ ١٨٣٩) التي عملت على إعادة تنظيم الجيش العثماني[١٢].

وخلال المراحل الأخيرة للأزمة الشرقية كانت بروسيا مقتنعة بأن إنقاذ الدولة العثمانية من قبل أوروبا بتحجيم محمد علي يجب ألا يمر دون حصول الدول الأوروبية على مكاسب سياسية ودينية في السلطنة[١٣]، وبعبارة أخرى التدخل

لمصلحة المسيحيين في المشرق. وأول إشارة في هذا الاتجاه حدثت في ٦ آب ١٨٤٠، عندما قدمت الحكومة البروسية مذكرة إلى الحكومة النمساوية حول «**إمكانية وضرورة ضمان ممارسة المسيحيين لعباداتهم في الأماكن المقدسة عند قبر المسيح**» صاغها هاينريش فون بولوف Heinrich von Bûlow المبعوث البروسي في لندن، ويوهان ألبرشت فريدريك إيشهون Johann Albrecht Friedrich Eichhorn وزير الثقافة. إلا أن الحكومة النمساوية لم تعر المذكرة أي اهتمام [١٤].

ورغم مرور النصف الثاني من عام ١٨٤٠ دون أية تطورات تذكر بالنسبة للنشاطات السياسية الكنسية البروسية في المشرق، ظلت الحكومة البروسية والصحافة الألمانية وبعض الجمعيات التبشيرية الألمانية تأمل بظروف تمكنها من الولوج في مشاريعها الكنسية في فلسطين[١٥]. وقد أتيحت الفرصة للحكومة البروسية بعد إنسحاب المصريين من سوريا وفلسطين عند نهاية عام ١٨٤٠. فعادت لها حيويتها السابقة فيما يتعلق بسياستها «**الفلسطينية**». ففي شباط ١٨٤١ توجهت بمذكرة إلى الحكومة البريطانية تتعلق بـ «**حماية دينية على الأماكن المقدسة وبحث المسألة الفلسطينية وتحرير المسيحيين بشكل عام عن طريق المفاوضات**»[١٦]. وبدورها لم تحظ هذه المذكرة بعناية تامة من قبل الدوائر الحكومية البريطانية.

وبالرغم من خيبة الأمل هذه عاودت الحكومة البروسية بعد أسبوع اتصالاتها بعواصم الدول الأوروبية الكبرى، لندن، بطرسبرغ، فيينا وباريس. ففي مذكرتين منفصلتين ولوف ورادوفيتز حول تصورات ملك بروسيا جرى الحديث عن مشروع لتدويل القدس وضواحيها بطرق سلمية ووضعها تحت الحماية المشتركة للدول الخمس الكبرى[١٧].

ففي مذكرته رأى بولوف أن يكون للملل المسيحية الثلاث: الكاثوليكية، الأرثوذكسية والبروتستانتية ممثلين معتمدين، وكنائس، أديرة ونُزل توضع تحت حماية دولية. كما جاء في المذكرة موضوع تحسين أوضاع رعايا السلطان العثماني غير المسلمين عن طريق تحريرهم من الضرائب ومنحهم قضاء مستقلاً. ولضمان شؤون الملل الثلاث والحفاظ عليها رأى بولوف أن يقيم في مدينة القدس ثلاثة ممثلين أوروبيين، واحد يتبع النمسا وفرنسا وآخر يتبع روسيا

وثالث يعينَّ من قبل إنكلترا وبروسيا بالتناوب. وأخيراً اقترح بولوف أن يكون لكل دولة فرقة عسكرية قوامها ٦٠ جندياً تتمركز في مدينة القدس[١٨].

أما رادوفيتز فتعهد في مذكرته بتأمين حماية لليهود في فلسطين وتعليم أبنائهم[١٩]. وفي بند إضافي تضمنته المذكرة التي وجهها رادوفيتز إلى العاصمة البريطانية جاء «**أن تحصل الجماعة البروتستانتية في فلسطين على حق تشييد مستشفى ودار عبادة وأن يُخصص جبل صهيون للإرسالية الإنجيلية وحدها لممارسة نشاطها**»[٢٠].

وما أن تسلمت حكومات الدول الأوروبية العروض البروسية حتى رفضتها جملة وتفصيلاً. فقد رأت في المشروع البروسي تهديداً للتوازن الذي ضمن لكل منها حقوقاً وامتيازات في المنطقة[٢١]. كذلك رُفض المشروع من قبل الكنيستين الكاثوليكية والأرثوذكسية حيث لم يكن متوقعاً موافقتهما عليه وخصوصاً قيام كنيسة إنجيلية في فلسطين تكون على قدم المساواة معهما[٢٢]. أما القرار البريطاني الذي علقت عليه بروسيا الآمال فجاء مخيباً لها. فاللورد بالمرستون Palmerston، وزير الخارجية البريطاني، لم يجد ما يدعو بلاده لقبول المقترحات البروسية، خاصة أن بلاده تتمتع بموجب الامتيازات العثمانية بوضع دولة حامية. كذلك رأى بالمرستون أن مرسوم «**خطي شريف كلخانة**» لعام **١٨٣٩** قد أزال الفوارق بين أهل الذمة والمسلمين وأن السهر على تنفيذ هذا المرسوم هو أفضل من تبني المقترحات البروسية[٢٣]. ويعود سبب الموقف البريطاني إلى أن بريطانيا لم تكن في تلك المرحلة تعير المسائل الكنسية في المشرق ومساواة الكنيسة البروتستانتية مع غيرها من الكنائس في المنطقة الاهتمام المطلوب. فقد انصب همها بعد تحجيم مصر وإخراجها من سوريا وفلسطين بالسيطرة على المشرق العثماني وتأمين مواصلاتها الاستراتيجية مع الهند وضرب نفوذ دول أوروبية أخرى وفي مقدمتها روسيا. وهكذا لم يكن لدى بروسيا الضعيفة دولياً واوروبياً ما تقدمه لبريطانيا في استراتيجيتها المتوسطية من وراء مشروع تدويل القدس[٢٤].

وأخيراً لم يكن متوقعاً الحصول على موافقة الباب العالي على مشروع تدويل القدس. فالسلطان العثماني بصفته «**خليفة**» وحامي الأماكن المقدسة للإسلام، مكّة، المدينة والقدس، لم يكن يستطيع ولا يُسمح له باقتطاع أراض

إسلامية مقدسة والتنازل عنها للمسيحيين. فتجارب الدولة العثمانية بالتخلي إكراهاً عن أراض في البلقان أو في الولايات الشمالية للسلطنة إلى الدول المسيحية كان لا يمكن تكراره في فلسطين. وفي هذا المعنى جاء رفض مجلس القدس في عام ١٨٣٨ إبَّان الحكم المصري مشروعاً يهودياً قُدم لمحمد علي باشا لأجل شراء أراضٍ في فلسطين والاستيطان عليها[٢٥]. واتخذ الباب العالي الموقف عينه عام ١٨٤٠ إزاء مشروع بريطاني لتوطين اليهود في فلسطين[٢٦].

٢ . مشروع جديد للقدس: مطرانية القدس البروسية الإنكليزية المشتركة:

إنشاء المطرانية: على الرغم من المعارضة البريطانية لمشروعه ظلّ ملك بروسيا متمسكاً برأيه بأن بريطانيا هي الحليف الطبيعي لبروسيا البروتستانتية في مشروعها «**الفلسطيني**». فقد اعتقد ملك بروسيا بأن إرسال «**بعثة خاصة**» مزودة بتعليمات ومقترحات جديدة إلى البلاط الإنكليزي برئاسة بونسن، المتزوج من سيدة بريطانية منحدرة من عائلة مرموقة، والمعروف من قبل الأوساط السياسية والكنسية البريطانية، كفيل بأن يدفع البريطانيين إلى التعاون معه.

ولهذه الغاية وصل بونسن في منتصف حزيران ١٨٤١ إلى لندن «**كمبعوث فوق العادة ومفاوض مطلق الصلاحيات لملك بروسيا**»[٢٧]. وبعد عدة أسابيع من المفاوضات مع الحكومة البريطانية والسلطات الكنسية حول أوضاع البروتستانت في الدولة العثمانية ووجوب الحصول على موافقة الباب العالي بحماية بريطانيا وبروسيا للمسيحيين البروتستانت في الأراضي المقدسة، طرح بونسن مشروع ملكه حول «**كيفية منح الكنيسة الانكليزية.. الكنيسة البروسية الوطنية مركزاً اخوياً مساوياً لها في الأراضي المقدسة**»[٢٨]. وأخيراً، على الرغم من الاختلافات بين الكنيستين الانكليكانية والالمانية، إقامة مطرانية إنكليزية بروسية مشتركة في القدس[٢٩].

وعلى الصعيد الدبلوماسي اقترح بونسن على الحكومة البريطانية أن تقوم الدولتان في بداية الأمر بتحرك مشترك في الآستانة للحصول من الباب العالي على إعتراف رسمي بالملّة البروتستانتية كطائفة دينية مستقلة. وكان بونسن عند

طرحه هذا المشروع يدرك تماماً إمكانية تحقيقه عن طريق استخدام النفوذ البريطاني المؤثر في الآستانة. وبالاضافة إلى ذلك رأى ضرورة إنشاء جمعية كنسية تكون مرتبطة بالمطرانية لأجل تنفيذ الأهداف المرجوة من المطرانية. ولذا أوعز إلى «**جمعية يهود لندن**»[٣٠] London Jews Society التي كانت تمتلك منذ عام ١٨٣٩ أرضاً ومستشفى على جبل صهيون، إلى الانضمام لمشروع المطرانية[٣١].

في بداية عام ١٨٤١ وُضعت اللمسات الأخيرة على إتفاقية إنشاء المطرانية[٣٢]. وتبعاً لذلك تقرر أن تكون «**مطرانية كنيسة إنكلترا المتحدة في القدس**» مطرانية إنكليزية. فالمطران نفسه تقرر أن يعين بالتناوب بين بريطانيا وبروسيا، ولكن كان عليه ان يكون تابعاً للكنيسة الأنكليكانية وتحت إشراف رئيس أساقفة كانتربوري Canterbury وأن تمتد سلطته الروحية والحقوقية الكنسية على كل رجال الدين الانكليكانيين والجالية البريطانية وأيضاً كل المؤسسات والجمعيات والاشخاص المرتبطين بكنيسته في كل فلسطين، سوريا، كلدانيا، مصروالحبشة، الذين يريدون طواعية ان يضعوا أنفسهم تحت سلطته. أما رجال الدين الألمان فقد خُيروا بالانضمام إلى المطرانية، إلا أنه توجب عليهم الحصول على تكريسهم وفقاً لقوانين الكنيسة الانكليكانية. أما مسائل التبعية القومية فلم تعر اعتباراً[٣٣].

لتأمين انطلاقة ناجحة للمطرانية تبرع ملك بروسيا بمبلغ خمسة عشر ألف جنيه استرلينية من جيبه الخاص لوقفه على المطرانية وان تُخصص فوائده لتغطية نصف راتب المطران السنوي. أما الجانب البريطاني فقد تبرع بمبلغ ٢٠ ألف جنيه، دفعت منها جمعية يهود لندن ٣ آلاف جنيه[٣٤]. كما تقرر ان يُعتبر اتفاق المطرانية ساري المفعول باحتلال المطران لكرسي المطرانية، وهو ما حدث في كانون الثاني عام ١٨٤٢.

ردود الفعل الدولية على إنشاء المطرانية: كما كان متوقعاً فقد أدت اتفاقية المطرانية إلى جدل عنيف في الدوائر الرسمية والكنسية الاوروبية، وأيضاً الى قلق عميق لدى الباب العالي. فروسيا وفرنسا تتبعتا سير المفاوضات باهتمام بالغ ورأتا فيها تحدياً لنفوذهما العتيد في المشرق وتهديداً لمصالحها في حماية

رعاياهما والجماعات الدينية التي تتبع كنيستها[٣٥]. فدعوة بونسن البروتستانت الفرنسيين المقيمين في الشرق للانضمام الى المطرانية اثارت شكوكا لدى الدوائر الفرنسية المختصة حول خفايا انشاء المطرانية[٣٦] . وعلى ما يبدو فقد كانت شكوك الحكومة الفرنسية منصبة على ما احتواه مشروع المطرانية من توطين اليهود في فلسطين[٣٧]. أما روسيا فقد خشيت من ان يؤدي إنشاء المطرانية الى فرار بعض الجماعات من الكنيسة الأرثوذكسية الواقعة تحت حمايتها الى الكنيسة الانجيلية[٣٨]. وعندما تبدلت الحكومة البريطانية في بداية عام **١٨٤٢** ، ولتجنب حكومته الجديدة الابعاد السياسية والدولية لإنشاء المطرانية، بعث أبردين Aberdeen ، وزير الخارجية الجديد في أيار **١٨٤٢** بتعليمات إلى القنصل العام البريطاني في مصر يطلب إليه العمل على وقف الدعاية البروتستانتية بين « **رعايا الدولة العثمانية من اليهود.. والطوائف الدينية الاخرى**»[٣٩]. ولكن التطمينات البريطانية لم تبدد الشكوك والمخاوف الروسية. أما المستشار النمساوي مترنيخ Metternich فاعتبر إنشاء المطرانية مخلاً بالتوازن وقد يدفع الفريق البروتستانتي إلى منزلق خطر[٤٠] ، في حين عقب المبعوث النمساوي في لندن غاضباً بأن « **بونسن يحاول أن يؤسس عصبة جديدة**»[٤١] من البروتستانت كتلك التي حاول تجميعها في روما وأدت إلى طرده من الفاتيكان في عام ١٨٣٧.

وبدوره شارك الباب العالي الدول الاوروبية قلقها من مشروع إنشاء المطرانية. بل كان اكثر الدوائر خشية من نتائج السياسة البروتستانتية الجديدة في المشرق[٤٢] . وقد عارضت الحكومة العثمانية إنشاء المطرانية متسائلة عن سبب إرسال مطران واسع الصلاحيات الكنسية على سوريا وفلسطين ومصر وكلدانيا والحبشة حيث تكاد لا توجد جماعة بروتستانتية تذكر[٤٣] . الا ان اللورد ابردين سارع بتطمين الباب العالي مؤكدا على ان المطران الذي سيتبوأ كرسي المطرانية سيكون مواطناً بريطانياً عادياً وإن الحكومة البريطانية لن تطلب له امتيازات خاصة[٤٤].

والواقع أن إنشاء المطرانية حدث في وقت كانت أوضاع المسيحيين في المشرق العثماني بتحسن مستمر. ففي **٣** تشرين الثاني **١٨٣٩** صدر مرسوم « **خطي شريف كلخانه**»، الذي لم يُقصد به إصلاح الادارة العثمانية ونظامي

التجنيد والضرائب فحسب[٤٥] ، بل أعطى رعايا الدولة العثمانية من أهل الذمة ضمانات فيما يتعلق بالملكية والحرية الشخصية .[٤٦] وعلى ما يبدو فقد كان الباب العالي يهدف من وراء المرسوم أيضاً التظاهر أمام الدول الأوروبية بأن الدولة العثمانية قادرة على إصلاح نفسها بنفسها وإعادة ممارسة سلطتها على سوريا وفلسطين وحماية مصالح وحقوق رعاياها المسيحيين دون مساعدة اجنبية. وبعد عودة سوريا وفلسطين للسيادة العثمانية أمر الباب العالي في **١٢** ك **١** **١٨٤٠** والي القدس الشريف بأن يؤمن لكل الرعايا المسيحيين الطمأنينة والحماية الكاملتين[٤٧] . وفي بداية عام **١٨٤١** قام بخطوة مماثلة حين أمر والي دمشق باستدعاء مختلف أساقفة الملل المسيحية في سوريا للتشاور مع مفتي المدينة وقاضيها حول كيفية إدارة البلاد مستقبلاً وقد خُولت كل ملة حق تعيين خمسة مندوبين في مجلس الادارة العليا لسوريا[٤٨] . وبعد عدة أشهر على ذلك أكد المبعوث البروسي في الآستانة صحة التقارير العثمانية التي تحدثت عن تحسن أوضاع الرعايا غير المسلمين في الدولة العثمانية خلال عامي **١٨٣٩** و١٨٤٠[٤٩].

وعلى ما يبدو فقد كان الباب العالي قلقاً نتيجة المشاريع الاستيطانية الأوروبية في فلسطين وخاصة اليهودية والبروسية[٥٠]. وعلى الرغم من تهديده بعدم إعطاء موافقته على إنشاء المطرانية، إلا أنه لم يستطع سوى الرضوخ للضغوطات البريطانية[٥١].

معارضو المطرانية في إنكلترا وبروسيا: أدت اتفاقية المطرانية الى جدل كنسي واسع في كل من بريطانيا وبروسيا. ففي بريطانيا رأت بعض الدوائر المهتمة بالقضايا الدينية بزعامة « **حركة أكسفورد** » Oxford Movement في الاتفاقية تهديداً لمشروعاتها في قيام اتحاد بين الكنيستين الانكليكانية واليونانية الكاثوليكية. وقد اعتبر مؤيدو هذه الحركة الاتفاق مع بروسيا ارتداداً عن الدين، خاصة أن الكنيسة البروسية تبعاً لرأيهم ليست كنيسة مكتملة، إذ لا تعتمد نظام الأسقفية . وأخيراً اعتبرت الحركة ان إنشاء المطرانية هو تعدٍ على حقوق الكنائس القديمة في المشرق [٥٢] .

ورغم هذه الاعتراضات ظل الإكليروس البريطاني متمسكاً بالاتفاقية مع بروسيا وإنها - حسب رأيه - ستمكن بريطانيا، على عكس المشروع

البروسي الأول لتدويل القدس، من أن تلعب دوراً قيادياً أمام بروسيا. كذلك فسوف تؤدي المطرانية إلى إعطاء الكنائس البروتستانتية الاوروبية « **ما ينقصها** » في النواحي الكنسية[٥٣]. وعن طريق المطرانية وتكريس رجال الدين الألمان وفقاً لقوانين الكنيسة الانكليكانية وعودتهم إلى البلاد يمكن أن تقوى الاتجاهات الأنكليكانية في ألمانيا في المدى البعيد[٥٤].

أما في بروسيا نفسها فكانت المعارضة للاتفاقية شديدة كتلك في بريطانيا. فقد رأى فريق من علماء اللاهوت الألمان في وضع جماعات بروتستانتية ألمانية بفلسطين تحت سلطة مطران أنكليكاني عملاً « **مسيئاً جداً** »[٥٥]. وفي جامعة برن Bern فنّد أستاذان ألمانيان هما كارل برنهارد هوندسهاغن Karl Bernhard Hundeshagen و د. م. شنكنبورغر D.M.Schneckenburger معارضتها للمطرانية بإعطاء أدلة مسهبة حول كيفية انتقاص المطرانية من كرامة الكنيسة البروتستانتية الألمانية. وفي بنود أربعة انتقدا الاتفاقية: ١ ـ التكريس confirmation الذي يجري على جميع أفراد الجماعة الإنجيلية الألمانية في المشرق من قبل المطران وفقاً للطقوس الأنكليكانية، ورأيا أنه يؤدي إلى نشوء جيل ألماني في الشرق وفلسطين لا يتبع الكنيسة البروسية، ٢ ـ رسامة الرهبان الالمان تبعاً لبنود الكنيسة الانكليكانية الـ **٣٩**، رغم أن مثل هؤلاء الرهبان كانوا قد رسموا في بلادهم مسبقاً طبقاً لإقرار أوغسبورغ Augsburgische Konfession، ٣ ـ اعتبار الكنيسة الانكليكانية لكنيسة بروسيا الوطنية بأنها « **أقل تكاملاً** » منها، ٤ ـ وأخيراً الطريقة التي جرت فيها المفاوضات من قبل ملك بروسيا حيث استبعدت الدوائر الكنسية البروسية عنها[٥٦]. وبالإضافة إلى ذلك وجها انتقادات إلى الملك وبونسن بأنهما اعترفا بعدم تكامل الكنيسة البروسية عن طريق الاتفاقية والاعتراف بالتكامل المطلق للكنيسة الأنكليكانية ودستورها وطقوسها الدينية[٥٧]؛ وهكذا لم يبق للالمان في فلسطين، كما قال هوندسهاغن وشنكنبورغر، سوى الصلاة حسب الطقوس التي كان بونسن قد صاغها خلال إقامته في روما[٥٨].

وبعد حوالي خمسين عاماً على إنشاء المطرانية انتقد المؤرخ الألماني هاينريش فون ترايتشكه Heinrich von Treitschke الاتفاقية بانها كانت عملاً

« **منكراً** » وبأن المطرانية كانت « **مطرانية خيالية** »، لأن بريطانيا حصدت لنفسها كل المكاسب دون أن تقدم أي شيء لبروسيا[٥٩]. وطبقاً لرأي لوروا Le Roi فقد اتسم موقف الحكومة البروسية « **بعدم الرؤية والادراك. فبروسيا وُضعت منذ البداية في المرتبة الأخيرة. فقد كان على مطران الكنيسة بأية حال أن يكون عضواً في الكنيسة الرسمية الأنكليكانية. أما رئيس أساقفة كانتربوري فكان يتمتع بحق نقض تعيين مطران مقترح من قبل بروسيا. ولذا فقد كانت المطرانية أولاً وأخيراً مطرانية إنكليزية لا تطبق فيها سوى القوانين الإنكليزية** »[٦٠]. وبسبب موجة الاستنكار اضطر فريدريك وليم الرابع للدفاع عن موقفه وإعطاء مبررات حول أسباب قبوله بالاتفاقية « **المجحفة** ». فأوعز إلى أركان حكمه بالتوجه إلى الرأي العام البروسي. فكتب الجنرال ليوبولد فون جرلاخ Leopold von Gerlach في صحيفة أوغسبورغ[٦١] Augsburger Allgemeine Ztg. وأرنست وليم هنجشتنبرغ Ernst Wilhelm Hengstenberg في « جريدة الكنيسة الإنجيلية »[٦٢] Evangelische Kirchenzeitung وهاينريش آبكن Heinrich Abeken بالاشتراك مع بونسن كتاب « المطرانية الإنجيلية في القدس »[٦٣].

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا، هل أن ملك بروسيا قد عرَّض بسياسته مركز كنيسة بروسيا وسمعتها للخطر؟ أية أسباب ودوافع حركته للولوج في هذه السياسة وأية مكاسب كان يأمل ان يجنيها من وراء ذلك؟ للإجابة على هذه التساؤلات علينا أن نفصل بين الدوافع السياسية الكنسية لبروسيا ومشروع توطين اليهود في فلسطين.

٣ ـ الاهداف السياسية الكنسية لبروسيا من مشروع المطرانية:

منذ حداثته كان فريدريك وليم الرابع يحلم بكنيسة بروسية وطنية على الطراز الأنكليكاني. وفي إنشاء المطرانية رأى فرصة « **لإقامة كنيسة إنجيلية متَّحدة** »[٦٤] تضم كنائس أوروبا البروتستانتية جميعاً. ولكنه كان يدرك أن إقامة كنيسة عالمية بروتستانتية موحَّدة مجرد « **حلم صيف** »[٦٥] لا يمكن تحقيقه. ولذا فقد انحصرت أهدافه من إنشاء المطرانية في تكوين جماعة ألمانية إنجيلية في الأراضي المقدسة، بناء كنيسة بروتستانتية في القدس، ضمان اعتراف الباب

العالي بالملّة البروتستانتية ومحاربة نفوذ البابوية في المشرق عن طريق نشر البروتستانتية هناك.

تكوين جماعة بروتستانتية ألمانية في الأراضي المقدسة: يبدو من طريقة المفاوضات التي أجرتها بروسيا مع بريطانيا بشأن المطرانية أن ملك بروسيا أراد منذ البداية شراكة شكلية مع الإنكليز، أي أن تتقدم الكنيستان البروسية والإنكليزية بمشاريعهما إلى الدولة العثمانية كشخص واحد. ولقد دلت الممارسات العملية على أن فريدريك وليم الرابع لم يكن يريد ان يفرط في استقلالية الكنيسة البروسية ونشاطاتها التبشرية في المشرق لحساب الكنيسة الإنكليزية(٦٦). نعم كان يخطط لأن تكون المطرانية رأس جسر تستعمله بروسيا لإنشاء مطرانية مستقلة لها في المستقبل مع ما يتبع ذلك من جماعة بروتستانتية ألمانية في بيت لحم. وكان الملك يدرك ضرورة الحفاظ على سرية هذه الخطط عن الشريك البريطاني وخصوصاً خلال مراحل المفاوضات في لندن كي لا يعرض مشروع المطرانية للخطر. وعندما علم أن بونسن قد أفشى في لندن هذه الخطط كتب إليه يقول:

> «كنت أتمنى ألا تذكر في مذكرتك إلى اللورد بالمرستون أي شيء يتعلق بموضوع إنشاء كنيسة في بيت لحم.. إن إقامة مثل هذه الكنيسة يتوقف على استيطان جماعة بروتستانتية ألمانية أو يهود متنصرين في أية منطقة كانت. بالله عليك تجنب أي إعلان عن هذا المشروع مما قد يؤدي إلى القضاء عليه»(٦٧).

والواقع انه في الوقت الذي تأسست فيه مطرانية القدس لم يكن يوجد في فلسطين جماعة ألمانية إنجيلية يمكن أن تضع نفسها تحت سلطة المطرانية، سوى أفراد قلائل لا يتجاوزون أصابع اليد الواحدة. ولكن فريدريك وليم الرابع كان يأمل بواسطة سياسة بروسية مستقلة في فلسطين أن يتم تكوين جماعة إنجيلية من الألمان أو اليهود الألمان المتنصرين. ولقد تنبأ أن بروسيا تحتاج إلى سبع سنوات كي تصل إلى مرحلة تكون فيها قادرة على الاستقلال بسياستها الكنسية في فلسطين عن بريطانيا(٦٨). وبالفعل بدأت هذه «**الاحلام**» أو التنبوءات تتحقق منذ عام **١٨٤٦** عندما استقر رهبان «إرسالية الحجّاج على جبل كريشونا» Pilgermissionsantalt auf St. Chrischona في القدس، وكذلك شمّاسات جمعية الكيزرزفرت عام **١٨٥١**(٦٩) ـ Kaiserswerther Dia

. konissen

بناء كنيسة بروتستانتية: كان الإسراع ببناء كنيسة بروتستانتية على جبل صهيون في القدس من أوليات مهام المطرانية(٧٠) وينسجم مع خطط «الجمعية اللندنية لنشر المسيحية بين اليهود» London Society for Promoting Christianity amongst the Jews المعروفة باسم «**جمعية يهود لندن**»(٧١) لإنشاء كنيسة إنجيلية على جبل صهيون. وكانت هذه الجمعية قد تأسست عام **١٨٠٩** بدعم رسمي بريطاني. وفي العشرينات من القرن التاسع عشر بدأت هذه الجمعية نشاطاتها في فلسطين وتمكنت خلال عامي **١٨٣٧** و **١٨٣٨** من الحصول من محمد علي باشا خلال سيطرته على فلسطين على إجازة خاصة لبناء كنيستها(٧٢). ولكن انسحاب المصريين من سوريا وفلسطين وعودة الإدارة العثمانية إليهما مجدداً أفقد تلك الإجازة مفعولها.

وفي أواخر صيف **١٨٤١**، أي قبل أن تصبح اتفاقية المطرانية سارية المفعول، حركت بروسيا دبلوماسيتها في الآستانة للحصول على مرسوم ببناء الكنيسة دون أن تنسق ذلك مع بريطانيا. فقد التقى المبعوث البروسي في الآستانة هنز ألبرت فون كونغسمارك Hans Albert von Kônigsmarck مع رفعت باشا، وزير الخارجية العثماني، وبحث معه قضايا البروتستانت في السلطنة ومسألة بناء كنيسة لجمعية يهود لندن(٧٣). وكانت هذه هي المرة الأولى التي تتجرأ فيها بروسيا على التدخل في مسائل عثمانية داخلية على درجة كبيرة من الحساسية. وجاءت ردّة الفعل العثمانية على ذلك غاضبة، إذ اعتبر العثمانيون التصرف البروسي تدخلاً في شؤونهم الداخلية. فأبلغ وزير الخارجية العثماني المبعوث البروسي بأن بروسيا ليست صاحبة الشأن بأوضاع «**الفرنجة**» في الدولة العثمانية أو رعايا السلطان من العثمانيين أو أولئك الخاضعين للحماية القنصلية الأوروبية. وعلى ما يبدو فإن انزعاج العثمانيين جاء نتيجة مطالبة كونغسمارك «**بأن يُسمح للرعايا البروسيين بممارسة شعائرهم الدينية في السلطنة أسوة بغيرهم من رعايا الدول الأخرى**»(٧٤). وكان معنى هذا السماح لبروسيا ببناء دار عبادة، والموافقة على مشروع جمعية يهود لندن ببناء كنيسة على جبل صهيون. وفي الرد العثماني جاء أن هذا الموضوع غير قابل للنقاش لارتباط مسألة تشييد كنيسة إنجيلية في المشرق ـ «**العقيدة الدينية**»(٧٥) الإسلامية. بالإضافة إلى ذلك فإن توتر الوضع العام في فلسطين بعد رحيل

المصريين لا يشجع على إصدار مثل هذا المرسوم. وأخيراً أجاب رفعت باشا بأنه لا توجد معاهدة بين السلطنة وبروسيا تلزمها الموافقة على تشييد الكنيسة[٧٦]. ولا بد من القول من أن أخذ بروسيا، وهي الضعيفة دولياً، للمسألة على مسؤوليتها وحدها دون تغطية دبلوماسية من بريطانيا جعلها عرضة للانتقاد والاستياء من جانب العلماء المسلمين الممثلين في الديوان العثماني[٧٧].

وبعد مرور ثلاث سنوات على تلك الحادثة تمكن السفير البريطاني في الأستانة ستراتفورد كانِنغ Stratford Canning من الحصول على إذن من الباب العالي لبناء كنيسة إنجيلية. وخشية من أن تقوم بريطانيا وبروسيا ببناء كتدرائية بدلاً من كنيسة، فقد نص المرسوم العثماني على بناء كنيسة صغيرة تكون ملحقة بمبنى القنصلية الإنكليزية في القدس[٧٨].

الاعتراف بالملة البروتستانتية: كانت مسألة انتزاع اعتراف السلطات العثمانية بالمِلّة البروتستانتية هي الشغل الشاغل للدبلوماسية البريطانية والبروسية[٧٩]. وكان الحصول على مثل هذا الاعتراف خطوة ضرورية لا بد منها لضمان حرية التبشير الإنجيلي في أراضي الدولة العثمانية وتحرك الإرساليات التبشيرية البروتستانتية دون عوائق. فحتى ذلك الوقت كان أتباع المذهب البروتستانتي مضطهدين سواء من قبل الكنائس الأخرى أو من قبل السلطات العثمانية. فكان يحظَّر على أتباع الكنائس الأخرى الارتداد إلى المذهب البروتستانتي، وهو حظر عملت الكنائس الأخرى وخاصة الكاثوليكية والأرثوذكسية على تدعيمه والمدافعة عنه[٨٠].

وكانت مسألة مساواة الكنيسة البروتستانتية مع الكنائس المحلية الأخرى وخاصة الكاثوليكية خطوة حيوية بالنسبة لبروسيا. وفي هذا المعنى كتب فريدريك وليم الرابع إلى بونسن في ٢٩ تشرين الثاني ما يلي:

> «لا ينبغي ولا يمكن أن يكون الحديث عن تنازل جديد للكنيسة الإنجيلية. إن مطلبنا الوحيد هو التساوي الكامل مع الكنيسة اللاتينية، وهو المطلب الذي نسعى إليه.. لن يستطيع الباب العالي ان يرفضه لإنكلترا وبروسيا، حيث تعتبره الحكومة البريطانية في حكم المبرم»[٨١].

واستمرت المماطلة العثمانية بشأن الاعتراف بالمِلّة البروتستانتية فترة

طويلة. وكانت الحكومة العثمانية لا ترى وجوب الاعتراف بالبروتستانت كملّة بسبب ضآلة عددهم في السلطنة. فخلال المحادثات بين المبعوث البروسي كونغسمارك ووزير الخارجية العثماني رفعت باشا، والتي جرت في نهاية صيف ١٨٤١، رفض الأخير إعطاء موافقته على الاعتراف بالبروتستانت كملّة واستند في ذلك إلى عدم وجود أكثر من عشرة بروتستانت في كل السلطنة العثمانية، وإن ارتداد أربعة يهود في الأستانة لا يعني - حسب رأيه - وجود ملّة بروتستانتية في الدولة العثمانية. ولهذا - أضاف رفعت باشا، بانه لا يمكن إصدار مرسوم «**لصالح شيء غير موجود**»[٨٢]. والواقع ان سبب تلكؤ الباب العالي في الاعتراف بالملّة البروتستانتية كان يعود إلى خشيته من حدوث اضطرابات طائفية في البلاد نتيجة ذلك[٨٣].

وعندما حرَّكت بريطانيا دبلوماسيتها النشطة والضاغطة اضطر السلطان العثماني في ١٠ آذار ١٨٤٦ إلى إصدار مرسوم لصالح البروتستانت سمح لهم بموجبه حق تشكيل «**ملّة خاصة**» وتعيين وكيل عنهم. كما أعطي البروتستانت تسهيلات لبناء أماكن للعبادة ومدافن[٨٤]. وفي ٢٤ تشرين الاول ١٨٥٠ تمكّن السفير البريطاني ستراتفورد كانِنغ آخر الأمر من الحصول على مرسوم عثماني بالاعتراف الكامل بالملّة البروتستانتية[٨٥].

محاربة نفوذ البابا في المشرق: وأما سبب إصرار بروسيا على مساواة الكنيسة البروتستانتية بالكنيسة الكاثوليكية فقد كانت له مبرراته في السياسة البروسية الداخلية. ففي منتصف الثلاثينات من القرن التاسع عشر حدث نزاع حاد بين الحكومة البروسية والكنيسة الكاثوليكية الألمانية حول مسألة الزواج المختلط بين الكاثوليك والبروتستانت مما حمل السلطات البروسية على اعتقال رئيس أساقفة كولونيا الكاثوليكي. وكرد معاكس أمر الفاتيكان بطرد بونسن كمبعوث لبروسيا لديه[٨٦]. ومنذ ذلك الحين أخذ بونسن يعد الخطط للانتقام من البابا، ورأى في المشرق أفضل موقع لمحاربة نفوذ الفاتيكان والكنيسة اللاتينية وذلك عن طريق نشر البروتستانتية هناك. كما رأى بونسن أن «**القوة الفتية**» للبروتستانتية تكمن في الأراضي المقدَّسة حيث يظهر هناك بوضوح «**اضمحلال الكنيستين القديمتين**»[٨٧].

والواقع أن بونسن ذهب بعيداً في توقعاته حول القوة الفتية للكنيسة

البروتستانتية والاضمحلال المنتظر للكنيستين الأرثوذكسية والكاثوليكية. فضرب نفوذ البابا في المنطقة المدعوم من قبل الدبلوماسية الفرنسية كان عملية مستبعدة من وراء المطرانية وصعبة التحقيق. فإنشاء المطرانية كان يهدف من الناحية الرسمية إلى العمل بين اليهود وليس بين المسيحيين الكاثوليك في المشرق أو اتباع الكنائس الأخرى[٨٨]. ففي الإعلان عن إنشاء المطرانية بتاريخ / ك ٢ ١٨٤١ ألزم المطران الكسندر، وهو أول مطران اعتلى كرسي المطرانية، نفسه «**بأن يتعامل مع الكنائس الأخرى الممثلة في القدس بمحبة مسيحية**»[٨٩]، وليس تنصير أتباعها كما حصل خلال فترة المطران الثاني غوبات.

٤ - مشروع توطين اليهود في فلسطين:

إلى جانب الدوافع السياسية الكنسية التي حركت إنشاء المطرانية لعبت فكرة توطين اليهود في فلسطين دوراً كبيراً في هذا المضمار. ويظهر هذا بوضوح بتعيين ميشال سالومون الكسندر Michael Solomon Alexander، وهو يهودي متنصر إلى البروتستانتية، مطراناً على القدس[٩٠].

وللحصول على فهم واضح لسياسة فريدريك وليم الرابع في مسألة توطين اليهود في فلسطين، حري بنا أن نتطرق إلى أوضاع اليهود في ألمانيا والسياسة البروسية نحوهم وكذلك المشاريع البريطانية في هذا الصدد والتي أثّرت بلا ريب على تصورات ملك بروسيا بالنسبة «**للمسألة اليهودية**» في ألمانيا.

اليهود في بروسيا وألمانيا: لم يؤدِ مرسوم تحرير اليهود الألمان وإعطائهم المواطنة البروسية عام ١٨١٢ إلى المساواة الكاملة بينهم وبين الألمان. فقد ظل شغل المناصب والوظائف الرسمية محظراً عليهم[٩١]. وخلال حرب التحرير الألمانية ضد الهيمنة الفرنسية وصلت المعاناة القومية الألمانية الى ذروتها. فدعا فريدريك لودفيغ يان Friedrich Ludwig Jahn إلى «**حرب صليبية مقدسة**» ضد الغرباء من فرنسيين ويهود[٩٢] فقد نُظر إلى اليهود على أنهم يشكلون «**دولة داخل دولة**» بسبب انغلاقهم الاجتماعي، كما وصفهم الفيلسوف الألماني يوهان غوتليب فيخته قبل عقدين من الزمن[٩٣]. والواقع أن فيخته قد دعا الألمان إلى معاملة اليهود كبشر، إلا أنه أوضح قائلاً:

«.. أن نعطيهم (اليهود) حقوق المواطنة، فإني لا أرى سوى وسيلة واحدة وهي ان نستبدل في إحدى الليالي رؤوسهم برؤوس أخرى، خالية من أية أفكار يهودية. ولكن لكي نحمي أنفسنا منهم، فإني أيضاً لا أرى سوى ان نفتتح لهم أرض الميعاد (فلسطين) ونرسلهم جميعاً إلى هناك»[٩٤].

ولم تقتصر هذه النظرة العدائية ضد اليهود وجعل فلسطين مركزاً لتجميعهم في واقع الأمر على الفلاسفة ورجال الدين والفكر الألمان، بل إن كثيرين من الألمان رأوا فيهم «**شعباً فاسداً عديم الأصالة مشحوناً بميول شريرة شاذة**»[٩٥].

وإلى جانب العوامل النفسية لعب التحول الاقتصادي والاجتماعي في ألمانيا من جرّاء التصنيع دوراً في تغذية روح العداء ضد اليهود. فخلال عصر فريدريك وليم الثاني (١٧٤٠ - ١٧٨٦) تمتعت الرأسمالية اليهودية بـ «**إمتيازات خاصة**»[٩٦] في حقول النشاطات المالية والصناعية واستثمار الاراضي، وذلك تقديراً لدعمها المالي للدولة البروسية إبّان حرب السبع سنوات ضد روسيا والنمسا[٩٧]. وما إن حل القرن التاسع عشر حتى كانت الرأسمالية اليهودية قد دعمت نفسها في شتى مرافق الاقتصاد الألماني[٩٨].

ففي مجال النشاطات المصرفية امتلك اليهود في برلين وحدها ٣٠ مؤسسة بنكية من أصل ٥٢ مؤسسة[٩٩] وعندما تأسست أول بورصة في برلين كان خمسة من أصل تسعة من الموقعين على جداول الأسعار من اليهود[١٠٠]. وفي عام ١٨٣٧ بلغت حصص رجال البنوك اليهود في «**شركة خطوط حديد الراين**» Rheinische Bahn - Gesellschaft الثلثين[١٠١]. وفي مقاطعات أخرى من المانيا كبفاريا Bayern هسن Hessen وهامبرغ Hamburg لم يكن الوضع أفضل عليه منه في بروسيا[١٠٢].

وفي مجالات التجارة والصناعة لعب اليهود أيضاً دوراً قيادياً[١٠٣]. فاليهودي جوزيف مندلسون Joseph Mendelssohn، الذي كان أحد مؤسسي «**تجمع تجار برلين**» Korporation der Kaufmannschaft in Berlin الذي مثّل تجارة برلين، ظلّ لمدة عشرين عاماً في مركز القيادة للتجمع[١٠٤].

وبالإضافة إلى ذلك شارك اليهود في تطوير الصناعة الألمانية الناشئة ببرلين ـ في مجالات الصناعات النسيجية والجلدية والمعدنية[١٠٥]. ولم تجد الرأسمالية الألمانية الفتية في المزاحمة اليهودية خطراً عليها فحسب، بل إن المنافسة اليهودية الدولية المتمثلة باسم « **روتشيلد** » Rothschild دقّت لها ناقوس الخطر[١٠٦].

أما في دوائر الأرستقراطيين الإقطاعيين فقد لقي مرسوم ١٨١٢ كل استنكار، إذ خشيت من أن يمتلك « **المال اليهودي أراضيها وأن تصبح براندنبورغ ـ بروسيا نموذجاً جديداً للدولة اليهودية** »[١٠٧] ، وسرعان ما استعر الموقف بين الفريقين بحدوث الأزمة الاقتصادية الزراعية عام ١٨٣٨، مما أدى إلى موجة اعتداءات من قبل المزارعين الألمان ضد اليهود[١٠٨].

وكان نصيب الحرفيين الألمان من المنافسة اليهودية أشد. فبعد تقسيم بولندا الأخير عام ١٧٩٥ وبضم بروسيا لأراض بولندية، ارتفع عدد سكان مقاطعات بروسيا من اليهود إلى ١٠٠ ألف شخص، ومن ضمنهم العديد من العمال الحرفيين[١٠٩]. ولعبت مراسيم التآخي بين الألمان واليهود دوراً في اشتغال الكثرين من اليهود الجدد في بروسيا في أعمال « **إنتاجية** »[١١٠]. فمثال على ذلك كان إقليم شلسين العليا Oberschlesien : ففي عام ١٨٢٧ كان هناك ١٥,٨٪ من اليهود يشتغلون في الاعمال الحرفية. وارتفعت هذه النسبة إلى ٢٥,٧٪ عام ١٨٤٣[١١١]. وبرفع الحصار القاري عن سواحل ألمانيا أخذت المصنوعات الإنكليزية الرخيصة نسبيا تغزو الأسواق الألمانية منافسة الإنتاج المحلي، بحيث هددت الأسس الاقتصادية لكثير من العمال الألمان الحرفيين. وسرعان ما انقلبت المسألة إلى موجة عدم رضى اقتصادية أخذت طابعاً معادياً لليهود[١١٢].

يقسم دارسو التاريخ الألماني موقف الرأي العام الألماني من المسألة اليهودية، إلى تيارين رئيسيين:[١١٣] تيار الليبراليين، الذين رأوا أن إعطاء اليهود المساواة الكاملة مع الألمان قد يربط هؤلاء أكثر بالدولة البروسية ويخفف في الوقت نفسه من تطلعاتهم «**القومية**». أما تيار المحافظين فنظر إلى اليهود على أنهم « **غرباء** » وأن ديانتهم اليهودية تناقض التعاليم المسيحية، ولكنه اشترط تنصر اليهود مقابل منحهم المواطنة الألمانية الكاملة[١١٤].

وفي هذا الإطار من الأفكار لتنصير اليهود في بروسيا وألمانيا وقعت مهمة التنصير على عاتق « جمعية نشر المسيحية بين اليهود » Gesellschaft zur Befôr-derung des Christentums unter den Juden التي تأسست في برلين عام ١٨٢٢ وكانت شقيقة لجمعية يهود لندن[١١٥]. وقد حصلت الجمعية الألمانية على دعم رسمي[١١٦] ولم يكن رئيسها سوى الجنرال البروسي كارل فون فيتزليبن[١١٧] Karl von Witzleben. كما تأسست في الأعوام التالية جمعيات مماثلة ـ في بازل Basel عام ١٨٣٠ ، كولونيا Kôln عام ١٨٤٢ وفي لايبزيغ Leipzig عام ١٨٧٠[١١٨]. وحتى منتصف الأربعينات من القرن الماضي لم تتمكن جمعيات التنصير من كسب أكثر من ٢٠٠٠ من اليهود إلى البروتستانتية. ومن المفترض أن هؤلاء قد تنصروا ليسهل عليهم دخول الوظائف الرسمية[١١٩].

وهكذا لم تؤد مراسيم تحرير اليهود وإعطائهم المواطنة الألمانية وتنصيرهم إلى حل المسألة اليهودية في ألمانيا ـ وظلت الحواجز النفسية والعنصرية والقومية والدينية والاجتماعية والاقتصادية تفصل بينهم وبين الألمان. وفي هذه الظروف اعتلى فريدريك وليم الرابع عرش بروسيا. وكما أسلفنا سابقاً، فقد كان مهتماً بالمسألة اليهودية وبأوضاع المسيحيين في فلسطين منذ صغره[١٢٠] : ألا يجب أن تكون فلسطين الحل الذي يوصل المسألة اليهودية في ألمانيا إلى حل مرضٍ ! وإذا استثنينا مشروع نابوليون بونابرت خلال حملته على مصر لتوطين اليهود في فلسطين، فإن أسباب هذه الدوافع « **الفريدريكية** » جاءت من قبل بريطانيا.

المشاريع البريطانية ـ اليهودية لتوطين اليهود في فلسطين: عند نهاية الثلاثينات من القرن التاسع عشر وبشكل خاص خلال الفترة من ١٨٣٨ ـ ١٨٤٠ طُورت في بريطانيا مشاريع متعددة هدفها قيام استيطان يهودي في فلسطين. ومن الشخصيات البريطانية البارزة التي لعبت دوراً هاماً في هذا المجال اللورد أشلي Lord Ashley الذي عُرف فيما بعد بـ « **إيرل أوف شافتسبري** » Earl of Shaftesbury . وكان اللورد إشلي أكثر الشخصيات نفوذاً في جمعية يهود لندن. وبسبب قرابته من اللورد بالمرستون أمكنه أن يبحث مع الحكومة البريطانية إمكانية وضع اليهود في الدولة العثمانية تحت الحماية البريطانية[١٢١]. وخارج جمعية يهود لندن وعلى النقيض لسياستها بتنصير اليهود، نشط موسى مونتيفيوري Moses Montefiore ، زعيم يهود لندن، في

الدوائر الرسمية البريطانية لكي يحتفظ اليهود بعقيدتهم الدينية. فبعد زيارة له إلى فلسطين قبل حل المسألة المصرية ضغط مونتيفيوري على الحكومة البريطانية ليس فقط لأجل حماية ما يقرب من ٧ آلاف يهودي بفلسطين[١٢٢]، بل أيضاً أن تدعم الحكومة البريطانية هجرة يهود أوروبا إلى فلسطين وشراءهم للاراضي والاستيطان عليها[١٢٣].

ولم يكن اللورد بالمرستون بعيداً عن المشاريع الاستيطانية اليهودية، بل كان يدعمها ويشجعها. فهو قد نظر إلى هجرة اليهود إلى فلسطين من زاوية المصالح الاستراتيجية والاقتصادية البريطانية. وكان يرى أن استيطان اليهود الأوروبيين في فلسطين برأسمالهم وخبراتهم سوف يؤدي إلى ازدهار اقتصادي في السلطنة العثمانية وتكون نتائجه تدعيم النفوذ البريطاني في منطقة الليفانت levant حيث تزدهر التجارة الإنكليزية وتقوى[١٢٤]. ولأجل ذلك، أي تدعيم مصالح بريطانيا في المنطقة عن طريق دعم المشاريع الإستيطانية اليهودية، جاء إنشاء القنصلية البريطانية في القدس عام ١٨٣٨ كأول قنصلية أوروبية في المدينة، وذلك بعد إلحاح طويل من قبل جمعية يهود لندن[١٢٥].

فريدريك وليم الرابع و«توطين الشعب اليهودي» في فلسطين:

خلال إقامته في لندن عامي ١٨٣٨ و ١٨٣٩ استطاع بونسن أن يوطد علاقته مع ممثلي جمعية يهود لندن وأن يتطلع على مشاريعها الاستيطانية بفلسطين[١٢٦]. وهذا ما يحمل على الاعتقاد بأن المشروع البروسي الفاشل لتدويل القدس قد حيكت خيوطه في لندن من قبل بونسن والجماعات اليهودية المتنفذة. وبعبارة أدق، إن الجماعات اليهودية المهتمة بقضايا الاستيطان في فلسطين أرادت أن تستغل بونسن ومن خلفه الدبلوماسية البروسية في سبيل تنفيذ مشروعاتها الاستعمارية. إن رسالة بعث بها مك كول Mc Caul أحد زعماء جمعية يهود لندن إلى بونسن في أيلول ١٨٣٩، أي قبل عام على طرح بروسيا لمشروع تدويل القدس، توضح العلاقة بين مشروعي تدويل القدس والجهود الاستيطانية اليهودية في فلسطين. يقول مك كول في رسالته إلى بونسن:

> «أنا لا أدري ما يمكن فعله لأجل القدس، كما لا أحب التدخل في الأمور السياسية، ولكن ألا يمكن تحويلها (القدس) إلى «مدينة حرة» مثل فرانكفورت أو كراكو (Frankfurt or Cracow) تحت حماية الدول العظمى.. ألا يستطيع الملوك

> المسيحيون أن يقدموا شيئا قليلا من الحرية المسيحية إلى يهودي مسكين ظل سجيناً لفترة طويلة؟»[١٢٧].

وفي السنتين التاليتين على هذا الخطاب توافق أن كان بونسن مبعوثاً في سويسرا، وهناك التقى زعماء جمعية التبشير في بازل وناقش معهم مشروع إقامة مستوطنة بروتستانتية في القدس من يهود متنصرين[١٢٨]. ومن خلال مراسلات بونسن في تلك الفترة يمكن الاستنتاج أن بونسن قد خصَّ القضايا الفلسطينية وقتا طويلا. وبتكوين جماعة بروتستانتية في القدس تابعة لجمعية يهود لندن[١٢٩] رأى بونسن بذلك إشارة على **«انبعاث صهيون»**. وكان تطور الأزمة المصرية يقوي استنتاجاته[١٣٠]. وفي الثالث من آب ١٨٤١ كتب بونسون إلى غلادستون Gladstone، النائب البريطاني ووزير المستعمرات ورئيس الوزارة البريطانية لاحقاً، يقول:

> «إنه من غير المؤكد ألا نرى مشيئة الله في إنشاء كنيسة إنكليزية وجماعة من اليهود متنصرين على جبل صهيون في القدس. ألا ينبغي أن تفعل شيئا لاستغلال الأحداث السياسية.. التي تتحكم بها مشيئة الله والتي تصادفها إشارات على انبعاث صهيون؟»[١٣١].

وفي ١٧ أيلول، أي بعد شهر ونصف، بعث بونسن بتقرير إلى برلين حول خطة لشراء الأراضي في فلسطين لأجل اليهود المتنصرين بحثها مع اللورد أشلي. كتب بونسن يقول:

> «.. وبالإضافة إلى ذلك كتبتُ إلى اللورد أشلي أيضاً حول معالم خطة أرادها الله لأجل امتلاك قطعة أرض لليهود المتنصرين في فلسطين وخصوصاً لفقراء القدس منهم، إذا ما تحرك داخلهم الإيمان»[١٣٢].

هذه التصورات التي اختلجت داخل بونسن سرعان ما تثبتت عندما أرسل بونسن في صيف ١٨٤١ إلى لندن. فقد تأكد لبونسن أن مشيئة الله تلعب دوراً كبيراً في تطور الأمور لصالح المسألة اليهودية. فالأزمة المصرية كانت قد انتهت باسترجاع الدولة العثمانية لسيادتها واستقلالها بمساعدة أوروبية، بعدما تزعزعت **«الخلافة الاسلامية»**. وبعد إنهائه للمفاوضات الناجحة مع الإنكليز بشأن المطرانية كتب بونسن إلى زوجته يقول **«هذه هي إذن... البداية التي تحقق**

لإعادة تكوين إسرائيل»(١٣٣).

والواقع أن فريدريك وليم الرابع لم يكن في بداية الأمر قد وصل في تصوراته من وراء المطرانية إلى الحد الذي قطعه بونسن. ففي رسالة إلى بونسن مؤرخة في ٢٦ آب ١٨٤١ أخبر الملك بونسن بأن مشاريعه (مشاريع بونسن) **«لإعادة توطين الشعب اليهودي»** في فلسطين تنسجم في الواقع مع أمنياته **«التي تختلج في أعماقه»**، إلا أنه (الملك) لم يفكر في هذ المسألة بموضوعية، سوى أن تصبح المطرانية **«عن طريق الصبر والتواضع مركزاً لليهود المتنصرين»**(١٣٤).

ولكن بونسن سرعان ما استدرك وأوضح إلى ملكه بأن مشاريعه لتوطين اليهود ما هي سوى إلهام استمده منه، فكتب يقول:

> «أنتم يا صاحب الجلالة وحدكم أنرتم بفن كل ما كان مظلماً أمامي.. وأصبحتُ أرى الآن كيف صيغت الأفكار وحيكت لتكون أساساً وهدفاً في الخطة لأجل إسرائيل»(١٣٥).

وكان بونسن مقتنعاً بأن العديد من اليهود المتنصرين الألمان وكذلك بروتستانت ألمان يتوقون للإستيطان في فلسطين(١٣٦)، بعد أن تقوم بروسيا بمساعدة بريطانية بشراء الأراضي الضرورية لذلك وأن تكون المستوطنات المزمع إنشاؤها زراعية. وكان ملك بروسيا على استعداد لدعم مثل هذه التوجهات **«بالشكل المناسب»** فقط **«عندما يتم التحقق منهم (اليهود) من قبل السلطات وتثبت جدارتهم، وبشكل خاص، أن يثبت مسبقاً إيمانهم بالعقيدة البروتستانتية طبقاً لتعاليم إقرار أوغسبورغ»**(١٣٧). وبعد عودة اليهود المتنصرين إلى فلسطين كان ينبغي أن تُقدم لهم الحماية القنصلية البروسية(١٣٨). وهكذا التقت أهداف إنشاء القنصلية البروسية في القدس عام ١٨٤٣ مع الأهداف التي تأسست لأجلها القنصلية البريطانية هناك في ١٨٣٨، وهي حماية اليهود الوافدين إلى فلسطين والمقيمين فيها. وتقرر أن تؤمن القنصلية البروسية لليهود **«حقوقاً توازي الرعايا البروسيين المتواجدين في فلسطين»**(١٣٩).

وإذا كانت عودة اليهود إلى فلسطين بدعم بروسي مشروطة بتنصيرهم المسبق، فإنه جدير بالذكر القول إن الساسة البروسيين لم يحاولوا أن يضعوا

العقبات أمام عودة المتنصرين منهم إلى فلسطين كيهود مع احتفاظهم **«بقوميتهم اليهودية»**. ويعلّق هاينريش أيكن، الذي أرّخ لإنشاء المطرانية وكان مقرباً من الملك وبونسن في آن واحد، إنه وجب توطين اليهود في فلسطين **«كأمة يهودية»**(١٤٠). وفي هذا المعنى تحدث بونسن عن مستقبل اليهود في فلسطين كـ **«شعب»** أو أمة(١٤١).

فشل مشروع تنصير اليهود وتوطينهم في فلسطين: ورغم كل الجهود المكثفة التي بُذلت لتوطين اليهود المتنصرين في فلسطين أو تنصير اليهود المحليين في فلسطين، إلا أن أحداً من السياسيين الألمان أو البريطانيين لم يعر أوضاع اليهود أنفسهم أو الأوضاع العامة في فلسطين اعتباراً جدياً. فاليهود المقيمون في فلسطين كان ارتباطهم بالبلاد ارتباطاً دينياً، ولذا فقد وقفوا من المبشرين الذين كان معظمهم من المرتدين اليهود موقفاً معارضاً لجهودهم التبشيرية، اتسم بالاستياء من قيام أبناء جنسهم وعقيدتهم بمحاولات ردهم عن دينهم(١٤٢).

ولهذه الأسباب لم تتمكن مطرانية القدس منذ تأسيسها وحتى وفاة المطران الكسندر من تنصير أكثر من ٤٠ يهودياً(١٤٣). وخلال مطرانية خليفته غوبات Gobat لم يتعدَّ عدد اليهود المُنصَّرين في العام أكثر من ٦ - ٧ أفراد(١٤٤). ولذلك فإن الاعتقاد القائل بأن تنصّر اليهود إلى البروتستانتية لم يكن بدوافع دينية، بل بفعل عوامل ودوافع اقتصادية مادية(١٤٥)، لا يمكن استبعاده مطلقاً، خاصة إذا علمنا أن معظم يهود فلسطين كانوا يعيشون في فقر شديد(١٤٦). ولقد حاولت الزعامات اليهودية الأوروبية المتنفذة التي كانت تعارض تنصير أبناء جنسها، أمثال مونتيفيوري وروتشيلد وكريميو Cremieux، إصلاح الاحوال المعيشية لهؤلاء اليهود عن طريق إنشاء مؤسسات خيرية ومدارس لهم وتعليم أبنائهم الصناعات المهنية لكي تكون عندهم الأسس الاقتصادية التي تجعلهم **«يقاومون»** محاولات إغرائهم وتنصيرهم(١٤٧). ولكن تقدماً ملحوظاً في هذا المجال لم يتحقق قبل السبعينات من القرن التاسع عشر، أي قبل تأسيس **«الأليانس الإسرائيلي العالمي» L'Alliance Israélite Universelle**.

وتحت هذه الظروف كانت عودة اليهود الأوروبيين إلى **«أرض الميعاد»** أقل جاذبية. ومن هنا كان الافتراض الخيالي الذي تبنّته جمعية يهود لندن والسياسيون الألمان والإنكليز بأن اليهودي الأوروبي سوف يُقدم على التنصّر ومن

تم يهاجر إلى فلسطين، متناسين أو متجاهلين أن تنصّر اليهودي الأوروبي كان الخطوة الأساسية لتحطيم الحواجز الفاصلة بينه وبين المجتمع الأوروبي والاندماج فيه، وبذلك تصبح العودة إلى فلسطين بعيدة عن تفكير اليهودي الأوروبي.

٥ ـ ازدهار المطرانية حتى إلغاء الاتفاقية من قبل الرايخ الألماني في عام ١٨٨٦:

المطرانية في عهدي الكسندر وغوبات: إتّسمت مطرانية ألكسندر بقصر الأمد بسبب وفاته المبكرة عام ١٨٤٥. وكان المطران ألكسندر قد وصل القدس مع بداية عام ١٨٤٢ يحمل معه هدفاً محدداً وهو التبشير بين اليهود. وفي نفس ذلك العام كان أبردين قد حلّ محل بالمرستون في وزارة الخارجية وجلب معه موقفاً جديداً للحكومة البريطانية من المطرانية. ففي محاولة لعدم التورط السياسي الدولي من جرَّاء المطرانية، أعلنت الحكومة البريطانية أنها لن تعطي تأييدها الرسمي للعمل التبشيري الذي ستقوم به المطرانية في فلسطين[١٤٨]، وتحت هذه الظروف الجديدة كان على ألكسندر أن يبدأ وظيفته كمطران بروتستانتي على القدس[١٤٩].

وبعد وفاة المطران ألكسندر وقع اختيار خلف له على عاتق الحكومة البروسية وفقاً لبنود اتفاقية عام ١٨٤١. فتم اختيار صموئيل غوبات Samuel Gobat ، وهو ألماني سويسري الأصل وتلميذ سابق للجمعية التبشيرية في بازل وبعد ذلك مبشر في مصر والحبشة ومالطا لدى « جمعية التبشير الكنائسية» Chruch Missionary Society المعروفة بـ (CMS)[١٥٠]. وبعد تسلّمه لكرسي المطرانية أدرك غوبات أن سياسة تنصير اليهود لا تسير كما هو مخطط لها، ولذا قام بتعديل سياسة المطرانية التبشيرية وركّز نشاطه بين أتباع الكنيسة الأرثوذكسية مخالفاً بذلك نصوص اتفاقية المطرانية حول عدم التعرض للكنائس الأخرى ورعاياها في فلسطين. وقد أدت السياسة الجديدة إلى حدوث نزاع بينه وبين الكنيسة الأرثوذكسية مما أجبره على تخفيف نشاطاته الإرسالية بين أفراد الطوائف المسيحية الأخرى دون أن يوقفها تماماً[١٥١].

وبعيداً عن النشاط الإرسالي المباشر فقد كان تأثير غوبات على مستقبل

العمل التبشيري في فلسطين عميقاً[١٥٢]. فخلال مطرانيته الطويلة (١٨٤٦ ـ ١٨٧٩) عمل على إنشاء المدارس والمؤسسات الخيرية واستقدام الإرساليات البروتستانتية للعمل في الأراضي المقدسة. فبإيعاز منه هبط المبشرون الألمان في فلسطين والمشرق واستقروا هناك. وبسبب سياسته التربوية التي لم تركز نشاطها على اليهود تعرض غوبات مراراً لحملات من جمعية يهود لندن التي اتهمته بإهمال اليهود وبأن مدارسه التي وضعها بإشراف المبشرين الألمان كانت سيئة[١٥٣]. أما من جهة القنصلية البروسية في القدس فقد حصل غوبات على دعم متواصل وخاصة عندما ساءت علاقته مع فن Finn ، القنصل البريطاني في القدس، في الأربعينات والخمسينات من القرن الماضي بسبب توسيع غوبات لنشاطاته التبشيرية على حساب الكنيسة الأرثوذكسية وأتباعها[١٥٤].

إلغاء اتفاقية المطرانية: وبعد وفاة غوبات في عام ١٨٧٩ وقع اختيار المطران الجديد على عاتق بريطانيا. فاختارت جوزيف باركلي Joseph Barclay مطراناً على القدس. لكن الأخير ـ ولسوء حظ بريطانيا ـ توفي بعد عامين دون أن يتمكن من تحقيق أي عمل يذكر. وهكذا كان على الرايخ الألماني الذي كان الخلف الشرعي لبروسيا في الاتفاقية، أن يعين المطران الجديد، وكان ذلك في عام ١٨٨٢. ولكن الحكومة الألمانية وضعت شروطاً أمام بريطانيا قبل تعيين مطران جديد، وهي إلغاء البنود « المسيئة» بحقها في الاتفاقية، وفي الدرجة الأولى حق النقض الذي كان يتمتع به رئيس أساقفة كانتربوري تجاه تعيين مطران من قبل ألمانيا وأيضاً مسألة رسم الرهبان الألمان طبقاً للبنود ٣٩ للكنيسة الأنكليكانية. وقد امتدت المفاوضات بين حكومتي البلدين سنوات دون إحراز أي تقدم، مما جعل الحكومة الألمانية تلغي في الثالث من تشرين الثاني عام ١٨٨٦ الاتفاقية من جانب واحد[١٥٥].

وتعود أسباب الخلاف على تجديد الاتفاقية إلى عدة عوامل أهمها رفض كارل راينيكه Karl Reinicke راعي الجماعة الألمانية في القدس، التوقيع على البنود الـ ٣٩ للكنيسة الأنكليكانية[١٥٦]. ولعل السبب الرئيسي في حل الشراكة هو نمو الروح الاستقلالية لدى الألمان عن الإنكليز في السنوات التي أعقبت إنشاء المطرانية، وازداد هذا الشعور بعد تأسيس الدولة الألمانية الموحدة في ١٨٧١. وقد تميزت الروح الاستقلالية في مجالات العمل المدرسي وإقامة المؤسسات ونمو

الجماعة الألمانية في القدس وانفراد الألمان بمركز عبادة خاص بهم.

وقد بدأ التباين في علاقات الألمان مع الإنكليز عندما عينّت الحكومة البروسية في عام ١٨٥٢ القس فريدريك بيتر فالنتينر - Friedrich Peter Valentiner راعياً في القنصلية البروسية والمستشفى البروسي في القدس بهدف تخفيف تبعية الجماعة الألمانية من رجال الدين الأنكليكانيين في كنيسة المسيح على جبل صهيون[١٥٧]. وخلال رهبانية خليفته كارل هوفمان Karl Hoffmann (١٨٦٦ - ١٨٦٩) بدأ الألمان يعقدون شعائرهم الدينية في مبنى النزل البروسي بدلاً من كنيسة المسيح[١٥٨]. وما لبثت أن تشجعت الجماعة الألمانية وطالبت بأن تكون لها كنيستها المستقلة. والواقع أن الحكومة البروسية كانت تحبذ ذلك، إلا انها كانت لا تريد تعكير علاقتها مع الحكومة البريطانية وتقف خلف المشروع[١٥٩]. ولهذا أوعزت إلى مجلس الكنيسة البروسية في برلين بأن يتفق مع رهبنة فرسان يوحنا كي تقوم بتبني مشروع بناء الكنيسة، على أن يُمول المشروع من تبرعات تجمع في كنائس ألمانيا[١٦٠] . وفي عام ١٨٧١ أنجز بناء كنيسة صغيرة للجماعة الألمانية في منطقة المارستان على أنقاض مستشفى رهبنة فرسان يوحنا، التي بنيت خلال الحروب الصليبية[١٦١].

وبعدما حققت الجماعة الألمانية في القدس استقلاليتها الكنسية عن مطرانية القدس انتقلت إلى الخطوة التالية وهي الاستقلالية في مجال التعليم. ففي البداية كان أبناء الجماعة يزورون المدرسة الإنكليزية، وبعد ذلك مدرسة «جمعية الهيكل الألمانية» Deutsche Tempelgesellschaft في القدس. وبعد الانفصال الذي حدث داخل جمعية الهيكل عام ١٨٧٧، أسست الجماعة الألمانية مدرسة مشتركة مع المنشقين عن جمعية الهيكل[١٦٢]. وبذلك حصل أبناء الجماعة الألمانية على مدرستهم الخاصة.

وبغض النظر عن الاستقلالية الكنسية والتربوية للجماعة الألمانية لعب الوعي القومي الألماني ومركز ألمانيا العالمي منذ الثمانينات من القرن الماضي دوراً بارزاً في إلغاء إتفاقية المطرانية بين ألمانيا وبريطانيا. فبعدما أصبحت ألمانيا دولة عالمية وتغلغلت في الدولة العثمانية ازدادت نقاط التنافس بينها وبين بريطانيا في أكثر من منطقة في العالم ومن ضمنها فلسطين، التي كانت لا تزال مجهولة المصير على صعيد الخضوع لأي من القطبين. وبلا ريب فإن هذه التطورات لم تكن

بدون تأثير على مطرانية القدس.

وبعد سنوات على إلغاء الاتفاقية قامت الحكومة الألمانية بتنظيم العلاقة بين الجماعة الألمانية في القدس والسلطات الكنسية في ألمانيا. ففي ٢٢ حزيران ١٨٨٩ أنشئت في برلين «مؤسسة القدس الإنجيلية» Evangelische Jerusalem - Stiftung برأسمال تجاوز ٥٠٠ ألف مارك، بعدما حُولت إليها الأموال التي كان ملك بروسيا قد خصص فائدتها لأجل المطرانية وكذلك أموال «صندوق تبرعات القدس» Jerusalem - Kollektenfonds . ووفقاً للمادة الثانية من مرسوم إنشاء مؤسسة القدس الإنجيلية حددت أهداف المؤسسة وهي دعم وتشجيع المؤسسات الإنجيلية الألمانية القائمة في القدس، وبشكل خاص تشييد كنيسة ومدرسة للجماعة الألمانية هناك[١٦٣].

ولعل أعظم ما قامت به مؤسسة القدس كان بناء كنيسة المخلص Christ Church على أطلال المارستان. وقد تمّ تدشين الكنيسة في تشرين الأول عام ١٨٩٨ خلال زيارة الأمبراطور وليم الثاني لفلسطين[١٦٤].

٦ - خلاصة:

إن حل الشراكة في مطرانية القدس عام ١٨٨٦ كمؤسسة إنكليزية بروسية جاء نتيجة تغير مركز ألمانيا ضمن المجموعة الأوروبية الكبرى منذ الثمانينات وصعود ألمانيا إلى مرتبة دولة إستعمارية منافسة لبريطانيا في بقاع العالم. والواقع أن مطرانية القدس قد حملت منذ إنشائها في عام ١٨٤١ مقومات انهيارها فمنذ البداية اكتشفت بروسيا أنها تلعب دور الشريك الضعيف ولم تستطع أن تمارس نفوذاً ملحوظاً على المطرانية. ولذا شعرت الجماعة الألمانية أنها تقع تحت نفوذ الشريك الأقوى. وكلما ازدادت الجمعيات التبشيرية الألمانية نمواً ونشاطاً في فلسطين، كلما اشتدت الميول الانفصالية عندها. فما كان مقبولاً في الأربعينات من بروسيا الضعيفة سياسياً ، اصبح مرفوضاً في الثمانينات من قبل الرايخ الألماني القوي عالمياً. ولهذا قامت الحكومة الألمانية بفسخ الشراكة وأسست بدلاً من المطرانية «مؤسسة القدس الإنجيلية»، التي لم تستطع أن تكون نداً للمطرانية، التي أصبحت بعد الانفصال محض إنكليزية.

ورغم هذه النواحي السلبية، فعلى المرء ألا ينكر فضل المطرانية وغوبات شخصيا في استقرار الجمعيات الإنجيلية الألمانية في فلسطين والمشرق، بحيث يمكن القول إن المطرانية كانت نقطة الانطلاق والبداية للنفوذ الألماني في فلسطين. وبإرغام الدولة العثمانية على الاعتراف بالملَّة البروتستانتية تكون أهم الأسس قد وُضعت للعمل التبشيري في السلطنة. وعلى عكس ذلك فقد فشلت خطة توطين اليهود في فلسطين وتنصيرهم. فأعداد اليهود المنصرين ظلت قليلة وتدعو للسخرية.

الفصل الثاني

روّاد التبشير الانجيلي الألماني في الشرق الأدنى

نشاطات ارساليّة الحجاج لأخوة سان كريشونا في فلسطين

ينطلق مؤرخو التبشير الإنجيلي في الشرق الأدنى في دراساتهم عن التبشير بنشاطات الإنكليز والأمريكيين، التي بدأت مع مستهل القرن التاسع عشر. ومع ذلك فإن المبشرين الألمان لم يكونوا بعيدين عن الشرق في محاولاتهم الحصول على موطىء قدم لإرسالياتهم هناك. فخلال القرن السابع عشر قام المبشر بيتر هيلنغ [1] Peter Heyling و «جمعية الأخوة في ساكسونيا» [2] Brûdergemeine in Sachsen بنشاطات تبشيرية في سوريا، الحبشة وإيران. وخلال حرب الاستقلال اليونانية (١٨٢١ - ١٨٢٩) قامت **«الجمعية التبشيرية في بازل»** Basler Missionsgesellschaft، ومركزها سويسرا، مدعومة من ألمانيا [3] بنشاطات بين اليونانيين. ومن بين العاملين في هذه الجمعية كريستيان فريدريك شبتلر Christian Friedrich Spittler الذي يوصف عادة بـ **«شيخ المبشرين»**.

١ ـ إنشاء « إرسالية الحجاج لأخوّة سان كريشونا » :

يُعتبر شبتلر من الشخصيات البارزة في عالم التبشير ونشر البروتستانتية في الشرق الأدنى[٤]. ولد شبتلر عام ١٧٨٢ في منطقة فورتمبرغ Wûrttemberg وكان والده يعمل راهباً. وفي عام ١٨٠١ دخل في خدمة « الجمعية المسيحية الألمانية » Deutsche Christentumsgesellschaft في بازل، حيث عمل في بداية الأمر كأمين عام مساعد، ومنذ عام ١٨١٧ كـأمين عـام أصيل. وبمساعدته تأسست جمعيات تبشيرية عديدة في سويسرا وألمانيا، أمثال « جمعية الإنجيـل في بـازل Basler Bibelgesellschaft و « مأوى الإنقاذ في بويغن» Rettungshause in Beuggen و « جمعية نشر المسيحية بين اليهود » Verein zur Fôrderung des Christentums unter den Juden. وفي عام ١٨١٥ قدم مساهمة مباشرة في إنشاء الجمعية التبشيرية في بازل [٥].

ومنذ تأسيس الجمعية التبشيرية في بازل التي كان هدفها نشر المسيحية بين « **الملحدين** »، حدث تبدل في تصورات شبتلر التبشيرية. فنتيجة الأوضاع الأوروبية الداخلية وتركز التبشير النصراني بين «الملحدين» وصل شبتلر إلى قناعات بأن الإرساليات تهتم بنشر الدين المسيحي بين أتباع الديانات الأخرى دون الاكتراث لتقوية الإيمان المسيحي بين المسيحيين أنفسهم. ففي إحدى المناسبات كتب يقول :

> «عندما نهتم بتنصير الكفرة، فعلينا ألا نقصّر في العمل كي لا يصبح المسيحيون بدورهم كفرة»[٦].

هذه التصورات كانت الدوافع التي جعلت شبتلر يجتهد لإنشاء إرسالية االحجـاج لأخـوّة كـريشـونـا قـرب بـازل Der Pilgermissionsanstalt auf st. Chrischona in Jerusalem عام ١٨٤٠. ويبدو أن اختيار منطقة كريشونا في سويسرا مركزاً للإرسالية يعود إلى أن العمل التبشيري من الوجهة السياسية كان أفضل منه في أية منطقة ألمانية[٧]. ومن أهداف الإرسالية كان استقطاب العمال الحرفيين وتعليمهم مهنة الرهبنة ليصبحوا بعد ذلك رهباناً قادرين على كسب قوتهم من خلال عملهم الحرفي. وكان على تلاميذ الإرسالية قضاء فترة الدراسة في فقر وتقشف وتنسُّك وزهـد عن

العالم[٨]. وأثناءها تقريباً كانت الأزمة المصرية قد شارفت على نهايتها بخروج المصريين من سوريا وفلسطين، مما حمل شبتلر على الاعتقاد أن الفرصة مؤاتية لوضع نواة مستوطنة إنجيلية في الأراضي المقدسة قوامها متدينين ألمان.

٢ ـ مشروع إقامة مستوطنة تبشيرية في القدس : التبشير على أسس صناعية ـ استعمارية :

منذ عام ١٨٣٦ انصب اهتمام شبتلر وبعض الجماعات المتدينة في فورتنبرغ على إنشاء مستـوطنة مسيحيـة من مستوطنـين ألمان في الأراضي المقدسة [٩]. وخلال عامي ١٨٣٦ و ١٨٣٧ قام المستشرق الألماني هاينريش فون شوبرت Heinrich von Schubert برحلة إلى الشرق ولفت الانتباه في كتاباته إلى ضرورة إنشاء مستعمرات دينية في فلسطين [١٠]. كذلك قـام فـريدريك أدولف شتراوس Friedrich Adolph Strauss، راهب البـلاط الملكي في برلين، برحلة في الأربعينات، الى فلسطين [١١]. وكان تـأثير الرحلتين على شبتلر كبيراً، بحيث اعتقد أن الوقت قد حان لإنشاء مستوطنته الدينية في القدس، التي أرادها أن تكون نواة لاستيطان واسع في المشرق الإسلامي [١٢].

وعلى عكس الجماعات الألمانيـة المتدينة الأخرى التي كـانت تنادي « **باستيطان مسلَّح** » للأراضي المقدسة لأجل حماية المستوطنين من « **تعديات السكان المحليين** »، كان شبتلر يؤمن بضرورة قيام «**استعمار سلمي**». فقد أدرك مخاطر الاستيطان المسلح على الوجود المسيحي في المنطقة الإسلامية. ولذا كتب إلى أحد الرهبان يقول :

> «إن الجامعات في هسن تفكّر في الهجرة إلى فلسطين. إني أعترف بأني أخشى قيام مستعمرة من ٥٠٠ مسلح : إن هذه القضية سياسية وليست مسيحية. ولهذا فإني لا علاقة لي بهذه الجماعات. فخطتي تنحصر في إقامة مستعمرة من بعض الرهبان البسطاء...»[١٣].

وفي ١٩ نيسان ١٨٤١ أبلغ شبتلر البارون بونسن، المبعوث البروسي لدى البلاط البريطاني، نيته في إنشاء مستوطنة في القدس من مستوطنين ألمان [١٤]. وكان شبتلر يرى ضرورة الاستعجال بإنشاء المستوطنة نظراً إلى

الظروف السياسية الملائمة التي نتجت عن القضاء على الحكم المصري في سوريا وفلسطين وإعادة المنطقة إلى الإدارة العثمانية . ولكن المطران غوبات ، الذي كان يعمل آنذاك كمبشر في مالطا بخدمة « جمعية التبشير الكنائسية » ويدرك الأوضاع في المشرق ، حذر شبتلر من مخاطر مشروعه وأعلمه بضرورة تسليح المستوطنات المزمع إنشاؤها كي تستطيع أن تحمي نفسها من « **اعتداءات المسلمين المحليين** » ، لأن وضع المستوطنين ، كما ذكر غوبات ، « **لن يكون كوضع الخراف بين الذئاب فحسب ، بل كوضع الخراف بين الذئاب والنمور والأسود والثعابين** » [١٥] . وكان غوبات مقتنعاً بأن تسليح المستوطنات غير كاف وحده ولا يؤمن في نهاية المطاف الضمانات المطلوبة ضد « **التعديات التي قد يقوم بها المسلمون** » . فشراء الأراضي وإقامة المستوطنات عليها ـ كما رأى غوبات ـ يجب أن يسبقهما اتفاق رسمي بين المستوطنين الأجانب والحكومة العثمانية تضمنه الدول الأوروبية الكبرى التي تتمتع بحق الحماية الدينية في فلسطين [١٦] . وبعبارة أخرى أراد غوبات إفهام شبتلر أن الاستعمار هو مسألة سياسية قبل أي شيء آخر . ولكن شبتلر ، الذي كان يجهل الكثير عن الأوضاع في الشرق ، رفض ربط التبشير بالسياسة وسار قدماً في مشروعه رافضاً نصائح غوبات وتحذيراته . وقد بعث إلى غوبات يقول « **إن هذا وحده ليس سبباً للانتظار طويلاً حتى يُخلي الأتراك فلسطين** » ، أي حتى يزول الحكم العثماني عن تلك المنطقة . فبقي شبتلر عند رأيه بأن ما يفعله ليس سوى مشيئة الله [١٧] .

وبعد تنصيب غوبات مطراناً بروتستانتياً على القدس في عام ١٨٤٦ رأى شبتلر أن الوقت قد حان للبدء في تنفيذ مشروعه بإقامة « مستوطنة زراعية تبشيرية » une colonie agricole missionaire [١٨] . وكانت الخطوة الأولى في هذا الاتجاه إرسال إثنين من الرهبان الحرفيين خريجي الإرسالية ليؤسسا مركزاً للإرسالية في القدس . وتقرر أن يعمل الراهبان في مجالات التجارة والصناعات الحرفية كي يستطيعا إعالة أنفسهما بأنفسهما . وبهذا التصميم الجديد للتبشير : العمل والتبشير ، أراد شبتلر أن يُري فقراء القدس « **كيف يعيش المسيحيون الحقيقيون بعضهم مع بعض ـ يصلّون ويعملون وكيف يعاملون من يحيط بهم بمحبة ويسعون لمساعدتهم قولاً وعملاً** » [١٩] . وما إن علم قنصل

النمسا العام في الإسكندرية بأن شبتلر يوشك أن ينفّذ مشروعه حتى سارع إلى عرض دعمه شرط أن يشارك ألمان من فورتنبرغ في عملية الاستيطان [٢٠] .

وفي تشرين الأول ١٨٤٦ وصل القدس الراهبان فردينانـد بالمر Ferdinand Palmer وكونراد شيك Konrad Schick . وكما كان مخططاً لم يدخل الرجلان المدينة كمبشرين فحسب ، بل كعاملين حرفيين مسيحيين أيضاً . فكان على الراهب الأول ان يعمل في صناعة الصابون والكيمياء ، أما الثاني كحداد وميكانيكي [٢١] . ولتغطية نفقات المشروع توجّه شبتلر إلى كل من ملكي بروسيا وفورتنبرغ وإلى أصدقائه في بريطانيا وألمانيا طالباً دعمهم المالي [٢٢] . وبعد أيام على تلقيه التقرير الأول عن نشاط الراهبين في القدس ، تبرعت له جمعية تبشيرية في فيننذن Winnenden بمبلغ كبير من المال [٢٣] .

لدى وصول الراهبين إلى مدينة القدس قدم القنصل البروسي أرنست غوستاف شولتز Ernst Gustav Schultz إليهم كل مساعدة . فاستأجرا منزلاً قرب كنيسة المسيح على جبل صهيون [٢٤] . وفي الفترة الأولى كان على بالمر وشيك أن يواجها مصاعب جمة . فكانا يجهلان اللغة العربية وعادات سكان المنطقة وتقاليدهم . كما كان عليهما ان يعانيا من أمراض البيئة . إلى جانب ذلك افتقدا جماعة ألمانية تشد أزرهما [٢٥] . لكنهما سرعان ما تعرفا إلى بعض الأوروبيين العاملين في بناء كنيسة المسيح التابعة لجمعية يهود لندن ، ومن بينهم بعض الألمان [٢٦] .

وما هي إلا فترة وجيزة حتى انتشر خبر وصول الراهبين في أنحاء مدينة القدس . فأن يقوم مبشرون بالمسيحية عن طريق التبشير المباشر ، فذلك كان معروفاً لسكان القدس . أما أن تُنشر المسيحية ويُبشر بها من خلال نشاطات تجارية وحرفية ، فقد كان هذا جديداً على المجتمع الإسلامي . ولذا تساءل العديدون من سكان المدينة عن مغزى هذه السياسة التبشيرية الجديدة . فاقترح بعضهم على بالمر وشيك العمل لدى الجمعيات الإنكليزية في القدس أو أن يفتتحا صفاً لتعليم الألمانية [٢٧] . فاستجاب المبشران للشق الثاني من الاقتراح وقاما ، إلى جانب نشاطهما الإرسالي عن طريق العمل التجاري والحرفي ، باتصالات بالمسيحيين والمسلمين .

وبعدما تعلم بعض العربية ركز بالمر نشاطه على كسب ثقة الأولاد ، واستغل تعليمه إياهم صناعة الصابون ليلقنهم بعضاً من مبادىء المسيحية . اما شيك فاهتم بالشؤون الإدارية للمركز ، الى جانب تعليم الأولاد أشغالاً حرفية . وتدرجاً أخذا يستقبلان أولاد فقراء في منزلها بصورة دائمة (٢٨) .

وبعد شهور على بدء النشاط تلقى شبتلر رسالة الرحالة شوبرت، الذي كان يمضي زيارته الثانية لفلسطين . وقد حث شوبرت شبتلر على تطوير النشاط في القدس (٢٩) . ومن فوره لبى شبتلر نداء شوبرت معتقداً أن الوقت حان فعلاً لإقامة أول مستوطنة بروتستانتية هناك ، وخطط لأن تضم المستوطنة حقلاً زراعياً ، مدرسة ، مطعماً ونزلاً للرهبان . كما قرر شبتلر تسمية المدرسة « **مدرسة سلوان** » وأن توضع بإدارة بالمر لتدريس المشردين في القدس . وعندما علم فريدريك وليم الرابع بمشروع شبتلر تبرع بمبلغ ٥٠٠ تال لدعم نشاط المدرسة . ورغم هذه الهبة المالية ظل شبتلر يحث أصدقاءه على دعمه بالمال . ولذا قام بحملة لجمع التبرعات في فورتمبرغ ووضع المال المجمع في عهدة غوبات (٣٠) .

وفي آذار ١٨٤٧ وصل القدس مبشران آخران تابعان للإرسالية وهما صموئيل مولر Samuel Mûller وكان ساعاتياً، وهاينريش بالدنشبرغر Heinrich Baldensperger وكان خراطاً ونساجاً (٣١) . وفي بداية العام التالي أخبر شبتلر أصدقاءه باستعداد ستة مبشرين آخرين للسفر إلى القدس. وكان الهدف من توسيع نشاط الإرسالية في فلسطين هو افتتاح مركز للإرسالية على جبل الكرمل ، قرر أن يطلق عليه إسم « **إرسالية الكرمل** » (٣٢) . ولكي يوفر للرهبان الجدد إمكانية إعالة أنفسهم مهد شبتلر لذلك بإرسال أحد الرهبان المختصين بتربية دودة الحرير ويدعى كولين Collin إلى القدس ليؤسس مزرعة لتربية هذا النوع من الحشرات . وقد تمكن كولين من إدخال صناعة الحرير إلى فلسطين ، لكنه اضطر بسبب المرض إلى قطع العمل والعودة إلى ألمانيا (٣٣) .

وفيما كان الرهبان الستة يستعدون لمغادرة ألمانيا إلى القدس تلقى شبتلر نبأ

محزناً عن انهيار مشروع القدس بكامله . فقد ترك بالمر العمل في الإرسالية ليدير إحدى مدارس الصبيان التابعة للمطران غوبات . وظل بالمر في عمله هذا حتى عام ١٨٨٩ . أما بالدنشبرغر فعمل كإداري في مدرسة غوبات ، فيما دخل مولر في خدمة جمعية التبشير الكنائسية ، لينتقل بعد ذلك إلى خدمة « **جمعية بيت المقدس** » Jerusalmesverein البرلينية . وأما شيك فعمل كمهندس بناء لدى جمعيات تبشيرية مختلفة في فلسطين (٣٤) .

ولإنهيار مشروع شبتلر أسباب عدة أهمها قصر نظر شبتلر في تقديره للأمور والأوضاع في فلسطين . إضافة إلى أن انخراط المبشرين في العمل التجاري والحرفي لتأمين قوتهم استنزف كل وقتهم ، بحيث لم يبق لهم متسع من الوقت للعمل التبشيري (٣٥) . كما أن المصنوعات التي أنتجوها لم تحقق الأرباح المرجوة ، لغياب جماعة ألمانية في القدس وتعامل العرب التجاري بعضهم مع بعض ، ونسج اليهود على المنوال نفسه (٣٦) . فالساعات التي أنتجها مولر ، وهي ساعات شفارتزفالد Schwarzwald ، لم تُثبت جودتها في مناخ فلسطين الحار (٣٧) . وأخيراً لعبت إجراءات التقشف التي اتبعها شبتلر في تدهور المشروع . وعندما أراد الراهبان مولر وشيك الزواج لم يُسمح لهما بذلك وفقاً لقوانين الإرسالية بتحريم الزواج على الرهبان ، ففضلا الانفصال عن الجمعية (٣٨) .

٣ ـ بداية جديدة متعثرة : مشروع جديد للشرق الأدنى : إثنتا عشرة مستعمرة تبشيرية بين القدس والحبشة :

لم توهن الصدمة من عزيمة شبتلر . وما هي إلا سنوات قليلة حتى كان يطوّر مشروعاً جديداً للشرق . وهذه المرة كان شبتلر مدفوعاً بالأنباء التي تلقاها في عام ١٨٥١ عن وصول القس تيودور فليدنر Theoder Fliedner مع أربع شمّاسات تابعات لـ « **جمعية الكيزرزفرت** » Kaiserswerther- Verein إلى القدس بدعم من ملك بروسيا (٣٩) . وكذلك قرب وصول القس فريدريك بيتر فالنتينر Friedrich Peter Valentiner كراعٍ للجماعة البروتستانتية الألمانية في المدينة (٤٠) .

فخلال لقاء بين شبتلر وغوبات في بويغن Beuggen عام ١٨٥٢ ناقش

الإثنان مشروعاً جديداً يقضي بإنشاء هيئة استيطانية تأخذ على عاتقها توطين رجال الدين التابعين لإرسالية الحجاج في مستوطنات دينية تبلغ إثنتي عشرة مستوطنة، موزعه ما بين القدس والحبشة تبعد كل واحدة عن الأخرى مسافة ٥٠ ميلاً ويطلق عليها إسم « **طريق الرسول** » Apostelstrasse . وكان الهدف من ذلك هو « **ربط التبشير بالاستعمار** » [٤١] . ولهذه الغاية أنشئت في القدس لجنة ضمت المطران غوبات والراهب فالنتيز وشخصيات محلية أخرى هدفها إدارة المشروع الجديد [٤٢] .

وفي العام نفسه (١٨٥٢) أنشأ شبتلر جمعية تجارية تبشيرية لمساعدة الرهبان على استيراد المنتجات الأجنبية وتسويقها داخل مناطق الاستيطان بغية تمكين الإرسالية ومراكزها من الاعتماد على مورد مالي لتنفيذ مخططاتها . أما القدس فتقرر أن تكون قلب المشروع وأن تتحول إلى مركز لتدريب الرهبان وتهيئتهم لمهمتهم الجديدة [٤٣] .

وفي تشرين الثاني ١٨٥٤ أرسل الراهب يوهان لودفيغ شنلر Johann Ludwig Schneller مع ستة من الرهبان إلى القدس . وكلف شنلر بإدارة بيت الإرسالية هناك وتدريب الرهبان على العمل في المستوطنات الدينية [٤٤] . وفي الوقت نفسه كلف شبتلر الراهب ـ التاجر لب Lepp بالسفر إلى فلسطين وفتح متجر في القدس والاهتمام بالشؤون التسويقية لبيت الإرسالية [٤٥] . وفي نهاية عام ١٨٥٦ افتتح لب « **مؤسسة شبتلر وشركاه** » Firma Spittler und Cie ، التي تخصصت ببيع المنتجات الفلسطينية من زيت وقطن وصوف ونبيذ [٤٦] . وبعد عام على ذلك تأسست في ألمانيا « **جمعية تجارية** » Handelsverein مهامها دعم النشاط التجاري لمؤسسة شبتلر وكذلك المحال التجارية في المستوطنات الإثنتي عشرة [٤٧] . أما مؤسسة الإرسالية في القدس فقد ازدهرت بسرعة وتعاقب على إدارتها بعد وفاة الراهب لب كل من **الراهبين** يوهان هرمان Johann Hermann ولوفنتال Lôwenthal ، إضافة إلى أربعة من الرهبان المساعدين [٤٨] .

ولما كانت يافا ميناء القدس ، افتتح شبتلر فيها شركة للاستيراد والتصدير هدفها المتاجرة بالمنتجات الفلسطينية وتزويد المؤسسة في القدس بما يلزمها من البضائع . كذلك كان التبشير أحد أهداف إنشاء هذه الشركة . وقد أنيطت

إدارتها بالراهب متزلر Metzler وزوجته . وخلال فترة قصيرة أمكنهما تنمية العمل ، فاتسعت مشاريعهما وبلغت ثمانية : مدرسة ضمت ما بين ٣٠ و ٥٠ تلميذاً ، مستشفى عيادياً صغيراً ، صيدلية ، نزلاً للرحّالة احتوى على تسع عشرة غرفة ، مطحنة بخارية ، منشرة ، معصرة للزيتون ، إضافة إلى المحل التجاري [٤٩] . وتعود سرعة الازدهار هذه في الواقع إلى شراء متزلر عام ١٨٦٦ أبنية عديدة بأسعار زهيدة كانت تمتلكها عائلات أمريكية استوطنت المنطقة في أوائل الستينات واضطرت إلى التخلي عنها لعدم استطاعتها التأقلم مع المناخ والبيئة فضلاً عن صعوبة الاستيطان نفسه [٥٠] .

وفيما كان العمل الإرسالي ـ التجاري آخذاً في النمو كان شبتلر مشغولاً بمستعمراته الإثنتي عشرة [٥١] . وبين عامي ١٨٦٠ ـ ١٨٦٤ استطاع أن يؤسس بدعم من جمعيات إنكليزية [٥٢] ست مستوطنات في القاهرة ، الإسكندرية ، الخرطوم ، أسوان ، غالة والمقطم [٥٣] .

وكالعادة قبل أن يجني ثمار مشروعه الجديد تلقى شبتلر نبأ مفجعاً عن حدوث أمراض ووفيات بين المبشرين في المستوطنات التي تأسست باستثناء المستوطنتين في القاهرة والإسكندرية . كما تجاوزت المصروفات الحدود المتوقعة ولم تستطع إعالة نفسها من خلال نشاطها التجاري . وكان هذا سبباً كافياً لانهيار المشروع ، الذي أعقبه وفاة شبتلر في عام ١٨٦٧ والحرب الانكليزية الحبشية في عام ١٨٦٨ [٥٤] . أما من بقي على قيد الحياة من المبشرين فانتقل للعمل لدى جمعيات تبشيرية أخرى . كما وجد بعض منهم حقلاً جديداً لنشاطهم في الولايات المتحدة الأمريكية [٥٥] .

وطبيعي أن ينعكس انهيار المشروع ووفاة شبتلر على المشروع الاستيطاني في القدس . فحتى وفاة شبتلر كان المتجر في القدس حقق ازدهاراً فاق كل التوقعات ، ثم ما لبث أن انقسم إلى مؤسستين ، الأولى تعاطت الأعمال المصرفية والثانية التجارة . وقد وقعت إدارة كل من المؤسستين بيد أفراد من عائلة فروتيغر Frutiger . وهذه التطورات دفعت جمعية كريشونا في عام ١٨٧٢ إلى التخلي عن العمل في فلسطين [٥٦] .

أما المؤسسة التجارية فلم تستطع الصمود أمام المنافسة اليهودية فحلت

نفسها في عام ١٨٨٥ . كذلك واجهت المؤسسة المصرفية المصير نفسه وتوقفت عن العمل . لكنها شهدت منذ عام ١٨٩٧ انطلاقة جديدة [٥٧] . وفي يافا باع متزلر قبل انتهاء العقد السابع من ذلك القرن بصورة مفاجئة مستوطنته إلى جمعية الهيكل الألمانية وعاد إلى روسيا بناء على تعليمات من البارون أوستينوف Ustinov الذي كان يمول مشاريعه في يافا [٥٨] .

وفي القدس تحققت توقعات الراهب شنلر بفشل مشروع « طريق الرسول » . فمنذ البداية انتقد شنلر أسلوب شبتلر في العمل . فعندما قدم إلى فلسطين كان شنلر يفكر في عمل تبشيري بحت وفي تأهيل الشبان للعمل كمبشرين ، فإذ به يعمل خادماً في مطعم الإرسالية في القدس . ففي رسالة وجهها إلى الأمين العام للإرسالية انتقد شنلر الأوضاع السائدة في مركز الجمعية بالقدس ووصفها بأنها لا تطاق ، وبين كيف أن الجمعيات التبشيرية الإنكليزية تجتذب الرهبان التابعين لكريشونا للعمل لديها [٥٩] . ولهذه الأسباب قرر شنلر في عام ١٨٥٥ ترك العمل لدى إرسالية كريشونا والبدء بعمل تبشيري مستقل ، وهو ما سنبحثه في الفصل التالي .

٤ ـ خلاصة

لقد فشل مشروع شبتلر الاستيطاني في فلسطين ، كما تحطمت كل الآمال التي عُلقت عليه . وسبب ذلك يعود بالدرجة الأولى إلى نظرة شبتلر إلى العمل التبشيري ، وهو التبشير والعمل في وقت واحد وإظهار الوجه الحقيقي لعلاقة المسيحيين بعضهم ببعض . ولكن هذه الطريقة الجديدة في نشر المسيحية قُوبلت بالتحفظ من المجتمع الفلسطيني الذي كان يحتاج ـ في غياب اهتمام السلطات العثمانية قبل التبشير وإظهار محبة المسيحيين بعضهم لبعض ـ إلى مؤسسات تساعده على حل مشكلاته المعيشية والتربوية لا إلى مستوطنات أوروبية وما تشكله من منافسة له وضرب لأسسه الاقتصادية في حدودها الدنيا ، حيث عمل المبشرون كأصحاب محال صغيرة وحرفيين وزرّاع . هذه النواحي عجز شبتلر ورهبانه في إدراكها .

ورغم الفشل في النواحي الاستيطانية الدينية ، فإن نجاح شنلر في إنشاء مستوطنة « بير سالم » عام ١٨٧٩ كان يُعد استمراراً لنهج شبتلر [٦٠] . إضافة

إلى أن شبتلر وضع نواة الجماعة البروتستانتية الألمانية في فلسطين دون أن يدري . ففي عام ١٨٨٣ كان هناك ١٣ مبشراً ـ تاجراً ألمانياً في فلسطين تابعين للإرساليات : ٣ منهم في بيروت وبرمانا ، و ١٠ في فلسطين . ولقد بقي أول أربعة منهم في فلسطين وتزوجوا ، وكذلك القسم الأكبر من أبنائهم . كما استوطنت فلسطين ٧ عائلات من أحفاد هؤلاء ، منها عائلة فروتيغر ، التي شاركت في عام ١٨٩٧ في تأسيس « **بنك فلسطين الألماني** » Deutsche Palâstinabank [٦١] . وباختصار فقد كانت تعيش في فلسطين نتيجة لمشروع شبتلر عند نهاية القرن الماضي ١٧ عائلة [٦٢] .

الفصل الثالث

دار الأيتام السورية

بعد انسحاب المصريين من سوريا وفلسطين عام ١٨٤٠ تزايدت الخلافات الاجتماعية - الطائفية في المقاطعات اللبنانية مما أوصل البلاد في عام ١٨٦٠ إلى الحرب الأهلية (١) . ونتيجة هذه الحرب كثفت الإرساليات التبشيرية الأوروبية والأميركية من نشاطاتها بين اللاجئين المسيحيين . ومن بين المبشرين الأوروبيين الذين وفدوا إلى « لبنان » لنجدة اللاجئين الموارنة الراهب البروتستانتي الألماني يوهان لودفيغ شنلر Johann Ludwig Schneller ، الذي حضر من فلسطين إلى المنطقة والتقط بعض الأيتام المسيحيين الموارنة ونقلهم إلى القدس ليؤسس **«دار الأيتام السورية»**، Das Syrische Waisenhaus ، التي تحولت مع الوقت إلى أكبر المؤسسات التبشيرية العاملة في سوريا.

١ - إنشاء الدار :

بداية تصورات شنلر: ولد شنلر عام ١٨٢٠ في قرية ارفنغن Erpfingen بجنوب ألمانيا من أب قروي ونسَّاج . وكان أحد أجداد شنلر قد طرد من قبل الكاثوليك في إحدى المقاطعات النمساوية بسبب اعتناقه البروتستانتية . وفي سن الثامنة عشرة اجتاز شنلر امتحان دور المعلمين وتقلَّد منصب أستاذ مساعد في مدينة فورتنبرغ وبعد عام ١٨٤٢ ليصبح أستاذاً أصيلاً في برغفلدن Bergfelden واسلنغن Eisslingen وغنسلوزن Gansslosen

وفايهنغن Vaihingen . وفي مدينة كوبنغن Gôppingen أتيحت لشنلر زيارة « مؤسسة إنقاذ الأولاد » Kinderrettungsanstalt حيث شاهد الأولاد يتعلمون أعمالاً حرفية . وكان لهذه الزيارة بعد ذلك تأثير كبير على مجمل نشاطاته التبشيرية في فلسطين، إذ قام شنلر بتطبيق كل ما شاهده من أشغال مهنية في مؤسساته في فلسطين. وفي عام ١٨٤٧ دخل شنلر في خدمة «**إرسالية الحجّاج لأخوّة كريشونا**»، حيث عمل كمعلم ومسؤول عن ٢٠ تلميذاً ضمتهم الجمعية. واستجابة لدعوة شبتلر، أمين الإرسالية العام آنذاك، حضر شنلر عام ١٨٥٤ إلى القدس مع زوجته وستة من تلامذة الإرسالية، حيث أعاد افتتاح مركز الإرسالية في المدينة[٢].

وعندما نزل شنلر في فلسطين لم تكن لديه أية خطة تبشيرية ولا أي تصور لعمله المستقبلي سوى نشر البروتستانتية في الشرق الأدنى من خلال عمله مع إرسالية كريشونا . فمدفوعاً بنظرية التبشير المسيحية رأى شنلر في الإسلام عدواً يجب القضاء عليه ، ولكن ليس بالأساليب العسكرية التي انتهجها الصليبيون ، بل بالوسائل السلمية [٣] ، أي اختراق المجتمع الإسلامي وتقويضه من الداخل بواسطة الإرسالية والجماعات الأجنبية التي تعيش داخل جدران العالم الإسلامي او بواسطة جماعات محلية منصرة تُستقطب لهذا العمل . كما تنبأ شنلر بقرب اندحار الإسلام . وفي هذا المعنى كتب يقول :

«إن المحمدية (الإسلام) التي جاءت الى العالم بحد السيف لن تستطيع أن تصلح نفسها، بل ستنهار»[٤].

فعن طريق التبشير وتكوين جماعات من المرتدين اعتقد شنلر بإمكانية إنقاذ القدس « **التعيسة الحظ** » لوقوعها تحت سيطرة المسلمين وإعادتها إلى حظيرة المسيح [٥] .

ولقد رأينا في الفصل السابق كيف أن تصورات شنلر للعمل الإرسالي كانت أكثر بُعداً من مخططات شبتلر . ولذلك حلّ نفسه من العمل مع كريشونا وقرر العمل منفرداً [٦] . وبما يملكه من مال (٣٩ ألف فرنك) اشترى شنلر قطعة أرض خارج بوابات القدس وبنى عليها داراً صغيرة متواضعة وقرر بدء نشاط تبشيري ـ خيري بين السكان المحليين . إلا أن مضايقات قطّاع الطرق

له اضطرته إلى العمل داخل أسوار المدينة . وعندما رضخت الإدارة العثمانية في القدس لمطالب القناصل الأوروبيين بإقامة مراكز حراسة بين مدينتي القدس ويافا وأصبحت المنطقة التي يقع فيها منزل شنلر آمنة، عاد شنلر إلى دارته ليباشر نشاطه التبشيري [٧] .

تأسيس الدار : بعد اندلاع الحرب الأهلية في « لبنان » حثّ شبتلر شنلر على الذهاب إلى هناك وجمع أيتام مسيحيين مشردين وإيوائهم في منزله [٨] . ويبدو أن شبتلر رأى في الحرب الأهلية اللبنانية فرصة سانحة للعمل التبشيري . فاستصوب شنلر الفكرة التي انسجمت مع تصوراته حول نشر البروتستانتية [٩] . وفي ٢٩ تشرين الأول ١٨٦٠ سافر شنلر إلى بيروت بعدما تلقى وعوداً بالمساعدة من قنصلي بروسيا في بيروت ودمشق [١٠] . وفي بيروت تأكد له صعوبة منافسة الإرساليات الكاثوليكية الناشطة هناك . لكنه بمساعدة مبشّر أميركي يدعى فورد Ford ونائب القنصل البروسي في صيدا ، استطاع ان يتفقد مخيمات اللاجئين المسيحيين في صيدا وصور وضواحيهما . وكان عليه أن يواجه عدم ثقة الموارنة بالبروتستانت والدعاية الكاثوليكية ـ الفرنسية ضد طائفته . وتبيّن له فوق ذلك أن عملية التقاط الأيتام مهمة في غاية الصعوبة ، خصوصاً أن شركة فرنسية كانت تبني خطاً حديدياً بين بيروت ودمشق كانت تقوم بتشغيل اللاجئين من الأولاد [١١] ، مما جعل أمر إقناعهم بمرافقته إلى القدس شبه مستحيل . وأخيراً وبعد جهود مضنية أمكنه جمع ١١ يتيماً عاد بهم إلى القدس . وفي ١١ تشرين الثاني ١٨٦٠ أعلن شنلر رسمياً افتتاح « **دار الأيتام السورية** »، في منزل متواضع يتألف من حجرة نوم وأخرى للجلوس ومطبخ[١٢] .

٢ ـ نمو الدار في السنوات الأولى :

السياسة التربوية : منذ بداية نشاطه التبشيري أراد شنلر أن تكون دار الأيتام مؤسسة تربوية وتعليمية حيث « **يُربَّى الأولاد ويتعلمون ليصبحوا أعضاء مفيدين لكنيسة المسيح**»[١٣]. ولبلوغ هذا الهدف كان على شنلر ان يستبقي التلاميذ أطول فترة ممكنة تحت تأثير التعاليم البروتستانتية . ولذا مدد شنلر تخرج التلاميذ من سن ١٤ إلى ١٨ فإلى ٢٠ [١٤] . كما وضع برنامجاً شدّد فيه

على «**الصلاة والعمل**». فبالصلاة، التي كان يشارك فيها الجميع دون استثناء، رأى شنلر وسيلة لكسب أنفس جديدة إلى الكنيسة الإنجيلية (١٥). وبعد مرور ثلاث سنوات على تأسيس الدار جرى تعميد اول دفعة من تلامذة الدار في كنيسة المسيح (١٦). وفي فترات لاحقة كانت أعداد المعمَّدين تصل سنوياً إلى ٣٠ - ٤٠، من بينهم بعض المسلمين المُنصَّرين وأرثوذكس وكاثوليك وأرمن (١٧).

التعليم: تركَّز التعليم في السنوات الأولى على إعطاء دروس في الدين وتعليم القراءة والكتابة باللغتين العربية والألمانية. وكان شنلر وزوجته ومبشِّر آخر تابع لإرسالية الحجّاج يعلِّمون التلاميذ في أربعة صفوف، وفي خمسة صفوف ابتداء من عام ١٨٦٦. وبتزايد أعداد التلاميذ جرى تطوير مناهج التدريس. فأدخلت مواد جديدة كالحساب، الخط والأناشيد. أما طلبة الصفوف المتقدمة فكانوا يدرسون أيضاً الإنكليزية، الجغرافيا، التاريخ ونصوصاً باللغتين العربية والألمانية. وأما المتفوقون من التلاميذ فكانوا يتلقون تدريباً خاصاً في التربية ليصبحوا نواة الهيئة التعليمية في المستقبل. وجدير بالذكر أن شنلر أولى تعليم اللغات الأجنبية عناية خاصة لضرورتها للمجتمع الفلسطيني القائم على السياحة والحج لارتباط ذلك بالأماكن المقدسة. ولذا أراد شنلر أن تكون مؤسسته مدرسة على «**الطراز الألماني**»، بحيث يغلب فيها تعلم اللغة الألمانية. وقد رفض كل مطلب لإعطاء اللغة العربية أفضلية على اية لغة أجنبية (١٨).

ورغم شكوى شنلر المبكرة من «**تدهور الأخلاق**» بين تلامذة الدار، إلا أنه اعترف فيما بعد عن اغتباطه لتحسن مستوى التلاميذ خلقياً وعلمياً (١٩). والواقع أن كثيراً من الرحالة الذين زاروا فلسطين أبدوا إعجابهم بخريجي الدار المبعثرين في أنحاء البلاد والقادرين على المحادثة باللغة الألمانية (٢٠).

وبعد عام ١٨٧٢ بدأت الدار تستقبل فتيات في مبناها. لكنهن كن يعشن منفصلات عن زملائهن الصبيان. ومع ذلك كانت الدروس والمحاضرات تعطى مشتركة للجنسين، إذ لم يشأ شنلر الإنفراد بتعليم خاص للفتيات (٢١) باستثناء دروس في الأشغال اليدوية والمنزلية. وهذه السياسة،

أي التعليم المختلط يجب ان يُنظر إليها على أنها خطوة جريئة للمجتمع الإسلامي الفلسطيني في القرن التاسع عشر.

التعليم المهني: أدرك شنلر منذ البداية ان التعليم المدرسي وحده ليس كافياً كي يفتح مجالات العمل أمام خريجي الدار. ولذا قرر إدخال التعليم المهني وما يؤمنه من فرص أفضل في مجالات العمل. وفي السنوات الأولى على إنشاء الدار تم تأسيس ورش للكندرجية والخياطة، إلى جانب مخبز. وتبعتها في عام ١٨٦٦ ورشتان للحدادة والخراطة. لكن الورشة الأخيرة لم تحقق أرباحاً منتظمة إلا بعد فترة من الزمن (٢٢).

وكانت صعوبة التعليم المهني تكمن في إيجاد المعلم القدير. وفي الفترة الأولى استعانت الدار بمعلمين مهنيين من ألمانيا. لكن هذه السياسة حملت في طياتها مخاطر جمة، حين كانت الإدارة تتأكد بعد فوات الأوان من عدم كفاية المعلم المهني، بحيث تذهب مصاريف رحلته من ألمانيا إلى فلسطين هدراً ويضيع على التلاميذ وقت ثمين. ولتلافي هذه المشكلة انتهج شنلر سياسة جديدة تقضي بإرسال المتفوقين من خريجي الدار إلى دورات تدريبية مهنية في ألمانيا، واستخدامهم بعدها في التدريس. ومع ذلك فإن أعداد هؤلاء لم تكن لتغطي احتياجات الدار. فبسبب الافتقار إلى معلم مناسب تأجل البدء بتعليم صناعة الخزف مرَّات عدَّة. وقد اضطرت الدار إلى إرسال أحد التلاميذ المتفوقين إلى فورتنبرغ للتخصص في هذه الصناعة، وبعد ذلك أمكن افتتاح الورشة (٢٣).

ومع أن شنلر نظر إلى التعليم المهني من زاوية تربوية، لكنه كان مهتماً بأن تغطي الورش احتياجات الدار من بعض السلع الحيوية التي كانت تشتريها من السوق المحلية، وكذلك تحقيق بعض الربح من بيع المنتجات الفائضة. بيد أن الأرباح ظلت زهيدة جداً. فمع نهاية العقد الأول من إنشاء الدار كانت صناعة الأحذية والخياطة والمخبز لا تعطي مجتمعة أكثر من ١٢٠٠ فرنك سنوياً (٢٤).

النمو العددي: لم يكن سهلاً على الدار في البداية أن تثبِّت نفسها أمام مقاومة الجمعيات التبشيرية لنشاطها البروتستانتي. ففي السنوات الأولى

تعرضت الدار لحملة جمعية يهود لندن التي رأت في نشاط المؤسسة منافساً لها [٢٥] . كما تعرض شنلر لهجوم الجمعيات الكاثوليكية . ففي مجلة « **الأرض المقدسة** » Das heilige Land الكاثوليكية الألمانية أكدت إحدى مقالاتها إدعاءات شنلر بأن الكاثوليك استعادوا مباشرة ، بعد افتتاح الدار وبمساعدة البطريك اللاتيني في القدس والسلطات العثمانية المحلية ، ٧ أو ٨ من الأيتام الموارنة الذين احتضنتهم المؤسسة الألمانية [٢٦] . ولكن رغم العقبات استطاع شنلر ان يشق طريقه قدماً لتحقيق مخططاته التبشيرية . وشيئاً فشيئاً بدأت تحفظات السكان المحليين تجاه الدار تتلاشى ، وأخذت الدار تستقبل أيضاً تلاميذ من غير الأيتام ، تزايدت أعدادهم باستمرار [٢٧] . وفي نهاية العقد الأول من إنشاء الدار بلغ عدد التلاميذ الذين تم استقبالهم ٦٠ تلميذاً يشرف على تعليمهم ورعايتهم ١٣ من المعلمين والموظفين . وقد ارتفع هذا العدد في عام ١٨٧٦ ، أي بعد ١٦ سنة من بدء العمل ، إلى ٢١٠ صبيان و ٨ فتيات . وتبعاً للمناطق التي أتوا منها ، فقد جاء ١١٣ من فلسطين ، ٧٢ من سوريا و«لبنان»، ٥ من مصر والباقون من أرمينيا وأفريقيا . أما مذاهبهم فكانت على الشكل التالي : ٤ ملحدون ، ٣٢ من المسلمين ، ١٧٣ مسيحياً (٢٩ كاثوليكياً ، ٢٩ مارونياً ، ٨٣ أرثوذكسياً ، ١٩ بروتستانتياً و ٩ من الأقباط) . وأما تخصصاتهم ، فقد أصبح ٢١ منهم عمالاً زراعيين ، ٢٤ مهنيين ، ١٣ تاجراً ، ٥ معلمين ، ٥ مبشرين بروتستانتيين . كما أرسل أربعة من الخريجين إلى دورات تدريبية في ألمانيا [٢٨] .

٣ ـ مشروع إنشاء كنيسة إنجيلية عربية وتوسيع نشاطات الدار :

تعديل في خطط شنلر : بنمو الدار في الربع الأخير من القرن التاسع عشر طرأ تعديل على خطط شنلر . فلكي تحصل البروتستانتية في فلسطين على موطىء قدم ثابت عمد شنلر إلى « **تجميع العناصر الجيدة (خريجي الدار) في جماعة محكمة الإغلاق أو في مستعمرات**»[٢٩]. وكان شنلر يأمل في أن يساعد ذلك على قيام كنيسة إنجيلية عربية في الأراضي المقدسة . لكن هذه السياسة كانت تحمل في طياتها استقلال الدار في شؤونها الكنسية والروحية عن الجماعة الإنجيلية الألمانية في القدس وأن يكون لها مطرانها الألماني المستقل . ويبدو أن

شنلر كان يفكر في أن يرث بمشروعه الكنسي هذا حصة ألمانيا في مطرانية القدس البروتستانتية المنحلة في عام ١٨٨٦ [٣٠] . ولتحقيق هذه الغاية رأى شنلر ليس تنصير التلاميذ على المذهب البروتستانتي فحسب، بل أن تقوم الدار أيضاً بإيجاد الأسس الاقتصادية الكفيلة بإعطاء هؤلاء المنَصرين القدرة على الحياة والثبات .

المشاريع الاستيطانية : في هذا المضمار خطط شنلر لإقامة مستوطنتين ، الأولى زراعية والثانية حرفية ـ تجارية [٣١] ليستوطن عليها خريجو الدار ، بعد أن يكونوا قد تزوجوا فتيات بروتستانتيات من خريجات مدرسة طاليطا قومي التابعة لشمَّاسات جمعية الكيزرزفرت [٣٢] .

والواقع أن أحد المستعمرين الألمان في جنوب روسيا هو الذي لفت انتباه شنلر إلى ضرورة إنشاء المستوطنات ، إذ كتب إليه يقول :

> «إن تعليم الفتيان صناعات حرفية يبقى عديم الجدوى إذا ما تُرك هؤلاء بعد ذلك لمصيرهم المجهول. فالأفضل تجميعهم في مستوطنات دينية. ومن دون ذلك فإن التبشير لن يبلغ أهدافه » [٣٣] .

وبالفعل كان شنلر يدرك هذه الحقيقة ويبدي اقتناعاً بأن « **القول المسيحي والعمل المسيحي يجب أن يتفاعلا معاً** » [٣٤] . ولهذا رأى ألا يُترك الخريجون لمصيرهم بعد التخرج وإلا « **التهم المضلِّلون قسماً كبيراً منهم** » [٣٥] . ولم تقتصر رؤية شنلر للاستيطان على زاويته الدينية فحسب ، بل على نواحيه الأخلاقية والتقنية والاقتصادية أيضاً . وإن تحقيق هذه الخطط سوف تكون له ـ كما رأى شنلر ـ نتائج ثلاث هامة : تقوية التنصير ، النهوض بالأراضي المقدسة حضارياً وأخيراً ضمان الأمنين الاجتماعي والاقتصادي لخريجي الدار [٣٦] .

وهكذا أراد شنلر أن يبدأ من حيث فشل شبتلر قبله : بإنشاء « **مستعمرة زراعية نموذجية** » من خريجي الدار . ولما كان مشروع الاستيطان سيخدم مواطنين عثمانيين أمل شنلر في أن تدعم السلطات العثمانية مشروعه بإعفاء المستوطنة لمدة ٦ ـ ١٠ سنوات من ضريبة العُشر [٣٧] . وكانت نشاطات « **جمعية الهيكل الألمانية** » التي امتلكت منذ عام ١٨٦٩ عدداً من المستعمرات في فلسطين [٣٨] ، هي المثال الذي أراد شنلر اتباعه في حقل الاستيطان [٣٩] . إذ

اعتقد أن إنشاء مستعمرة من مواطنين مسيحيين عرب وبإشراف ألماني على مقربة من مستوطنات جمعية الهيكل سوف يؤمن لمستوطنته الأمن ويؤدي إلى التعامل التجاري معها [٤٠] .

شراء الأراضي : عندما بدأ شنلر نشاطه في فلسطين لم يكن يملك من المال ما يمكنه من تحقيق مشاريعه الاستيطانية . فمؤسسته نفسها كانت تعيش على هبات المتبرعين . وحين صدر في عام ١٨٦٧ قانون الأراضي العثماني ، الذي سمح للأجانب بامتلاك الأراضي في السلطنة ، خشي شنلر ارتفاع أسعارها ، وخاصة في الأراضي المقدسة ، التي كانت محط أنظار المستعمرين الأوروبيين واليهود . فبدأ بشراء الأراضي من أموال كان قد كسبها من إدارة خمّارة وضعتها جمعية كريشونا بتصرفه بعد تخليها عن نشاطها في القدس عام ١٨٧٢ . إضافة إلى ما كان يكسبه من ورشتي النجارة والخزف ، بحيث كان مجمل دخله السنوي يصل إلى ٤٠٠٠ ـ ٥٥٠٠ فرنك . ولكن طموح شنلر لم يكن ليحده حد . ففي عام ١٨٧٠ استغل الأزمة الاقتصادية التي أصابت الفلاحين في فلسطين بسبب القحط والجفاف فأخذ يبتاع الأراضي من بعضهم بأبخس الأسعار . وقد برر شنلر مسلكه هذا بأن الفلاحين الفلسطينيين يبيعون أراضيهم بسبب كسلهم وعدم حبهم للعمل [٤١] .

ولم يكن الفلاحون الفلسطينيون هم وحدهم من اتهم شنلر باستغلال أوضاعهم الاقتصادية والاستحواذ على أراضيهم ، بل إن شنلر تورط نتيجة سياسته هذه في قضايا تملك مع اليهود [٤٢] ، الذين كانوا قد بدأوا نشاطهم الاستيطاني في فلسطين منذ أواخر الستينات . وقد اعتبر بعض هؤلاء اليهود مشاريع شنلر بمثابة اعتداء على حقوق اليهود ، الذين هم وحدهم ، كما يعتقدون ، أصحاب الأرض في فلسطين . وفي إحدى المناسبات قال جون نيقولايسن John Nikolayson ، وهو مبشّر يهودي لدى جمعية يهود لندن ، لشنلر :

«إن ما تفعله من شراء الأراضي وزراعتها هو بمثابة إثم، لأنها تخص اليهود وحدهم. وحتى عندما يهبك الله إياها، فلسوف تخسرها»[٤٣].

رغم ما تورط به شنلر من نزاعات مع شركات يهودية ممولة من قبل عائلات يهودية كروتشيلد بسبب استملاك الأراضي ، فقد تمكن من توفير ما

يحتاجه من الأرض تنفيذاً لمشاريعه الاستيطانية [٤٤] .

وبعد خمسين عاماً على إنشاء دار الأيتام السورية بلغت مساحة الأراضي التي امتلكها شنلر أو ورثته ما يعادل المنطقة المبنية في القدس آنذاك ، وهي ٥٥ هكتاراً ، دفع ثمنها جميعها ما مقداره ١١٣٣٧١ ماركاً [٤٥] .

شراء أرض في منطقة الرملة : بين عامي ١٨٧٧ و ١٨٧٩ حاول شنلر شراء قطعة أرض في منطقة الرملة . لكن السلطات العثمانية المحلية رفضت الموافقة على طلبه في كل مرة تقدم فيها لذلك وتسجيل قطعة الأرض باسمه [٤٦] .

والواقع أن الرفض العثماني كان مرده إلى الظروف الدولية التي كانت تمر بها البلاد ، ونعني الحرب الروسية ـ العثمانية (١٨٧٧/١٨٧٨) . إذ جعلت هذه الحرب الحكومة العثمانية والرأي العام العثماني المسلم أكثر تشدداً تجاه الأجانب . وعندما قامت السفن الحربية الأوروبية ومن ضمنها لأول مرة السفن الحربية الألمانية بتظاهرة بحرية أمام الشاطىء السوري لتأكيد العزم على حماية الرعايا الأوروبيين المقيمين في سوريا وفلسطين ، فقد أثار ذلك شعوراً إسلامياً ناقماً على الأوروبيين [٤٧] . وسرعان ما ازدادت بعد أربع سنوات باحتلال بريطانيا لمصر [٤٨] .

وبتعيين مدحت باشا والياً على سوريا في تشرين الثاني ١٨٧٨ [٤٩] وعزمه على إحداث إصلاحات في سوريا بموجب مذكرة رفعها إلى السلطان عبد الحميد الثاني [٥٠] ، علق شنلر على ذلك أملاً كبيراً في أن تُحل مسألة أرض الرملة . وخلافاً لتوقعاته فقد جددت السلطات العثمانية رفضها لطلبه . ففي مذكرة له إلى السلطان لعام ١٨٧٩ اتهم مدحت باشا الدول الأوروبية الكبرى وكذلك الولايات المتحدة الأميركية بأنها المسؤولة عن تدهور الأوضاع في سوريا ، وعن النزاعات الطائفية في المنطقة . وفي هذا الإطار حذّر مدحت باشا من المشاريع الاستيطانية الألمانية على الساحل السوري [٥١] .

وبدا أن مخاوف الباب العالي لا تتجه أساساً إلى مستوطنة شنلر باعتبار أن سكانها سيكونون من الرعايا العثمانيين ، بل لأن شنلر قرر وضع إدارتها في أيدي مشرفين أجانب [٥٢] . فضلاً عن ارتباط المشاريع الاستيطانية بنشاطات

الألمان الهيكليين والأوروبيين في هذا المضمار .

وبعدما رفضت السلطات العثمانية عام ١٨٧٩ طلباً آخر له [٥٣] ، توجّه شنلر إلى تنكمار فون مونشهاوزن Thankmar von Mûnchhausen ، القنصل الألماني في القدس ، طالباً عونه . ورغم أن بروسيا والحكومة الألمانية كانتا تقفان من استيطان رعاياهما في أراضي السلطنة موقفاً متحفظاً وغير مؤيد [٥٤] ، إلا أن مونشهاوزن رحّب بمشروع شنلر الاستيطاني ورأى ضرورة حصوله على ترخيص عثماني ، خاصة أن المستوطنين سيكونون من رعايا السلطان [٥٥] .

ولكن الموقف العثماني الرافض ما لبث أن تبدّل بعدما توطدت العلاقات الألمانية العثمانية في الثمانينات من ذلك القرن، نتيجة المساعدة التي قدمها المستشارون العسكريون الألمان في تدريب الجيش العثماني ودخول الألمان ميدان المشاريع في آسيا الصغرى وأخيراً الرحلة التي قام بها الأمبراطور وليم الثاني عام ١٨٨٩ إلى العاصمة العثمانية[٥٦] . وفي عام ١٨٩٠ وافقت الحكومة العثمانية على حل وسط يقضي بتأجير شنلر قطعة الأرض في الرملة ومساحتها ٥٨٥ هكتاراً لمدة ٤٠ عاماً لقاء إيجار زهيد [٥٧] .

المستوطنة الزراعية « بير سالم » : بعد إتمام إجراءات استئجار قطعة الأرض ، التي أطلق عليها إسم « بير سالم » ، بدأت عملية استصلاح الأرض وزراعتها وتربية الماشية . لكن تبين بعد قليل عدم صلاحية التربة والبيئة لزراعة الحبوب وتربية الماشية . فاتجه النشاط إلى الزراعات الجنائنية والشجرية ، خاصة أن المستوطنة لم تكن تعاني نقصاً في المياه [٥٨] .

وفي السنوات الأولى كان على المستوطنة التغلب على الكثير من الصعاب : اقتلاع الأشواك والأعشاب ، مكافحة الجراد ، حماية المزروعات من رياح الخماسين ، الكلفة الباهظة لعملية المكننة وأخيراً مشكلات الري وحفر الآبار [٥٩] .

ووفقاً لخطة شنلر أرسل إثنان من المزارعين إلى المستوطنة ، أحدهما لبناني والآخر ألماني مع أربعة من خريجي الدار . وتقرر أن يعمل الخريجون كعمّال زراعيين وأن يحصل كل واحد منهم على قطعة أرض يزرعها برعاية أحد المشرفين . كذلك رُبطت مسألة زيادة حصة الواحد منهم بمقدار ما يثبته من

اجتهاد وجدارة [٦٠] . وخلافاً للتوقعات فقد تبيّن خلال التسعينات أن خريجي الدار لم يكونوا مسرورين بهذه الترتيبات والأنظمة لأنهم لم يكونوا مالكي الأرض ، بل مجرد عمّال . ولم يكن بمقدور « **الرابطة الإنجيلية لدار الأيتام السورية في القدس**» التي تشكلت في عام ١٨٨٩ أن تملّك الخريجين قطعاً من الأرض كونها هي الأخرى مستأجرة هذه الأرض من السلطات العثمانية . وبعدما رفض الخريجون الالتحاق بمستوطنة بير سالم والعمل كمزارعين تراجعت الرابطة عن موقفها السابق واتبعت مع المتخرجين نظام المرابعة ، أي أن يصبح المتخرجون الزراعيون مستأجرين من دار الأيتام السورية . وبموجب اتفاق مع الدار تقرر ان يقدم الخريجون الزراعيون ربع محاصيلهم إلى الدار كرسم استئجار لقطع الأرض التي يعملون عليها [٦١] .

وبعد وفاة شنلر في عام ١٨٩٦ طرأت تعقيدات جديدة على قضية المستوطنة . فرابطة الدار التي تشكلت في عام ١٨٨٩ لم تكن هي المستأجرة الشرعية لأرض المستوطنة شخصياً . وهذا ما جعل ورثة شنلر ، أي أبناءه ، مسؤولين مباشرة عن إتمام مدة الإيجار مع السلطات العثمانية طبقاً للعقد الموقع في عام ١٨٩٠ . وقد خشيت الرابطة ومعها ورثة شنلر من أن تقوم السلطات العثمانية بإلغاء العقد بسبب وفاة شنلر الأب، فتضيع بذلك ثمار العمل الشاق التي تحققت في المستوطنة . ولذا طالبت الرابطة وأبناء شنلر السلطات الألمانية دعم مطلبهم لدى الحكومة العثمانية بغية بيعهم أرض بير سالم [٦٢] . واعتقدت الرابطة خلال ولاية عثمان كاظم بك (١٩٠٢ - ١٩٠٤) على القدس بإمكان الوصول الى حل بشأن بير سالم [٦٣] . ولكن عثمان كاظم عُزل بعد قليل من منصبه وحلَّ محله أحمد راشد (١٩٠٤ - ١٩٠٦) ، الذي أصدر أمراً بمنع بيع الأراضي إلى الأجانب [٦٤] . وبخصوص مستوطنة بير سالم تلقى الوالي الجديد تعليمات من وزارة الداخلية العثمانية تقضي بتخيير ورثة شنلر بين تجديد عقد الإيجار عن المدة المتبقية منه وبين الحصول على عوض مالي . ويبدو أن السلطات العثمانية كانت تريد من خلال تجديد عقد الإيجار مع ورثة شنلر أن تمنع إشكالات قد تحدث مستقبلاً حول ملكية الأرض [٦٥] . ولم تسفر مساعي القنصلية الألمانية في القدس ولا جهود السفارة الألمانية في الآستانة عن اية حلحلة للموضوع [٦٦] . وهذا ما جعل مارشال Marschall السفير الألماني في

العاصمة العثمانية ، ينصح الرابطة بالاستمرار بجهودها في محاولة شراء الأرض حتى انقضاء مدة الإيجار ، وبعد ذلك يمكن المطالبة بعوض من السلطات العثمانية . كما وعد مارشال بأن تقدم لها الحكومة الألمانية « **الحماية تحت كل الظروف** » [٦٧] .

حمل عام ١٩٠٦ معه حلاً لمسألة بير سالم . فقد طرحت الحكومة العثمانية أرض المستوطنة للمناقصة بغية فتح المجال أمام ورثة شنلر أو الرابطة لشراء الأرض والانتهاء من المسألة [٦٨] . وعندما علمت الرابطة بأن جماعات يهودية سوف تشترك في المناقصة برأسمال كبير وأنه لا قدرة لها على منافستها ، رجت السفارة الألمانية في الآستانة التوسط لدى الباب العالي بغية تجديد عقد الإيجار لمدة ٩٩ عاماً [٦٩] . وفي الوقت نفسه كان لودفيغ شنلر الإبن يُجري في الآستانة محادثات مع الجماعات اليهودية التي تريد الانضمام إلى المناقصة ، وقد تمكن من الاتفاق معها على أن تنسحب من المناقصة لقاء تخلي دار الأيتام السورية عن قطعة أرض لمستعمرة يهودية مجاورة . وبذلك انسحب اليهود وتمكنت الرابطة من شراء أرض بير سالم بسعر ٢١ فرنكاً للدونم الواحد [٧٠] .

وبعد عام ١٩٠٦ صار نمو المستوطنة مضموناً . ففي العام نفسه افتتحت مدرسة زراعية هناك اتسعت لـ ٣٠ تلميذاً . وبعدها بأربع سنوات تمّت زراعة ١٠ آلاف شجرة برتقال قيمتها ١٢٠ ألف فرنك وتعطي عائداً سنوياً نحو ٢٠ ألف فرنك . وفوق ذلك كانت المستوطنة تستغل نحو ٢٥ هكتاراً من أراضي العنب ، ٨ هكتارات من أشجار الزيتون والتين والتوت والمشمش والدراق والتفاح واللوز ، ٤٠ هكتاراً لزراعة الترمس وكذلك مساحات شاسعة من أراضي البطيخ والسمسم والذرة [٧١] . وحتى عام ١٩١٠ بلغت الكلفة الإجمالية لمشروع مستوطنة بير سالم ٣٠٩٥٥٥ ماركاً ألمانياً ذهبياً [٧٢] .

المستوطنة الحرفية ـ التجارية : لما كانت دار الأيتام تقوم سنوياً بتخريج أعداد كبيرة من الحرفيين والمشتغلين بالتجارة ، بدأ شنلر قبل وفاته بعامين بإنشاء مستعمرة حرفية ـ تجارية من خريجي الدار . فشُيدت المحال التجارية والفبارك خارج أسوار الدار ، إضافة إلى منازل لإقامة سكان المستوطنة . وهذه المنشآت بنيت بتبرعات لشخصيات ألمانية ميسورة وأطلق على كل وحدة منها

إسم مدينة ألمانية كمدن ، كولونيا ، شتوتغارت ، أرفنغن ، هامبرغ وميونيخ [٧٣] . كما حصل المستوطنون الجدد على قروض من رابطة الدار للمساعدة على فرش المنازل والفبارك بالأثاث والمعدات . أما مؤسسة فلسطين في كولونيا فكانت تتكفل بتصريف بعض من الإنتاج في ألمانيا .

ازدهار فروع الصناعة : رغم اهتمامه بشؤون الزراعة فإن شنلر لم يقصر في إعطاء التعليم المهني قدره . ففي عام ١٨٧٩ افتتحت ورشة لصناعة الخزف وأخرى لأعمال النجارة . وبعد عام ١٨٨٠ كانت مهنة الحدادة تمارس بانتظام . وما هي إلا سنوات قليلة حتى حصل التلاميذ المكفوفون على ورشة لأشغالهم . وتلتها مطبعة الدار ومعمل التجليد في عام ١٨٨٥ [٧٤] . ويُذكر هنا أن النمو في الورش قد ضاعف إيرادات الدار ثلاث مرات ووصلت إلى ٦٥٦٠ ماركاً في عام ١٩٠١ [٧٥] .

ومع بداية القرن الحالي شهدت « الصناعة » انطلاقة جديدة بعد افتتاح معمل لصناعة القرميد ، الذي سرعان ما نما ليصبح أهم مشروعات الدار [٧٦] . وكان الحصول على الصلصال الخام يتم من منطقة تبعد كيلومترين عن موقع الدار [٧٧] . ويذكر روبين في دراسته عن اقتصاد سوريا في نهاية القرن الماضي وأوائل القرن الحالي أن الآجُرّ المصنع في دار الأيتام السورية ، وهو على الطراز المارسيلي ، كان ينافس المنتجات الفرنسية [٧٨] . أما المطبعة فاستطاعت أن تثبت نفسها وتحتل مع المطبعة البطريركية الصدارة بين المطابع الموجودة في القدس . فكانت تطبع بالعربية والألمانية والعبرية وكذلك مؤلفات ثم مطبوعات بالإنكليزية والفرنسية والإيطالية والروسية [٧٩] . مع بداية القرن العشرين بدأت المطبعة توسع نشاطها بطباعة أحرف خاصة بالمكفوفين [٨٠] .

ولكن هذا الازدهار كان يقابله تسويق غير جيد . فموقع الدار البعيد عن مدينة القدس حيث المحال والأسواق كانت له آثاره السيئة على تصريف الإنتاج بأسعار مناسبة . كذلك لعبت المنافسة اليهودية دوراً لا يستهان به وسببت خسائر لبعض الورش . فقبيل نهاية القرن الماضي اضطرت الدار للاستغناء عن ورشة الخراطة بسبب المنافسة اليهودية [٨١] .

وللتغلب على تلك الآثار السلبية وتأمين تسويق جيد للمنتجات تأسست

في مدن ألمانية واميركيه وكالات اهمها « **مؤسسة فلسطين** » Palâstinahaus ومركزها مدينة كولونيا الألمانية . وبفضل تلك الوكالات تمكنت منتجات الدار من أن تشق طريقها إلى محبي العمل الديني في الأسواق الأوروبية . ومن المنتجات : الأحذية ، الألبسة والبياضات والمنتجات الخشبية ، النبيذ ، مياه التعميد ، بطاقات مزهرة ، منتجات المكفوفين بأشكال متعددة . أما المواد الأولية اللازمة لهذه المصنوعات فكانت تستورد في معظمها من أوروبا [٨٢] . كذلك كانت مجلة الدار « **رسول صهيون** »[٨٣] Bote aus Zion تروج لهذه المنتجات في جميع أعدادها .

وبعد هذا العرض لنشاطات الورش الصناعية لا بد للقارىء من أن يفترض أن خريجي الدار المهنيين كانوا يجدون فرصاً للعمل أكثر من غيرهم في الاقتصاد السوري . ولكن الحقيقة أن هذه الفرص لم تكن دوماً متوفرة . ففي التسعينات من القرن الماضي رأى شنلر ضرورة وضع برنامج لهجرة الخريجين ، الذين لم يتمكنوا من الاستقرار على مقربة من الدار أو ضمن مستوطناته ، إلى مصر ، الحبشة ، الهند ، أوستراليا ، ألمانيا ، والمستعمرات الألمانية في شرق أفريقيا [٨٤] . وفي منتصف ذلك العقد كان هناك ٩ ـ ١٠ من خريجي الدار في مصر ، ٥ في الحبشة ، نحو ١٥ في المستعمرات الألمانية في شرق أفريقيا ، وعدد منهم في الهند وأوستراليا وألمانيا [٨٥] .

النهوض بالتعليم : حتى عام ١٨٨٠ ظلَّ التدريس ضمن مسؤولية المبشرين ويشرف عليهم شنلر نفسه . ولكن بعد هذا التاريخ بدأ شنلر يستعين بمدرسين مختصين جاء بمعظمهم من منطقة فورتنبرغ الألمانية . أما من تبقى من المدرِّسين فكانوا من خريجي الدار الذين حصلوا على دراسة مختصة في التعليم . وفي نهاية القرن التاسع عشر كانت هناك هيئة تدريس قوامها ٩ معلمين ، ٥ منهم من الألمان ، ٣ من العرب و ١ أرمني من تركيا [٨٦] ، أما مناهج التدريس فشملها التطوير أيضاً حيث أضيفت إليها مواد في العلوم الكنسية والعلوم الطبيعية واللعب على البيانو [٨٧] .

وفي عام ١٨٨١ افتتح صفاً سادساً . وكان صف المكفوفين ، الأول من نوعه في فلسطين . ولكن تعرض هذا المشروع لهجوم من المؤسسات

الكاثوليكية وتحفظ السلطات العثمانية تجاهه ، جعل عدد تلاميذ هذا الصف محدوداً فلم يتجاوز في أحسن الأحوال ١٦ تلميذاً [٨٨] .

وسرعان ما افتتح صفاً سابعاً ، وهو الصف التكميلي ، حيث كان التلامذة يدرسون المحاسبة ، مسك الدفاتر ، القراءة والكتابة والإنشاء . أما عدد ساعات التدريس الأسبوعية فكانت خمساً بمعدل ساعة ونصف ساعة يومياً [٨٩] .

ومنذ عام ١٨٨٠ جرى التركيز على تخريج دفعات من المبشرين الإنجيليين ، إضافة إلى معلمين ومحامين وتراجمة . لهذا أفتتح صف متخصص سُمي بعد ذلك « **الحلقة** » Seminar . وإلى جانب الألمانية والعربية كانت تدرس اللغتين الإنكليزية والفرنسية . وعندما فرضت السلطات العثمانية عام ١٩٠٠ على المدارس الأجنبية العاملة في أراضيها تدريس اللغة العثمانية ، كان على التلاميذ تعلم خمس لغات . وقد أتاح نظام الحلقة للتلاميذ متابعة الدراسة في معاهد عليا . فكثير من المحامين والأطباء والمعلمين والمقاولين والتجار كانوا من خريجي « الحلقة » [٩٠] .

ومع بداية القرن الحالي شهد التعليم قفزة جديدة ، بعدما أسست الدار عام ١٩٠٢ مدرسة للصبيان منفصلة عنها . كما افتتحت داراً للمكفوفين في ١٩٠٥ ومدرسة للبنات في عام ١٩٠٦ ومعهداً زراعياً في مستوطنه بير سالم في العام نفسه . وفي عام ١٩٠٤ كان هناك ٥٤٢ تلميذاً عربياً وأرمنياً يدرسون في مختلف فروع المؤسسة . وهذا العدد كان يساوي ٣/١ التلاميذ الذين كانوا يزورون المدارس البروتستانتية في مدينة القدس [٩١] . أما عدد المعلمين الذين عُنوا بالتدريس فبلغ قبيل الحرب العالمية الأولى ٥٧ معلماً (٣٧ ألمانياً ، ١٨ عربياً و ٢ من الأرمن) [٩٢] .

التبشير والسياسة التعليمية العثمانية : فيما يوصف الحكم المصري في سوريا وفلسطين بأنه أوجد المناخ الملائم لنمو الإرساليات التبشيرية المسيحية ، يوصف الحكم العثماني المرن والمتناقض تجاه تلك الإرساليات بعد استعادة سيطرته على المنطقة بمساندة أوروبية ، بأنه ساعد في تنامي نفوذ الإرساليات المدعمة من دولها بموجب الامتيازات ، وأنه من ناحية أخرى حاول التصدي

للتبشير ووضع العراقيل في طريقه، وباء بالفشل . وكانت نتيجة فشل سياسة التصدي العثمانية للعمل التبشيري أن نمت الإرساليات بعد انتهاء الحكم المصري وبلغت الذروة بعد الثمانينات من القرن التاسع عشر . ولكن التبشير الموجَّه للمسلمين ولأتباع المذاهب الأخرى ، لم يحقق النتائج المرجوة منه ، بل قُوبل في بعض الأحيان برد عنيف من جانب السكان المحليين المسلمين [٩٣] .

ومنذ الخمسينات من ذلك القرن ، أي منذ أخذ ساعد الإرساليات يشتد ويقوى ، أدركت السلطات العثمانية ـ رغم المآخذ الكثيرة على سياستها التربوية ـ مخاطر التعليم القائم على التبشير . وهي للحد منه أصدرت في جمادي الأولى ١٢٦٨ (شباط ١٨٥٢) قانوناً يقضي بإقفال المؤسسات التربوية الأجنبية العاملة في السلطنة وغير المرخص لها [٩٤] . ورغم هذا الإجراء فليس لدينا أي دليل يفيد ما إذا كان هذا القانون قد وُضع فوراً موضع التنفيذ . لكن التقارير القنصلية الغربية المعاصرة لتلك الحقبة تذكر أن الحكومة العثمانية قامت في ١٨٦٨ و ١٨٦٩ بإقفال مدرستين ، الأولى عبارة عن مدرسة قوامها عدد من الخيم تابعة لجمعية بيت المقدس الألمانية نصبت على مقربة من بيت لحم ، والثانية مدرسة في القدس بناها أحد المواطنين الأتراك ووضعها بإشراف شمَّاسات الكيزرزفرت . وفي ثمانينات القرن الماضي أقفلت بضع مدارس أجنبية في سوريا و « لبنان » [٩٥] . والواقع أن المدارس التي استهدفها أمر الإغلاق كانت تلك الموجودة في المناطق الداخلية من البلاد وفي القرى حيث اتسمت المراقبة العثمانية بالضعف . أما السبب المباشر للإجراءات العثمانية فكان خشية الباب العالي على التلاميذ المسلمين من سياسة التنصير البروتستانتية [٩٦] .

وعندما سرت إشاعات باحتمال قيام السلطات العثمانية بإغلاق المؤسسات الألمانية ومن ضمنها دار الأيتام السورية ، سارعت الدار إلى الاتصال بالسفارة الألمانية في الآستانة لتقوم بما يلزم من اتصالات بالسلطات العثمانية المختصة . وفي نيسان ١٨٨٧ أبلغ يوليوس رايتز Julius Reitz ، القنصل الألماني في بيروت ، بأن القنصل الأميركي في تلك المدينة قد وصل إلى اتفاق مع السلطات العثمانية على أن تقدم الإرساليات الأميركية إلى السلطات العثمانية المحلية تقارير عن خطط التعليم ومناهج التدريس ولوائح بأسماء

المعلمين والكتب المستخدمة في مدارسها . وعندما عُرض هذا الحل على رادوفيتز رأى أنه يناسب أيضاً وضع المؤسسات الألمانية ، فطلب إلى تلك المؤسسات أن تحذو حذو الإرساليات الأميركية . وأخيراً أبلغ رادوفيتز القنصل الألماني في بيروت بأن يخبر دار الأيتام السورية والمؤسسات الألمانية الأخرى بأن عليها ألا تخشى أمراً من قبل السلطات العثمانية المحلية وأنه تلقى وعوداً مشجعة بهذا الخصوص من الصدر الأعظم ووزير التعليم العثماني [٩٧] .

ورغم تشدد السلطات العثمانية في إجراءاتها تجاه المؤسسات التربوية الأجنبية ، فقد استمرت المدارس الألمانية تستقبل المسلمين ، كما حدثت مرات عدة عمليات تنصير بينهم واضطر المُنصرون إلى الفرار خارج البلاد [٩٨] .

تكوين جماعة إنجيلية عربية مستقلة : في وقت مبكِّر سعى شنلر إلى تكوين جماعة إنجيلية عربية خاصة به من خريجي الدار وتكون مستقلة في المسائل الروحية والدينية عن الجماعة الإنجيلية الألمانية في القدس [٩٩] . ولذلك عين شنلر في عام ١٨٨٦ إبنه ، الباستور تيودور Theodor ، في وظيفة راهب الدار في الصلوات والقداس التي تعقد باللغة العربية ، فيما ظل راعي الجماعة الإنجيلية الألمانية في القدس مسؤولاً عن القداس باللغة الألمانية [١٠٠] . وبعد سنوات ثلاث دشنت الدار كنيستها الصغيرة الخاصة بها [١٠١] .

وأما الانفصال النهائي بين جماعة الدار وبين الجماعة الإنجيلية الألمانية فحدث بعد تسلم القس تيودور إدارة دار الأيتام في عام ١٨٩٦ . ولكن اعتراف الهيئة العليا للكنيسة الإنجيلية Evangelische Oberkirchenrat لم يحدث قبل عام ١٩٠٦ [١٠٢] . وبعد ذلك التاريخ أصبح مدير دار الأيتام السورية هو نفسه راعي الجماعة الإنجيلية العربية التابعة للدار .

النمو العددي حتى الحرب العالمية الأولى : تشير التقارير المعاصرة إلى أن دار الأيتام رعت حتى عام ١٨٨٤ (٤١٣) ولداً، راوحت مدة إقامتهم داخل المؤسسة ما بين ٥ و٨ سنوات . ومن ضمن هذا الرقم امتهن ١٠٣ أعمال حرفية وزراعية[١٠٣] .

وهذا النمو المستمر شجَّع إدارة الدار في عام ١٨٨٥ على إصدار مجلتها

« رسول صهيون » Bote aus Zion ، التي كانت تنشر تقارير عن نشاطات المؤسسة والجمعيات الإنجيلية في المشرق وتدعو لدعمها .

وبسبب المذابح العثمانية بين الشعب الأرمني في نهاية القرن الماضي ، اضطرت الدار إلى تعديل سياستها في استقبال الأيتام [١٠٤] في سبيل تأمين مأوى للأيتام الأرمن المشردين . وهذا التعديل جعل أعداد اليتامى يرتفع إلى ٢٨٠ . وقد أثّر فتح أبواب الدار للأيتام الأرمن سلبياً على استقبال الأيتام العرب ، فتراجعت أعدادهم [١٠٥] . ففي عام ١٨٩٧ استقبلت الدار ٢٨ عربياً ورفضت طلبات لـ ١٣٠ . وبعدها بعشر سنوات بلغ عدد اليتامى العرب المرفوضين ٣٠٠ في السنة ، إلى أن بلغ ٣٠٠٠ في عام ١٩٠٥ [١٠٦] . ونتيجة لتزايد أعداد المقبولين في الدار أدخلت قواعد جديدة لتنظيم التلاميذ . فتم تقسيمهم إلى عائلات ، كل عائلة وُضعت بإشراف شمّاس أو شمّاسة . وكان للصبية ٥ عائلات ، فيما جُمعت الفتيات في عائلة واحدة [١٠٧] .

وفي عام ١٩١٠ كانت الدار تتألف من نحو ٢٥ ـ ٣٠ بناء إضافة إلى مساحة ٥٥ هكتاراً باستثناء مستوطنة بير سالم [١٠٨]. أما الجماعة الإنجيلية العربية التي كانت تنتمي إلى الدار فبلغت نحو ٥٠٠ شخص في العقد الأول من القرن الحالي [١٠٩] .

٤ ـ المسائل التنظيمية والمالية :

إدارة دار الأيتام : عندما تأسست دار الأيتام السورية عام ١٨٦٠ تشكلت في القدس لجنة محلية برئاسة راعي الجماعة الإنجيلية الألمانية وعضوية غوبات ، الراهب شيك Schick وفروتيغر Frutiger ، وهما مبشّران سابقان عملا مع إرسالية كريشونا . ورغم اندفاع أعضاء اللجنة للعمل ، ظل العبء يقع على عاتق شنلر ، الذي أدار المؤسسة حتى وفاته في عام ١٨٩٦[١١٠].

وقبيل وفاته بسنوات سعى شنلر بإرشاد أصدقائه في ألمانيا إلى إنشاء رابطة تأخذ على عاتقها إدارة الدار ، إذ خشي شنلر في حال وفاته قيام إحدى الجمعيات الألمانية بوضع يدها على الدار. ولهذا تشكلت في عام ١٨٨٩ « **الرابطة الإنجيلية لدار الأيتام السورية في القدس** » Evangelischer Verein Fûr das Syrische Waisenhaus in Jerusalem ومركزها شتوتغارت ، وكولونيا بعد

١٨٩١ . وقد تسلم الإدارة العليا للرابطة مجلس من ٨ إلى ٩ أعضاء ، إضافة إلى هيئة Kuratorium مؤلفة من ٣٥ عضواً ، من ألمان وسويسريين ودانمركيين وأميركيين وروس [١١١] . وبعدما دفعت لشنلر تعويضاً مقداره ١٢ ألف مارك وسددت الديون التي تراكمت عليه نتيجة شرائه للأراضي في القدس ، وضعت الرابطة يدها على جميع ممتلكاته في فلسطين [١١٢] . كما تعهدت في برنامجها الاستمرار في سياسة شنلر الاستيطانية بفلسطين [١١٣] .

ورغم أن إنشاء الرابطة قد أكسب الدار شخصية مستقلة ، إلا أن ارتباط شنلر السابق بإرسالية كريشونا وعلاقته المالية بجمعية بيت المقدس البرلينية قد طرحا غير مرة مسألة التبعية : هل الدار تتبع إرسالية كريشونا ، أم هي مؤسسة تعيش على المساعدات التي تقدمها إليها « جمعية بيت المقدس » ، أم هي فعلاً مؤسسة مستقلة أوجدها شنلر بنفسه وتشرف عليها الرابطة الجديدة في كولونيا؟

علاقة الدار بإرسالية الحجّاج في كريشونا : كما رأينا في الفصل السابق ، كان شبتلر هو الملهم والمحرك لمشاريع شنلر ، وهو الذي دفع به إلى ساحة العمل الإرسالي في فلسطين . وهذا ما جعل شبتلر يعتقد أن دار الأيتام السورية التي أنشأها شنلر هي مؤسسة تتبع الإرسالية في كريشونا [١١٤] . ولهذا قام شبتلر في السنوات الأولى من إنشاء الدار بدعم شنلر بالتوجيهات والهبات المالية فضلاً عن المعلمين ، الذين كان شنلر في حاجة إليهم [١١٥] . وخلافاً لتوقعات شبتلر سار شنلر في سياسة استقلالية عن كريشونا وثبت هذا بعد وفاة شبتلر في عام ١٨٦٧ . وما آن حلّ عام ١٨٨٦ حتى كان شنلر قد تحرر نهائياً من كل ارتباط بإرسالية كريشونا [١١٦] .

علاقة دار الأيتام بجمعية بيت المقدس : بعدما تجاوز شنلر في عام ١٨٨٦ مسألة التبعية لكريشونا ظهرت في الأفق جمعية بيت المقدس البرلينية ، وهي التي سنتحدث عن نشاطاتها في الفصل الخامس من هذا الكتاب ، كمنافس يريد وضع يده على الدار . فبغية المحافظة على استمرارية المؤسسة بعد وفاة شنلر ولكي يرتبط اسمها بسمعة الدار التي جاوزت شهرتها حدود فلسطين ، خططت تلك الجمعية لأن تتولى بنفسها إدارة مؤسسة شنلر . ولذلك دخلت جمعية بيت المقدس في مفاوضات مع شنلر جاءت عقيمة . فجمعية بيت

المقدس أرادت أن يكون لها الإشراف الكامل على الدار وأن تكون اللجنة المحلية للدار في القدس تحت إشرافها المباشر ، وأن تجعل شراء تلك اللجنة أراضي جديدة رهناً بموافقتها . أما شنلر فقد رفض مبدأ الوصاية هذا واعتبره يحد من استقلالية الدار ولجنتها المحلية [١١٧] . فشنلر فكَّر في الواقع بعلاقة تعاون مع الجمعية البرلينية لا أن يغيب دوره تماماً أو دور أولاده في المستقبل . ومما كان يشجعه على هذا الموقف ان مؤسسته تحولت خلال الثمانينات من القرن الماضي إلى أكبر مؤسسة إرسالية في فلسطين [١١٨] .

والواقع أن مسألة تبعية الدار بجمعية بيت المقدس كانت مرتبطة مباشرة بخلافات مالية بين الفريقين . فرغم تأكيدها في نظامها الداخلي توجهاتها في دعم المؤسسات الإنجيلية الألمانية العاملة في فلسطين وتقويتها [١١٩] ، ظلَّت مساعدات جمعية بيت المقدس لدار الأيتام زهيدة جداً ولا تقارن بحجم النشاطات التي كانت الدار تقوم بها . فعلى سبيل المثال حصل شنلر في عام ١٨٧٦ على ٤٨ ماركاً من جمعية بيت المقدس ، فيما حصلت مدرسة طاليطا قومي على ١٦٥٠ ماركاً ، وهي التي كانت تُساعد مالياً من قبل الكيزرزفرت ، كبرى الجمعيات الألمانية [١٢٠] .

والواقع أن شنلر لم يشتك أبداً من هذا « **الإجحاف** » ، كما أن جمعية بيت المقدس لم تدع يوماً أن دار الأيتام السورية مؤسسة تابعة لها وتعيش على دعمها المالي . ولكن حدث في عام ١٨٩٧ أن تدهورت العلاقات بين الجمعيتين ، عندما خصص « **المجمع الكنسي البروسي العام** » Preussische Generalsynode مخصصات سنوية تصل إلى ٤٠ ألف مارك . وتقرر أن يقتسم المبلغ بين دار الأيتام وبين جمعية بيت المقدس حبياً وبالتساوي . ولكن حدث أن جمعية بيت المقدس حصلت بالفعل على تسعة أعشار المبلغ ، بينما باقي المبلغ كان من نصيب دار الأيتام إلى جانب مبلغ سنوي ثابت تعهدت جمعية بيت المقدس بتقديمه إلى دار الأيتام وهو ١٥٠٠ مارك . وبعد ذلك مباشرة عرضت مجلة جمعية بيت المقدس « **آخر الأخبار من الشرق** » Neueste Nachrichten aus dem Morgenland في صفحاتها أن هذه المبالغ التي تتلقاها دار الأيتام هي تبرعات من جمعية بيت المقدس وليست نصيب الدار من مخصصات المجمع الكنسي البروسي . ونتيجة لذلك تأزمت العلاقات بين الجمعيتين وردَّت رابطة

دار الأيتام بعنف موضحة للرأي العام :

> «إن دار الأيتام السورية جمعية مستقلة تماماً ولها حقوق الجمعيات، وأنها تعترف بجمعية بيت المقدس كجمعية صديقة في الأراضي المقدسة لها خدماتها هناك، إلا أن الدار لا تُدعم بأي شكل من الأشكال من قبل تلك الجمعية»[١٢١].

وسرعان ما تفشى خبر النزاع بين الجمعيتين في الصحف الألمانية مما حمل الغراف شفارتزكوبف Schwarzkopf ، مستشار الحكومة الألمانية للشؤون الدينية ، للتدخل شخصياً في النزاع فطلب إلى جمعية بيت المقدس أن تقدم تصريحاً علنياً بأنها غير معنية بدار الأيتام السورية وتدعمها مالياً [١٢٢] . ورغم انصياع جمعية بيت المقدس إلى مطالب مستشار الحكومة ، فإن الخلاف حول تبعية دار الأيتام السورية مع جمعية بيت المقدس لم ينته مع نهاية القرن الماضي ، بل إن معالمه ظلت واضحة حتى بعد الحرب العالمية الثانية [١٢٣] .

تمويل مشروعات الدار : في أعقاب افتتاحه لدار الأيتام وجه شنلر دعوات إلى أصدقائه ومحبي القدس في ألمانيا وسويسرا يحثهم على دعم نشاطات مؤسسته [١٢٤] . وفعلاً ، تجاوبت معه فئات عديدة وتلقت الدار في سنتها الأولى مبلغاً مقداره **٣٥** ألف فرنك ، معظمه من منطقة فورتنبرغ وبادن Baden ومن شبتلر نفسه [١٢٥] . وبعد أربع سنوات بدأت «المنظمة البريطانية والقارية لدور الأيتام السورية» British and Continental Syrian Asylums Association تزود الدار بتبرعات سنوية وصلت في بعض الأحيان إلى ٨٠٠ جنيه استرلينية [١٢٦] .

وحتى أواخر العقد الأول من إنشائها ظلت مداخيل الدار لا تتجاوز الـ ٢٠ ألف فرنك في السنة ، ورد معظمها من دويلات ألمانيا . أما مساعدات الدول الأوروبية وأميركا الشمالية فكانت زهيدة . وما إن حل عام ١٨٦٨ حتى واجه شنلر لأول مرة عجزاً مالياً . لكنه تمكن من تغطيته عن طريق الاستدانة من « مؤسسة شبتلر وشركاه » في القدس [١٢٧] . وفي العقد الثاني ارتفعت التبرعات التي كان شنلر يتلقاها سنوياً ، فوفى ديونه ووفر بعض المال لمشاريعه الاستيطانية . وفي الذكرى الـ **٢٥** لإنشاء الدار بلغت الأموال التي صبت في

خزينة الدار نحو ٥٥٠ ألف فرنك ، خص شنلر صندوق الاستعمار منها بـ ٨٦ ألفاً [١٢٨] .

وفي نهاية القرن الماضي واجه شنلر ـ بسبب سياسته الاستيطانية وشراء الأراضي وتوسيع المباني ـ من جديد عجزاً خطيراً . وتفاقمت الأمور باستقبال الدار للأيتام الأرمن . فقد بلغت مداخيل الدار على سبيل المثال عام ١٩٠٠ (٢٠٠ ألف فرنك) ، فيما بلغ العجز ٦٢ ألف فرنك [١٢٩] .

واللافت للنظر أن الورش المهنية لم تستطع أن تقدم للدار سوى دعم قليل لم يتجاوز الـ ٥٪ من مدخول الدار في عام مع نهاية القرن الماضي [١٣٠] . ذلك لأن شنلر أسَّس ورش الصناعة لتكون في الدرجة الأولى مورد رزق للمعلمين المشرِّفين على تدريب الصبية وكذلك لخريجي الدار . وهذا ما جعل الورش لا تشكِّل ركناً أساسياً في الميزانية العامة للدار [١٣١] .

وبعد مرور ٥٠ عاماً على إنشاء الدار ، أي في ١٩١٠ ، ضرب مجمل الأموال التي استثمرها شنلر والرابطة في مشروعات الدار رقماً قياسياً وهو ٣٥٧٩٨٦٦ ماركاً مفصلة على الشكل التالي [١٣٢] :

البند	المبلغ
نفقات المشروع في القدس	٢٢٩٢٩١١
بناء المنشآت	٦٨٥١٢٨
إعمار مستوطنة بِيْر سالم	٣٠٩٩٥٥
شراء ٥٥ هكتاراً	١١٣٣٧١
تأسيس دار للمكفوفين	١٤٣٥٨١
تأسيس مدرسة في القدس	٣٤٩٢٠
	٣٥٧٩٨٦٦ ماركاً

٥ ـ خلاصة :

لقد شكَّل «القول المسيحي والعمل المسيحي» لدى شنلر أكثر من غيره من المبشِّرين وحدة لا تتجزأ . ولوحظ أن نية شنلر في نشر البروتستانتية في

فلسطين ارتبطت في شكل حميم برغبته في تطوير المجتمع الفلسطيني واحتلت مكاناً بارزاً في سياسته . فقد كان شنلر مقتنعاً بأن دخول الناس في البروتستانتية يجب أن يقترن بتغيير طريقة معيشة هؤلاء وتحسينها ، وإلا فما نفع القول المسيحي والعمل المسيحي . فالدين والتعليم المدرسي كانا في نظره غير كافيين لكي يستطيع خريجو الدار ، وهم قلة ، أن يصمدوا ويعتمدوا على أنفسهم في المجتمع الفلسطيني . ولهذا أصر شنلر على تعليم تلامذته الصناعات المهنية . ويمتدح أحد المصادر العربية مدرسة شنلر المهنية بأنها كانت :

> « . . . المدرسة الصناعية الوحيدة في البلاد بين المدارس الإنجيلية ولا شك أنها أفادت البلاد كثيراً لأن الحاجة إلى مدارس نظيرها هي أكثر من المدارس العلمية وفضلها على البلاد لا ينكره إلا الغبي الجاهل»[١٣٣] .

إذاً فكل جهود شنلر صبت في إيجاد قاعدة إنجيلية في فلسطين لتكون نواة كنيسة إنجيلية عربية . ولهذا الهدف أنشأ شنلر المستوطنات الزراعية والحرفية ـ التجارية ليعمل فيها خريجو الدار . وبادخال العنصر العربي في مشاريع الاستيطان يكون شنلر قد اختلف عن غيره من الجمعيات التبشيرية العاملة في فلسطين ، والتي قامت سياستها على « **استيراد** » المستوطنين الأجانب . وهذه السياسة الاستيطانية القائمة ذات النواة العربية وفرت نسبياً على شنلر الكثير من المشكلات مع السلطات العثمانية وضمنت للدار مساعدة السلطات الألمانية التي كانت تتحفظ إزاء عملية استيطان رعاياها في المشرق .

وإذا كانت إقامة كنيسة إنجيلية عربية وتكوين جماعة تابعة للدار قد ظل مشروعاً متواضعاً فإننا لا نستطيع التغاضي عن إيجابيات المشروع في أنه ساعد عن طريق التعليم المدرسي والمهني والزراعي آلاف الخريجين على تأمين وجودهم المادي .

الفصل الرابع

نشاطات شماسات الكيزرزفرت في فلسطين

١ - دوافع نشاطات الشمّاسات في فلسطين:

في أعقاب إنشاء مطرانية القدس عام ١٨٤٢ بدأت في ألمانيا جهود لربط التبشير في فلسطين بتحسين البنية التحتية للسكان هناك. فعام إنشاء المطرانية أمر فريدريك وليم الرابع، ملك بروسيا، بجمع التبرعات والهبات في كنائس ألمانيا لإقامة المدارس والمستشفيات في القدس[١]. لكن خطوات عملية في هذا الاتجاه لم تحدث قبل اعتراف السلطنة العثمانية بالطائفة البروتستانتية عام ١٨٥٠.

وخلال الفترة نفسها كانت الكنيسة الانجيلية الألمانية قد بدأت بتدريب شمّاسين وشمّاسات للخدمات الاجتماعية. ففي عام ١٨٣٦ تأسس أول منزل للشمّاسات على نهر الراين «**رهبنة شماسات الكيزرزفرت على الراين**» Kaiserswerther Diakonissenanstalt am Rhein من قبل الراهب تيودور فليدنر[٢] Theodor Fliedner في مدينة كيزرزفرت قرب دوسلدورف[٣] Dûsseldorf. وقد أنيطت مهمة بدء نشاط تبشيري نسائي ألماني خارج ألمانيا على عاتق شمّاسات الكيزرزفرت.

ومنذ عام ١٨٤٦ كان فليدنر على اتصال بالدوائر المهتمة بتنمية المصالح البروتستانتية في الشرق الأدنى، ومنهم بونسن والمطران غوبات. وكان هذان يحثان فليدنر على بدء نشاط «خيري» في فلسطين[٤]. وبعد مرور أربع سنوات

على ذلك التاريخ تلقى فليدنر رسالة من غوبات يطلب منه فيها إرسال شماستين للعمل بين المرضى في القدس، وأيضاً للتعليم في مدرسة المطرانية إذا أمكنهما ذلك[٥].

وبدلاً من إرسال شمّاستين قرّر فليدنر إرسال أربع شمّاسات. ويبدو أن خطته كانت تتعدى تصورات غوبات للموضوع. فقد أراد أن تدير الشمّاسات مدرسة لفتيات الجماعة الألمانية في القدس وللبنات العربيات اللواتي يرغبن في الحصول على قدر من التعليم. وبذلك كان فليدنر يهدف الى إقامة مؤسسة تربوية ـ صحية مسيحية في فلسطين على أسس تبشيرية[٦]. ولتحقيق مشروعه اتصل فليدنر بملك بروسيا وبحث معه الموضوع. وقد رحب فريدريك وليم الرابع بذلك وتمنى أن تعمل الشماسات بشكل رئيسي بين اليهود المنصرين والألمان. كما أعلن استعداده لتمويل المشروع مادياً[٧].

وفي بداية عام ١٨٥١ بدأ فليدنر يتأهب لمرافقة الشمّاسات الأربع. وفي الوقت نفسه قام باتصالات بالعديد من الجمعيات النسائية الألمانية والبريطانية والروسية داعياً إياها للمساهمة في دعم المشروع. ولهذا تأسست في برلين «**جمعية صهيون**»[٨] Zionsverein. وفي آذار العام نفسه وقّع فليدنر وغوبات عقداً تعهد الأخير بموجبه دفع مرتبات الشماستين المخصصتين للرعاية الصحية وقدره ٤٠ جنيها استرلينيا لكل واحدة سنويا[٩]. أما الشماستان الأخريان المختصتان بالتعليم فتحملت جمعية الكيزرزفرت في دوسلدورف نفقات إقامتهما. وبعد مرور شهرين على الاتفاق وصل فليدنر والشماسات الأربع الى القدس وأسس مستشفى ومدرسة للبنات في منزل على جبل صهيون بالقدس كان يوجد فيه أيضا النزل البروسي[١٠].

وبعد مرور ٥٠ عاما على هذه البداية المتواضعة تطور عمل رهبنة الدياكونيس ليشمل ١٥ محطة تبشيرية تضم مدارس، مستشفيات، ندوات تعليمية ومؤسسات خيرية تعمل فيها ما يزيد عن ١٠٠ شمّاسة[١١].

٢ ـ مستشفى الكيزرزفرت:

بداية النشاط: في الطبقة العلوية لمنزل ضم غرفتين، واحدة للرجال والأخرى للنساء تتسع لـ ٨ ـ ١٢ سريراً الى جانب صيدلية صغيرة، أفتتحت

شماسات الكيزرزفرت في القدس عام ١٨٥١ مستشفى مجانيا لجميع الطوائف والجنسيات[١٢]، أطلق عليها السكان المحليون اسم «**المستشفى البروسي**». وقد عهد بالعناية الطبية الى مجموعة من أطباء المستشفى الانكليزي وهم مك غاون Macgawon وشابلن Chaplin وفرانكه Franke. وابتداء من عام ١٨٦٦ أصبح للمستشفى طبيبه الألماني الخاص وهو الدكتور ساندرسكي Sandreczky. وبعد عام ١٨٧٦ حل محله الطبيب هوفمان Hoffmann، كما ازداد عدد الشماسات العاملات فيه[١٣].

ومع أن بداية نشاط الشماسات على الصعيد الطبي قد توافق مع افتتاح مستشفى كاثوليكي في القدس، لكن ذلك لم يسبب أية منافسة للمستشفى البروسي. ففي السنة الأولى تمت معالجة ٤٦ رجلاً و٣٢ إمرأة. وتبعا للطوائف فقد كانوا ١٤ بروتستانتيا ألمانيا، ٣ من الكاثوليك، ٩ من اليهود وبعض الأحباش والإيطاليين والروس. واللافت هنا وجود ٥ مسلمين فقط بين مرضى المستشفى[١٤].

نشاطات الشمّاسات بين المسلمين: على ما يبدو فإن تدني أعداد المسلمين المعالجين في المستشفى كان يعود إلى أسباب نفسية عند الفريقين، المرضى المسلمين والشمّاسات. ورغم أن تقريراً لجمعية الكيزرزفرت ذكر مجانية التطبيب لجميع الطوائف، إلا أن تقريراً آخر للجمعية وصف المسلمين وخاصة الفلاحين منهم «**بالفوضويين والقذرين**» وجعل من ذلك سبباً في عدم معالجتهم[١٥]. وفوق ذلك لعب سوء الثقة الطبيعية للمسلمين تجاه المؤسسات المسيحية الأجنبية وخاصة البروتستانتية دوراً بارزاً في هذا المجال. وهذا ما دفع المسلمين ـ بسبب رفض الشماسات فتح أبواب المستشفى أمامهم ـ إلى نعت المستشفى بشتى النعوت[١٦].

والواقع أن حاجة المسلمين في القدس وضواحيها إلى مستشفى كانت شديدة، إذ تذكر التقارير المعاصرة وجود مستشفى عثماني واحد في القدس مقابل ٩ أخرى أجنبية تملكها الإرساليات. وطبيعي أن يتجنب المسلمون هذه المستشفيات وبالتالي مستشفى الشمّاسات. وبعد فترة أدركت شماسات الكيزرزفرت حاجة المسلمين الماسة الى العناية الصحية ورأت أن افتتاح قسم لهم في مستشفاهن سوف يفيد السكان المسلمين على الصعيد الصحي ويفتح

بالتالي الباب أمام تنصيرهم. وبالفعل افتتح القسم في عام ١٨٥٥[١٧] وأخذت أعداد المرضى المسلمين ترتفع منذ ذلك الحين، وثمة دلائل على أنهم تلقوا عناية حسنة خلال إقامتهم في المستشفى[١٨]. وفي هذا الصدد يذكر أحد المبشرين التابعين لإرسالية اليهود أن «**المستشفى البروسي قد رعى المحمديين أكثر من أية مؤسسة مسيحية أخرى**»[١٩]. وعلى ذمة تقرير لجمعية الكيزرزفرت قول أحد المسلمين «**إن نشاط الشماسات بين المسلمين هو بمثابة انتصار للمسيحية على الإسلام**»[٢٠]. ويضيف ذلك التقرير أن رجال الدين المسلمين والصوفيين كانوا من بين مرضى المستشفى[٢١].

وسرعان ما نما المستشفى وبلغ عدد مرضاه ٢٤٦ في نهاية العقد الأول (١٨٦٠) بينهم ١٠٦ من المرضى المسلمين[٢٢]. وارتفع العدد الاجمالي في نهاية الستينات الى ٥٧٠ مريضا، بينهم ٣٤٦ من المسلمين[٢٣]. وفيما المسلمون شكلوا أكثرية المرضى (٦٠٪) كان الأرثوذكس هم الغالبية المسيحية بين مرضى المستشفى. والى جانب رعاية المرضى داخل جدران المستشفى، كانت الشماسات يزرن المرضى بانتظام في منازلهم ويزودونهم بالأدوية[٢٤].

توسيع المستشفى: نتيجة لتفانيهم في خدمة المرضى استطاعت الممرضات الشمّاسات أن تكسبن سمعة حسنة لدى مختلف الطوائف. وهذا مما جعل المستشفى يكتظ بالمرضى، بحيث لم تعد الغرفتان تكفيان. وفي مرحلة أولى تم بناء غرفتين إضافيتين على سطح المنزل، مما رفع عدد المرضى المعالجين سنوياً إلى ١٠٠. وفي مرحلة ثانية، عندما تبين أن المبنى الموسع لا يفي بالغرض، اقترح روزن القنصل البروسي في القدس، على الشماسات تشييد بناء جديد في حديقة المنزل[٢٥]. وفي بداية الأمر رفضت السلطات العثمانية إعطاء رخصة بناء استنادا الى مرسوم سلطاني يقضي بتشييد أبنية جديدة عند مسافة معينة خارج مدينة القدس. ولكن بعد توسط القنصل البروسي في الموضوع أمكن تذليل العقبات[٢٦]. وفي عام ١٨٦٠ انتهى تشييد المبنى الجديد وكان عبارة عن طبقتين، خصصت الأولى للمرضى الرجال وتألفت من غرفتين ضمت كل واحدة ١٢ سريراً، فيما خصصت الطبقة الثانية للنساء وضمت ١٣ سريرا. وفي قسم النساء أنشىء قسم لمعالجة أمراض العيون وغرفة صغيرة للعمليات[٢٧]. وبعد عام على تشييد البناء الجديد ارتفع عدد المرضى المعالجين سنويا الى ١٥٠.

ورغم التوسع الذي شهده المستشفى، فإن قدرته على استقبال أعداد متزايدة من المرضى ظلّت محدودة. ولذا رأت الشمّاسات ضرورة إنشاء عيادة خارجية polyclinic لمعالجة المرضى الذين لا تضطرهم أوضاعهم الصحية إلى المعالجة داخل المستشفى. وسرعان ما تطورت العيادة الخارجية بحيث وصل معدل مرضاها المعالجين سنوياً خلال الثمانينات الى ٦٠٠٠ - ٨٠٠٠[٢٨] وإلى ٩٠٠٠ سنوياً خلال التسعينات[٢٩]، فضلاً عن تزويدهم بالأدوية والعقاقير.

صعوبات تعترض النشاط: حمل ازدهار مستشفى الشمّاسات معه غيرة الطوائف المسيحية الأخرى. وكما حدث مع دار الأيتام السورية فقد جرت محاولات مماثلة لتحجيم عمل الشماسات. فأخذت بعض الجهات الكاثوليكية والأرثوذكسية تسعى لطرد الشماسات من منزلهن القائم على جبل صهيون عن طريق شرائه من مالكه التركي خليل آغا. ولما كانت الشمّاسات يفتقرن إلى المال الكافي للتصدي لتلك الحملة وشراء المنزل لضمان استمرار العمل الذي بدأنه، لم يكن أمامهن سوى التوجه الى ملك بروسيا (١٨٥٣) طلباً للمساعدة. وفي هذا الخصوص كتب القس فليدنر رسالة جريئة الى الملك يقول فيها:

> «إن قنصليتكم ومستشفاكم (بالقدس) هما عبارة عن مبنيين مستأجرين، وحالما يقوم المؤجرون برد القيمة التأجيرية التي دفعناها، فإنه يمكنهم في أي وقت أن يرموا بنا الى الشارع إن كل الأمم تمتلك هنا أديرة وكنائس ونزلاً الى جانب ممتلكات أخرى باستثناء الجماعات التي تخضع لحمايتكم. امتشق إذا سيفكم باذنه تعالى! واستعمله لمصلحة الحقيقة الإنجيلية! وسوف تنتصر باذنه. ولكن لا تتأخر أو تتلكأ، يا أعز الملوك! وإلا فمن الممكن حدوث تبدلات بسهولة من جرّاء عوامل دنيوية تعرقل هذه الفرصة المناسبة. نرجو من الله أن يقوي إيمانكم لأجل القرار الحازم والصلب»[٣٠].

ولكن الملك فريدريك وليم الرابع قرر التريث لعل جمعية الكيزرزفرت تتلقى تبرعات وهبات تمكنها من شراء المنزل دون تدخله الشخصي. لكنه وجد نفسه في آخر الأمر عام ١٨٥٦ مضطراً إلى التدخل ومنع بعض الجمعيات الكاثوليكية والأرثوذكسية من امتلاك المنزل، وقرر شراء العقار بـ ١٣ ألف تال (٢٥٠ ألف قرش). وفي الوقت نفسه، أي بعدما سدد ملك بروسيا ثمن العقار من ماله، وصلت إلى جمعية الكيزرزفرت التبرعات المنتظرة. وقد مكن هذا

الكيزرزفرت من شراء قطعة أرض خارج بوابة يافا في القدس، حيث بنت عليها بعد ذلك مدرسة للبنات[٣١].

ومنذ السبعينات بدأت طوائف أخرى تقتدي بالشماسات وتؤسس المستشفيات[٣٢]، مما سبب تراجعاً في أعداد مرضى المستشفى البروسي[٣٣]. وسبب ذلك أن مستشفيات أخرى أخذت تستقبل المرضى المسلمين، الذين طالما شكلوا غالبية مرضى المستشفى الألماني. ومعلوم أيضا أن مستشفيين ألمانيين آخرين في القدس كانا يعملان بنشاط بين المسلمين[٣٤]. وكان عدم تجهيز المستشفى البروسي بالأجهزة الفنية الحديثة قياساً إلى المستشفيات التي أنشئت، إضافة إلى موقعه في منطقة غير صحية، كان لهما آثار سلبية على نشاطه. واستناداً إلى تقرير لمجلة «**صديق الفقير والمريض**» - Armen - und Kranken - freund لعام ١٨٩٠، فان ضيق المستشفى اضطر الإدارة إلى جعل بعض المرضى يفترشون الأرض[٣٥]. وأخيراً فإن إنشاء مستشفيات من قبل الكاثوليك والأرثوذكس شكّل تحدياً للمستشفى البروسي[٣٦].

مساعٍ لبناء مستشفى حديث: مع الوقت أخذت مسألة إنشاء مستشفى جديد تطرح نفسها باستمرار. وكانت جمعية الكيزرزفرت تدرك أهمية ذلك ولكن افتقارها إلى المال وارتباطها بمشاريع أخرى جعلها تقف عاجزة. ولم يكن متوقعاً أن تقدِّم جمعية بيت المقدس، التي كانت أنشئت بغية دعم النشاطات التبشيرية الإنجيلية في فلسطين، أي مساعدة في هذا الخصوص، إذ هي نفسها كانت تواجه صعوبات مالية[٣٧]. كذلك لم تكن الحكومة الألمانية خلال عصري وليم الأول ووليم الثاني على ما يبدو على استعداد لتحمل نفقات بناء مستشفى جديد، رغم الصيت الذي قد يجلبه ذلك لألمانيا.

وبذلك لم يجد كارل شليشت Karl Schlicht، راعي الجماعة البروتستانتية الألمانية في القدس، أمامه سوى أخذ المسألة على عاتقه فشكل في عام ١٨٨٨ من شخصيات دينية في بروسيا وألمانيا «**لجنة لجمع التبرعات وإقامة بناء جديد لمستشفى الشماسات في القدس**»[٣٨] مهمتها الاتصال بجمعيات وسلطات كنسية ألمانية لجمع المال اللازم لعملية البناء.

وفيما اللجنة كانت تقوم بجمع التبرعات كانت الشماسات يبحثن عن

قطعة أرض مناسبة للمستشفى الجديد. وبواسطة الصيرفي فروتيغر Frutiger، وهو مبشّر سابق لجمعية كريشونا[٣٩]، عثرن على قطعة أرض مساحتها ١٢٩٦٦م٢ وثمنها ٦٨٥٠٠ مارك. ولكن بعض اليهود دخلوا على الخط منافسين للشماسات في شراء الأرض قبل أن تكون اللجنة قد جمعت كامل المبلغ[٤٠]. ولكن فروتيغر أقرض الشمَّاسات ما احتجنه من مال[٤١]، فأمكنهن التغلب على المنافسة اليهودية وشراء الأرض وتسجيلها على إسم رئيسة الشمَّاسات[٤٢]. وبفترة قصيرة بلغت التبرعات التي صبَّت في صندوق اللجنة ٢٢٢٦١١ ماركاً[٤٣]. ومع ذلك ظلَّت الكيزرزفرت تحتاج إلى ٦٤٥٠٠ مارك للبدء في مشروع البناء. وبإيعاز من الراهب شيليت باعت الشمَّاسات الى البطريركية المارونية منزلها على جبل صهيون بمبلغ ٥١٦٠٠ مارك[٤٤]، وبذلك أصبحت جمعية الكيزرزفرت في وضع مكّنها من البدء في البناء.

وبتدشين المستشفى الجديد عام ١٨٩٤ والذي اتسع لـ ١٠٠ سرير تكون الكيزرزفرت قد امتلكت ٤ مستشفيات في الشرق الأدنى: في الآستانة منذ عام ١٨٥٢، والاسكندرية منذ عام ١٨٥٧، وفي القاهرة منذ عام ١٨٨٤. وإضافة إلى ذلك كانت الشماسات يعملن منذ عام ١٨٦٧ في المستشفى البروسي في بيروت[٤٥]. وفي العقد الأول للقرن الحالي بلغ عدد المرضى المعالجين سنويا في مستشفى الكيزرزفرت بالقدس نحو ١٠٠٠ مريض وفي العيادة الخارجية ما يربو على ١٠ آلاف، نصفهم من المسلمين[٤٦].

٣ ـ مدرسة البنات «طاليطا قومي»:

أولى نشاطات الشماسات التعليمية: بعد يومين على افتتاح مستشفاهن في أيار عام ١٨٥١ بدأت الشمَّاسات في منزلهن بتعليم بنات الجماعة الانجيلية الألمانية في القدس، وكذلك فتيات عربيات، بعدما اشترت فتاة عربية سوداء بمبلغ ٥٦ تالاً[٤٧]. وبسبب قلة أفراد الجماعة الإنجيلية الألمانية بالمدينة، ظل عدد التلميذات محدوداً. وهذا ما دفع الشماسات إلى التدريس في مدرسة المطرانية، حيث كن يدرسن الإنكليزية والألمانية والخياطة والحبك في الفترة ما بعد الظهر.

في عام ١٨٥٣ وصلت القدس شمَّاسة ثالثة للقيام بأعباء التعليم، وهي الراهبة شارلوطة بلتز Charlotte Pilz، التي أشرفت على نشاط الشماسات في

القدس قرابة نصف قرن وطبعت العمل هناك باسمها، حتى أطلق السكان على مدرسة البنات إسم «**مدرسة شارلوطة**»[٤٨].

بتوقف مدرسة المطرانية الإنجيلية عن العمل في عام ١٨٥٦ ازدادت تبعاً لذلك مهام الشمّاسات، حيث تحولت إليهن تلميذات المدرسة وارتفع عدد التلميذات من ١ في عام ١٨٥٣ إلى ٣٣ في عام ١٨٥٧، بينهن ٢٢ فتاة كن يعشن داخل المدرسة. ويظهر أن هذا العدد كان كبيراً قياساً إلى مساحة منزل الشمّاسات. ولم يتم التغلب على هذه المشكلة رغم توسيع المدرسة باستخدام غرف النزل البروسي بعد انتقاله إلى مكان آخر[٤٩]. وفي عام ١٨٥٨ اضطرت الشمّاسات إلى عدم استقبال تلميذات جديدات. ولكن بانتقال المستشفى البروسي في عام ١٨٦٠ إلى مبناه الجديد في حديقة المنزل، تحول منزل الشمّاسات بكامله إلى مدرسة فارتفع عدد التلميذات إلى ٤٠، بينهن ١٤ تلميذة غير داخلية[٥٠].

إنشاء مدرسة طاليطا قومي: مع الوقت اكتسبت مدرسة الشماسات سمعة طيبة. ولكن ازدياد عدد التلميذات وقدرة المدرسة المحدودة على الاستيعاب وقيامها في مبنى ملاصق للمستشفى، جعل جمعية الكيزرزفرت تقرر تشييد مبنى جديد للمدرسة على قطعة الأرض المشتراة في عام ١٨٦٠ والمسماة «ربوة غوتفريد» Gottfriedhôhe على إسم الفارس الصليبي غوتفريد فون بويلون Gottfried von Bouillon[٥١]. وهذه الأرض كانت تستخدم حتى ذلك الوقت منتجعاً صيفياً للشمّاسات والتلميذات. واختير للمدرسة اسم «طاليطا قومي». وهذه الكلمة الأرامية وردت في إنجيل مرقص ٥، ٤١، حيث ذكر أن المسيح قد أعاد فتاة ميتة إلى الحياة من جديد بعدما ناداها قائلا «**قومي أيتها الفتاة**». وكان اختيار هذا الاسم للدلالة على مهام الشماسات في مساعدة المرأة العربية على النهوض الاجتماعي[٥٢]. واستغرق بناء المدرسة حتى عام ١٨٦٨ وقد نفذه المهندس الراهب شيك. وفي عامي ١٨٧٩ و١٩٠١ شهدت المدرسة توسيعات جديدة في الأبنية.

وفي ٢٧ كانون الثاني ١٨٦٨ انتقلت الشمّاسات إلى المدرسة الجديدة المؤلفة من طبقتين مع ٨٩ فتاة، بينهن ٤ فتيات مسلمات. وحتى ذلك التاريخ كانت الشمّاسات قد قمن بتربية ١٧١ فتاة قضت معظمهن داخل الدار فترة ما

بين ٦ و٧ سنوات. كذلك ارتفع عدد الفتيات اللواتي يتلقين العلم سنوياً إلى ١١٠، فيما وصل عدد الشمّاسات المعلمات إلى ٧[٥٣]. وبعد مرور ٣٥ عاماً على إنشاء مدرسة الشمّاسات بلغ إجمالي عدد الفتيات اللواتي استقبلتهن الدار ٥٢٣ فتاة: ٣٠٦ فتيات أرثوذكسيات، ٩٢ بروتستانتيات، ١٩ يهوديات، ١٣ أرمنيات، ٨ قبطيات، ٣ حبشيات و٥٥ فتاة مسلمة[٥٤]. وهذه الإحصائية تظهر كيف أن المدرسة التي تأسست أصلاً لخدمة فتيات الجماعة الإنجيلية الألمانية واليهود المنصرين تحولت مع الوقت إلى مؤسسة لتعليم المرأة العربية في فلسطين.

نشاط الشماسات بين الفتيات المسلمات: سعت الشمّاسات منذ البداية إلى أن يشمل نشاطهن الفتيات المسلمات خارج أبواب الدار. وقد تمَّ لهن ذلك عندما عهد أحد الأتراك الأغنياء إليهن في عام ١٨٦٧ إدارة مدرسة للبنات أسسها في الحي التركي بالقدس. وبسبب انشغالهن في مدرستهن خصصت الشماسات فترة ما بعد الظهر لتعليم الفتيات المسلمات الأشغال اليدوية والمنزلية. وسرعان ما تمكّن من توطيد علاقتهن بالفتيات وأسرهن وأخذن يدرسن التعاليم الدينية المسيحية وهن يأملن في تنصيرهن في المستقبل[٥٥].

مناهج التعليم: كان التدريس يتم في ٣ صفوف، وفي ٤ بعد ذلك. ومن الصعوبات التي اعترضت نشاطهن اضطرار الشمّاسات إلى التعليم بثلاث لغات، الإنكليزية والألمانية والعربية. وعندما استقبلت الشماسات فتيات اسبانيات اضطررن إلى التدريس باللغة الاسبانية عن طريق ترجمان[٥٦]. وكانت اللغة العربية هي لغة التدريس في الصفوف التمهيدية، فيما الألمانية كانت في الصفوف العليا.

وانقسمت مواد التدريس إلى ثلاثة فروع: الأول، تعليم اللغات، الجغرافيا، التاريخ والعلوم الطبيعية[٥٧]، والثاني، أشغال يدوية، والثالث أشغال منزلية بتوجيه إحدى التلميذات القديمات وإشراف الشماسات[٥٨]. وبهذه المناهج كانت الشمّاسات يأملن في تخريج نساء عربيات متعلمات مثقفات.

فوق ذلك كانت الفتيات يتلقين تعليماً دينياً بإشراف راعي الجماعة

البروتستانتية الألمانية في القدس. وكان الكتاب المقدس والقصص الدينية هي مواد التدريس. وفي رواية القصص الدينية كانت اللغة العربية تستخدم في الصفوف التمهيدية إضافة إلى صور دينية بغية تعميق التلميذات في المضمون الديني[٥٩].

تطوُّر المدرسة في بداية القرن الحالي: وانسجاما مع سياستها التبشيرية والإنسانية[٦٠] استقبلت الكيزرزفرت في عام ١٨٩٧ إسوة بمؤسسات تبشيرية ألمانية أخرى، أرمنيات يتيمات بمدرستها بالقدس مما رفع أعداد التلميذات في السنة إلى ١٤٠[٦١]، تشرف عليهن ٩ شمَّاسات. وبنهاية القرن كانت أكثر من ١٠٠٠ فتاة قد تخرجن من طاليطا قومي، بعضهن امتهنَّ التعليم في سوريا وفلسطين رغم ما اعترضهنَّ من عراقيل[٦٢]. أما الأخريات فأصبحن شماسات أو راهبات تحت التجربة وعملن في مستشفيات الكيزرزفرت ومؤسساتها في الشرق الأدنى. وبعضهن عملن كخادمات أو مربيات لدى عائلات أوروبية. ولكن معظم الخريجات وجدن طريقهن إلى الحياة الزوجية والأمومة[٦٣].

٤ ـ التعليم الإنجيلي والأهداف التبشيرية:

النشاط الاجتماعي ونشر البروتستانتية: لا شك في أن العمل الاجتماعي للارساليات الألمانية كان وسيلة فعالة من وسائل الاختراق للمجتمع الفلسطيني. «**فالعمل بين مختلف فئات المرضى والفقراء وبين الأطفال والأولاد والمساجين، وكذلك تعليم الفتيات وتوجيههن لخدمة تلك الفئات**» كانا يوفران الأرض الخصبة لنشر أفكار الإرساليات ومعتقداتها[٦٤].

وبعدما بدأت عملها في فلسطين وجدت الإرساليات الألمانية نفسها تجابه تحديات وظروفاً تختلف عن تلك في ألمانيا. ففيما هدف نشاطها داخل ألمانيا دعم الإيمان المسيحي عند الألمان[٦٥]، اختلف الوضع في المجتمع الفلسطيني، وهو مجتمع تكثر فيه الطوائف الدينية ويخضع لسلطة إسلامية. فهنا في فلسطين قام المسلمون والطوائف المسيحية والأرثوذكسية خاصة بالدفاع عن مراكزهم التقليدية ضد سياسة الاختراق التبشيرية البروتستانتية. ولهذا رأت الإرساليات الألمانية البروتستانتية الابتعاد عن التنصير المكشوف والعمل بمفهوم الشمولية أو العالمية المسيحية بتقديم خدمات اجتماعية حياتية للسكان المحليين وكسب

الأتباع من بينهم وزرع الإيمان في قلوبهم. ولهذا كان العمل الاجتماعي بجوانبه المتعددة خطوة هامة وأساسية في إنجاح التنصير ونشر البروتستانتية.

تعليم المرأة: وتمحور نشاط الشمَّاسات الاجتماعي في العمل الموجه الى المرأة أكثر منه إلى الرجل. وفي هذا الإطار وظفت الشماسات العنصر النسائي في التنصير لإدراكهن أهمية «**تنصير المرأة عبر المرأة**». وكان تعليم المرأة في فلسطين بدأ قبل منتصف القرن التاسع عشر، رغم أن الاهتمام كان منصباً على تعليم الذكور أكثر من الإناث. فحتى دخول شمَّاسات الكيزرزفرت إلى بيت المقدس عام ١٨٥١ لم يكن في المدينة سوى مدرستين للإناث. واحدة تخص الإرسالية اليهودية وتقتصر على الفتيات اليهوديات، والأخرى تابعة للكنيسة الكاثوليكية[٦٦]. وعندما بدأت شماسات الكيزرزفرت باستقبال الفتيات في منزلهن وتعليمهن وجدت الكنائس القديمة نفسها مضطرة الى الدفاع عن مواقعها ضد سياسة الاختراق البروتستانتية ومحاولة للشمَّاسات استقطاب عناصر من أتباعها. فقامت الكنيسة الكاثوليكية ما بين عامي ١٨٦٥ و ١٨٧٨ بافتتاح أربع مدارس للإناث. أما الكنيسة الأرثوذكسية فافتتحت لها مدرسة للبنات في عام ١٨٦٢، كما أقيمت مدرسة أرمنية من قبل الكنيسة الأرمنية في عام ١٨٦٦. ورغم بروتستانتيتها قامت جمعية التبشير الكنائسية بإنشاء مدرسة لها في عام ١٨٧٠ إذ رأت في نشاط الشمَّاسات تحدياً لجهودها التبشيرية أيضاً[٦٧]. وبذلك حرَّكت سياسة الشماسات التربوية المنافسة بين الطوائف المسيحية ودفعت العمل الثقافي بين الإناث إلى الأمام.

والواقع أن العمل بين النساء العربيات والمسلمات كانت له معانيه العميقة. فقد كان يهدف أساسا الى «**تحرير المرأة العربية الجاهلة المهملة والمضطهدة من عزلتها الاجتماعية التقليدية ومن عبوديتها المهينة**»[٦٨]. ولهذا رأت الشماسات في **حجاب المرأة المسلمة إذلالاً لكرامتها** فحثتها على نزعه كخطوة أولى نحو حريتها الشخصية والاجتماعية. وطبقاً لقناعات الشماسات فإن **التعليم والعمل** لا يشكلان إهانة للمرأة العربية[٦٩]، بل «**خطوة حاسمة لتحسين دورها كزوجة وأم**»[٧٠]. ولكن هذه السياسة فهمت من قبل السكان المسلمين على انها ضربة لأسس المجتمع الاسلامي، خاصة ان الشماسات، وضعن تلميذاتهن ضمن هذا الهدف[٧١].

مسألة تغريب التلميذات: إن تعليم المرأة العربية وتشجيعها على العمل كانت خطوة «**تقدمية**» لو لم تربط الشماسات سياستهن التربوية بتغيير أسس المجتمع الإسلامي في فلسطين وتغريب westernization الفتيات في تقاليدهن ومعتقداتهن وتنصيرهن على المذهب البروتستانتي.

وبالطبع كانت الشماسات يؤكدن دوماً أنهن لا يردن **تنصير الفتيات ولا تغريبهن** عن واقعهن الاجتماعي، وإنهن يرغبن فقط في تعليم المرأة العربية وتربيتها مسيحياً وإكسابها مهنة تنفعها في حياتها العائلية[٧٢]. لكنهن رأينا استحالة تحقيق هذا الهدف طالما أن الفتيات باقيات على علاقة وثيقة بعائلاتهن ومجتمعهن. ولذلك حوّلت الشماسات مؤسستهن التعليمية إلى «**مجتمع مسيحي مغلق**»، للتقليل من الاتصال بين الفتيات والمجتمع الخارجي[٧٣].

ولكن التجربة أثبتت أن ابتعاد التلميذات فترة أطول عن المجتمع الخارجي جعل تأثير التربية المسيحية عليهن أقوى وأعمق أثراً. وهذا حمل معه مشكلات التغريب، خاصة عندما كانت الفتيات يقضين الإجازات والأعياد وسط عائلاتهن[٧٤] ثم يعدن من جديد إلى أجواء التربية المسيحية الغربية، فكانت تنشأ أوضاع صعبة. ولهذا عمدت الشماسات إلى تقصير أيام الاجازات والأعياد قدر المستطاع وإجبار أولياء التلميذات أو الأوصياء عليهن على توقيع عقود مع المؤسسة برعاية القنصلية البروسية أو الألمانية يتعهدون فيها إبقاء التلميذات داخل الدار فترة قد تصل إلى ٧ سنوات[٧٥].

ولكن سياسة الشماسات هذه كثيراً ما أدت إلى نزاعات مع العائلات العربية. ففي السن ١١ - ١٢ وهو سن الزواج في الشرق عموماً في تلك الفترة، أي في السن الذي لا تكون الفتاة فيه قد أنهت دراستها في المدرسة التبشيرية ولا تكون قد طبعت بعد بالتربية المسيحية، كان الأهالي يحاولون استرجاع بناتهم من دون الاكتراث لتنفيذ العقد مع الشماسات. وقد أدى هذا إلى نزاعات قضائية بين الشماسات والأهالي غالبا ما كانت تحسم - رغم دعم القنصلية الألمانية للشماسات - لمصلحة الفريق الثاني كونه يتلقى دعماً من محيطه الإسلامي ومن السلطات العثمانية المحلية ويستطيع في أي وقت أن يوجه التهمة إلى الشماسات بأنهن حولن مدرستهن إلى مركز للتنصير[٧٦].

ورغم تأكيد الشماسات الدائم أنهن لا يبتغين تنصير الفتيات المسلمات أو إجبارهن على ذلك من دون موافقة أهاليهن[٧٧]، لكنهن لم يقصرن في تنصير التلميذات «**المؤمنات**» بالعقيدة البروتستانتية. ولما كان التعليم في المدرسة غير مقتصر على العلوم العامة، بل شمل العلوم الدينية أيضاً، فقد أوقع هذا التعليم الشماسات في تناقض مع ادعاءاتهن أنهن لا يردن تغريب الفتيات عن معتقداتهن ومجتمعهن. ويفترض أن الشماسات أدركن عواقب تنصير الفتيات المسلمات اللواتي أولياؤهن على قيد الحياة. ولهذا عمدن الى **استقطاب فتيات يتيمات** لا جذور عائلية لهن وسعين بكل قوة الى تنصيرهن وتربيتهن تربية مسيحية إنجيلية[٧٨]. فكن يمنعن من الصوم خلال شهر رمضان لأنه «**عديم الفائدة**»[٧٩]. كما كان يطلب منهن الصلاة ليسوع وحده، لأن «**الصلاة لمحمد خطيئة**»[٨٠]. وبصمت وبهدوء تمكنت الشماسات من تنصير عدد من التلميذات اليتيمات. ولتجنب أي إشكال مع السلطات العثمانية ومع السكان المسلمين كانت الفتيات المنصرات يحصلن على أسماء مسيحية وتؤمن لهن أعمال لدى عائلات أوروبية في مناطق أخرى بعيدة عن مكان إقامتهن السابق، أو تقدَّم إليهن أعمال في مؤسسات تبشيرية في الشرق الأدنى[٨١]. وبهذه الوسيلة كانت الشماسات يحققن هدفين: تنصير الفتيات ومن ثم نزعهن من بيئتهن وزرعهن في بيئة أخرى.

ولما كان عدد التلميذات الأرثوذكسيات في المدرسة كبير[٨٢]، فقد كان تأثير التبشير الإنجيلي عليهن أقوى وأشد. ولكن تلقين الفتيات الأرثوذكسيات التعاليم الإنجيلية كان يشكل خطراً على نفوذ البطريركية الأرثوذكسية[٨٣]، التي حاولت بكل وسائلها أن تحافظ على قبضتها على رعيتها ومجتمعها. وتورد مجلة جمعية بيت المقدس «**أحدث الأخبار من الشرق**» الحادثة التالية للدلالة على تضارب مصالح الكنيسة الأرثوذكسية مع التبشير الانجيلي للشماسات، فتذكر أن إحدى التلميذات الأرثوذكسيات في مدرسة طاليطا قومي انتقلت بموافقة أهلها الى المذهب البروتستانتي. وهذه الحادثة لم تؤد إلى نزاع مع عائلة الفتاة التي تراجعت عن موافقتها السابقة بضغط من الاكليروس الأرثوذكسي فحسب، بل إلى مجابهة مباشرة بين الشماسات والكنيسة الأرثوذكسية أيضا[٨٤]. وفيما البطريركية الأرثوذكسية حصلت على دعم السلطات العثمانية، وقفت الشماسات

وحيدات عاجزات ولم يحصلن حتى على تغطية من القنصلية الألمانية في القدس[٨٥] لأن الأخيرة كانت ترى ضرورة عدم التدخل في المسألة لكون الفتاة أرثوذكسية المذهب وعثمانية الجنسية[٨٦]. وبعد حكم قضائي لمصلحة البطريركية الأرثوذكسية أعادت الشمَّاسات الفتاة إلى ذويها. وقد عزا هرمان فيسر Hermann Weser راعي الجماعة الانجيلية الألمانية في القدس، خسارة الشمَّاسات للقضية إلى عدم اهتمام القنصل الألماني كارل فون ألتن Karl von Alten الكافي لحقوق الإرسالية الإنجيلية. وهذا المعنى قدَّم فيسر إلى وزارة الشؤون الروحية في برلين شكوى ضد ألتن[٨٧].

ومنذ البداية كان عدد التلميذات المسلمات في طاليطا قومي قليلاً، فيما عدد المرضى المسلمين المعالجين في مستشفى الشماسات بلغ ٢/٣، وهي نسبة تعادل تسعة أضعاف تلميذات طاليطا قومي المسلمات. وأسباب ذلك لا تنحصر في إحجام العائلات الإسلامية عن تعليم بناتها عموماً فحسب[٨٨]، بل قبل أي شيء إلى خشيتها أيضاً من سياسة التنصير المتبعة في المدرسة والتي تتعارض مع أحكام الشريعة الإسلامية وممنوعة طبقاً للقوانين العثمانية[٨٩]. إضافة إلى ذلك كانت العائلات الإسلامية ترى في العقود مع مدرسة الشمَّاسات وبقاء بناتها في المدرسة فترة تحددها الشمَّاسات ومشاركة التلميذات المسلمات في تلقي الدروس الدينية إضراراً بايمان أولئك الفتيات[٩٠]. وعلى عكس ذلك كانت إقامة المريض المسلم في مستشفى الشمَّاسات غير محددة بعقد أو بفترة زمنية معينة. ولذا خشيت العائلات الإسلامية مدرسة الشمَّاسات وذهبت حين الحاجة بلا خوف إلى مستشفاهن.

التطبيب والتبشير: ولكن التجربة أثبتت أن الشماسات لم يتأخرن عن استغلال أية مناسبة في سبيل تنصير مرضاهن المسلمين. ففي المستشفى كان يوجد رجل دين عربي للقيام بالقداس وتلاوة الانجيل. وفي هذه الأجواء كان كثير من المرضى المسلمين يشاركون في القداس للمحافظة على علاقة حسنة بإدارة المستشفى، وبالتالي على أسرتهم في المستشفى. ومن شاء من المرضى المسلمين عدم المشاركة في القداس كان يسمح له بمغادرة المكان. وفي محاولة لوضع المسلمين في أجواء مسيحية، كانوا يوضعون في غرف تضم مرضى

مسيحيين متدينين لزيادة الاتصال بين الفريقين وبالتالي تسهيل عملية إقناع المسلمين بالمعتقدات المسيحية[٩١]. كذلك لعبت **«العناية والرعاية الحنونة»** للشماسات المرضات دوراً كبيراً في تغريب المرضى المسلمين. ويذكر ناشر مجلة **«أحدث الأخبار من الشرق»** أن بعض المسلمين أصبحوا بعد فترة من إقامتهم في المستشفى مقتنعين بأن ما يحدث داخلها هو الايمان الصحيح وأن **«المسيح يهب قوة حياة أقوى من تلك التي يهبها محمد»**[٩٢]. وفي ندائه لدعم نشاط مؤسسته أكد يوليوس ديسلهوف Julius Disselhoff، مدير جمعية الكيزرزفرت، إن المستشفى هي حقل تبشيري هام **«وأن عددا كبيرا منهم (المسلمين) تأثروا بعمق (بالمعتقدات المسيحية الإنجيلية) وأن بعض الذين اقتنعوا تماماً تنصروا وحصلوا على العمادة وأن أحد المنصَّرين، وهي إمرأة، تعمل حالياً كمبشِّرة بين جماعتها»**[٩٣].

موقف المسلمين والسلطات العثمانية من التعليم والتبشير:

ورغم ادعاءات ديسلهوف عن نجاح التنصير في المستشفى، إلا أنه لا توجد قرائن ثابتة في هذا المضمار. فأصداء التنصير كانت تنتقل بسرعة بين السكان المسلمين وتصل إلى آذان السلطة العثمانية. وفي بعض الأحيان اتسم الرد العفوي للمسلمين بالعنف. فإثر تنصير أحد الشبان المسلمين في المستشفى عام ١٨٥٩ هاجم السكان المسلمون القنصلية البروسية في القدس وألحقوا بها الأضرار. كما قتل والد الشاب المُنَصَّر. أما الشاب المرتد نفسه فقد فر من المدينة بمساعدة المطران غوبات[٩٤]. كذلك تذكر تقارير جمعية الكيزرزفرت أن سيدة مسلمة عوجلت في المستشفى ارتدَّت إلى المسيحية عملت على تنصير ابنتها التلميذة في مدرسة طاليطا قومي. وعندما علمت السلطات العثمانية بالأمر، قامت الشماسات بتهريب الأم وابنتها إلى مصر بأسماء مستعارة[٩٥].

كما رأينا سابقاً، قوبل نشاط الشماسات التعليمي ودورهن في المدرسة التي أسسها الثري التركي استحسانا من قبل العائلات الاسلامية في بيت المقدس[٩٦]. ولكن عندما ثبت للسلطات العثمانية أن سياسة تبشيرية تكمن وراء نشاط الشماسات في مدرسة الثري التركي، قامت تلك السلطات عام

١٨٦٩ بإقفال المدرسة المذكورة، كما أمرت المحكمة العثمانية في القدس جميع العائلات الاسلامية بسحب بناتها من طاليطا قومي[٩٧]. وبافتقار مدينة القدس إلى مدرسة عثمانية للإناث فإن تلك الإجراءات لم تحد المسلمين عن إرسال بناتهم الى مدرسة الشماسات. وفي عام ١٨٧٩ ترددت أنباء عن تنصير فتاة مسلمة يتيمة في طاليطا قومي وأنها نقلت إلى لبنان لفترة وعادت مجدداً إلى فلسطين باسم مسيحي. وفي الوقت نفسه تمكنت الشماسات من تنصير فتاتين مسلمتين أخريين. وهذا ما دفع والي القدس ومفتيها إلى فتح تحقيق في المسألة. ورغم ان الاجراءات العثمانية كانت دوما تأتي متأخرة عن موعدها، فقد صدر في عام ١٨٨٤ أمر عن السلطات المحلية الى طاليطا قومي يقضي بعدم استقبال أية فتاة مسلمة. وقررت تلك السلطات عدم قانونية العقود المبرمة بين الشماسات وأهالي التلميذات، لأنها لم يصادق عليها كاتب العدل العثماني[٩٨]. أما أولياء التلميذات المسلمات فقد هددوا بالسجن إذا ما استمروا في ارسال بناتهم الى المدرسة المذكورة[٩٩].

ولما كانت السلطات العثمانية تدرك أن تحويل الفتيات عن مدرسة طاليطا قومي لن يجدي نفعا طالما أن مدينة القدس تفتقر الى مدرسة رسمية للاناث، قامت تلك السلطات بانشاء مدرسة لهن في ١٨٨٤/١٨٨٥[١٠٠]. ولم تكن المعلمة المسؤولة عن المدرسة سوى احدى خريجات طاليطا قومي[١٠١]. وهذا في حد ذاته اعتراف عثماني غير مباشر بدور الشماسات التربوي. ومنذ عام ١٨٨٧ لم تعد تقارير طاليطا قومي المقدمة الى السلطات العثمانية تتحدث عن استقطاب فتيات مسلمات، رغم أن المدرسة لم توصد أبوابها أمام الفتيات المسلمات، وإن حدث ذلك بكتمان شديد. أما موقف القنصلية الألمانية من مسألة تنصير المسلمين وتحويل الأرثوذكس الى المذهب الانجيلي بواسطة مبشرين ألمان فظل على حاله كما مر معنا سابقا[١٠٢]، وهو عدم تقديم الدعم في مثل هذه المسائل.

التبشير وسياسة الاستقطاب خارج بوابات المؤسسة: ولم يقتصر نشاط الشماسات التبشيري على استقطاب الفتيات داخل جدران المؤسسة التربوية أو الصحية، بل تعداه الى خارجها. فمصير الخريجات ظل يشغل بالهن خصوصاً أن عودة الفتيات الخريجات الى المجتمع السابق كانت تحمل معها مخاطر ضياع

سنوات طويلة من التربية الانجيلية المسيحية. ولهذا اتبعت الشماسات سياسة الابقاء على صلات بالخريجات، أي إبقاءهن تحت التأثير الإنجيلي. وفيما دار الأيتام السورية استطاعت حل مسألة خريجيها بانشاء مستوطنات للمتنصرين، كما أسلفنا[١٠٣]، لم تستطع شماسات الكيزرزفرت إنشاء مستوطنات من خريجات الدار اللواتي تعلمن مهنة التعليم أو الخدمات الاجتماعية. كما كان قسم قليل فقط من خريجات طاليطا قومي يعشن في مدينة القدس.

ومنذ الستينات من القرن الماضي أخذت الشماسات تقمن بزيارات للمنازل في القدس وضواحيها والاتصال بنساء عربيات مسلمات وبتأسيس جمعيات خياطة ودعوة الخريجات لحفلات عيد الميلاد[١٠٤]. وفي العقد التالي تمكنت اثنتان من الشماسات من القيام بزيارات أسبوعية للمنازل. ولما كان في القدس وحدها أكثر من ١٠٠ خريجة، فقد عنى ذلك أن نصيب كل خريجة من تلك الزيارات زيارة واحدة في العام[١٠٥]. وهذا مما جعل جمعية الكيزرزفرت تخشى من أن يأتي اليوم الذي تفقد كل اتصال بخريجات الدار.

ولم يكن الوضع في المستشفى أحسن حالاً. فكلما طالت إقامة المريض داخل جدران المستشفى كان تأثير البروتستانتية عليه أشد فعالية. ولكن بعد مغادرة المريض للمستشفى كان يفقد كل اتصال به. ورغم ذلك لم تجر أية محاولة للمحافظة على علاقة ما بالمرضى بعد مغادرتهم للمستشفى[١٠٦].

وإدراكاً منه لأخطار هذه السياسة على العمل التبشيري ككل، لفت شليشت، راعي الجماعة الإنجيلية الألمانية، انتباه جمعية بيت المقدس عام ١٨٨٨ إلى مخاطر هذا التقصير على التنصير برمته. ولتصحيح هذا الخلل اقترح أن يقوم رجل دين محلي بزيارة الخريجات في منازلهن في المدينة وضواحيها وكذلك المرضى الذين سبق وعولجوا في المستشفيات الألمانية. ومن خلال تلك الزيارات، رأى شليشت، انه يمكن للمؤسسات التبشيرية الألمانية أن تمارس نفوذاً على العائلات الفلسطينية وبالتالي على مستقبل الخريجات[١٠٧]. وبتلك المقترحات وجدت الشماسات بالواقع خطوة إيجابية لتطوير فعالية نشاطاتهن التبشيرية، فرحبت بها، ولكن جمعية بيت المقدس التي أخذت على عاتقها تمويل المشروع لم تستطع فورا تأمين المال اللازم لتوظيف رجل دين عربي لمهمات المدينة[١٠٨].

ونتيجة لذلك حاولت الراهبة شارلوطة أخذ المسألة على عـاتقها . فعيِّنت شماسة ثالثة لمهمات المدينة . لكن سرعان ما تبين أن هناك صعاباً كثيرة تعترض المشروع. فالراهبات لم يستطعن اختراق الحواجز النفسية والمذهبية للعائلات والتغلغل في داخلها. وتبين أن النفوذ الإنجيلي سيظل ضعيفاً طالما أن رجال تلك العائلات يظلون بعيدين عن التأثير البروتستانتي، وأن تلك العائلات تبقى على علاقة برجال الدين التابعة لهم[١٠٩]. ورغم ما شكله هذا من سلبيات على سياسة الاستقطاب، لم تقطع الشماسات الاتصال بالخريجات. فعقدن مع دار الأيتام السورية اتفاقاً يقضي بتزويج خريجات طاليطا قومي بخريجي دار الأيتام من الذين ارتدوا الى المذهب البروتستانتي، والهدف من ذلك المحافظة على الخريجات من الضياع في المجتمع الفلسطيني.

وفي نهاية القرن الماضي تمكنت راهبات الكيزرزفرت من ايجاد وسيلة فعالة لرعاية الخريجات. ففي مناطق عديدة من فلسطين، كالرملة ورام الله واللد ويافا والقدس أقيمت شبكة من جمعيات للشابات قوامها الخريجـات أنفسهن . ولكن المصادر المتوفرة لا تتحدث عن مدى نجاح الشماسات في سياسة الاستقطاب خارج بوابات المؤسسة ، لكن يفهم من أحد التقارير أن الشماسات استطعن عام ١٩١٢ دعوة نحو ٧٠٠ خـريجة إلى حفلة عيـد الميلاد [١١٠] .

٥ ـ المسائل المالية :

في السنوات الأولى لنشاطها في القدس لم تواجه جمعية الكيزرزفرت أي صعوبة مالية. فالتبرعات التي كانت تصلها من ألمانيا وبعض الدول الأوروبية البروتستانتية إضافة إلى ٨٠ جنيهاً استرلينية التي كان غوبات يدفعها سنوياً للشماستين الممرضتين، كانت تغطي أو تزيد عن احتياجات المشروع الذي كان لا يزال صغيراً .

ففي العامين الأولين بلغت المداخيل ٩٤٦٩ تالاً والمصروفات ٨١١٢ تالاً، بمعنى أن مبلغا يـزيد عن ١٣٠٠ تـال بقي كفـائض في صنـدوق الجمعية[١١١]. ويذكر أن ٤٥٪ من هذه التبرعات جاءت من بروسيا وحدها وكانت على الشكل التالي : ٤١٣ من وزارة الشؤون الروحية، ٢٦٦ من

الملك فريدريك وليم الرابع و١٢٥٠ من «**الجمعية النسائية للتعليم المسيحي للمرأة في الشرق**»[١١٢] Frauenverein fûr christliche Bildung des weib- lichen Geschlechtes im Morgenland . وكانت هذه الجمعية قد تأسست في بداية الأربعينات من القرن الماضي بجهود وليم هوفمان Wilhelm Hoffmann على نسق الجمعيات الانجيلية التي كانت الراهبتان كـوك Cock وولسون أسستاها للعمل التبشيري في شمال الهند[١١٣].

وحمل نمو نشاط الشماسات منذ الخمسينات من القرن التاسع عشر معه مشكلات مالية للجمعية. فغوبات لم يستطع الوفاء بتعهده السابق واقتصرت مدفوعاته على راتب شماسة واحدة[١١٤]. وهذا ما جعل الجمعية تضطر الى تغطية مرتبات الشماسات الخمس والناطور، أي ما يوازي ٢٣٠٠ ـ ٢٤٠٠ تال سنويا، من خزينتها العامة[١١٥]. كذلك لم تتمكن جمعية بيت المقدس، التي كانت قد تأسست في عام ١٨٥٣، من تقديم مساعدة فعالة لنشاط الجمعية في فلسطين، اذ كانت حديثة التـأسيس وتفتقر إلى المـال. ففي السنة الأولى لتأسيسها بلغت مساعدات جمعية بيت المقدس إلى الكيزرزفرت ٧٠ تـالا فقط[١١٦]. وحتى نهاية العقد الأول على بدء الشماسات نشاطهن بلغ مجموع ما قدمته تلك الجمعية ١٥٠٠ تال[١١٧]. وهذا ما دفع الكيزرزفرت للبحث عن مصدر مالي آخر. فوجدت ذلك في «**جمعية غوستـاف أدولف**» - Gustav - Adolpf - Verein . وكانت هذه الجمعية قد تأسست في لايبزيغ Leipzig عام ١٨٤٢ لدعم الجاليات الانجيلية داخل المانيا وخارجها معنوياً ومادياً . وفي عام ١٨٩١ كانت هذه الجمعية تضم ٤٥ جمعية رئيسية و١٨٣٠ جمعية فرعية و٤٨٣ جمعية نسائية. كما بلغت مداخيلها أكثر من مليون مارك في عام ١٨٩٠[١١٨].

ورغم دعم جمعيات ألمانية نشاط الكيزرزفرت، فقد أخذت الجمعية في نهاية كل عام تواجه عجزاً مالياً في خزينة القدس، بحيث ارتفع في نهاية العقد الأول على بدء نشاطهن في القدس إلى رقم خطير. وقرابة ذلك الوقت كانت الشماسات يواجهن مشكلتين خطيرتين: مسألة شراء المنزل وبناء مستشفى جديد في حديقة المنزل. وقد بلغت كلفـة المشروعين آنذاك أكثر من ٣٤٠ ألف مارك . وبفضل المساعدات السخيـة التي قدمها ملك بروسيـا وعائلتـه ، نحو ١٧ ألف تال[١١٩]، ومساعدات من جمعية بيت المقدس وجمعية غوستاف

أدولف ورهبنة فرسان يوحنا تمكنت الكيزرزفرت من شراء المنزل وبناء المستشفى[١٢٠]. وبدعم مالي من الجمعية النسائية للتعليم المسيحي للمرأة في الشرق اشترت الكيزرزفرت قطعة الأرض خارج بوابة يافا بمبلغ ٣٥٠٠ قرش عثماني، وهي الأرض التي بنيت عليها بعد ذلك مدرسة طاليطا قومي[١٢١].

وإذا كان شراء أرض طاليطا قومي قد تم دون عقبات، إلّا أن بناء المدرسة نفسها جلب معه ديوناً على الجمعية بلغت ٩ آلاف تال، ولم تغطَّ الا عن طريق قرض من مؤسسة شبتلر[١٢٢]. ثم أن ازدياد أعداد المرضى والتلميذات[١٢٣] والغلاء ساهما في زيادة الأعباء المالية للشماسات. فمعالجة ٢٥ مريضاً وتربية ٥٠ تلميذة كانت تكاليفها تصل إلى ٦١٠٠ تال سنوياً. وبما أن المرضى كانوا يعالجون مجاناً فقد رفع هذا العجز في منتصف السبعينات إلى ١٦ ألف تال[١٢٤]. وكان الضيق كبيراً بحيث اضطرت الشماسات إلى زراعة البطاطا في حديقة المنزل وإلى الاستدانة من القنصلية البروسية لشراء القمح[١٢٥].

وعندما وصل عجزها المالي في السبعينات الى ٥٠ ألف تال قرَّرت الكيزرزفرت الاتصال برجال الصناعة الألمان والأوروبيين. وبالفعل زارت الراهبة شارلوطة أوروبا مرات عدة وقابلت أرباب المصانع في منطقة الراين وفي هولندا. ولقيت منهم كل تجاوب[١٢٦]. وآنذاك ناشد ديسلهوف، رئيس الكيزرزفرت، الجمعيات الإنكليزية لمد جمعيته بالعون[١٢٧].

وساعد صيتها الحسن لدى الرأي العام الأوروبي على تخطي الجمعية أزمتها. فقامت جمعيات ودوائر رسمية تمدها بالعون. فأحد أصدقائها تبرع بمبلغ وصل الى ١٣ ألف تال وأخذ على عاتقه نفقات ٣ أسرَّة في المستشفى. فيما رهبنة فرسان يوحنا تعهدت بتغطية سنوية لنفقات ٤ أسرَّة. كما رفعت جمعية بيت المقدس مساهمتها السنوية إلى أكثر من ٥٠٠ تال. وفوق ذلك وجد عدد من التلميذات عائلات ألمانية تكفلت بدفع نفقات إقامتهن في طاليطا قومي[١٢٨].

وفي القدس نفسها سارت الشماسات في سياسة جعل السكان المحليين يتحملون جزءاً من المسؤولية. ففي عام ١٨٨٥ فرضت طاليطا قومي على

الأهالي مبلغ ٢٠ ماركاً كرسم سنوي عن استقبال أية فتاة في الدار. وعندما تبين أن أولياء الفتيات أو الأوصياء عليهن من الفقراء المعدمين ولا يستطيعون تحمل مثل هذا المبلغ، تخلت الشماسات عن هذه السياسة[١٢٩]. ولكنها في الوقت نفسه اضطرت إلى رفض استقبال تلميذات جديدات[١٣٠].

وفي المستشفى نفسه فرضت الشماسات على المرضى رسم دخول قدره مجيدية واحدة (٤ ماركات). وفي النهاية نظر السكان باستياء إلى هذه الخطوة. لكنهم سرعان ما تقبلوها عندما أدركوا مغزاها[١٣١]. ومنذ ذلك الحين أطلق الفلسطينيون على المستشفى البروسي اسم «**المستشفى المجيدي**»، أي المستشفى الذي يتقاضى مجيدية واحدة لقاء فترة معالجة غير محددة الزمن[١٣٢].

ومع نهاية الثمانينات من القرن المنصرم نشأت مشكلة مالية جديدة لدى التفكير ببناء مستشفى حديث. وبسبب تورطها بنشاطات في الشرق الأدنى ووصول نفقاتها السنوية إلى ٥٠٠ ألف مارك، لم تكن الكيزرزفرت في وضع يسمح لها ببناء المستشفى، الذي قدّرت تكاليفه بـ ٣٠٠ ألف مارك[١٣٣]. ولكن الراهب شليشت قام بجمع التبرعات في ألمانيا وأخرج الجمعية من محنتها المالية. فوحدها الكنيسة الألمانية قدمت تبرعات وصلت أكثر من ٥٠ ألف مارك وهدايا وهبات بقيمة ٨٧ ألف مارك. كذلك باعت الشماسات منزلهن القديم بمبلغ ٥١ ألف مارك[١٣٤]. وبفضل هذه المبالغ تمكنت الكيزرزفرت من بناء المستشفى الجديد.

وقبيل نهاية القرن الماضي هبطت عائدات الجمعية في القدس إلى ١/٣ قياساً الى مثيلتها في السبعينات[١٣٥]، وذلك لكثرة الجمعيات الألمانية العاملة في الشرق الأدنى عموماً وسوريا وفلسطين خصوصاً، والتي كانت تعتمد أساساً على مساعدات تأتيها من ألمانيا. فارتفاع قيمة التبرعات التي كانت تصب في خزينة الكيزرزفرت لم تواكب أعباء الشماسات ومشروعاتها المتزايدة باستمرار. فدار الأيتام السورية والكيزرزفرت وجمعية بيت المقدس وحدها كانت تحتاج الى مداخيل تفوق الـ ٤٠٠ ألف مارك سنوياً لدعم نشاطاتها في فلسطين[١٣٦]. ورغم الأزمات المالية سارت الشماسات قدماً في مشروعاتها، إذ كانت تجد دوما مصادر مالية جديدة.

٦ ـ خلاصة :

خلاصة القول، على المرء ألا يقلل أبداً من أهمية نشاطات الشماسات في فلسطين والشرق الأدنى. فمن منزل صغير على جبل صهيون تطور العمل إلى مشروعين كبيرين: طاليطا قومي والمستشفى البروسي. وبلا ريب فإن كلّا من المشروعين قدم خدمات جلى للفلسطينيين. فحتى نهاية القرن الماضي تخرجت أكثر من ١٠٠٠ طالبة في طاليطا قومي، كما تمت رعاية ما يقل عن ٢٠ ألفاً من المرضى في المستشفى. إضافة إلى عشرات الآلاف في العيادة الخارجية.

ولعل النتيجة الأكثر عمقاً وأثراً في نشـاط الشماسات هي عملهن في أوساط المرأة العربية ولفت الانتباه الى أهمية حصولها على قدر من التعليم والثقافة. فمن خلال تربيتهن البروتستانتية سعت الشماسات إلى أن تحصل المرأة العربية على إدراك حقيقي لقيمتها وثقة كافية بنفسها بما يساعدها على تطوير نفسها. ومعنى هذا أن تلعب دوراً نشطاً في المجتمع، أكثر مما رسم لها.

ويمكن القول إن الشماسات لم تتمكن من اختراق الحواجز الفاصلة بسهولة بينهن وبين العائلات العربية على مختلف مذاهبها. فنفوذهن اقتصر على التلميذات داخل أسوار المدرسة وجدران المستشفى. وبعد التخرج وترك المريض للمستشفى كانت الفتيات والمرضى يعودون الى عالم الشرق وتقاليده. ورغم ذلك فليس الادعاء القول إن الفتيات مارسن كثيراً مما تعلمنه على أيدي الشماسات في حياتهن العائلية وتأتي تربية أولادهن وبناتهن في الدرجة الأولى.

وطبقاً لتقديراتي المستندة إلى التقارير والدوريات المعاصرة المتوفرة، فإن أقل من ١٥ شخصاً في المدرسة والمستشفى تركوا الإسلام إلى المسيحية خلال نصف قرن من نشاط الشمّاسات. ومع ذلك فإن بعضهم يرى نجاحاً في نشاط الشماسات الاجتماعي كسباً لبروسيا وألمانيا وسمعتها في الشرق وعلامة استفهام على السلطات العثمانية التي أهملت الشؤون الاجتماعية والصحية للسكان العرب.

الفصل الخامس

جمعية بيت المقدس

١ ـ تأسيس الجمعية ومهامها :

بعد مرور عامين على إنشاء مطرانية القدس الإنجيلية أقيمت في بروسيا احتفالات لأجل القدس نظمتها الكنيسة البروسية لجمع التبرعات وتشجيع النشاطات التبشيرية البروتستانتية الألمانية في فلسطين. ولكن هذا التوجه سرعان ما قوبل بفتور من قبل الرأي العام البروسي [١]. فبعض الدوائر البروسية رأت في تلك هواية جديدة للعرش وليس سياسة كنسية عامة [٢]. وفي ضوء ذلك ظهر كأن مناطق جنوب ألمانيا هي وحدها المهتمة بالعمل الإنجيلي في فلسطين.

ولكن بدء المطران غوبات عام ١٨٤٥ نشاطاً إرسالياً في فلسطين واستيطان مبشرين لإخوة كريشونا في القدس وتأسيس جمعية الكيزرزفرت مركزاً لها على جبل صهيون في القدس وتعيين القس فريدريك فالنتينز Friedrich Valentiner كأول راع للجماعة الإنجيلية الألمانية في القدس، كلها أمور حملت معها اهتماماً تدريجياً للرأي العام البروسي نحو الأراضي المقدسة. وعندما قام فريدريك أدولف شتراوس Friedrich Adolpf Strauss، الواعظ المساعد في كتدرائية برلين، برحلته إلى المشرق عام ١٨٤٤ وأصدر بعد أعوام ثلاثة كتاباً حول الرحلة سمّاه «**سيناء والجلجلة**» Sinai und Golgatha ازداد اهتمام الألمان بفلسطين. وهذا ما أتاح لشتراوس أن يؤسس

في ٢١ كانون الثاني ١٨٥٣ مع جماعة من « محبي القدس » « **جمعية بيت المقدس** » Jerusalemsverein .

وفي البند الأول من نظام الجمعية حُدد الهدف من إنشائها وهو « **دعم المشروعات الإنجيلية ونشرها وزيادتها في فلسطين ، وهي التي نشأت كنتيجة لإنشاء المطرانية ، ومركز الشمّاسات في القدس** . . . »(٣). على أن هذا الهدف ما لبث أن تطور بعد سنوات قليلة عندما بدأت الجمعية توسيع نشاطاتها ، من دعم نشاطات الإرساليات الألمانية في فلسطين إلى ممارسة عمل تبشيري مباشر بواسطة مبشرين تابعين لها . وفي نهاية القرن الماضي كانت هناك ثلاث جماعات إنجيلية عربية وإثنتان ألمانيتان في رعاية الجمعية ، إضافة إلى العديد من المدارس والمؤسسات الخيرية .

ولتوفير المال لتلك النشاطات بدأت جمعية بيت المقدس في أعقاب إنشائها بحملات لجمع التبرعات في المدن الألمانية (٤) . وطبقاً لنظام الجمعية الأساسي عيّن مجلس إدارة من ١٦ عضواً على الأقل . فانتخب وليم هوفمان Wilhelm Hoffmann ، رئيس الوعّاظ في البلاط الملكي البروسي ليكون رئيساً لمجلس الإدارة . وكان هوفمان أحد مؤسسي أخوة كريشونا . أما شتراوس فانتخب أميناً عاماً ، فيما شغل فستفال Westphal أمانة الصندوق (٥) . وجدير بالذكر أن مجلس الإدارة ضم أعضاء من الوزراء ورؤساء الوعّاظ ورجال دين من مختلف الرتب وأساتذة جامعيين ورجال مصارف وأعمال وقناصل سابقين وشخصيات بارزة أخرى(٦).

وبغية دعم الجمعية معنوياً ومادياً ظهرت إلى الوجود جمعيات فرعية ومساعدة وأخرى نسائية (٧) . ولكسب أكبر عدد من الأعضاء وإثارة حماس الرأي العام لنشاطها في المشرق أصدرت الجمعية منذ عام ١٨٥٧ مجلتها الفصلية « **أحدث الأخبار من الشرق** » Neueste Nachrichten aus dem Morgenlande. وسرعان ما طوّرت جمعية بيت المقدس عملها ليشمل مناطق أخرى خارج فلسطين . فبدعم منها قامت جماعات إنجيلية بإشراف رجال دين وضمّت ألماناً وسويسريين وفرنسيين : جماعة بيروت في عام ١٨٥٦ ، جماعة الاسكندرية في عام ١٨٦٧ وجماعة القاهرة في عام ١٨٧٢ . كما أخذت الجمعية منذ عام ١٨٥٩ تموّل وتنظّم مؤتمر رجال الدين البروتستانت الألمان السنوي في

بيروت (٨) .

يبدأ النشاط الإرسالي لجمعية بيت المقدس في فلسطين عندما تولت عام ١٨٦٠ إدارة أحد مراكز التبشير التابعة لجمعية التبشير الكنائسية CMS في بيت لحم . وبعدها بخمس سنوات وسّعت الجمعية نشاطها بافتتاح مركز آخر في منطقة بيت جالا . وفي عام ١٨٨٤ سارت الجمعية في سياسة اختراق للمناطق الإسلامية في فلسطين عندما أسست لها فرعاً في مدينة الخليل . وفي عام ١٨٩٠ استغلت الخلاف بين أعضاء « جمعية الهيكل الألمانية » في حيفا ويافا لتؤلف من المنفصلين عن تلك الجمعية جماعة بروتستانتية . وقبيل نهاية القرن الماضي شيدت جمعية بيت المقدس داراً للأيتام الأرمن .

ولكي تضمن مستقبل نشاطاتها في فلسطين ضد أي طارىء قامت الجمعية في بداية الثمانينات من القرن التاسع عشر بنقل جميع ممتلكاتها في بيت لحم وبيت جالا ، وهي عبارة عن ٥٨٤٣ م٢ من الأراضي على إسم القنصل الألماني في القدس ، ليكون المالك والممثل الشرعي لدى السلطات العثمانية (٩) . وكانت جميع الإرساليات الأوروبية تقوم بمثل هذه الخطوة لضمان عدم تعرض ممتلكاتها لخطر المصادرة من قبل اسلطات العثمانية ولتكون في الوقت نفسه تحت الحماية القنصلية . كما أسست جمعية بيت المقدس في عام ١٨٨٦ لجنة من شخصيات من القدس برئاسة راعي الجماعة الألمانية في المدينة للإشراف على نشاطاتها عن كثب (١٠) .

وخلال رئاسة الغراف ألبرت يوليوس تزيتن - شفرين Albert Julius von Zieten-Schwerin ابتداءً من عام ١٨٩٢ عرفت الجمعية فترة ازدهار زاهرة من تاريخها . فلدى تسلمه الرئاسة لم يكن عدد أعضاء الجمعية يتجاوز الـ ٤٠ . ولكن هذا العدد ارتفع في عام ١٨٩٨ إلى ٢٤٤٠ حتى وصل إلى ١٩ ألفاً مع اندلاع الحرب العالمية الأولى (١١) .

وبعد كل ما تقدم يمكن تقسيم نشاطات جمعية بيت المقدس في فلسطين إلى ثلاثة حقول :

- عمل إرسالي بين السكان العرب من مسيحيين ومسلمين في بيت لحم وبيت جالا والخليل .

- رعاية كنسية للجماعتين الألمانيتين في حيفا ويافا .
- رعاية الأيتام الأرمن بعد مذابح عام ١٨٩٧ .

٢ ـ العمل الإرسالي بين السكان العرب في بيت لحم وبيت جالا والخليل :

الجماعة الإنجيلية في بيت لحم : في البداية لم يكن العمل التبشيري بين السكان المحليين من أهداف جمعية بيت المقدس . ولكن عندما قررت جمعية التبشير الكنائسية في عام ١٨٦٠ التخلي عن مركزها الإرسالي في بيت لحم بسبب تزايد أعباء العمل عليها في الصين وشرق آسيا وتسليمه إلى جمعية بيت المقدس ، وافقت الأخيرة على العرض فاتحة بذلك صفحة جديدة من نشاطها التبشيري . وحتى ذلك الوقت انحصر العمل التبشيري الإنجيلي في مدينة بيت لحم التي كان يسكنها نحو ٥ آلاف مسيحي ، على رعاية ٤٠ شخصاً [١٢] كانوا منذ عام ١٨٤٨ في رعاية الجمعية الإنكليزية ويمتلكون مدرسة بإشراف الطبيب الألماني المبشِّر ساندرسكي [١٣] .

وبعد انتقال المركز إلى جمعية بيت المقدس لم يطرأ أي تعديل جذري في رعاية الجماعة البروتستانتية هناك . فصموئيل مولر Samuel Mûller المسؤول عن المركز منذ عام ١٨٥٦ لم يمانع في الانتقال والعمل تحت لواء جمعية بيت المقدس [١٤] . ولكن الجمعية رأت أن تضع المشروع هناك بإشراف راعي الجماعة الإنجيلية الألمانية في القدس الراهب فريدريك فالنتينر [١٥] . كذلك وضع المطران غوبات مدرسته في بيت لحم بإشراف جمعية بيت المقدس . وفي حينه بلغت كلفة النشاطات في بيت لحم ٣ آلاف تال في السنة ، وهي نسبة مرتفعة قياساً إلى دخل الجمعية السنوي البالغ ٦ آلاف تال [١٦] . وبعد مباشرة العمل في المدينة ارتُئي ضرورة شراء قطعة أرض، لبناء منزل عليها للإرسالية وتم ذلك بعد أربع سنوات [١٧] .

وفي الفترة الأولى انحصر النشاط في رعاية الجماعة الإنجيلية . وعن طريق الزيارات المنزلية والمناقشات الدينية وقراءة الإنجيل حاول مولر أن يزيد عدد أفراد جماعته . فكان يدعو أتباع الكنائس الأخرى للمشاركة في صلاة الأحد وسماع الأحاديث الإنجيلية وكذلك حضور المدرسة الليلية . ولكن من

دون ان يضغط على أحد منهم لترك مذهبه . وتذكر مصادر الجمعية أن بعض المسلمين كانوا من بين زائريه [١٨] .

ورغم جهوده المضنية لم يتمكن مولر من زيادة عدد أفراد جماعته بشكل ملحوظ ، بل ظلَّ عددهم في تذبذب مستمر ، ومتقلباً وفق الأوضاع السائدة في المنطقة . ففيما بلغ أفراد الجماعة عام ١٨٧١ الـ ٨٠ نرى أن هذا العدد قد تراجع في عام ١٨٨٢ ليصل إلى ٣٢ شخصاً [١٩] . وسبب ذلك أنه كلما زادت المؤسسات الأرثوذكسية والكاثوليكية من ضغوطاتها على أتباعها ، وأجزلت في وعودها لهم تناقص عدد أفراد الجماعة الإنجيلية . وفوق ذلك لعبت الظروف الاجتماعية، التي سوف نعالجها مفصلاً بعد قليل ، دوراً كبيراً بحيث استغل السكان المنافسات بين الإرساليات للحصول على أفضل المكاسب من الجهة التي تقدم عروضاً مالية أو خدمات اجتماعية سخية . وبذلك غلبت الدوافع المادية الدوافع الدينية في كثير من الأحيان [٢٠] .

وإلى جانب جو العداء الذي اتسمت به علاقات الإرساليات بعضها ببعض ، نذكر أن طاقة مولر كانت قد استهلكت في نهاية السبعينات ، أي بعد نحو ٤٠ عاماً من العمل التبشيري المتواصل . ففي رسالة لراعي الجماعة الإنجيلية الألمانية في القدس إلى جمعية بيت المقدس جاء أيضاً أن مولر أهمل العمل الإرسالي للجمعية واشتغل بمشاريعه التبشيرية الخاصة ، وهي التي سنعالجها بالتفصيل في حينه [٢١] . وأخيراً أدى قيام جماعة إنجيلية في مدينة بيت جالا القريبة من بيت لحم منذ عام ١٨٧٩ إلى تناقص عدد أعضاء الجماعة في بيت لحم ، حيث كان كثرة من أهالي بيت جالا قبل قيام جماعتهم يأتون بيت لحم للمشاركة في القداس وبالتالي يُحسبون من ضمن جماعتها . ولكنهم فضلوا بعد تكوين جماعة لهم في مدينتهم البقاء في بيت جالا .

وظل مولر في وظيفته زهاء ٣٨ عاماً ، قضى منها ٢٤ عاماً في خدمة جمعية بيت المقدس حتى فصل عام ١٨٨٤ من العمل لديها . وبذلك لم يستطع مولر أن يشهد بعينيه تحقيق المشروع الذي طالما عمل لأجله ، وهو بناء كنيسة إنجيلية في بيت لحم [٢٢] . وقد تم تدشين هذه الكنيسة **«كنيسة الميلاد»** خلال إدارة خليفته الباستور لودفيغ شنلر إبن مؤسس دار الأيتام السورية .

وعلى ما يبدو كان اختيار شنلر في محله لكونه متمكناً من اللغة العربية ويعرف عادات المجتمع الفلسطيني وتقاليده . وخلال فترة إدارته لمركز بيت لحم (١٨٨٤/١٨٨٥) حقق شنلر مشروعين ساعدا على نشر البروتستانتية في المدينة ، وهما ترجمة كتاب الصلوات للكنيسة الأنكليكانية إلى العربية ، والذي ظل حتى ذلك الوقت كتاب الصلاة الوحيد للجماعة الإنجيلية في بيت لحم[٢٣] . أما المشروع الآخر فكان بناء كنيسة إنجيلية « كنيسة الميلاد » . وبسبب افتقار جمعية بيت المقدس إلى المال قام شنلر بجمع تبرعات في ألمانيا واستطاع أن يأتي بـ ٣٠ ألف مارك إلى صندوق الجمعية[٢٤] .

وفي عام ١٨٨٧ انتهى تشييد الطبقة السفلى للكنيسة لتكون مدرسة . لكن سرعان ما توقفت اعمال البناء بعدما تبين أن مبلغ ٦٠ ألف مارك الذي خُصص لعملية البناء غير كاف ، وأنه يحتاج إلى مبلغ ١٠٠ ألف مارك ، إضافة إلى ٤٣ ألف مارك لبناء منزل لمساعد الواعظ . هذا التطور الجديد حمل جمعية بيت المقدس على القيام بحملة تبرعات جديدة في ألمانيا وسويسرا والولايات المتحدة الأميركية[٢٥] . لكن السلطات العثمانية فاجأت الجمعية بقرارها بوقف أعمال البناء بحجة أن الرخصة المعطاة إليها تقضي ببناء مدرسة وليس كنيسة . واستمر تعطيل العمل زهاء عامين ، إلى أن قام العاهل الألماني وليم الثاني خلال زيارته للعاصمة العثمانية عام ١٨٨٩ بالتوسط للجمعية لدى السلطان عبد الحميد الثاني في سبيل الحصول على رخصة بناء كنيسة[٢٦] . وفي عام ١٨٩٣ انتهى بناء الكنيسة ودُشِّنت في غياب الباستور شنلر ، الذي كان قد عُيِّن كاهناً في كولونيا .

وبعد رحيل شنلر لم تتمكن الجمعية من العثور على مدير مناسب لمركز بيت لحم . لكنها عهدت في عام ١٨٨٩ إلى المدرس إيمانويل مولر Emanuel Müller ، إبن شقيق صموئيل مولر ، إدارة المركز بصورة مؤقتة . وكان إيمانويل يعمل في مجال التدريس منذ بداية السبعينات . وفي عام ١٨٩٠ كُرس واعظاً مساعداً[٢٧] .

وفي عام ١٨٩١ وجدت جمعية بيت المقدس في إيمانويل بوتشر Immanuel Böttcher الواعظ المساعد في القدس ، شخصاً مناسباً

لإدارة مركزها في بيت لحم ، فعيَّنته خلفاً لشنلر[٢٨] . وقد أولى بوتشر جماعة بيت لحم عناية خاصة . فمنذ عام ١٨٩١ كان يصدر مجلة تبشيرية فصلية «**أوراق إنجيلية من بيت لحم**» Evangelische Blätter aus Bethlehem وذلك لتسليط الأضواء على نشاط جمعية بيت المقدس التبشيري[٢٩] . وبإيعاز منه افتتحت الجمعية في عام ١٨٩٤ حقلاً جديداً لنشاطها، وهو الرعاية الصحية، حيث عُينت شمَّاسة من جمعية الكيزرزفرت ممرضة في المدينة. ولكن هذا النشاط توقف بعد عامين بسبب مرض الشمَّاسة وعدم إيجاد بديلة منها مناسبة . وظل المستوصف متوقفاً إلى أن عينت شمَّاسة بديلة في مطلع القرن العشرين الحالي[٣٠] .

ففي مستهل العقد الأول من القرن العشرين واجهت الجمعية تحديين إثنين في منطقة بيت لحم . فـ « **جمعية تعليم المرأة** » الإنكليزية Female Education Society ، التي كانت تمتلك مدرسة إنجيلية في المدينة وتسمح لتلميذاتها بحضور قدَّاس الجماعة الإنجيلية التابعة لجمعية بيت المقدس ، تخلَّت عن مركزها في المدينة لمصلحة جمعية التبشير الكنائسية ، التي قرَّرت العودة مجدداً إلى بيت لحم وتكوين جماعة بروتستانتية . ووجدت جمعية بيت المقدس في قيام جماعتين بروتستانتيتين في مدينة واحدة هدراً للطاقات الإنجيلية وبعثرة لها . فقامت بحملة واسعة معارضة عودة جمعية التبشير إلى بيت لحم مستندة إلى اتفاق تم بينهما في عام ١٨٦٠ ينص على ألَّا تقوم أي من الجمعيتين بنشاط تبشيري في أية منطقة تكون واحدة منها قد سبقت الأخرى إليها . ولكن مساعي الوفاق بين الفريقين لم تسفر عن حل للمشكلة . ومنذ ذلك الحين كان لبيت لحم جماعتان إنجيليتان[٣١] .

أما التحدي الآخر الذي واجه الجمعية فكان وفاة الباستور بوتشر فجأة ، إذ قضى غرقاً في عام ١٩٠٣ . ورغم الصعاب التي أشرنا إليها استمرت جماعة بيت لحم الإنجيلية التابعة لجمعية بيت المقدس في النمو . ففي عام ١٩٠٣ كان هناك ١٦٠ شخصاً في رعايتها[٣٢] .

الجماعة الإنجيلية في بيت جالا : على مقربة من بيت لحم كانت تقع مدينة بيت جالا المسيحية وتعداد سكانها في نهاية القرن الماضي ٤ آلاف نسمة ، معظمهم من الأرثوذكس ، وقليل منهم كاثوليك . ومنذ عام ١٨٦٢ كان عدد من أهالي بيت جالا يحضرون القداس الإنجيلي في بيت لحم ، من

دون أن ينتسبوا إلى الجماعة هناك [٣٣] . ولكن عندما أسس المطران غوبات عام ١٨٦٤ مدرسة إنجيلية للصبيان في المدينة ، بدأ صموئيل مولر يزور بيت جالا بعد ظهر كل يوم أحد ويتلو موعظة في أحد المنازل . ومع ذلك لم يتمكن بسبب الأجواء المذهبية هناك من تكوين جماعة إنجيلية في المدينة . ولكن عندما عهد غوبات إلى جمعية بيت المقدس إدارة مدرسته في المدينة ، أتيحت لتلك الجمعية فرصة للتغلغل التبشيري في المنطقة .

ويعود تكوين جماعة إنجيلية في بيت جالا في الواقع إلى جهود الأب يوهان شنلر وليس إلى مولر . فخلال السبعينات استطاع شنلر أن يوطد علاقته ببعض العمال من بيت لحم ، الذين كانوا يشتغلون في أعمال البناء في مؤسسته بالقدس . وتدريجياً استطاع شنلر أن يكسب صداقتهم ويدعوهم لحضور القدّاس الذي كان يقام في الدار وباللغة العربية . وبعد فترة طلب بعضهم الانضمام إلى الكنيسة البروتستانتية . لكن شنلر فضّل أولاً أن يمتحن إيمانهم لسنوات عدة ، حتى قرر في عام ١٨٧٨ أن يرسل إليهم إلى بيت جالا كل يوم أحد المـدرِّس بشارة كنعان ليصلي بهم . ولما كان شنلر لا يرغب في توسيع نشاطاته التبشيرية خارج القدس ، اقترح على جمعية بيت المقدس ان ترعى الجماعة الإنجيلية في بيت جالا . وبعد موافقة الجمعية انتقل إلى رعايتها نحو ٣٥ عائلة كانت من أتباع الكنيسة الأرثوذكسية سابقاً [٣٤] . وبعد تكريس كنعان كأول رجل دين بروتستانتي عربي، تم إرساله إلى بيت جالا، بعدما كان تزوج إحدى شمّاسات الكيزرزفرت ليكون مسؤولاً عن الجماعة الإنجيلية هناك .

ولكن قيام جماعة إنجيلية في بيت جالا حمل معه حقد الكنائس المسيحية الأخرى وخاصة الأرثوذكسية . فبدأت الكنائس تضع العراقيل أمام نهوض الجماعة الإنجيلية ، وخاصة في مجالات العمل والعلاقات الاجتماعية . وتشير معظم المصادر المعاصرة إلى أن الكنائس التقليدية في فلسطين حاولت جاهدة صد الاختراق الإنجيلي في المدينة وتحطيم الجماعة التي تكونت هناك . وبلغت هذه المحاولات الذروة عام ١٨٨٥ بعد حدوث مناوشات في المدينة بين الطائفتين الأرثوذكسية والبروتستانتية ، كان من نتائجها تهجير الجماعة الإنجيلية من المدينة [٣٥] .

وإضافة إلى هذه المحنة التي واجهت الجماعة الفتية من الخارج ، كان على كنعان أن يواجه مشكلات الجماعة الداخلية ، الجهل ، سوء التربية ، النفاق ، العربدة ، الخشونة ، اللعن والسرقة [٣٦] . ومن خلال القدّاس وقراءة الإنجيل والتقرب إلى أعضاء الجماعة تمكن كنعان من حصر تلك المشكلات وتحسين مستوى الأخلاق . وبعد أحداث عام ١٨٨٥ نعمت الجماعة الإنجيلية بهدوء نسبي واستطاعت أن تقوي من تماسكها . وبمساعدة الباستور شنلر تم في عام ١٨٨٦ تدشين كنيسة صغيرة لأعضاء الجماعة . وهذا ما شجّع بعض أتباع الكنيسة الأرثوذكسية على الارتداد إلى المذهب الإنجيلي ، بحيث وصل عدد أتباع الجماعة إلى ١٣٠ في نهاية القرن التاسع عشر [٣٧] .

ورغم وفاة كنعان في عام ١٨٩٩ وإثارتها مشاعر مختلف الطوائف ، فإنها لم تحل دون تقدّم الجماعة . فخلال فترة خلفه سعيد عبود نعمت الجماعة بفترة ازدهار أخرى [٣٨] .

التعليم في بيت لحم وبيت جالا : كما رأينا ، فقد تولت جمعية بيت المقدس مركزي بيت لحم وبيت جالا التبشيريين دونما حاجة إلى إنشاء مدارس هناك ، إذ أدارت المدارس التي وضعها غوبات في عهدتها . وفي بيت لحم لم يكتف مولر بتعليم الـ ١٤ تلميذاً وتربيتهم فحسب ، بل عمل أيضاً على زيادة عددهم حتى بلغ ٤٠ في السنتين التاليتين [٣٩] . كما أسس مولر مدرسة الأحد للراشدين ، فيما تولت زوجته الاتصال بالنساء لتعلمهن الخياطة والأشغال اليدوية [٤٠] .

ولما كانت الظروف الاجتماعية تمنع من قيام مدارس مختلطة [٤١] ، أنشأ مولر في عام ١٨٦٤ مدرسة للبنات . لكنه لم يستطع اجتذاب الكثير من التلميذات إلى مدرسته الجديدة . فحتى الثمانينات لم يتجاوز عددهن الـ ٣٠ [٤٢] ، فيما عدد الصبيان بلغ ٨٠ [٤٣] . وقد عزا مولر ذلك إلى عدم اهتمام العائلات العربية بتعليم بناتها [٤٤] ، وإلى منافسة المدارس المسيحية الأخرى لمدرسته ، كما سنرى لاحقاً.

وانحصر التعليم في بيت لحم في المسيحيين من الأرثوذكس والكاثوليك . لكن مولر كان يأمل في مد نفوذه إلى المسلمين . وأتيحت له الفرصة في

الستينات ، عندما وطّد علاقاته بقبائل البدو المسلمة الضاربة خيامها على مقربة من بيت لحم [٤٥] . ففي عام ١٨٦٨ افتتح مدرسة لأبناء البدو عبارة عن خيمة وعيّن عليها مدرساً عربياً . لكن ربط التعليم بتنصير المسلمين جعل السلطات العثمانية تغلق المدرسة بعد عشرة شهور من تأسيسها [٤٦] .

ورغم محاربتها من قبل المؤسسات المسيحية ، فقد ازدهرت مدرسة بيت لحم ، التي استعانت في عام ١٨٧٠ بمدرّس ألماني هو إيمانويل مولر ، إبن شقيق صموئيل مولر . وإلى جانبه فقد ضمت هيئة التدريس معلمين ومعلمات عرباً [٤٧] .

وبانتقال ملكية المدرستين في بيت لحم وبيت جالا إلى جمعية بيت المقدس ازدادت الأعباء المالية على الجمعية . إذ تجاوزت المصاريف النسبة المتوقعة وقدرها ٥٥٠ تالاً سنوياً . فوجدت الجمعية نفسها مضطرة إلى إلغاء مساعدتها المالية البالغة ٢٥٠ تالاً والتي كانت تدفعها إلى المطران غوبات لدعم نشاطه الإرسالي . وعلى ما يبدو فإن المبررات المالية لم تكن هي وحدها التي دفعت بالجمعية الى إيقاف تلك المساعدة ، إذ يعلق فيسر ، راعي الجماعة الإنجيلية الألمانية على المسألة قائلاً : « إن غوبات لا يقدم إلى المؤسسات الألمانية في فلسطين أي فينغ (أصغر العملات الألمانية) ، وإن المال الذي تقدمه له جمعية بيت المقدس لا يُستخدم في مصلحة المؤسسات الألمانية ، بل يذهب إلى أيدٍ إنكليزية » [٤٨] .

ولما كان النشاط التعليمي والثقافي لجمعية بيت المقدس في بيت لحم وبيت جالا يضع أبناء العائلات الأرثوذكسية والكاثوليكية تحت النفوذ الإنجيلي ويؤثر حكماً على دور المؤسسات الأرثوذكسية والكاثوليكية تجاه الجيل الصاعد [٤٩] ، أخذت تلك المؤسسات منذ الستينات تنشط في إنشاء المدارس والمياتم وحلقات الرهبنة لتوجيه الشبيبة بعيداً عن المؤسسات الإنجيلية . فبعد مرور ثلاث سنوات على افتتاح مولر ميتماً في منزله ببيت لحم [٥٠] ، افتتح الراهب دون بلوني Don Belloni ، وهو أستاذ في معهد البطريركية الكاثوليكية ببيت جالا ، عام ١٨٦٣ ميتماً منافساً [٥١] . وفي بداية الثمانينات أسس الكاثوليك مدرستين في بيت جالا ، الأولى للصبيان والثانية للبنات . كما أسسوا ميتماً وندوة لتأهيل الرهبان [٥٢] . أما الأرثوذكس فقل نشاطهم نسبياً عن

الكاثوليك . ففي عام ١٨٨٩ أسست « جمعية فلسطين » Palestine Society الروسية مدرسة للبنات في بيت جالا . كما افتتحت أيضاً مدرسة للصبيان [٥٣] . وأخيراً أنشأت السلطات العثمانية عام ١٨٨٤ مدرسة لتعليم القرآن الكريم في بيت لحم ، لكي تحول بين السكان المسلمين وبين المدارس التبشيرية . كما منعت العائلات المسلمة في المدينة من إرسال أبنائها إلى مدرسة جمعية بيت المقدس والمدارس الإرسالية الأخرى . ومنذ ذلك الحين أخذت مدرسة جمعية بيت المقدس تفتقر إلى التلامذة المسلمين [٥٤] .

ولم تخل المنافسة الثقافية من التأثير على نشاط جمعية بيت المقدس . فبعدما كان هناك ١٠٠ صبي و ٢٥ فتاة في مدارسها ببيت لحم عام ١٨٧٨ ، انخفض هذا العدد بعد خمس سنوات إلى ٣٠ ـ ٥٠ في مدرسة الصبيان وإلى ٢٠ ـ ٤٠ في مدرسة البنات [٥٥] . ورغم ذلك كان وضع مدرسة الجمعية في بيت جالا أفضل منه في مدرسة بيت لحم . فعندما افتتحت الجمعية في عام ١٨٨٨ مدرسة للبنات [٥٦] ، واجهت على الفور تحدياً أرثوذكسياً بتأسيس مدرسة أرثوذكسية روسية للبنات ، مما أدى إلى انخفاض عدد التلميذات في المدرسة [٥٧] .

ولمواجهة تلك المنافسة لم يكن أمام جمعية بيت المقدس سوى تكثيف نشاطها وتوسيع مدارسها وتحسين طرق التعليم واستخدام اللغة العربية في التعليم والاستعانة بهيئة تدريس من ذوي الاختصاص . أما مواد التدريس فكانت قراءة العربية والألمانية ، الكتابة ، الحساب ، الدين ، التاريخ والجغرافيا والترتيل . ولما كانت بيت لحم منطقة يقصدها الحجّاج الأوروبيون فإن معرفة السكان باللغات الأجنبية كانت ضرورة لترويج السياحة . لذلك افتتح مولر في عام ١٨٨٢ صفاً لتعليم اللغات ، كان من بين طلبته ٨ من المسلمين [٥٨] . وخلاصة القول ، فقد كان هناك ٢٠٠ ـ ٢٢٠ تلميذاً و ١٤٠ ـ ١٦٠ تلميذة يتلقون العلم عام ١٨٩٩ في مدارس جمعية بيت المقدس ببيت لحم وبيت جالا [٥٩] .

وتمتدح مصادر إنجيلية مستوى التعليم في مدارس جمعية بيت المقدس قياساً إلى تلك التي أسست ضمن سياسة التنافس الثقافي . وتضيف أن المدرسة الأرثوذكسية في بيت جالا كانت تفتقر إلى المدرّس الكفؤ وأنها ظلّت ثلاث

سنوات بلا مدرّس[٦٠] . ورغم ذلك لا ينبغي التقليل من تأثير العلاقات الاجتماعية على اهتمامات السكان بمسألة التعليم . فحتى بشارة كنعان ومولر كانا يشكوان باستمرار عدم انتظام الدراسة وأن أولياء التلاميذ كانوا يستدعون أولادهم إلى المنزل في أي وقت كانت الحاجة تستدعي ذلك [٦١] . وبذلك كانت نسبة الحضور تنخفض بشدة في فصل الصيف حيث كان الكثير من التلامذة يساعدون أولياءهم في الحصاد [٦٢] . حتى ان أحد المدرسين كان فلاحاً وكان يضطر إلى التغيب أحياناً عن المدرسة ليعمل في حقله [٦٣] . كما كان هناك افتقار في المرحلة الأولى إلى المدرِّس النشط والمتخصِّص . فكان على مولر أن يجلس في بعض الأحيان ساعات طويلة مع أحد المدرِّسين ليوجهه إلى طرق التدريس على نحو أفضل [٦٤] . وبتروٍ وصبر وتفهم لعادات الشعب الفلسطيني الاجتماعية وظروفه حاولت جمعية بيت المقدس التغلب على كثير من هذه المشكلات . وطبقاً لما تذكره المصادر فقد أمكن تحسين مستوى المدرسة ونظامها إلى حد ما . وفي نهاية كل عام دراسي كانت إدارة المدرسة تدعو أولياء التلاميذ للاطلاع على سير الامتحانات بغية معايشة الأجواء الدراسية عن كثب وتفهم مشاكل تعليم أبنائهم [٦٥] .

النزاع مع المؤسسات الأرثوذكسية والكاثوليكية : منذ بداية نشاطها الإرسالي حالت عقبات دون بلوغ جمعية بيت المقدس غايتها المنشودة بكسب أتباع كثر من أعضاء الكنائس الأخرى ، وخاصة الأرثوذكسية . ولا تعود أسباب ذلك إلى خشية المسيحيين أعضاء الطوائف الأخرى في الانتقال إلى المذهب الجديد فحسب ، بل إلى عوامل اقتصادية أيضاً جعلت من يود الانتقال إلى البروتستانتية يفكر مراراً قبل ان يقدم على مثل هذه الخطوة . وهذه العوامل الاقتصادية كانت أولاً ، تسديد المسيحيين لضريبة الجزية من خلال مؤسساتهم الكنسية السابقة ، وثانياً ارتباط السكان المسيحيين اقتصادياً بتلك المؤسسات والأديرة .

وكانت ضريبة الجزية أو ضريبة الرأس ، كما كانت تسمى ، ضريبة على الذميين واستبدلت بها في ٧ أيار ١٨٥٥ « **ضريبة البدل** » ، التي دفعها أهل الذمة لقاء عدم تأديتهم الخدمة العسكرية . وكانت هذه الضريبة تجمع من الملل من خلال رؤسائها الروحيين وتسلم إلى الخزينة العثمانية [٦٦] . ورغم

اعتراف الباب العالي عام ١٨٥٠ بالبروتستانت من رعاياه ملة أسوة بباقي الملل غير الإسلامية ، ظلّ البروتستانت بعد ذلك التاريخ ورغم الاعتراف الرسمي بهم يؤدون ضريبة البدل من خلال كنائسهم التي كانوا ينتمون إليها سابقاً [٦٧] . وهذا في حد ذاته شكّل عقبة رئيسية أمام انتشار البروتستانتية ، إذ إن السلطات العثمانية تركت لرؤساء الطوائف غير الإسلامية حرية تحديد نسبة البدل التي يجب ان يؤديها كل عضو من أتباعها [٦٨] . وهذا ما أعطى المؤسسات الروحية وسيلة فعّالة للضغط على أتباعها . فكانت الضريبة تخفَّض على الأتباع أو ترفع طبقاً لولاء هؤلاء للكنيسة وإطاعتهم إياها . وبذلك كان على أتباع الكنائس أن يفكروا ملياً قبل الانتقال إلى المذهب البروتستانتي ، طالما أن سوط الكنيسة مسلط عليهم حتى بعد انضوائهم تحت جناح البروتستانتية .

ومن هنا ارتبط نمو الجماعة الإنجيلية باستقلالها الضريبي . وفي شباط ١٨٦٥ جرت أول محاولة إنجيلية لتغيير قوانين الضريبة من قبل السلطات العثمانية ، ولكنها باءت بالفشل . وفي محاولة أخرى تمكنت الجماعة الإنجيلية بزعامة مولر من تحقيق نجاح في القضية ، وكان ذلك في آذار من العام نفسه . وحول المسألة يقول مولر :

> «حتى قبل فترة وجيزة كان وضعنا من الناحية السياسية شديد السوء. فكان علينا أن نخضع للأديرة في ما يتعلق بتحديد نسبة الضريبة. ومنذ شهر مضى رفعنا قضية لدى المحكمة تتعلق باستقلالنا الضريبي ونأمل في أن نتمكن من ذلك بعون الله. ولذا كان على الجماعة كلها، وهي ٧٠ رجلاً يدفعون الضريبة، أن تمثل أمام والي القدس لكي تجهر بانتمائها إلى الكنيسة الإنجيلية. وفي المرة الأولى لم يستجب لنا، إذ استطاعت الأديرة أن تحبط محاولتنا. وفي المرة الثانية، عندما أبلغت الجماعة بضرورة المثول أمام السلطات العثمانية، لم يحضر سوى ٤٠ من أعضائها، وقد أعلن هؤلاء انتماءهم إلى الكنيسة الإنجيلية. وقد بعث البطريرك الأرثوذكسي أكثر من مرة برسله إلى هؤلاء لحثهم على العودة إلى كنيستهم السابقة... وحتى الآن فإن معظمهم لا يزالون يشاركون في القدّاس الذي نقيمه. ولكن ليس واضحاً ما إذا كانوا سيبقون معنا. وإذا لم يسجلوا أسماءهم على أنهم ينتمون إلينا، فمعنى ذلك أنهم قد خرجوا من جماعتنا طواعية»[٦٩].

وحتى بعد حصول الكنيسة البروتستانتية على استقلالها الضريبي ، ظلّت الأديرة تؤثر على قسم كبير من السكان لارتباط هؤلاء اقتصادياً بها . وكان هذا كافياً لأن يرهب السكان بعدم الانتقال إلى المذهب الجديد . فكانت الأديرة

الأرثوذكسية والكاثوليكية تمتلك مساحات شاسعة من الأراضي التي يعمل عليها الفلاحون كأجراء يوميين أو كضامنين . وقد عاش معظم الفلاحين في ظروف اجتماعية واقتصادية بائسة وكانوا معظم الوقت مدينين للأديرة [٧٠] . وتصف مصادر رسمية روسية وتقرير للقنصل البريطاني جايمس فن James Finn الفلاحين الفلسطينيين عموماً والذين في بيت جالا خصوصاً ، بأنهم كانوا من الناحية العملية «عبيداً» للأديرة الأرثوذكسية [٧١] .

وعلاوة على ما تقدم ، فقد كان في مقدور الأديرة توفير العمل لأتباعها أو منعه عنهم [٧٢] . وفي ظروف مجتمع زراعي كفلسطين فإن العلاقات الإقطاعية هناك جعلت الفلاحين والعمال تحت سيطرة الأديرة وتعسفها . ولقد كان الفقر والبؤس شديدين بحيث اضطر الكثيرون من الفلاحين والعمال في بيت لحم خلال السبعينات إلى التسوُّل [٧٣] . وعلى ذمة المصادر الإنجيلية فإن الأديرة لم تتوان في شراء ولاء الفقراء من الفلاحين [٧٤] . وطبقاً لتلك المصادر كان ثمن العودة مجدداً إلى حظيرة الكنيسة الأرثوذكسية هو ١٠٠ فرنك [٧٥] . كذلك لم يكن سراً أن الأديرة كانت تجبر أتباعها على توقيع عقود تفرض عليهم عدم إرسال أبنائهم إلى مدارس جمعية بيت المقدس [٧٦] .

وتحسساً منها لهذا الوضع وتأثيره على نشاطاتها أخذت جمعية بيت المقدس تدرس إمكان تطوير مشروعاتها الثقافية التبشيرية إلى استيطانية تبشيرية . لذلك عُقد في عام ١٨٧٢ اجتماع مصغَّر في القدس لبحث طرق تنفيذ المشروع شارك فيه إلى جانب ممثلين عن جمعية بيت المقدس ، جمعية كريشونا وراعي الجماعة الإنجيلية الألمانية في القدس . وقد خلص الاجتماع إلى مقررات هامة ، منها أن شراء الأراضي وإقامة المستوطنات عليها وتشغيل الفلاحين المنتقلين إلى الإنجيلية وتوفير الأمنين الاقتصادي والاجتماعي لهم ، هي التي ستعطي التبشير الإنجيلي الأرض الخصبة في فلسطين . كما تقرر تأسيس شركة مساهمة تتكفل شراء الأراضي وتأجيرها للفلاحين . كذلك وُضعت خطط تهدف إلى تحسين المستوى التقني للفلاح الفلسطيني وزيادة محاصيله عبر إنشاء مدرسة زراعية تكون مرتبطة بمركز الجمعية في بيت لحم . وتوقع المجتمعون أن يؤدي ذلك إلى إضعاف سلطة الأديرة على الفلاحين وتحريرهم منها [٧٧] وأن يصبح خريجو المدرسة الزراعية نواة الفلاحين الشرقيين « **المزودين بالتقنية الزراعية**

الألمانية » [٧٨] .

ولأن جمعية كريشونا حلّت نفسها من العمل في فلسطين في العام نفسه [٧٩] ، ولأن جمعية بيت المقدس لم تستطع تأمين المال اللازم للمشروع ، فإن مقررات الاجتماع لم تر النور . ورغم ذلك فقد تمكن المبشِّر مولر بإمكانات مالية متواضعة من السير قُدماً في مشروع استيطاني صغير . ففي بداية السبعينات اشترى مولر أراضي للعنب على مقربة من بيت لحم وترك فلاحين مسيحيين يعملون فيها وهو ما سنتناوله بعد قليل [٨٠] .

وفي ضوء إمكاناتها المحدودة حاولت جمعية بيت المقدس أن تساعد المحتاجين في فلسطين [٨١] . ومع ذلك رفضت ، كما تذكر مصادرها ، أن تضم أعضاء للجماعة الإنجيلية عن طريق الإغراء المالي [٨٢] . والواقع أن سياسة المؤسسات الدينية المتنافسة في استغلال الأوضاع الاقتصادية للسكان برشوتهم وتقريبهم إليها قد أدَّت إلى إفساد العديدين . فبدا الدين مجرد وسيلة لتحسين الوضع المادي . وبذلك توقع أعضاء كثر من الجماعة الإنجيلية في بيت لحم وبيت جالا أن تقوم الكنيسة الإنجيلية بتزويدهم بالمنازل والطعام على غرار ما كانت تفعله الكنيسة الأرثوذكسية مع أتباعها [٨٣] .

هذا التناحر بين المؤسسات الكنسية على استقطاب الأتباع أدى إلى نتائج وخيمة على الجماعة الإنجيلية في بيت جالا . فمنذ قيام تلك الجماعة عام ١٨٧٨ ازداد التوتر بين المؤسسات الأرثوذكسية والكاثوليكية وبين البروتستانت وأدى هذا إلى تقارب وتحالف بين الأرثوذكس وبين الكاثوليك ، وهما طالما تبادلا العداء . فقد اتفق الفريقان على محاربة البروتستانت في المدينة وضرب نفوذهم بأي ثمن [٨٤] . وفي عام ١٨٨٥ لاحت الفرصة لهما لتنفيذ مخططاتهما عندما حدث اشتباك صغير بين بعض البروتستانت وبين الكاثوليك . وسرعان ما تدخل الأرثوذكس في المعركة مناصرين حلفاءهم الكاثوليك . وفي الاشتباك قتلت فتاة أرثوذكسية مما حمل الأرثوذكس على نهب بيوت البروتستانت وحرقها وتهجيرهم من المدينة . ولشهور عدَّة لم يجرؤ البروتستانت على العودة إلى بيوتهم . وبعد محاولات للصلح استغرقت أسابيع شارك فيها الراهب لودفيغ شنلر ، عاد البروتستانت إلى ديارهم بعدما دفعوا ٤ آلاف فرنك دية الفتاة القتيل [٨٥] .

وفي بيت لحم لم يكن الوضع يختلف كثيراً عنه في بيت جالا . ففي نهاية القرن الماضي توتر الوضع بين الأرثوذكس وبين البروتستانت إثر ترك ٣٠ عائلة أرثوذكسية مذهبها إلى المذهب الإنجيلي . وتذكر التقارير البروتستانتية مؤامرة حاكتها المؤسسات الأرثوذكسية ضد بعض الشخصيات الإنجيلية في المدينة ، كإتهام بعضها بمحاولة تسميم بعض الأشخاص . ونتيجة ذلك سُجن عدد من البروتستانت . ولم تتمكن القنصلية الألمانية في القدس من تقديم العون إلى هؤلاء لكونهم مواطنين عثمانيين وذلك انسجاماً مع السياسة الألمانية المعلنة بعدم التدخل في المسائل الداخلية العثمانية [٨٦] .

نشاط الجمعية في الخليل : كما أسلفنا ، فقد توقف نشاط جمعية بيت المقدس التبشيري بين البدو المسلمين في ضواحي بيت لحم بإغلاق السلطات العثمانية للمدرسة «الخيمة» التي أسسها مولر عام ١٨٦٨ [٨٧] . ومنذ ذلك الحين لم تمارس الجمعية نشاطاً تبشيرياً حقيقياً بين المسلمين رغم أن مولر كان يرعى أيتاماً مسلمين في منزله . وعلى سياستها هذه ظلت الجمعية حتى بداية الثمانينات من القرن الماضي . وكان المسلمون يشكلون اكثر من ٧/٨ سكان المدينة البالغ عددهم ٨ آلاف نسمة . أما الطائفة اليهودية فشكلت الأكثرية التي تلت المسلمين ، فيما عدد المسيحيين لم يتجاوز الـ ١٠٠ شخص . وبسبب اقتصار المدينة على المدارس القرآنية ، رجا عدد من العائلات الإسلامية جمعية بيت المقدس فتح مدرسة « **علمانية** » لا تتعاطى أمور التبشير . ولما كان هذا يتعارض مع سياستها رفضت الجمعية الطلب [٨٨] .

وعندما كررت بعض العائلات الإسلامية رجاءها كلفت الجمعية في تشرين الأول عام ١٨٨١ المبشِّر كنعان بدراسة المشروع وفرص نجاحه . وفي تقريره الذي رفعه إليها ، حثَّ المبشِّر كنعان الجمعية على إنشاء مدرسة في مدينة الخليل مع مستوصف بإشراف طبيب يتمتع بالحماية الأوروبية « **كي لا تلعب به الدولة العثمانية كما تشاء** »[٨٩] . ومرة أخرى بسبب افتقار الجمعية إلى المال لم تجد تلك المقترحات طريقها إلى التنفيذ .

وبتسلمه إدارة مركز الجمعية في بيت لحم مع بداية عام ١٨٨٤ ضغط الباستور لودفيغ شنلر بدعم من كارل راينيكه Karl Reinicke راعي الجماعة الإنجيلية الألمانية في القدس ، على الجمعية لكي تفتح مركزاً في المدينة . ورأى

الإثنان إمكان تخطي العقبات التي قد تضعها السلطات العثمانية في وجه الجمعية . أما تغطية نفقات المركز ومقدارها سنوياً ما بين ٤ آلاف و٦ آلاف مارك فيمكن الحصول عليها من تبرعات تجمع من دويلات ألمانيا . وأخيراً حثَّ الإثنان الجمعية على الإسراع في تنفيذ المشروع لأن الكنيسة الاسكتلندية وجمعية التبشير الكنائسية تتطلعان إلى مدينة الخليل كحقل جديد لنشاطها التبشيري بين المسلمين[٩٠] .

وبناء على تلك التوصيات قررت جمعية بيت المقدس إرسال المعلم الياس ضاهر والطبيب اللبناني صليبي إلى مدينة الخليل . كذلك عهدت إلى الطبيب صليبي فتح صيدلية تابعة للمستوصف . وبمساعدة أحد أعضاء بلدية الخليل استأجرت الجمعية منزلاً بمبلغ ١٠٠٠ فرنك سنوياً . وفي الوقت نفسه اتصلت الجمعية بشخصيات ألمانية مهتمة بالعمل الإرسالي في فلسطين للحصول منها على تبرعات للمركز الجديد . فتبرع الأمير البرشت البروسي Prince Albrecht of Prussia بمبلغ ١٢٠٠ مارك وسيدة تدعى دونر Donner من منطقة آلتونا Altona بمبلغ ٣ آلاف مارك[٩١] .

ورغم موقف الرأي العام الإسلامي المتحفظ من نشاط الإرساليات ، ازدهرت المدرسة والمستوصف في الأشهر الأولى لافتتاحها . وبعد فترة تجرأت بعض العائلات الإسلامية على إرسال أبنائها إلى المدرسة . وفي المساء كان المدرِّس ضاهر والطبيب صليبي يديران جلسات مناقشة مع عائلات إسلامية حول المسيحية [٩٢] . وفي المستوصف تمكَّن الطبيب صليبي في الأشهر الثلاثة الأولى من معالجة ٧١٢ مريضاً ، كان من بينهم ٢٨٠ مصاباً بأمراض العين [٩٣] . فبدا كأن المشروع تخطى مرحلة الخطر وأن بشائر نجاحه باتت مؤكدة ، رغم شكوى صليبي لدى الجمعية صعوبة الجمع بين العمل في المستوصف وبين العمل في الصيدلية [٩٤] .

وبذلك تحولت مدرسة الجمعية التي أرادها المسلمون علمانية غير دينية إلى مركز آخر للتبشير[٩٥] شديد التأثير لوقوعه في معقل إسلامي . كذلك تخطى الطبيب صليبي واجباته المهنية وأخذ يعقد مناقشات دينية مع المرضى المسلمين ويتلو عليهم الإنجيل في عيادته [٩٦] . إن ربط التعليم والتطبيب بالتبشير دفع السلطات العثمانية للتدخل ومنع السكان المحليين من إرسال

أبنائهم إلى المدرسة أو زيارة المستوصف مستندة بذلك إلى فتوى من مفتي الخليل [٩٧] . وفي الوقت نفسه حذرت الحكومة العثمانية في الآستانة الطبيب صليبي من سياسة ربط التطبيب بالتبشير بين المسلمين وأمرته بحرق «**المنشورات المعادية للمحمدية**»، التي كان يوزعها على السكان المسلمين [٩٨] . ولكن هذه التحذيرات ذهبت أدراج الرياح ، إذ استمر المسلمون يزورون المستوصف والمدرسة . كذلك لم يخفف صليبي والمدرِّس ضاهر من نشاطهما التبشيري بين المسلمين . وإزاء هذا الاستهتار بأوامرها ، أمرت السلطات العثمانية بسجن بعض المخالفين [٩٩] . وبذلك تراجع عدد المسلمين في مدرسة الجمعية إلى ٣ ، وحتى هؤلاء لم يجرؤا على زيارة المدرسة بانتظام . ورغم هذه الضربة واصل ضاهر وصليبي نشاطهما التبشيري سراً بين عدد قليل من المسلمين .

وفي عام ١٨٨٧ استبدلت الجمعية الطبيب صليبي بطبيب لبناني آخر هو اسكندر دباك ، خرِّيج الكلية السورية الانجيلية . لكن السلطات العثمانية منعته من ممارسة عمله كونه لم يتقدم من امتحان الكوليكيوم في الآستانة ، الذي كانت تجريه هيئة عثمانية رسمية [١٠٠] . ورغم أن هذا القانون يعود إلى عام ١٨٦١ ، فقد كان معظم الأطباء في منطقة سوريا وفلسطين الحاصلين على دبلوم في الطب من الكلية المذكورة يمارسون مهنة الطب من دون التقدم لامتحان في الآستانة [١٠١] . وعلى ما يبدو أرادت السلطات العثمانية أن تضع العراقيل أمام نشاط جمعية بيت المقدس في الخليل .

وتحت الظروف الجديدة وهي منع دباك من العمل ومضايقة نشاط المدرّس ضاهر ، طلب الأخير من جمعية بيت المقدس نقله إلى مركز آخر . وقد علل ضاهر ذلك باقتصار التعليم على ولديه وتلميذ آخر مما يجعل التبشير عقيماً [١٠٢] . وبذلك وجدت الجمعية نفسها مضطرة إلى إقفال مركز الخليل . ولكنها طلبت من الباستور شنلر البقاء على اتصال بأهالي الخليل إلى أن تحين الفرصة مستقبلاً لإعادة فتح المركز [١٠٣] .

مرّت سنتان وبدا للجمعية أن الظروف قد تغيرت لمصلحتها ، خاصة بعد تعيين والٍ جديد على القدس على علاقة حسنة بالألمان ، كما اعتقدت الجمعية . والواقع أن إسراع الجمعية في إعادة فتح المركز جاء نتيجة عزم جمعية التبشير الكنائسية على فتح مركز لها في المدينة . وللمرة الثانية أرسل المدرِّس

ضاهر والطبيب دباك إلى الخليل . وخلافاً للتوقعات وضعت السلطات العثمانية العراقيل من جديد أمام نشاط الجمعية . كذلك حدثت خلافات بين ضاهر ودباك حول سير العمل . كما ثبت للجمعية عدم كفاءة دباك للعمل التبشيري ، فصُرف من العمل . ولما لم تجد الجمعية طبيباً ألمانياً براتب مناسب يحل محل دباك ، قررت التخلي عن المستوصف ، خاصة بعدما افتتحت الكنيسة الاسكتلندية عام ١٨٩٢ مستشفى لها في مدينة الخليل [١٠٤] .

أما المدرِّس ضاهر فبقي في الخليل بعدد من التلاميذ لم يتجاوز الـ ١٠ ، ليس بينهم أي مسلم [١٠٥] . وعندما تأكدت جمعية بيت المقدس من فشل سياستها في تنصير المسلمين ، قررت عام ١٩٠٢ التخلي عن مركزها للكنيسة الاسكتلندية . وفي الوقت نفسه اسفرت مباحثات للجمعية مع السلطات العثمانية على حصول المدرسة على اعتراف رسمي بها . وبذلك عادت جمعية بيت المقدس تتمسك بمركزها مواصلة نشاطها . وفي السنوات التالية ارتفع عدد التلاميذ إلى ٢٥ [١٠٦] . ولم تتوفر معلومات حول التلاميذ المسلمين وأعدادهم . ومع ذلك فلا يمكن الحديث عن نجاح في هذا الصدد . فمعدل التلاميذ قارب الـ ٢٥ في السنة ، كما أن أفراد الجماعة الإنجيلية في الخليل كانوا من خارج المدينة .

وقبل نهاية القرن التاسع عشر بعام واحد انضمت ٢٤ عائلة أرثوذكسية في منطقة بيت ساحور إلى الكنيسة الإنجيلية برعاية جمعية بيت المقدس . فافتتحت الجمعية في المنطقة مدرستين ،الأولى للصبيان والثانية للبنات . كذلك شُيد مسكن للمدرِّسين. ولكن سرعان ما تحطم هذا المشروع عندما تخلت تلك الأسُر عن المذهب الإنجيلي وعادت من جديد إلى كنيستها السابقة [١٠٧] .

٣ ـ الرعاية الكنسية للجماعات الألمانية في حيفا ويافا ـ سارونا :

منذ أن استقرت في فلسطين بعد عام ١٨٦٨ رفضت « جمعية الهيكل الألمانية » قيام أية علاقة بالكنيسة الإنجيلية . ونتيجة الانشقاق الذي حصل داخل الجمعية عام ١٨٧٤ ، انفصلت عنها ٢٥ أسرة في حيفا ويافا وأسست لنفسها جمعية مستقلة . وخلال العامين ١٨٧٧ و ١٨٧٨ تعرضت الجمعية الأم إلى تضعضع آخر [١٠٨] . وأفسحت هذه التطورات المجال أمام الإرساليات

الإنجيلية لتدخل المنشقين عن جمعية الهيكل ضمن سياستها التبشيرية .

حيفا : بعد حدوث الانشقاق الثاني في جمعية الهيكل ، بدأ راينيكه ، راعي الجماعة الإنجيلية الألمانية في القدس ، بزيارة المنشقين عن جمعية الهيكل في حيفا ويرأس من حين إلى آخر قداساً . وبذلك انضمت ١٠ أسر من جديد إلى المذهب البروتستانتي (١٠٩) . وبعد وفاة هوفمان ، أحد زعماء جمعية الهيكل في عام ١٨٨٥ ، سنحت الفرصة لجمعية بيت المقدس لرعاية تلك الأسر وكلفت راينيكه بالمهمة والانتقال بين القدس وحيفا على نفقتها الخاصة (١١٠) .

ولكن انضمام الأسر الـ ٢٥ إلى المذهب الإنجيلي كانت له نتائج سلبية على تلك العائلات . فقد مُنع أبناؤها من زيارة مدرسة جمعية الهيكل في المدينة (١١١) . وهذا ما اضطر جمعية بيت المقدس بعد عام ١٨٩١ إلى إرسال مدرِّس إلى حيفا . وفي السنتين التاليتين أسست مدرسة وقاعة للصلاة وعينت راهباً يرعى الجماعة . وقد بلغت كلفة المشروع بكامله ٤٢٠٠ مارك سنوياً ، كانت تُدفع من صندوق جمعية بيت المقدس (١١٢) . وفي بداية القرن الحالي بلغ عدد تلامذة المدرسة ٣٨ ، وافراد الجماعة ١٤٧ (١١٣) .

يافا ـ سارونا : شابهت ظروف الجماعة الإنجيلية في يافا ـ سارونا وتطورها ظروف تلك الجماعة في حيفا . فالخلافات الداخلية التي فرقت بين أعضاء جمعية الهيكل في السبعينات دفعت فئة صغيرة منهم إلى الانفصال عن الجمعية الأم والاشتراك في صلاة الأحد مع العائلات الإنجيلية في يافا ، إلى أن انضمت في عام ١٨٨٩ نهائياً إلى الكنيسة البروسية (١١٤) . وقد قدَّم الغراف أوستينوف Ustinov وهو روسي الأصل وأحد مشجعي العمل التبشيري الإنجيلي في فلسطين ، منزله في يافا ـ سارونا إلى الجماعة الإنجيلية لاستعماله كقاعة للصلاة وليكون مدرسة لأبناء الجماعة . وقد ساهمت جمعية بيت المقدس بمصاريف إرسال معلم للمدرسة . ولكن نمو الجماعة حمل معه مشكلة ضيق المنزل ، خاصة عندما كانت تعقد فيه صلاة الأحد . وبالاتفاق مع جمعية يهود لندن أخذت الجماعة تقيم صلاتها في كنيسة الجمعية (١١٥) . إلا أن مسألة المدرسة ،فقد عجزت جمعية بيت المقدس عن حلها لأسباب مالية . ولم يبق من نشاط الجمعية سوى تأمين راعٍ للجماعة (١١٦) . فكان على الجماعة أن تعتمد على نفسها . وبمساعدة أوستينوف وأصدقاء لجمعية بيت المقدس تم شراء قطعة

أرض بنيت عليها مدرسة وقاعة صلاة وشقة لراعي الجماعة والمدرِّس (١١٧) . وفي عام ١٩٠٤ أنهت الجماعة بناء كنيستها الصغيرة على قطعة أرض تبرع بها أوستينوف (١١٨) .

٤ ـ دار الأيتام الإنجيلية في بيت لحم :

المرحلة الأولى : دار أيتام مولر ، ١٨٦٠ ـ ١٨٨٤ : دفع تأسيس يوهان شنلر لدار الأيتام في عام ١٨٦٠ (١١٩) صموئيل مولر إلى التقاط بعض الأيتام وإيوائهم في منزله جاعلاً منه داراً للأيتام . ولم تحاول جمعية بيت المقدس في حينه لأسباب مادية أن تأخذ الدار على مسؤوليتها (١٢٠) . فأطلقت يد مولر في مشروعه مشترطة عليه عدم إهمال الجماعة الإنجيلية في بيت لحم (١٢١) .

ومنذ عام ١٨٦٠ كان هناك نحو ٢٠ يتيماً في رعاية مولر وزوجته . وحافظت هذه النسبة على مستواها حتى الثمانينات من القرن الماضي (١٢٢) . وكان نحو نصف اليتامى من المسلمين ، بينهم بعض أبناء البدو الذين كان مولر على صداقة بهم منذ حط في بيت لحم في الخمسينات . كذلك ضم ميتم مولر بعض الفتيات . ففي عام ١٨٨٢ كان هناك ٩ يتيمات مقابل ١٨ صبياً (١٢٣) . والجدير بالذكر أن استخدام مولر للتعليم المختلط كان خطوة جريئة بسبب الظروف الاجتماعية السائدة في فلسطين . فلم يكن هناك فصل بين الجنسين إلا في الدروس العملية . فالصبية يهتمون بالأعمال المنزلية وأشغال الحديقة والفتيات يقمن بالأشغال اليدوية والخياطة (١٢٤) . ومنذ السبعينات كان المدرِّس إيمانويل مولر يشرف على التدريس في الدار .

وفي الستينات استغل مولر سوء الحصاد الذي أصاب الفلاحين الفلسطينيين ، واشترى قطعاً من الأراضي مساحتها ٢١ هكتاراً بأسعار بخسة من دون أية مراعاة لظروف الفلاحين الاقتصادية والاجتماعية الناتجة عن القحط (١٢٥) . كما ابتاع حقول زيتون مساحتها ٦٧٥٠ م٢ (١٢٦) . وعلى هذه الأرض قام مولر بتشغيل بعض الفلاحين البروتستانت لقاء أجر سنوي يصل إلى نحو ١٠٠٠ مارك (١٢٧) .

ومن وراء شراء الأراضي واستثمارها كان مولر يبغي في الواقع الاستقلال بنشاطه التبشيري عن جمعية بيت المقدس وتشييد دار كبيرة للأيتام خاصة به في

منطقة الكروم التي اشتراها قرب بيت لحم [١٢٨] . ولهذه الغاية زار مولر وزوجته أوروبا لجمع التبرعات ، ولم يستأذن جمعية بيت المقدس . وقد أثارت تحركات مولر شكوك الجمعية [١٢٩] ، فخشيت أن تؤدي سياسة مولر الاستقلالية إلى تشرذم القوى الإنجيلية في بيت لحم . ولكنها رأت في الوقت نفسه أن تتريث قليلاً طالما أن مولر لم يفصح صراحة عن نواياه الاستقلالية .

وفي الوقت نفسه كان راينيكه على خلاف مع مولر ويشك في نواياه وسلوكه ، فوضعه تحت مراقبته . ومنذ عام ١٨٦٧ كان راينيكه يرسل إلى جمعية بيت المقدس بالتقارير حول إهمال مولر لشؤون الجماعة الإنجيلية في بيت لحم [١٣٠] . ثم ما لبث أن تطور الخلاف بينهما حول تبعية دار الأيتام التي أنشأها مولر ومسؤولية راينيكه في الإشراف على نشاطات مولر . فراينيكه بوصفه المشرف العام على نشاطات جمعية بيت المقدس في فلسطين اعتبر ان دار الأيتام الذي أنشأه مولر جزءاً لا يتجزأ من نشاط الجمعية البرلينية وبالتالي يخضع لإشرافه [١٣١] ، فيما مولر اعتبره عملاً مستقلاً خاصاً به لا علاقة له بنشاط جمعية بيت المقدس [١٣٢] . وكانت غالبية أعضاء مجلس إدارة جمعية بيت المقدس تخشى تأثير الخلافات الحاصلة بين راينيكه ومولر سلباً على النشاط العام في بيت لحم أكثر من قضية استقلال مولر بدار الأيتام ، خاصة أن الجمعية كانت لا تزال تحتاج إلى خدمات مولر ، الذي طبع العمل التبشيري الإنجيلي به طوال أربعين عاماً [١٣٣] . ولهذا أوعزت الجمعية إلى راينيكه بعدم استفزاز مولر و « **التدخل في المسألة** » [١٣٤] . ولكن هذا القرار حفز راينيكه على تقديم البراهين حول شخصية مولر وسلوكه . ومن ضمن البراهين التي قدَّمها كانت الطريقة الغامضة التي ابتاع بها مولر أراضيه وأنه وزوجته جمعا أموالاً في أوروبا بإسم جمعية بيت المقدس ومن دون علمها [١٣٥] . ويبدو ان حملة راينيكه وجدت هذه المرة أصداء طيبة لدى مجلس الإدارة ، الذي رأى أن خير وسيلة هي حل دار الأيتام وشراء كروم العنب التي كان مولر يعتزم تشييد دار أيتام جديدة عليها . وكلَّف مجلس الإدارة راينيكه بأن يحل المسألة مع مولر حبياً [١٣٦] . لكن مولر رفض العرض المالي الذي قدَّمه له راينيكه . وسرعان ما تدهورت علاقات مولر بجمعية بيت المقدس ، عندما تأكدت الأخيرة ، في ضوء المستندات التي قدَّمها لها راينيكه ، أن مولر لم يكن يملك أي مال عندما

قدم فلسطين وعمل لدى جمعية كريشونا وأنه كذلك لم يفصل مالية مشروعاته التبشيرية عن مالية مشروعات الجمعية [١٣٧] . فاستخدمت الجمعية ذلك حجة في زيادة الضغط على مولر وإجباره على المبيع مهددة إياه « **بتهمة سوء مسك دفاتر المحاسبة** » وأنها سوف تشكوه أمام القنصل الألماني في القدس . فما كان من مولر إلا أن رضخ للتهديد ووافق على السعر الذي حددته الجمعية وكذلك على حل دار الأيتام وتقديم استقالته من الجمعية [١٣٨] . وفي خريف ١٨٨٤ غادر مولر فلسطين إلى ألمانيا .

المرحلة الثانية : دار الأيتام الأرمنية ، منذ عام ١٨٩٧ : بعد حل دار الأيتام فكَّرت جمعية بيت المقدس في أن تبني لها مستشفى في منطقة الكروم ببيت لحم . فحصلت في عام ١٨٨٧ على رخصة بناء من السلطات العثمانية . ولكن المشروع لم ير النور لافتقار الجمعية إلى المال الكافي . ثم ما لبثت فكرة بناء دار للأيتام وبدء تعليم مهني وحرفي ان راودت الجمعية عام ١٨٩٤ [١٣٩] . لكن المذابح العثمانية ضد الأرمن عجَّلت بتنفيذ المشروع .

ورغم أن السلطات العثمانية لم تنظر بعين الرضى إلى مبادرة الجمعيات التبشيرية الألمانية العاملة في الشرق بالتقاط اللاجئين الأرمن في مياتمها ، سارت جمعية بيت المقدس قدماً في استقبال ٥٠ يتيماً أرمنياً [١٤٠] . وفي عام ١٨٩٧ وصلت الدفعة الأولى من الأيتام وقوامها ١٠ أطفال ، وفي السنة التالية تبعتها دفعة من ١٠ آخرين . ولما كانت الجمعية لا تمتلك حينذاك ميتماً خاصاً ، آوت الأيتام في مركز الإرسالية ببيت لحم [١٤١] . وفي الوقت نفسه قررت تشييد دار للأيتام باستخدام رخصة البناء التي حصلت عليها قبل سنوات لإنشاء المستشفى . وقد كلف المشروع ١٦٠ ألف مارك والتزمته شركة ألمانية في برلين . وفي تشرين الأول عام ١٨٩٨ دشِّنت الدار من قبل الامبراطور وليم الثاني وزوجته، اللذين كانا في زيارة لفلسطين [١٤٢] .

ولقي تأسيس دار للأيتام الأرمن استحساناً من قبل الرأي العام الألماني . فالأطفال الـ ١٠ الأول الذين استقطبتهم الجمعية وجدوا على الفور عائلات ألمانية تكفلت بمصاريف تربيتهم في الدار [١٤٣] . أما الجمعيات الفرعية والمساعدة لجمعية بيت المقدس فجمعت تبرعات لبناء الدار الجديدة بلغت ٨٧ ألف مارك [١٤٤] . وفي فلسطين نفسها قوبل تأسيس دار للأيتام بفتور من قبل

الطوائف المسيحية الأخرى ، خاصة أن الدار دُشنت من قبل وليم الثاني خلال رحلته إلى فلسطين وأظهرت متانة النفوذ الألماني في الشرق [١٤٥] . وبديهي ألا يرحب أحد بتأسيس الدار باستثناء بطريرك الأرمن ، الذي ذكّر جمعية بيت المقدس على ضرورة توعية اليتامى « **سياسياً وقومياً** » [١٤٦] .

وبإشراف إيمانويل مولر وزوجته تطورت الدار بسرعة . وكان من أشد الصعاب في الفترة الأولى مسألة التفاهم مع الأيتام وقضية تأقلم الأطفال في مجتمع غريب . فكان على الأيتام أن يتعلموا اللغة الأرمنية لأنها كانت لغتهم الأم ، وكان عليهم تعلم العربية لأنهم يعيشون في محيط عربي ، والألمانية لأنهم يُربون في مؤسسة ألمانية وأخيراً اللغة العثمانية لأنها كانت لغة إلزامية في السلطنة العثمانية في نهاية القرن التاسع عشر [١٤٧] . وكان يمكن التغلب على جزء من المشكلة في ما يتعلق باللغة العربية لو أن سياسة الجمعية كانت تقوم على استقبال الأيتام العرب ، حيث تقوى لغة اليتامى من خلال احتكاكهم بالأيتام العرب . ولكن الدار شُيدت أولاً وأخيراً لأجل الأيتام الأرمن [١٤٨] .

وكان الهدف الأساسي من استقبال الأرمن هو ربط التعليم والخدمات الاجتماعية والإنسانية بالتبشير الإنجيلي . ولهذا جرى التركيز على تعليم الدين . وبعد مرور سنوات على إنشاء الدار حصلت أول دفعة من الأيتام على التثبيت .[١٤٩]

وطبيعي ألا تقوم سياسة الدار على ترك الأيتام فريسة المجتمع الخارجي بعد تخرجهم . ولهذا كان هناك اهتمام بمستقبلهم . فعندما بلغ عدد الأيتام سن ١٤ أو ١٥ بدأت محاولات لإعدادهم للحياة المقبلة ، على نسق البرنامج الذي كان معمولاً به في دار الأيتام السورية [١٥٠] . فتمّت الاستعانة بمعلمي كندرجية وخياطة من ألمانيا لتعليم الأولاد تعليماً مهنياً [١٥١] ولكن بُعد الدار عن منطقة الأسواق في بيت لحم والقدس وبالتالي قلّة الطلب على مصنوعات الأيتام ، جعل إدخال هذا النوع من الصناعة غير اقتصادي . ولهذا تخلت الجمعية عن المشروع [١٥٢] . وبدلاً منه اتفقت مع دار الأيتام السورية على أن يحصل الأيتام الأرمن على تعليم مهني في ورش دار الأيتام السورية لقاء رسم مالي . أما المتفوقون منهم فقد سمح لهم بالانتساب إلى صف الحلقة التابع لدار الأيتام السورية [١٥٣] .

وعندما رفضت السلطات العثمانية في نهاية القرن الماضي السماح للجمعيات التبشيرية باستقدام أعداد أخرى من الأرمن ، قررت جمعية بيت المقدس فتح أبواب الميتم أمام العرب أيتاماً كانوا أو غير ذلك [١٥٤] . وبذلك تحولت هذه المؤسسة التي تُعنى باليتامى الأرمن إلى مؤسسة تربوية عربية . لكنها احتفظت باسمها « **دار الأيتام الأرمنية** » للتذكير باضطهاد الشعب الأرمني ن قبل الدولة العثمانية [١٥٥] .

وفي عام ١٩٠١ تقدم ٦٠ عربياً للحصول على أمكنة في الدار . لكن قدرة الاستيعاب المحدودة جعلت الدار تكتفي بـ ٢٦ ، بينهم ١٢ من غير الأيتام ، كان أولياؤهم يدفعون عن كل واحد منهم قسطاً نحو ٦٠ فرنكاً سنوياً [١٥٦] . وكما هي الحال في الجمعيات الألمانية الأخرى ، فقد ألزم أولياء التلاميذ وأقرباؤهم توقيع عقود مع الدار تعهدوا فيها إبقاء أولادهم أو الموصى بهم ٦ ـ ٧ سنوات بهدف إفساح المجال أمام التعليم والتربية الإنجيلية لتحقق أهدافها من التلاميذ .

٥ ـ جمعية بيت المقدس ومسألة تمويل مشاريعها :

فيما تقارير جمعية بيت المقدس تذكر أن عائداتها السنوية خلال الأعوام الثلاثة الأولى على إنشائها لم تتجاوز ٢٠٠٠ مارك ، تذكر تلك التقارير أيضاً أن الجمعية كانت تحتاج في نهاية القرن الماضي إلى نحو ١٠٠ ألف مارك سنوياً لتغطية احتياجات مشروعاتها . والسؤال الذي يطرح نفسه هنا : كيف استطاعت الجمعية أن تطور نشاطاتها ومشروعاتها وأن تؤمن احتياجاتها المالية المتزايدة ؟ ومن الذي كان يقف خلفها ويدعمها ؟

والواقع أن جهود الجمعية انحصرت في البداية في دعم نشاطات غوبات وشمّاسات الكيزرزفرت والجماعة الإنجيلية في القدس [١٥٧] . وعندما خصّت الكنيسة البروسية وجمعية غوستاف أدولف وجمعيات أخرى جمعية بيت المقدس بمساعدات مالية سنوية ، ارتفع مدخول جمعية بيت المقدس السنوي إلى ٢٠ ألف مارك [١٥٨] . وحتى نهاية السبعينات من القرن الماضي حافظ هذا الدخل على مستواه بحيث تمكنت الجمعية من دعم نشاطات الجماعات الإنجيلية التي تكونت في بيروت والإسكندرية والقاهرة وسمرنة والآستانة وأن تتولى أيضاً إدارة

مراكز تبشيرية ومدارس في بيت لحم وبيت جالا [١٥٩] .

ومنذ الثمانينات من القرن التاسع عشر عرفت الجمعيات التبشيرية الألمانية في الشرق عموماً وسوريا وفلسطين خصوصاً ، نمواً وتقدماً انعكس على حركة بناء الكنائس ومراكز التبشير والمدارس والمؤسسات وعلى أوضاع تلك الجمعيات المالية أيضاً . فأخذت تلك الجمعيات ومن ضمنها جمعية بيت المقدس تواجه مشكلات مالية متواصلة . وحينذاك كان رودلف كوغل Rudolf Kôgel المريض، على رئاسة الجمعية . فانعكس مرضه على نشاط الجمعية وفعاليتها ، وخاصة من حيث تأمين الموارد المالية لها . وتذكر التقارير أن الجمعية اضطرت في عام ١٨٩٠ لأسباب مالية إلى وقف العمل في تشييد كنيسة في بيت لحم . وللأسباب ذاتها أخرت الجمعية تعيين الباستور لودفيغ شنلر كمدير لإرسالية بيت لحم مدة عامين . كما عجزت عن دفع رواتب العاملين لديها [١٦٠] . وفي بداية السبعينات لم يزد احتياط الجمعية عن ٦ آلاف مارك وهو أدنى احتياطي لجمعية في العالم ، على حد قول مجلة الجمعية [١٦١] .

وخلال رئاسة كوغل المريض أمكن الوصول إلى حل مؤقت للأزمة . فأحد أعضاء مجلس الإدارة ، وكان من رجال البنوك ، تبرع بمبلغ ٥ آلاف مارك لسد العجز . وفي القدس أنقذ الصيرفي فروتيغر الجمعية من مأزقها بتقديم قرض لها بلا فائدة لدفع رواتب العاملين [١٦٢] ولم تكن هذه الإجراءات على حسناتها لتخرج الجمعية من محنتها . والواقع أن الجمعية كانت في حاجة ماسة إلى تعديل في سياستها بتعيين مجلس إدارة جديد ورئيس نشط . فعيّن الغراف فون تزيتن - شفرين في عام ١٨٩٢ رئيساً لمجلس الإدارة . وبالفعل أعطى هذا الاختيار الجمعية حياة جديدة . فبعلاقاته الواسعة استطاع الغراف ان يجد للجمعية مصادر مالية جديدة منتظمة وأن يزيد من عدد أعضاء الجمعية . فعلى سبيل المثال ، انضم نحو ٤٠٠ عضو جديد من رهبنة فرسان يوحنا إلى الجمعية دفعوا جميعهم اشتراكات عضوية بلغت ٥ آلاف مارك سنوياً [١٦٣] .

وفوق ذلك تأسست جمعيات فرعية جديدة تتبع الجمعية الأم [١٦٤] ، كانت إحداها في السويد [١٦٥] . وكان لهذه الجمعيات شأن كبير . ففي عام ١٨٩٧ استطاعت أن تجمع لحساب الجمعية الأم أكثر من ٨٧ ألف

مارك [١٦٦] . كما قامت جمعيات مساعدة في فورتنبرغ أخذت على عاتقها تغطية نفقات رعاية الجماعة الألمانية في حيفا ويافا - سارونا [١٦٧] . أما نفقات رعاية الجماعة العربية في بيت ساحور فتحملتها إحدى الجمعيات المساعدة في منطقة سكسونيا [١٦٨] .

وبطلب من الغراف تزتين - شفرين أخذت الكنيسة البروسية منذ عام ١٨٩٤ تزيد من مساعدتها السنوية إلى الجمعية عن طريق تبرعات ، كتلك التي كانت تُجمع في عيد الميلاد وتصل إلى نحو ٣٠ ألف مارك . وخلاصة القول ، كانت الكنيسة البروسية وحدها تؤمن للجمعية مساعدة سنوية بنحو ٤٤ ألف مارك [١٦٩] .

ومن خلال هذه الموارد جميعها تمكنت الجمعية من تشييد كنيسة الميلاد في بيت لحم وأن تتولى رعاية الجماعتين الألمانيتين في حيفا ويافا - سارونا ، وكذلك تشييد دار الأيتام الأرمنية وأن تؤسس مركزاً تبشيرياً جديداً في بيت ساحور . وفي عام ١٩٠٠ بلغ عدد العائلات التي كانت في رعاية الجمعية في بيت ساحور ٩٩ . وفي بداية العقد الأول من القرن العشرين الحالي كانت جمعية بيت المقدس تحتاج إلى نحو ١٢٠ ألف مارك لتغطية نفقات مشروعاتها [١٧٠].

٦ - خلاصة :

يمكن القول إن جمعية بيت المقدس استطاعت أن توسّع دائرة نشاطاتها في فلسطين إلى خارج مدينة القدس باتجاه بيت لحم وضواحيها . وللوهلة الأولى يبدو ذلك كأنه تحقيق لمشروع الملك البروسي فريدريك وليم الرابع لعام ١٨٤١ بتكوين جماعات إنجيلية ألمانية في الأراضي المقدسة لتكون عماد مطرانية بروتستانتية ألمانية مستقلة عن مطرانية القدس الأنكليكانية [١٧١] .

ورغم مجهوداتها بين مختلف الطوائف ، اضطرت الجمعية إلى حصر نشاطاتها في أتباع الكنيسة الأرثوذكسية . فمحاولتها لكسب بعض المسلمين إلى البروتستانتية باءت بالفشل . وفي دار الأيتام التي أسسها مولر لم يكن ممكناً كسب اكثر من إثنين من البدو المسلمين . أما في مدينة الخليل الإسلامية فقد ظلت جهود الجمعية لتنصير المسلمين عقيمة . لقد عجزت عن الحصول على موطىء قدم في هذه المدينة ونشر المسيحية بين أبنائها بسبب تنبه السلطات

العثمانية والقيادات الإسلامية إلى دور جمعية بيت المقدس وغاياتها التبشيرية .

ومع ذلك فلا يمكن الحديث عن نجاح ملحوظ للجمعية بين أتباع الكنائس الأخرى من العرب . فبعد مرور نصف قرن على بدء نشاطها لم يكن في رعاية الجمعية بفلسطين اكثر من ٣٤٠ شخصاً [١٧٢] . وفي بيت لحم ، حيث أكبر الجماعات الإنجيلية التابعة للجمعية ، لم يزد عدد أفراد الجماعة على ١٦٠ فرداً [١٧٣] .

وأتاحت الخلافات الداخلية في جمعية الهيكل الألمانية للجمعية رعاية المنشقين روحياً واجتماعياً كي تشجّع غيرهم من « **الأبناء الضالين** » على العودة إلى حظيرة الكنيسة الإنجيلية . وقبيل نهاية القرن الماضي بلغ عدد العائدين إلى البروتستانتية ٢٤٠ شخصاً [١٧٤] .

وأخيراً فإن ما يلفت النظر هو النزاع بين الجمعية وبين مولر حول تأسيس دار للأيتام وادعاءات الجمعية بأحقيتها وحدها في تمثيل القوى الإنجيلية في بيت لحم . وفي سبيل ذلك لم تتوان عن التضحية بمشروع اجتماعي مفيد ، وهو « **دار أيتام مولر** » .

الفصل السادس

مشاريع بروتستانتية ألمانية أخرى في فلسطين

١ ـ النزل البروسي : (Das preussische Hospiz)

دوافع إنشائه: في منتصف القرن التاسع عشر وبعد بدء النشاط التبشيري الألماني بدأت أعداد متزايدة من الألمان تهبط القدس للحج أو للعمل[١]. ولأن مدينة القدس ليس فيها فنادق رخيصة للعامة، اضطر العمال الألمان الوافدون المتواضعو الحال الى المبيت في نزل الفرنسيسكان «كازا نوفا» Casa Nuova . وفي هذا المسلك وجدت الدوائر الكنسية البروسية عملاً مشيناً وإضراراً «**بالسمعة الألمانية**» والكنيسة البروسية، خاصة عندما كان العمال يتسولون لتأمين نفقات اقامتهم[٢] أو يرتدون الى المذهب الكاثوليكي للحصول على إقامة لهم في الأديرة الكاثوليكية[٣]. ولوضع حد لمثل هذه التصرفات عمل المطران غوبات على تأسيس نزل بروتستانتي. فكتب في عام ١٨٥٠ الى ملك بروسيا شارحاً له أوضاع الألمان في بيت المقدس وظروف إقامتهم الصعبة، وخاصة العمال الحرفيين، الذين قدّر عددهم بنحو ١٥٠ إلى ٢٠٠ سنوياً. واقترح غوبات على الملك إنشاء نزل للرحالة الألمان[٤].

وعندما أيد القنصل البروسي في القدس، أرنست غوستاف شولتز Ernest Gustav Schultz وجهة نظر المطران غوبات وحاجة القدس فعلاً إلى نزل إنجيلي[٥]، رحب الملك بالفكرة وخصص مبلغ ٤٦ ألف تال من ميزانية «**صندوق تبرعات القدس**» Jerusalem - Kollektenfonds، الذي تأسس في

عام ١٨٤٢ لدعم قيام المطرانية الانجيلية في القدس[٦].

نشاط النزل في المرحلة الأولى: وفي عام ١٨٥١ افتتح النزل في منزل شماسات الكيزرزفرت على جبل صهيون[٧]. وقامت سياسته على استقبال العمال البروتستانت بالدرجة الأولى لمدة ١٤ يوماً من دون مقابل. كما سمح للرحالة الميسورين بالإقامة في النزل لقاء رسم زهيد من دون اعتبار للجنسية أو المذهب[٨].

وفي الفترة الأولى وقع عبء العمل في النزل على عاتق الشماسات، اللواتي كانت مؤسستهن مرتبطة بالنزل في بناء واحد. ولكن ارتباط النزل بمدرسة الشماسات ومستشفاهن في بناء واحد كان غير لائق. فكان بناء نـزل مستقل أمراً ضرورياً.

وفي بداية عام ١٨٤٥ اشتري بمال من «صندوق تبرعات القدس» منزل وقف للمواطن العثماني مصطفى آغابيرقدار[٩]. ولما كانت القوانين العثمانية حتى ذلك الوقت تمنع الأجانب من حق التملك في أراضي السلطنة، فقد سجل المنزل في دوائر الطابو على اسم ترجمان القنصلية البروسية في القدس داود الكردي. وفي الوقت ذاته وقع الكردي تصريحا حفظ في ملفات القنصلية، بأن العقار هو في الحقيقة ملك فريدريك وليم الرابع، ملك بروسيا[١٠].

ولم يزد شراء المنزل الجديد في عدد النزلاء، فظل عددهم لا يتجاوز الـ ٥٠ في السنة. ومرد ذلك الى سوء التنظيم الداخلي وإلى اندلاع حرب القرم (١٨٥٣ - ١٨٥٦) التي حجّمت عـدد الرحـالـة الألمـان والأوروبيـين إلى فلسطين[١١].

رهبنة فرسان يوحنا تتولى إدارة النزل: بعد انتهاء حرب القرم رأت الدوائر الألمانية في برلين أن وضع النزل بادارة جمعية أو إرسالية تبشيرية قد يؤدي الى ازدهاره وتطوره. فقرر فريدريك وليم الرابع ان يعهد به الى « **رهبنة فرسان يوحنا**»[١٢] Johanniterorden التي كان لها ارتباط تاريخي معروف بفلسطين[١٣]. وفي مركز القيادة في هذه الرهبنة كان هناك أمراء بروسيون وشخصيات ألمانية بارزة[١٤]. وحتى عام ١٨٩٠ ازداد أعضاء الرهبنة بشكل كبير[١٥] وقدمت خدمات انسانية واجتماعية جليلة خلال الحروب الأوروبية

حتى الحرب العالمية الأولى[١٦] وعملت على تدريب شماسين ليكونوا ممرضين في مستشفياتها، التي وصل عددها الى ٤٢ قبل نهاية القرن الماضي[١٧].

وبعد قرار ملك بروسيا اقترح كارل أوتو فون رومر Karl Otto von Raumer ، وزير الشؤون الروحية والتعليم والصحة على رهبنة فرسان يوحنا تولي إدارة النزل[١٨]، وطبقا لاتفاقية وقعت في ١١ آذار ١٨٥٨، انتقلت إدارة النزل الى الرهبنة لقاء أجر شهري عبارة عن ٢٤٠ تالا تدفع الى «صندوق تبرعات القدس»[١٩]. وفي إطار عودة رهبنة فرسان يوحنا الى نشاطها في المشرق حاول العرش البروسي شراء قطعة أرض المارستان التي أقام عليها فرسان يوحنا مستشفاهم خلال الحروب الصليبيـة[٢٠]. ولكن نجاحا في هذه القضية لم يتحقق، الى أن قام ولي عهد بروسيا الأمير فريدريك وليم بزيارة فلسطين وحصل من السلطان العثماني على النصف الشرقي من المارستان كهدية الى العرش البروسي[٢١].

ازدهار النزل حتى بداية القرن الحالي: وفقاً لنظام النزل الداخلي الصادر عام ١٨٦٥ والذي عدل في عام ١٨٨٩ منح الرحالة البروتستانت من ألمان وأوروبيين أفضلية المبيت شرط ألا تزيد مدة إقامتهم على ١٥ يوماً. وقد استثني من مدة الإقامة نزلاء الدرجة الأولى وحدهم، من رجال دين وعلماء وفنانين، على أن يدفع الفرد منهم ٤ ماركات عن إقامة كل يوم. كما شكلت لجنة من شخصيات بروتستانتية في القدس برئاسة القنصل الألماني للإشراف على إدارة النزل محلياً. فعين لإدارته راهباً وزوجته[٢٢]. وكان راهب النزل مسؤ ولاً عن إقامة الصلاة في الصباح والمساء، وتوزيع نسخ من الكتاب المقدّس مجاناً على النزلاء لدى مغادرتهم النزل[٢٣].

ورغم انتقال إدارة النزل إلى رهبنة فرسان يوحنا، إلا أن مساحتـه الصغيرة جعلت عدد نزلائه لا يتجاوز الـ ١٠٠ في العام[٢٤]. والواقع ان فرسان يوحنا لم يشاؤا توسيع المبنى طالما أنه مؤجر من قبل «صندوق تبرعات القدس» وليس ملكا لهم. ولكن بعد شراء الرهبنة المنزل بسعر ٦ الاف تال من صندوق القدس[٢٥]، أمكن توسيع النزل بزيادة غرف اضافية. ولكن بعد سنوات قليلة تبين أن قدرة الاستيعاب لا تزال محدودة أمام تزايد عدد النزلاء. وبذلك كان على فرسان يوحنا البحث عن منزل جديد. وفي عام ١٨٦٦

اشتري المنزل الذي كان يسكنه راعي الجماعة الألمانية في القدس[٢٦]. ومنذ ذلك الحين تحول اسم النزل إلى «**نزل رهبنة فرسان يوحنا البروسي**». كما علق صليب الرهبنة عند مدخله[٢٧].

وانسجاماً مع السياسة الألمانية العامة بعد عام ١٨٧١ بأن تسجل ممتلكات جميع المؤسسات الألمانية في أراضي السلطنة العثمانية على اسم الرايخ الألماني، انتقل في عام ١٨٨٣ تسجيل النزل في دوائر الطابو من اسم داود الكردي الى اسم القنصل الألماني في القدس. وكان هذا التعديل إجراء شكليا، إذ أن رهبنة فرسان يوحنا قد حصلت من القنصلية على مستند بأنها المالك الشرعي للنزل ولها حق التصرف فيه[٢٨].

وفي المنزل الجديد الذي ضم ٥ غرف لنزلاء الدرجة الأولى وحجرة كبيرة لنزلاء الدرجة الثانية تسع ١٢ سريرا، تمكنت رهبنة فرسان يوحنا عن طريق توسيع المبنى ما بين عامي ١٨٦٦ و١٨٧٣ من زيادة عدد النزلاء الى أكثر من ١٠٠ في العام. ويلاحظ أن نزلاء الدرجة الأولى كانوا يشكلون نحو ٢/٣، مما يدل على أن فلسطين لم تكن فقط نقطة اجتذاب للمهاجرين والمستوطنين الأوروبيين الساعين للرزق فحسب، بل أيضا نقطة يقصدها العلماء والبحاثة ورجال الدين، هذا فضلا عن الجمعيات الاستعمارية التي كانت تعمل على استكشاف فلسطين، كـ «**صندوق استكشاف فلسطين**» Palestine Exploration Fund الذي تأسس في عام ١٨٦٥، و«**الجمعية الألمانية لاستكشاف فلسطين**» Deutscher Verein zur Erforschung Palâstinas التي تأسست في عام ١٨٧٧ و«**المعهد الانجيلي الألماني لعلم الآثار في الأرض المقدسة**» Deutsches Evangelisches Institut fûr Altertumswissenschaft des heiligen Landes الذي تأسس في عام ١٩٠٢. ومن ضمن الشخصيات البارزة التي أمت النزل حتى نهاية القرن الماضي، رجل اللاهوت السويدي غلاسيل Glasil، ولي العهد البروسي الأمير فريدريك وليم Prince Friedrich Wilhelm of Prussia، لودفيغ ولي العهد في هسن Crownprince Ludwig of Hessen. كما أقام في النزل فنانون أمثال وليم غنتز Wilhelm Gentz من برلين وهنري أغسطس جورج شايوت Henry Aug. George Schiott من الدانمرك، وعلماء أمثال الطبيب دنغلر Dr. Dingler من منطقة زفايبروكن Zweibrûcken

أو المستشرق الدكتور البرت سوكين Dr. Albert Socin من بازل[٢٩]. وفي عام ١٨٨٨ وصف الكاتب الألماني باول ليتزوف Paul Lietzow النزل البروسي بأنه مريح ونظيف ومنظم[٣٠].

ورغم النجاح الذي حققه النزل فإن عدد نزلائه ظل مرتبطاً إلى حد كبير بالأوضاع السياسية العامة في المنطقة والأوضاع الصحية المحلية. فافتتاح قناة السويس في عام ١٨٦٩، على سبيل المثال، رفع أعداد النزلاء إلى أكثر من ١٣٥ في السنة[٣١]، فيما حرب القرم والحرب الألمانية ـ الفرنسية والحرب العالمية الأولى سببت انخفاضا في عدد النزلاء[٣٢]. كذلك ارتبط تذبذب عدد النزلاء بالأوبئة والأمراض التي كانت تضرب الشرق عامة وفلسطين خاصة مما كان يجعل الرحالة يتجنبون فلسطين[٣٣].

وكما أسلفنا، كان نزلاء الدرجة الأولى يدفعون ٤ ماركات لقاء الاقامة ليلة في النزل، بينما كان نزلاء الدرجة الثانية معفيين من تلك الرسوم. ورغم تقاضيه الرسوم فان النزل كان يحتاج الى مساعدة مالية سنوية من الرهبنة تقدر بنحو ٢٧٠٠ مارك[٣٤]. وبين عامي ١٨٥٧ و١٨٩٧ تلقى النزل من الرهبنة ما مجموعه ١٥٣٢٥٥ ماركا استهلكت في تسديد الايجارات قبل شراء المنزل وثمن شراء منزل بيرقدار والمنزل الجديد وتوسيعات وتحسينات في الأبنية وصيانة أثاث النزل[٣٥]. وقد ارتفع الدعم المالي للنزل إلى ٢٠٢٧١١ ماركاً في عام ١٩٠٣[٣٦].

٢ ـ مأوى المجذومين «معونة يسوع»:
(Das Aussâtzigenasyl «Jesus Hilfe»)

أوضاع مرضى الجذام في فلسطين: رغم أن الكتاب المقدس قد ذكر وجود مرض الجذام في فلسطين زمن المسيح[٣٧]، ورغم أن كثيراً من الروايات تذكر وجود هذا المرض على مر التاريخ، فان عملاً حقيقياً لمساعدة المرضى لم يوضع موضع التنفيذ قبل منتصف القرن التاسع عشر. وخلال الحروب الصليبية كان يتم ايواء مرضى الجذام في أمكنة خاصة[٣٨]. لكن محاولة جدية لمعالجة المرضى طبياً واجتماعياً لم تحدث قبل منتصف القرن الماضي. فقد نظر الى المصابين بهذا المرض على أنهم يحملون أمراضاً خبيثة مما يوجب الابتعاد

عنهم. واتسم موقف السلطات العثمانية تجاه هؤلاء بعدم المبالاة، واقتصر ما تفعله على حصر وجود المرضى البالغ عددهم ٤٠٠ إلى ٦٠٠ قرب بوابة صهيون، بحيث أطلق السكان على تلك المنطقة اسم « **أكواخ البؤساء** »[٣٩]. وبذلك شكل مرضى الجذام مجتمعا خاصا بهم بقيادة أحدهم وعاشوا من التسول[٤٠]. ولم يكن موقف المؤسسات الكاثوليكية أو الأرثوذكسية أفضل من موقف السلطات العثمانية تجاه المرضى. فهي لم تعرهم اهتماماً كبيراً، بسبب عزلتهم وعدم تأثيرهم العائلي أو الاجتماعي[٤١]. وقد اكتفت بتقديم الحسنات اليهم[٤٢].

ووفقاً لما ذكرناه فقد كان تأسيس مأوى المجذومين في عام ١٨٦٧ خطوة هامة للنشاط الانجيلي الألماني في فلسطين. فالمنزل «مأوى المجذومين» الذي أطلق عليه العرب اسم «**دار المساكين**»[٤٣] استطاع رغم أهدافه التبشيرية أن يقدم للمجذومين إغاثة مفيدة.

تأسيس المأوى وازدهاره: عام ١٨٦٥ قام البارون كيفنبرنك-اشرادن Baron Keffenbrinck-Ascheraden من منطقة بومر Pommer الألمانية مع زوجته برحلة حج إلى الأراضي المقدسة وشاهدا عن قرب تجمع المجذومين في القدس مما أثار حميتهما لبدء عمل خيري لمساعدتهم. وقد قام الزوجان بالاتصال بالطبيب البريطاني شابلن Dr. Chaplin الذي كان يقيم في القدس وبالمطران غوبات والقنصل البروسي جورج روزن Georg Rosen واتفقوا معاً على إنشاء مأوى للمجذومين من أموال تجمع في أوروبا، على أن تؤسس في القدس لجنة محلية لإدارته[٤٤].

وبعد عودة كيفنبرنك-اشرادن وزوجته إلى ألمانيا قاما بحملة دعائية في الصحف الأوروبية في سبيل الحصول على تأييد جماهيري لمشروعهما. وخلال تسعة أشهر استطاعا أن يجمعا مبلغ ٩ آلاف تال. أما اللجنة المحلية فاستطاعت بدورها أن تجمع مبلغ ٣١٠٠ تال[٤٥]. وبواسطة القنصل البروسي في القدس أمكن بناء منزل خارج مدينة القدس، الذي دشن في ٣ أيار ١٨٦٧ كمأوى للمجذومين أطلق عليه اسم «**معونة يسوع**» للدلالة على قوة المسيح كطبيب لكل الأمراض[٤٦].

ورغم جهود القنصل البروسي لترغيب المجذومين بالالتحاق بالمأوى فإن أحداً منهم لم يقدم على ذلك. وظل المأوى خالياً شهوراً عدة، لأن المجذومين كانوا من المسلمين في معظمهم[٤٧] الذين خشوا أن تكون العناية الطبية في المأوى وتقديم الغذاء اليهم مجاناً مرتبطين بسياسة تبشيرية[٤٨]. كما اعتقد بعضهم باستحالة مغادرة المأوى في حال الدخول إليه[٤٩].

ولكن بعد أيلول من عام التأسيس بدأ المجذومون يتشجعون بالدخول الى المأوى. وخلال الأشهر التالية بلغ عدد المرضى ٤ إلى ٥، ومع انتهاء العام الأول على التأسيس ارتفع العدد إلى ١٢[٥٠]. وفي السنوات اللاحقة بلغ ١٦، بحيث اضطرت إدارة المأوى الى توسيع المبنى في عامي ١٨٧٤ و١٨٧٧ لزيادة قدرة الاستيعاب. وعندما تبين أن تلك الاجراءات لم تلحق بالنمو المضطرد للمأوى، بني ما بين ١٨٨٤ - ١٨٨٧ منزل جديد على قطعة أرض مساحتها ٧ هكتارات يتسع لـ ٦٠ مريضاً[٥١]. وحتى عام ١٨٨٥، أي قبل الانتقال الى المبنى الجديد، بلغ عدد المعالجين ٨٦ من بينهم ٢٦ سيدة. أما توزيعهم تبعاً للطوائف فكانوا ٥٤ من المسلمين، ٢٩ من الأرثوذكس، ٢ من الكاثوليك و١ من البروتستانت. ومن هذا العدد توفي ٢٤، فيما الذين تركوا المأوى بمحض إرادتهم بلغوا ٣٤ مريضا وطرد ١ لأسباب مسلكية[٥٢]. أما العناية الطبية فوقعت في البداية على عاتق الطبيب شابلن، الذي حل محله الطبيب ايسنلر منذ عام ١٨٨٥. ورغم جهود سنوات طويلة فلم يتمكن الطبيبان من شفاء أي مريض مصاب بالجذام. ومع ذلك فقد تمكنا من تحسين أوضاعهم الصحية عن طريق الاستحمام المنتظم والنظافة بشكل عام والتمارين الرياضية وعزل ذوي الحالات الخطرة عن بقية المرضى[٥٣].. أما إدارة المأوى فأشرف عليها في البداية المبشر تابه Tappe، وهو مبشر سابق «لاخوة لبرادور»[٥٤]. وبين عامي ١٨٧٩ إلى ١٨٩١ حل المبشر مولر Mûller، الذي تخلى بدوره عن هذا المركز بعد ذلك لكارل شوبرت Karl Schubert. وإلى جانب مسؤول المأوى نشطت شماسات ممرضات تابعات لـ«بيت الشماسات لاخوة أماوس - نيزكي»[٥٥] Diakonissenhaus Emmaus - Niesky der Brûdergemeine.

وإثر سوء تفاهم حصل بين اللجنة المحلية وبين مؤسسي المأوى عام ١٨٨١ لأسباب تتعلق بإدارة المأوى، تخلى مؤسسو المصح عن مسؤوليتهم تجاه

المشروع دونما اكتراث لمستقبله[٥٦]. وهذا التصرف أربك لجنة القدس، اذ لم تكن في وضع يمكنها من جمع التبرعات بصورة منتظمة. ولهذا رأت أن يوضع المصح بإدارة جمعية أو إرسالية وفكرت في الواقع بـ «**الكنيسة المورافية**» Moravian Church وفرعها في هرنهوت Herrnhut والتي كانت تزود المصح بالادارين[٥٧]. إلا أن هذه الجمعية خشيت أن يرهق مشروع المصح ميزانيتها وهي بعد مفاوضات طويلة توسط فيها القنصل الألماني في القدس البارون تنكمار فون مونشهاوزن Thankmar von Mûnchhausen وراعي الجماعة الانجيلية الألمانية في القدس كارل راينيكه أعلنت استعدادها لإدارة المأوى لمدة عشر سنوات على سبيل التجربة.

وبالفعل انتقل المصح في عام ١٨٩١ إلى إدارة أخوة برزلسدورف بصورة نهائية قبل انقضاء فترة التجربة المحددة. وقد سجلت جميع ممتلكات المأوى من عقارات وأرض على اسم الجمعية لدى دوائر الطابو وذلك بعد جهود مضنية بذلها الصراف فروتيغر مع السلطات العثمانية[٥٨].

وبعد وضع المصح بإدارة أخوة هونهوت بدأ تطبيق نظام داخلي جديد. فوضع المأوى بإدارة راعي الجماعة الألمانية في القدس يعاونه عضوان للادارة والأمانة العامة[٥٩]. وفي عام ١٨٨٨ تم افتتاح قسم للأولاد يهتم برعاية أولاد المجذومين لكي لا يصبح هؤلاء عبئا على أوليائهم المرضى أو أن تنتقل اليهم العدوى عن طريق أوليائهم. ورغم ذلك فقد كانت الأهداف التبشيرية متخفية وراء مشروع قسم الأولاد، إذ أملت إدارة المصح وضع أبناء المجذومين تحت النفوذ الإنجيلي. وفي عام ١٨٩٣ ضم هذا القسم ٣ أولاد برعاية الشمّاسات[٦٠]. ويلاحظ ان عدد الأولاد في هذا القسم ظلّ محدوداً بسبب رفض أوليائهم تعرضهم للنفوذ التبشيري المسيحي[٦١].

وخلال السنوات من ١٨٧٨ الى ١٨٨٧ كان يعيش في المصح ما بين ١٣ و٢٠ مجذوما بصورة مستمرة. وقد ارتفع هذا العدد من ٢٥ إلى ٣٠ خلال عامي ١٨٨٨ و١٨٨٩، ومن بين ٤٠ إلى ٥٢ مريضاً ما بين عامي ١٨٩٠ إلى ١٨٩٤، حتى وصل إلى ٦٠ مريضاً في عام ١٩٠٥، أي أن جميع الأسرة كانت شاغرة[٦٢]، ومن بين ٥١ مريضاً وجدوا في المصح عام ١٩٠٠ كان هناك ٣٥ مسلما، ١٤ مسيحيا و٢ من اليهود[٦٣]، وكان يشرف عليهم ٤ شماسات

ومساعدة وراهب وطبيب[٦٤].

التبشير وردة الفعل الإسلامية: رغم أن المصح كان مؤسسة خاصة، إلا أنه مارس منذ البداية دوراً تبشيرياً[٦٥]، ولهذا سمي «**معونة يسوع**». وكعادتهم تجنب المسلمون تلك المؤسسة لإدراكهم غاياتها التبشيرية. ولكن في غياب مصح عثماني اضطر المسلمون الى التخلي تدريجا عن مقاطعتهم لتلك المؤسسة المسيحية والالتجاء إليها عند الحاجة.

وكان تأسيس المأوى يخدم، برأي مؤسسيه، هدفين: العلاج الطبي والعلاج الروحي[٦٦]. ولما كان هؤلاء مقتنعين بأن المعالجة الروحية بالتعاليم الإنجيلية تتعدى أهمية المعالجة الطبية، سارت سياسة المصح بوضع مرضاه في أجواء تبشيرية. في الصباح والمساء كان يعقد القداس وكذلك تلاوة الانجيل ويُحتفل بأعياد الميلاد[٦٧]. وبغية التنصير أقيمت داخل المصح مكتبة احتوت على مجلات ونشرات تبشيرية أمثال «**الكوكب**» و«**النشرة**»، اللتين كانت تصدرهما الإرسالية الأميركية في بيروت[٦٨]. ولما كان معظم المرضى من الأميين، فقد ظل تأثير تلك النشرات عليهم ضعيفاً.

وكان المرضى المسلمون يقسمون إلى ثلاث مجموعات: المجموعة الأولى كانت ترفض التعاليم المسيحية رفضاً قاطعاً، حتى التقرب من المرضى المسيحيين[٦٩]، أما المجموعة الثانية فكانت تضم عدداً قليلاً من المرضى المسلمين المرتدِّين[٧٠]. وكانت المجموعة الثالثة والأخيرة في ضياع تحت تأثير الأجواء النفسية التي وضعتها فيها إدارة المصح. فظلّت تحافظ على عقيدتها الإسلامية، وفي الوقت نفسه لا تقف من المسيحية موقفاً معادياً. ولهذا سقطت هذه المجموعة في عملية تغريب صعبة. فكانت تمارس شعائرها الإسلامية وتحضر في الوقت نفسه القداس. ورغم عدم اعتناقها المسيحية، فإن القيمين على المصح اعتبروا تشكيك هذه المجموعة في عقيدتها الإسلامية يعتبر في حد ذاته «**نصراً**» لهم[٧١]، لأن طريق هذه المجموعة إلى المسيحية لم يعد شاقا ومستحيلا[٧٢]. وتؤكد تقارير المصح أن المجموعتين الأخيرتين من المرضى كانتا تعانيان بشدة من عملية التغريب. وللدلالة على ذلك نورد فقرة من التقرير السنوي للمصح لعام ١٨٨٨، إذ ورد فيه أن مسلماً مرتداً عاد مجدداً إلى الإسلام ساعة احتضاره، رغم محاولة الراهب المسؤول عن المصح ردعه عن

ذلك مستخدماً شتى الوسائل والترغيب. ففي التقرير نقرأ الآتي:

«... وفي ساعة احتضاره نطق (المسلم المرتد) بشكل حازم ضد المسيحية. وعندما سألته عما إذا كان ينبغي أن أقرأ له بعضاً من الكتاب المقدس لتقوية إيمانه، رفض ذلك رفضاً قاطعاً وقال بانفعال، لقد خلقت محمدياً وأريد أن أموت كذلك! ولكني أجبته أن الخلاص لا يكون إلا بالإيمان بيسوع»[٧٣].

وكان التنصير يمارس بشكل عام بليونة. فكان يسمح للمرضى المسلمين وأتباع الطوائف المسيحية الأخرى غير البروتستانتية بممارسة شعائرهم وقراءة كتبهم الدينية وأن يحصلوا بعد الوفاة على مدفن وفقاً لمعتقداتهم[٧٤]. ولكن هناك ثوابت تؤكد أن المصح كان يستخدم الشدَّة أيضاً لإجبار المرضى على اعتناق المسيحية. فخلال إدارة الراهب تابه للمصح اشتكى أحد المرضى المسلمين لدى القنصلية الألمانية في القدس بأن تابه يمنعه من قراءة القرآن الكريم ويضغط عليه لاعتناق البروتستانتية[٧٥]. وعندما حاول أحد المسلمين في عام ١٨٨٠ أن يدحض الانجيل بآيات من القرآن طرد من المصح[٧٦].

وفي منتصف القرن التاسع عشر حاولت السلطات العثمانية المحلية أن توقف التنصير داخل المصح بانشاء مصح عثماني في قرية سلوان[٧٧]. وقد أمرت المرضى المسلمين الموجودين في المصح الألماني بالالتحاق بالمصح العثماني تحت طائلة المسؤولية. ونتيجة لذلك تراجع عدد المرضى المسلمين في المصح الألماني الى ٢٠، فيما عددهم في المصح العثماني ارتفع إلى ٤٥[٧٨]. ولكن الادارة السيئة في المصح العثماني وبالتالي الاغراءات في المصح الألماني جعلت المرضى يفرون الى المصح الأخير غير مكترثين بالتحذير العثماني.

وبعد انتقال المصح الألماني إلى مبناه الجديد في عام ١٨٨٧ أملت إدارته باستقبال أعداد أكبر من مرضى المصح العثماني. ولكن السلطات العثمانية سارعت إلى اتخاذ خطوات لمنع ذلك وإلى تقوية مصحها وجعله أكثر اجتذاباً للمرضى. فعينت فيه راهبتين، الأولى بروتستانتية والثانية كاثوليكية[٧٩].

وبعد تولي «إخوة برزلسدورف» إدارة المصح الألماني ازدادت محاولات التنصير. وقد أدى هذا إلى اضطراب بين مرضى المصح من المسلمين ودفعهم بالتالي إلى تقديم شكوى لدى بلدية القدس احتجوا فيها على سياسة تنصيرهم

«**بالقوة**» وأن الذين يرفضون ترك دينهم يعاملون «**كسجناء**»[٨٠]. وكانت ردة الفعل العثمانية على ذلك سريعة وعنيفة. فأمرت المصح بصرف كل المرضى المسلمين وعدم استقبال أي مسلم في المستقبل وعندما رفضت إدارة المصح تنفيذ الأوامر العثمانية تطور النزاع وتدخلت القنصلية الألمانية في القدس لتقديم التغطية القنصلية للمصح. فجرت مباحثات بين رئيس بلدية القدس وتيشندورف[٨١] Tischendorf حاول خلالها القنصل تبديد شكوك رئيس البلدية بأن المسلمين لهم الحرية في مغادرة المصح ساعة يشاؤون. كما وضع بين يديه قائمة بأسماء المرضى المسلمين الذين غادروا المصح خلال السنوات السابقة[٨٢]. لكن رئيس البلدية أبلغ إلى القنصل باستعداد السلطات الموافقة على دخول المرضى المسلمين الى المصح الألماني شرط أن يتوقف التنصير. ولما كان استمرار العمل في المصح الألماني يتوقف على وجود المرضى المسلمين، وكان التهديد العثماني جاداً هذه المرة، اضطر المصح إلى الرضوخ للقرار العثماني. فألغيت لذلك وظيفة المبشِّر العربي في المصح[٨٣] واقتصر العمل منذ ذلك الحين على جعل المسيحية مثالاً للمرضى المسلمين[٨٤].

وباختصار يمكن القول إن سياسة المصح التبشيرية قد فشلت. فلا يوجد أي دليل على ارتداد أكثر من ٥ من المرضى الأرثوذكس إلى البروتستانتية. أما عن عدد المسلمين الذين تركوا دينهم فتصمت مصادر المصح حوله[٨٥]. ورغم ذلك واصل المصح الألماني نشاطه ولا تزال آثاره حتى اليوم واضحة المعالم في الأردن[٨٦].

الحياة الداخلية في المصح: إلى جانب الأهداف التبشيرية والطبية سار المصح في سياسة تربوية اجتماعية محددة. فقد كانت إدارته ترفض انعدام أي دور للمجذومين في المجتمع وأن يقتصر على التسكع والتسول في شوارع القدس.

والواقع أن المأوى أولى تربية المجذومين عناية خاصة، رغم أن المؤسسة كانت طبية وليست تربوية. فكان المجذومون يتلقون تعليماً بسيطاً في مبادىء القراءة والكتابة مرتين في الأسبوع[٨٧]. وبعد افتتاح قسم للأولاد كان أبناء المجذومين يتلقون بدورهم تعليماً من قبل الشمَّاسات[٨٨]. ومع ذلك، فان هذه الجهود لا يمكن مقارنتها بالتدريس الذي كان يجري في المدرسة العادية، لأن

معظم المجذومين كانت صحتهم وتطور أمراضهم لا يسمحان لهم بالتعلم[٨٩]. وفي بعض المناسبات كان المجذومون يقومون برحلات استجمام الى مناطق مختلفة من فلسطين.

إن النظام الداخلي للمصح المعبر عن الحياة اليومية للمرضى يعطينا فكرة واضحة عن سياسة المصح التربوية، وهي على الشكل التالي:

> «في الصباح يتم الاستيقاظ عند الساعة ٥,٣٠، باستثناء أصحاب الأمراض المتطورة الذين تضطرهم أوضاعهم الصحية الى البقاء في أسرتهم. وبعد النهوض يأخذ المرضى حماماً كاملاً وبعد ذلك يرتبون أسرتهم. وفي الساعة السادسة يقدم إليهم الإفطار وبعدها بنحو ساعة يتلو عليهم المبشر قراءة من الانجيل وحديث الصباح الذي يختتم بالصلاة وتلاوة أبانا الذي في السموات باللغة العربية. بعد ذلك يقود المبشر من يستطيع من المجذومين للعمل في الحديقة حيث تسقى الخضار أو تؤدى أعمال أخرى سهلة. وبالطبع فإن من يقوم بتلك الأعمال قلة من المرضى، لأن بعضاً منهم كفيف أو فاقد لبعض أصابع يديه أو مصاب بقروح في رجليه. وتستمر الأعمال في الحديقة نحو ساعتين، يعقبها راحة لمدة نصف ساعة. وفي الساعة العاشرة، عندما تكون الحرارة مرتفعة ينعم المرضى براحة في الظلال. فيقومون ببعض الأشغال اليدوية حتى الظهر، بينما تقوم النساء بترقيع الملابس والبياضات. وفي الساعة الثانية عشرة يقدم طعام الغداء، يخلد بعدها المرضى الى الراحة ويستلقون. وبعد الظهر يتكرر عمل ما قبل الظهر. وفي الخامسة تروى الحديقة مرة أخرى، إلى أن يحين العشاء في الساعة السادسة. وعند السابعة يحين موعد صلاة المساء، حيث يقرأ مرة أخرى مقطعاً من الكتاب المقدس والعهد الجديد. . . والاستحمام هو جانب هام من برنامج المرضى ويحدث مرتين في الأسبوع، الأربعاء والسبت»[٩٠].

وفي السبعينات اشترى المبشر تابه قطعة أرض مساحتها ٧ هكتارات بنى على قسم منها المأوى. كما خصص جزء منها لزراعة العنب ورعي الماشية. وكان المرضى يقومون بالزراعة والرعي[٩١]. ومن زراعة العنب كان مورد المصح يبلغ ٣٩٠٠ رطل سنويا، كما كانت الماشية توفر ألباناً طازجة على مدار السنة[٩٢]. وأما الحديقة فكانت توفر الخضار، التي كان يباع قسم منها في سوق المدينة. وبذلك كانت الدار تحصل على دخل سنوي يدفع قسم منه الى المجذومين العاملين كإيجار عن عملهم في الأرض ورعي الماشية[٩٣].

المسائل المالية:

في الفترة الأولى من تدشين العمل بالمصح وقع العبء المالي على كاهل البارون كيفنبرنك - أشرادن وزوجته، اللذين كانا وراء تأسيس المأوى. بعد عام على بدء النشاط بلغت المصروفات ١٤ ألف تال ذهبت لشراء قطعة الأرض ولتشييد المبنى الجديد ولرحلة المبشر وزوجته إلى القدس[٩٤]. ففيها زوجة البارون تبرعت بمبلغ ٢٦٥٠ تالاً من جيبها الخاص، أمكن جمع المبلغ المتبقي في ألمانيا وانكلترا وهولندا وسويسرا من جهة، ومن التبرعات التي جمعتها لجنة القدس[٩٥]. وجدير بالذكر أن تبرعات الجهات الإنكليزية كانت تأتي بانتظام بمساعي الأسقف جايمس لاتروب Bishop James La Trobe حيث أن جمعية «إخوة هرنهوت» كانت مرتبطة بكنيسة مورافيا في بريطانيا[٩٦]. وبفضل سياسة ادخارية حكيمة تمكن المصح من أن يحتفظ في نهاية كل عام بفائض مالي في صندوقه.

وابتداء من عام ١٨٨١ دخل المصح في مرحلة جديدة بانتقال إدارته إلى اخوة برزلسدورف في هرنهوت وتشييد مبنى جديد قبل نهاية الثمانينات، وهو بناء كلف أكثر من ٨٣ ألف مارك، جمعت من تبرعات ألمانية وأوروبية[٩٧]. وخلال العقد الثامن من القرن الماضي لم تتعد المصروفات السنوية ٢٠ ألف مارك. وفي عام ١٨٩٠ بلغ الفائض نحو ١٠ آلاف مارك[٩٨]. وأول عجز مالي وقع فيه المصح وقدره ٤ آلاف مارك حدث في عام ١٨٩٦، عندما ارتفع عدد المرضى المعالجين الى ٥٠ وافتتح قسم للأولاد برعاية الشماسات. وعلاوة على ذلك بني فرن وخزان مياه للمصح. وظل العجز السنوي يتصاعد حتى وصل الى ٢٥ ألف مارك في نهاية القرن الماضي وإلى ٤٣ ألفاً بعد افتتاح قسم عزل المرضى. وفي مطلع القرن العشرين كان المصح يحتاج إلى ٣٠ ألف مارك سنوياً لتغطية نشاطاته[٩٩].

٣ ـ مستشفى الأطفال «مؤسسة ماريا الخيرية»:
(Das Kinderkrandenhaus Marienstift)

إنشاؤه: كما هو الحال بالنسبة إلى مأوى المجذومين فإن تأسيس مستشفى الأطفال **«مؤسسة ماريا الخيرية»** يرتبط بمبادرة شخصية للدوق فريدريك فون مكلنبورغ ـ شفرين الكبير Friedrich of Mecklenburg Schwerin وزوجته ماريا والطبيب الألماني ساندرسكي.

ففي عام ١٨٧٢ قام الدوق وزوجته بالحج إلى الأراضي المقدسة حيث تعرفا إلى الطبيب ساندرسكي، الذي كان يعمل آنذاك في المستشفى البروسي منذ عام ١٨٦٧[١٠٠]. وقد اتفق الثلاثة يومها على إنشاء مستشفى للأطفال في القدس[١٠١]. وتعهد الدوق بأن يدعم المستشفى الذي سماه باسم زوجته «مؤسسة ماريا الخيرية»، لمدة ثلاث سنوات بمبلغ سنوي مقداره ٢٠٠٠ تال، فيما تعهد الطبيب ساندرسكي العمل مجاناً في المستشفى مع زوجته وابنته[١٠٢]. وفي ٦ حزيران ١٨٧٢ افتتح المستشفى في مبنى مؤجر ضم ٦ أسرة للأطفال وسريرين للأمهات ومهدين[١٠٣].

أهداف المشروع: على عكس المؤسسات الخيرية الأخرى التي كانت تنشط في القدس والتي ارتبط نشاطها بأهداف تبشيرية، فقد كان التبشير في مستشفى الأطفال مستبعداً منذ البداية[١٠٤]. فمؤسسو المستشفى أرادوا أن يكون نشاطهم بعيداً عن التبشير وغير طائفي، كي يحوزوا على ثقة مختلف الطوائف الدينية. وبهذه السياسة استطاعوا تبديد شكوك المسلمين تجاه المستشفى، والذين وقفوا مستائين من سياسة التبشير للمؤسسات الأجنبية. ولعل حصر المستشفى نشاطه بين الأطفال من الستة شهور الى سن ١٢، كان يقلل من إمكانية التبشير الناجحة.

ويذكر هنا أن تأسيس مستشفى للأطفال جاء نتيجة افتقار مدينة القدس إلى مؤسسة مماثلة وإلى تقصير السلطات العثمانية في تحسين الأوضاع الصحية للسكان وخاصة الأطفال[١٠٥]. فكثير من الأطفال كانوا يموتون في القدس وضواحيها بسبب الافتقار إلى العناية الصحية. وأما الناجون منهم فكان أغلبهم يصاب بأمراض جلدية أو بالعمى نتيجة لسوء التغذية ولانعدام التربية الصحية

السليمة[١٠٦]. وفوق ذلك فإن الافتقار إلى مستشفيات وعيادات خاصة بالأطفال، حتَّم معالجة الأطفال في مستشفيات الراشدين، وهي معالجة لم تكن ناجحة في معظم الأوقات[١٠٧].

وسعى المستشفى إلى إقامة علاقات متينة مع أولياء الأطفال، وكثيراً ما كان يستقبل الأمهات. وبهذه الوسيلة هدف المستشفى إلى تعليم الأولياء قواعد أساسية في النظام والنظافة لتطبيق ذلك في تربية أطفالهم[١٠٨]. كذلك حاول ساندرسكي أن يقدم وعائلته نموذجاً تقتدي به العائلات العربية[١٠٩].

نمو المستشفى:

لدى إنشاء المستشفى تأسست في القدس هيئة بإشراف القنصل الألماني ضمت راعي الجماعة الانجيلية الألمانية والمهندس شيك والصيرفي فروتيغر والطبيب ساندرسكي. وقد ترك الدوق مكلنبورغ ـ شفرين إدارة المستشفى لهذه الهيئة، بينما اهتم هو بمسألة توفير المال اللازم للمشروع[١١٠].

وفي الشهور الستة الأولى استقبل المستشفى ٥٥ رضيعاً وطفلاً بالاضافة الى ١٢ أُماً، لإرضاع أطفالهن. وفي فترات لاحقة استقبل أمهات غير مرضعات من خارج القدس لعدم تمكنهن من الإقامة في الفنادق[١١١]. أما نصيب الطوائف من مرضى المستشفى في الشهور الستة الأولى، فكانت ٣١ مسلماً، ١٢ من الأرثوذكس، ٨ من البروتستانت، ٢ من الكاثوليك و٢ من الأرمن. ومعظم هؤلاء كانوا من عائلات فلاحية فقيرة من المنطقة حول القدس[١١٢]. ومع انتهاء العام الأول على إنشاء المستشفى بلغ عدد المرضى المعالجين ٩٢[١١٣].

وبعد مرور ثلاث سنوات على إنشاء المستشفى ارتفع العدد إلى ٢٤٨ طفلاً و٣٠ أماً.[١١٤] ثم تضاعف بعد مرور العقد الأول ووصل إلى ٤٦٤[١١٥]. وبتوسيع المستشفى في الثمانينات والتسعينات من القرن الماضي ازداد عدد الأطفال والأمهات المستقبلين وبلغ ٩٠ طفلاً في العام. وفي عام ١٨٩٠ عولج ٢٠٠ طفل واستقبل المستشفى ٩٨ أماً[١١٦]. ووصل هذا الرقم إلى ذروته في عام ١٨٩٨ عندما تمكّن المستشفى من استقبال ٥٥٥ طفلاً وأُماً، من ضمنهم ٧٥٪ من المسلمين[١١٧].

ولوحظ أن عدد الأطفال اليهود المعالجين وخاصة من منطقة صفد كان بازدياد مضطرد[١١٨]، لأن فلسطين كانت دائما عرضة للأوبئة كالجدري والحصبة وأمراض الصدر والحميات.

أما تقسيم العمل الطبي داخل المستشفى فقد كرس الطبيب ساندرسكي نفسه لمعالجة أمراض العيون والجلد. وحاول تنظيم العمل على النسق الأوروبي. فعلى كل سرير علق لوح باسم المريض ومرضه والعلاج الذي يتلقاه[١١٩]. كما قام ساندرسكي بإنشاء عيادة خارجية مزودة بصيدلية[١٢٠]. كذلك ضمَّ المستشفى غرفة للعمليات كانت تجري عمليات ازالة أورام غدية في البلعوم وحصى المجاري البولية وعمليات في العظم[١٢١].

ولم ينحصر نشاط ساندرسكي في العمل الطبي، بل حاول أن يحسِّن التطور الذهني عند مرضاه من الأطفال عن طريق تدريبهم بألعاب مفيدة[١٢٢]. وبذلك استطاع أن يكسب ثقة قسم كبير من السكان وخاصة المسلمين لابتعاد مؤسسته عن الأهداف التبشيرية. ودليل على تجاوب السكان مع جهوده الخيرة هو ما حدث في عام ١٨٨٥ عندما انقطعت خادمة المستشفى عن العمل بسبب المرض، مما حمل بعض الأمهات العربيات على العمل بدلاً منها مجاناً، وذلك تقديرا لدور المستشفى الاجتماعي البعيد عن التبشير[١٢٣].

القضايا المالية: رغم دلائل نجاح مشروع المستشفى، فقد انتهى المستشفى في عام ١٨٩٩ إلى نهاية محزنة. فبسبب تراكم الديون عليه وعدم تمكنه من الحصول على دعم مالي ثابت، أقدم الطبيب ساندرسكي على الانتحار[١٢٤].

ونورد باختصار كيف كانت القضايا المالية للمستشفى: فبعد مرور سنوات ثلاث على تأسيسه انسحب الدوق مكلنبورغ ـ شفرين من المشروع تاركاً العبء كله على الطبيب ساندرسكي. ورغم ان الدوق ظل يقدم للمستشفى مساعدة مالية سنوية تقدر بـ ٧٠٠ تال، فقد كان ساندرسكي مضطراً إلى تأمين ١٣٠٠ تال لتغطية مصروف المستشفى[١٢٥]. ولم يكن باستطاعة لجنة القدس أن تقدم مساعدات تذكر. وعندما كان المستشفى في مراحله الأولى استطاع ساندرسكي أن يؤمن الأموال اللازمة من متبرعين في ألمانيا، سويسرا،

هولندا وبريطانيا[١٢٦]. وبازدياد أعداد الأطفال المعالجين سنويا، ازدادت تبعاً لذلك شكوى الطبيب ساندرسكي من قلة المال.

ومنذ عام ١٨٩٧ كانت الحكومة الألمانية تساعد المستشفى باعانة مالية سنوية لم تستطع أن تغطي احتياجاته[١٢٧]. وإضافة إلى ذلك قدم الأمبراطور وليم الثاني في عام ١٨٨٣ مساعدة مالية وحيدة قدرها ١٥٠٠[١٢٨] مارك لم تستطع أن تسد عجز المستشفى البالغ ٦ آلاف مارك[١٢٩]. ولكن عندما أخذت جمعيات المانية أخرى عاملة في فلسطين تطالب الحكومة الألمانية بمساعدات مماثلة أسوة بمستشفى ماريا، قامت تلك الحكومة بقطع مساعدتها عن مستشفى الأطفال[١٣٠]. وبسبب ازدياد العجز وديون المستشفى بات الاستمرار في العمل مستحيلاً. وبعد انتحار ساندرسكي أقفل المستشفى. وإدراكاً منها لدور المستشفى الصحي والاجتماعي، قامت جمعية الكيزرزفرت في عام ١٩٠١ بإنشاء قسم خاص في مستشفاها لمعالجة الأطفال[١٣١].

٤ ـ خلاصة:

كان النزل البروسي أول مؤسسة إنجيلية من نوعها في القدس. وارتبط إنشاؤه بدافعين: رغبة ملك بروسيا في صون «السمعة الألمانية» من تصرفات مشينة للعمال الألمان في الأراضي المقدسة ورغبة الكنيسة البروتستانتية الألمانية في أن يحصل اتباعها على مبيت في القدس بدلاً من الإقامة في المؤسسات الكاثوليكية.

والواقع أن النزل كان مشروعا صغيرا، لكنه استطاع، بسبب الافتقار إلى مؤسسة مماثلة ورخيصة، أن يقدم خدمات جيدة. فبعدما كان تأسيسه أصلاً لاستقبال العمال الألمان غير الميسورين، تطور مع الوقت ليصبح نزلاً للعلماء ورجال الدين، بعدما أصبحت فلسطين مهبطاً لهم.

وعلى عكس النزل البروسي فإن تأسيس مأوى المجذومين ومستشفى الأطفال مرده إلى مبادرات فردية. فأهمية المصح تعود الى افتقار فلسطين إلى مؤسسة مشابهة، وإلى أنه دفع السلطات العثمانية بالتالي إلى الاهتمام بمرضى الجذام. فبعد سنوات عدة على إنشائه قامت السلطات العثمانية بافتتاح مصحّ عثماني، لكنه لم يستطع أن ينافس المصح الألماني. ومنذ البداية كانت الأهداف

التبشيرية للمصح الألماني في تناقض مع نشاطه الطبي والاجتماعي. وهذا لم يزعج المجذومين من المرضى المسلمين فحسب، بل السلطات العثمانية أيضاً، مما جعلها تتخذ إجراءات ضده، ما أوردناه آنفاً.

وعلى عكس مصح المجذومين فقد أدرك مؤسسو مستشفى الأطفال منذ بداية العمل أهمية العناية الطبية للسكان من دون أي اعتبار للمذهب أو الطائفة. فلأول مرة يذهب المسلمون إلى مؤسسة مسيحية من غير أن تراودهم شكوك حول نواياها «غير الطبية». كما أنه لأول مرة لا تضع السلطات العثمانية العراقيل أمام مؤسسة أجنبية على اتصال مباشر بالسكان المسلمين. ورغم ما أثمره نشاط المستشفى فقد اضطر إلى التوقف عن العمل بعد وفاة الطبيب ساندرسكي في عام ١٨٩٩. والسؤال الذي يطرح نفسه: لماذا لم تتقدم أية جمعية أو منظمة ألمانية لدعم المستشفى خلال محنته في السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر، رغم جهود ساندرسكي المضنية لتأسيس لجنة في القدس تأخذ على عاتقها دعم المستشفى مالياً[١٣٢]؟ وعلى ما يبدو فإن تحفظ الجمعيات المسيحية الألمانية تجاه المستشفى كان يعود في الدرجة الأولى إلى أن تلك الجمعيات التبشيرية فسَّرت «حب الآخرين» الذي دعا إليه السيد المسيح على أنه تنصيرهم في الدرجة الأولى، ولم تر في مشروع لا يخدم التنصير أية فائدة لسياساتها، فضحت به.

الفصل السابع

النشاطات البروتستانتية الألمانية في "لبنان"

١ ـ المقاطعات اللبنانية بعد عام ١٨٤٠:

وضع المقاطعات اللبنانية الخاص في الدولة العثمانية: بعد انتهاء الاحتلال المصري لسوريا وفلسطين عام ١٨٤٠ وما نتج عنه من تعقيدات سياسية، كانت التركيبة الاجتماعية الطائفية للمقاطعات اللبنانية مهددة بتحولات جذرية. وبضغط القوى الأوروبية اضطر معه الباب العالي في عام ١٨٤٢ لتطبيق نظام القائمقاميتين المستوحى من مشروع المستشار النمساوي مترنيخ Metternich، حيث تمّ تقسيم جبل لبنان إلى منطقتين، الأولى شمالية تتبع الموارنة، والثانية جنوبية تحت سلطة درزية[١]، وبدلاً من أن يؤدي هذا النظام إلى استتباب الوضع، فقد عجَّل بتعقيد الموقف عندما وقعت الطائفتان المارونية والدرزية في تناقضات المصالح الفرنسية والانكليزية والعثمانية.

وفي عام ١٨٥٨ عاش «لبنان» لأول مرة في تاريخه انتفاضة اجتماعية للفلاحين المسيحيين ضد أسيادهم الإقطاعيين الموارنة[٢]. وبعد مرور عامين على ذلك اندلع صراع بين الطوائف الدينية كان من نتيجته تدخل الدول الأوروبية مباشرة في الأزمة اللبنانية. وعن طريق لجنة دولية مشكَّلة من الدول الكبرى وباشتراك الدولة العثمانية تمّ في عام ١٨٦١ وضع نظام جديد لإدارة المقاطعات اللبنانية اعترفت به السلطنة العثمانية، وما لبث أن عُدل في عام ١٨٦٤. وبموجب البروتوكول الجديد عُين حاكم عثماني مسيحي من خارج

« لبنان» (متصرف) يعاونه مجلس إدارة يمثل الطوائف الدينية المختلفة. أما السلطة القضائية التي تمتَّع بها رجال الإقطاع ، فقد ألغيت وحلَّ محلها نظام قضائي حديث وشرطة[٣].

وظلَّ نظام المتصرفية ساري المفعول حتى اندلاع الحرب العالمية الأولى، وألغي رسمياً عام ١٩٢٠ بعد حصول فرنسا على حقوق الدولة المنتدبة على سوريا.

وتحت مظلة « الوضع الخاص» للمقاطعات اللبنانية في إطار السلطنة العثمانية، أمكن « للبنان» أن يمد جسوراً جديدة عبر موارنة الجبل مع الغرب المسيحي - هذه الجسور التي كانت قد بدأت تمتد خلال عصر فخر الدين المعني الثاني وانقطعت تقريباً بعد القضاء عليه.

نمو مدينة بيروت: رغم ان مدينة بيروت لم تكن تتبع رسمياً متصرفية جبل لبنان، إلا أنها لعبت دوراً هاماً بالنسبة للمتصرفية ولسوريا وفلسطين بشكل عام. فبعد إدخال الدول الأوروبية الشحن البخاري إلى مرفأ بيروت، تطورت المدينة كمرفأ سوري هام وكمركز تجاري ومالي[٤]. ومن خلال المصانع الفرنسية ازدهرت صناعة الحرير اللبناني بشكل ملحوظ. وفي عام ١٨٦٢ شق الفرنسيون طريقاً بين بيروت ودمشق كان لها تأثير قوي على حركة التجارة الأوروبية مع المناطق السورية الداخلية. أما المصارف البيروتية فكانت على اتصال بالمؤسسات المالية في مارسيليا ولندن وليفربول[٥]. هذا النمو الاقتصادي والتجاري إضافة إلى الاهتمامات الثقافية الأجنبية جعلت الدولة العثمانية عام ١٨٨٨ تعمد إلى تشكيل « ولاية بيروت» التي امتدت من طرابلس إلى عكا[٦] .

وصاحب الازدهار الاقتصادي التجاري تضاعف في عدد سكان مدينة بيروت إلى ثلاث مرات خلال عقود عدة. فبينما لم يتجاوز عدد سكان المدينة الـ ٤٦ ألفاً في عام ١٨٦٠، ارتفع هذا الرقم الى ١٢٠ ألفاً في عام ١٨٩٥. وقد شكل السكان المسيحيون منذ منتصف ذلك القرن وحتى الحرب العالمية الأولى أغلبية سكان المدينة، في حين تضاءل عدد السكان المسلمين وكانوا أكثرية في النصف الأول من القرن التاسع عشر، الى الثلث. وخلال تلك الحقبة الزمنية

بلغ عدد الأجانب القاطنين بيروت ٤٠٠٠ نسمة[٧].

بيروت مركزاً تبشيرياً وثقافياً: ومع تزايد أهمية بيروت ازدادت تبعاً لذلك أهميتها كقاعدة للإرساليات المسيحية. فقد شكلت، رغم عدم تبعيتها للمتصرفية، قاعدة انطلاق للإرساليات التبشيرية الأجنبية في المقاطعات اللبنانية وسوريا. وإلى جانب الإرساليات الكاثوليكية العاملة في سوريا و«لبنان» منذ زمن بعيد، بدأت الإرساليات البروتستانتية منذ الثلاثينات من القرن الماضي تحصل على موطىء قدم في المنطقة.

ولفترة طويلة ظلَّ الأميركيون الممثلون الفعليون للنشاط الإرسالي البروتستانتي في « لبنان»، في حين ركَّز الإنكليز والألمان نشاطهم في فلسطين وفي مطلع الستينات تعرضت الإرسالية الأميركية لأزمة، ليس بسبب الأحداث الطائفية في « لبنان»، بل بسبب تقلص مواردها المالية نتيجة للحرب الأهلية الأميركية[٨] . وقد استغل الإنكليز والألمان ذلك لتكثيف نشاطهم في المنطقة. فقبل عام ١٨٦٠ كانت « **كنيسة اسكتلندا الحرَّة** » Free Church of Scotland قد بدأت بافتتاح المدارس في «لبنان». وبعد اندلاع الحرب الاجتماعية الطائفية عام ١٨٦٠ قدمت « **الإرسالية الإنكليزية السورية**» British Syrian Mission و « **شمَّاسات جمعية الكيزرزفرت**» Kaiserswerther Diakonissenverein الألمانية و « **رهبنة فرسان يوحنا**» Johanniter - Orden - الفرع الألماني إلى المنطقة[٩] . ورغم المنافسة التي شكلها الإنكليز والألمان للأميركيين فقد استطاعت الإرسالية الأميركية ان تطور عملها بتأسيس الكلية السورية الإنجيلية، التي كانت أول مدرسة عالية حديثة في سوريا[١٠].

وبسبب المنافسة التي شكلتها الإرساليات البروتستانتية مجتمعة للإرساليات الكاثوليكية، زادت الأخيرة من نشاطها. فمنذ الثلاثينات من القرن الماضي كان اليسوعيون قد عادوا مجدداً إلى المنطقة السورية وأسسوا العديد من المؤسسات والمدارس. وفي عام ١٨٥٥ استقرت راهبات الناصرة، وراهبات المحبة في عام ١٨٦٦[١١]. وكانت ذروة هذه الاهتمامات تأسيس جامعة القديس يوسف عام ١٨٧٥ في بيروت - وكان تأسيس الجامعة رداً كاثوليكياً على إنشاء الكلية السورية الإنجيلية.

وبعد تأسيس « **الجمعية الأمبراطورية الأرثوذكسية الفلسطينية** » Imperial Orthodox Palestine Society عام ١٨٨٢ من قبل روسيا اخذت مدارس ومؤسسات أرثوذكسية وروسية تُشاد في مناطق مختلفة من سوريا وفلسطين(١٢).

وبينما كانت توجهات معظم المدارس والمؤسسات العاملة في « لبنان» بحت طائفية، أسس بطرس البستاني، وهو مسيحي وأحد أهم شخصيات النهضة العربية للقرن التاسع عشر، الذي كان يدعو السوريين عبر مجلته « نفير سوريا» التي أسسها بعد الأحداث الطائفية في « لبنان» إلى التضامن «**كأبناء وطن واحد**»، أسس أول مدرسة محلية وطنية « **المدرسة الوطنية**»، حيث تمثلت فيها معظم طوائف المجتمع اللبناني(١٣).

أما التعليم العثماني فلم يجر تحديثه قبل القرن التاسع عشر. وخلال عصر السلطان محمود الثاني (١٨٠٨ - ١٨٣٩) بدأ الباب العالي بتحديث نظام التعليم من خلال تأسيس مدارس على النمط الأوروبي. وخلال عصر السلطان عبد المجيد (١٨٣٩ - ١٨٦١) شكِّلت في عام ١٨٤٧ وزارة للتعليم. وعام ١٨٦٩ أصدر السلطان عبد العزيز (١٨٦١ - ١٨٧٦) قانوناً للتعليم قضى بإنشاء مدارس حديثة على مستويات مختلفة، وفي معظم عواصم السلطنة الرئيسية(١٤) . ورغم هذه الجهود ظلّ مستوى التعليم الرسمي العثماني على حاله، كما لم يزداد عدد المدارس تبعاً لعدد السكان. ويعلق برونينغ Brûning ، قنصل ألمانيا في بيروت، على أوضاع المدارس العثمانية فيذكر أن عدد المدارس العثمانية في بيروت عام ١٨٧٧ بلغ ١٥ مدرسة ابتدائية للصبيان ضمَّت ٩٥٠ تلميذاً، ومدرسة عالية ضمَّت نحو ١٢٠ طالباً، في حين بلغ عدد سكان بيروت المسلمين ٢٣ ألف نسمة(١٥) . وبعد سنوات على ذلك ذكر شاهين مكاريوس ان إجمالي عدد المدارس العثمانية بلغ ٢٤ مدرسة ضمت ٢٦٦٢ تلميذاً، من ضمنها ثلاث مدارس للبنات عدد تلميذاتها ٤٥٢ فتاة(١٦) . وطبقاً لعبد العزيز عوض فإن المدارس العثمانية كانت متخلفة وغير كافية وتدرس بغير اللغة العربية - هذه الأوضاع للتعليم الرسمي العثماني الموجه أساساً للمسلمين، دفع عدداً من المثقفين وجمعيات لبنانية إلى إنشاء مدارس «**وطنية**». ورغم ذلك فقد ظل قسم كبير من السكان يعتمد على المدارس التبشيرية الأجنبية(١٧).

وحول عدد المدارس البروتستانتية تذكر المصادر المعاصرة أنها كانت نحو ٣٠ مدرسة من أصل ٩٣ مدرسة لعام ١٨٧٧. وكانت من ضمنها «**دار الأيتام**» و « **مدرسة البنات**» التابعتين لجمعية الكيزرزفرت الألمانية. والجدير بالذكر القول ان ثلث المدارس البروتستانتية كانت تعتبر مدارس عالية وأن التعليم البروتستانتي كان موجهاً لتعليم وتثقيف المرأة(١٨) . ففي عام ١٨٨٣ كان هناك ٦٧١ تلميذاً يدرسون في المؤسسات البروتستانتية، مقابل ٢٤٥٠، فتاة، في حين بلغ إجمالي باقي الفتيات اللواتي كنَّ يدرسن في مدارس بيروت ٣١٢١ فتاة(١٩). ومعنى هذا أن ٤٤٪ من مجمل تلميذات بيروت كنَّ يزرن المدارس البروتستانتية. ولكن منذ منتصف التسعينات تراجعت هذه النسبة إلى ٣٥٪ وذلك بسبب المنافسة التي شكلتها المدارس الكاثوليكية وخاصة تلك التي كانت تُدار من قبل راهبات الناصرة وراهبات المحبة التي درست لوحدها نحو ٢٥٠٠ فتاة(٢٠). وفي عام ١٨٩٦ وُجدت في بيروت ٦٧ مدرسة للصبيان ضمَّت ٨٧٠٥ تلاميذ، و٣٦ مدرسة احتوت على ٦٧٦٨ تلميذة(٢١).

بداية النشاطات البروسية في بيروت: خلال الأزمة المصرية (١٨٣١ - ١٨٤٠) بدأت أولى المحاولات البروسية للتدخل في المسألة الشرقية وقضايا سوريا وفلسطين خاصة. وفي عام (١٨٤١) بدأت بروسيا تلعب دوراً نشطاً في سياسة المقاطعات اللبنانية عن طريق مشاركتها في وضع نظام القائمقاميتين، وأيضاً في وضع نظام « لبنان» الخاص عام ١٨٦١. والجدير بالذكر ان بروسيا أخذت خلال تلك الفترة تعمل على تطوير وتحسين جهازها القنصلي في المنطقة(٢٢) . وفي عام ١٨٥٦ شكَّلت الجاليات البروتستانتية الفرنسية والسويسرية والألمانية المقيمة في بيروت جماعة بروتستانتية غلب عليها الطابع الألماني(٢٣) . وبعد مرور سنوات ثلاث على ذلك التاريخ، افتتحت الجماعة البروتستانتية مدرستها الخاصة، كما ارتفع عدد أفرادها إلى ٧٣ شخصاً(٢٤) .

وفتحت الحرب الأهلية اللبنانية عام ١٨٦٠ أمام الإرساليات الألمانية التبشيرية الفرصة لبدء نشاط جديد في « لبنان » . فاستقرت شمَّاسات الكيزرزفرت ورهبنة فرسان يوحنا وأخذتا تنشطان بين اللاجئين المسيحيين في بيروت وصيدا. ولكن هذه الجهود، التي كانت موجهة أصلاً لدعم المسيحيين تجاه المسلمين والدروز، تحوَّلت مع الوقت لتشمل طوائف أخرى غير مسيحية، كان اهمها الطائفتين الإسلامية والدرزية.

٢ ـ نشاطات شمَّاسات الكيزرزفرت:

دوافع العمل في المقاطعات اللبنانية: عقب استقرار شمَّاسات الكيزرزفرت في القدس عام ١٨٥١ رجا تيودور فيبر Theodor Weber ، قنصل بروسيا في بيروت، جمعية الكيزرزفرت أن توسع نشاطها ليشمل بيروت من خلال إنشاء مستشفى للجماعة البروتستانتية في المدينة. وآنذاك اعتذرت الجمعية عن تلبية الطلب، لكنها أعلنت عن استعدادها لدعم هذا التوجه في حال تبنت جمعية أخرى المشروع مالياً، كجمعية غوستاف أدولف - Gustav Adolph - Verein [٢٥] . ونظراً لعدم تحمس الجمعية الأخيرة للموضوع، لم ير المشروع يومها النور.

وباندلاع الحرب الأهلية اللبنانية تغيرت مواقف الجمعيات الألمانية تجاه « لبنان ». فالرأي العام الألماني أبدى استعداداً كبيراً لدعم أي نشاط لجمعية الكيزرزفرت في « لبنان» بين اللاجئين المسيحيين، كي لا تُترك الإرساليات الكاثوليكية وحدها على الساحة اللبنانية. ولهذا السبب تشكلت في برلين عام ١٨٦٠ « لجنة سوريا البرلينية» Berliner Comité fûr Syrien غايتها دعم نشاط شمَّاسات الكيزرزفرت في المقاطعات اللبنانية[٢٦] . كذلك أبدى ملك بروسيا وبعض الجمعيات الألمانية استعداداً لتقديم المساعدات الضرورية للكيزرزفرت[٢٧] . وفي آخر الأمر وصلت إلى بيروت في أول تشرين الأول عام ١٨٦٠ أربع شمَّاسات. وفي نهاية القرن الماضي ، أي بعد مرور ٤٠ عاماً على بدء نشاطهن في المقاطعات اللبنانية، إرتفع عدد الشمَّاسات إلى ١٨ . وفي عام ١٩٠٣ كانت هناك ٣٠ شمَّاسة تعمل في أربعة مراكز تبشيرية في « لبنان»[٢٨] .

مجالات النشاط بعد الاستقرار في بيروت: خلال السنوات الثلاث الأولى على قدومهن إلى « لبنان» انحصر نشاط الشمَّاسات في المجالات التالية:

- إنشاء دار للأيتام.
- مؤسسة الأرامل ومؤسسة الحساء المجاني.
- التعاون مع جمعيات بروتستانتية.
- رعاية المرضى في مدينة صيدا.

إنشاء دار للأيتام: عقب وصولهن إلى بيروت سارعت الشمَّاسات بتأسيس دار للأيتام في منزل مؤجر بمبلغ ٣٠٠ تال سنوياً، حيث استقبل عدداً من أيتام الحرب الأهلية. وفي البداية بلغ عدد الأيتام خمسة، ثم ارتفع بعد فترة قصيرة إلى ١٧ ليصل إلى ٦٤ بعد مرور ثلاثة أشهر على افتتاح الدار[٢٩] .

ومع بداية النشاط واجهت الشمَّاسات صعاب جمة. فبسبب عدم تحضيرهن للعمل في منطقة عربية، واجهت الشمَّاسات صعوبات في ما يتعلق باللغة والعادات والتقاليد والمناخ. إضافة إلى ذلك أجهدت الشمَّاسات لكثرة عدد الأيتام الذين تمّ استقبالهم في الدار. فقد كان عليهن الاهتمام بأنفسهن بالغسيل والطبخ والرعاية والتعليم. ولكن الموقف أخذ يتحسن تدريجاً بعدما التحقت إحدى الشمَّاسات الخبيرات في العمل في منطقة الشرق بالمركز في بيروت.

وبازدياد عدد الأيتام ضاق المنزل الصغير بساكنيه، مما اضطر الشمَّاسات الانتقال إلى منزل آخر، أجرته السنوية ٨٠٠ تال. ـ وهو مبلغ شكل ١/٦ من موازنة الشمّاسات في «لبنان»[٣٠]. وحتى منتصف عام ١٨٦١ كانت الشمَّاسات قد استقبلن ٢٤١ يتيماً. ويلاحظ عدم وجود أي مسلم بين الأيتام المستقبلين. وتبعاً لتوزعهم الطائفي كانوا: ١١٤ موارنة، ٦٤ أرثوذكس، ٣٦ كاثوليك و١٧ من البروتستانت[٣١].

مؤسسة الأرامل ومؤسسة الحساء المجاني: كان تأسيس مأوى لأرامل الحرب الأهلية هو الحقل الآخر لنشاط الشمَّاسات. وقد استقبلت المؤسسة أرامل مسيحيات من بيروت ودمشق بلغ عددهن ٠٢٧ ولما كانت سياسة الشمَّاسات تقوم على تثقيف وتعليم المرأة العربية، افتتحت مدرسة لتعليم الخياطة في ركن من المؤسسة، حيث زارت المدرسة أيضاً نساء من غير الأرامل. أما منتجات المؤسسة من الملبوسات فكانت تباع في سوق بيروت. وقد تحمَّلت جمعية هولندية أكلاف هذا المشروع[٣٢].

ولمساعدة المهجرين أقامت الشمَّاسات مؤسسة الحساء المجاني في مراكز تجمعهم. وفي أحد مطاعم المؤسسة كانت تقدم وجبات خفيفة مجانية لـ ٧٠٠ شخص يومياً ، وفيما بعد إلى ١٥٠٠ في اليوم[٣٣].

التعاون مع جمعيات بروتستانتية: على أثر أحداث ١٨٦٠ تشكلت من قبل الإرساليات الأميركية والإنكليزية « اللجنة الأنجلو ـ أميركية » Anglo - American Committee هدفها العمل معاً على دعم اللاجئين المسيحيين، وأيضاً للوقوف صفاً واحداً أمام الإرساليات الكاثوليكية وخاصة الفرنسية[٣٤]. وبعد وصولهن إلى بيروت انضمت الشمّاسات إلى اللجنة، حيث قام تعاون مشترك منسق بين الفرقاء الثلاثة.

وفي البداية عملت الشمّاسات في إحدى مطاعم اللجنة ثم ما لبثت ان تولت إدارته[٣٥]. وإضافة إلى ذلك نشطت الشمّاسات منذ تموز عام ١٨٦١ في إدارة مستشفى تابع للجنة. وخلال عام واحد تمكنت من معالجة ٤٩٥ مريضاً معظمهم من الموارنة والأرثوذكس، إضافة إلى عدد قليل من البروتستانت والدروز[٣٦]. وبسبب مصاعبها المالية إضطرت اللجنة عام ١٨٦٣ إلى إقفال المستشفى.

وعلاوة عن اللجنة الأنجلو ـ أميركية أقامت جمعية الكيزرزفرت علاقة تعاون مع « المنظمة البريطانية والقارية لدور الأيتام السورية» British and Continental Syrian Asylums Association. فمنذ بدءهن لنشاطهن في « لبنان» حصلت الشمّاسات على مساعدات مالية سخية من المنظمة المذكورة. والجدير بالذكر أن هذه المنظمة كانت تقدم مساعدات إلى دار الأيتام السورية ورهبنة فرسان يوحنا[٣٧].

رعاية المرضى في صيدا: إلى جانب عملهن في بيروت، كرّست الشمّاسات أنفسهن لرعاية المرضى في مدينة صيدا وضواحيها، في مستشفى تابع « للجنة سوريا البرلينية». وقد أشرف على معالجة المرضى الطبيب فندت Wendt الذي كان في الوقت نفسه طبيب مستشفى فرسان يوحنا في صيدا. وفي البداية استقبل المستشفى مرضى من الجنسين، ثم ما لبث العمل أن انحصر بين النساء والأولاد بعدما ركز مستشفى فرسان يوحنا في المنطقة نشاطه بين الرجال. وحتى حلّ المستشفى في عام ١٨٦٢ بلغ عدد المعالجين ٧٥٠ مريضاً: ٤٦٣ أرثوذكسياً، ١١٧ مارونياً، ٩٩ كاثوليكياً، ٣٣ بروتستانتياً و ٣٨ من المسلمين[٣٨]. إضافة إلى ذلك تلقى عدد كبير من المرضى معالجة فورية في المستوصف التابع للمستشفى. كما زود المرضى بالأدوية والعقاقير.

أطر النشاط بعد انتهاء الحرب الأهلية: بعد عودة الهدوء إلى المقاطعات اللبنانية وعودة معظم اللاجئين إلى ديارهم في خريف ١٨٦١، لم يعد ضرورياً استمرار النشاط في صيدا ومؤسسة الأرامل والمطاعم المجانية في بيروت. ومنذ ذلك الحين تركز نشاط الشمّاسات في حقول ثلاثة:

- دار الأيتام في بيروت (منذ عام ١٨٦٠).
- مدرسة البنات العالية وفرعها الداخلي (منذ عام ١٨٦٢).
- مدرسة عاريا (منذ عام ١٨٨٢).

دار الأيتام «زوآر» Zoar : كما ذكرنا سابقاً، اضطرت الشمّاسات للانتقال إلى نزل آخر مؤجر بسبب تزايد عدد الأيتام المستقبلين. وفي عام ١٨٦١ اضطرت الشمّاسات مرة أخرى للحصول على منزل جديد بسبب كثرة عدد الأيتام الذين تدفقوا على الدار. فبعد شراء قطعة أرض بمنطقة مينة الحصن بمبلغ ٣٦٧٠ تالاً، شيّدت الشمّاسات بناء كبيراً بلغت كلفته الإجمالية ٣٠ ألف تال[٣٩]. وفي نيسان ١٨٦٢ تمّ تدشين المبنى الجديد. وفي هذا المبنى يبدأ التاريخ الحقيقي للميتم وفيه ينتهي عام ١٩١٨[٤٠]. وقد أطلق على الدار إسماً عبرياً هو « زوآر » ، ومعناه المأوى الذي يلجأ إليه المرء في سبيل الحصول على المساعدة والحماية[٤١].

وبعد الإنتقال إلى البناء الجديد وتوسيع الشمّاسات لنشاطهن بين الأيتام المسيحيين وغير الأيتام ايضاً، واجهت الشمّاسات مشكلات خطيرة. فسياسة الكيزرزفرت التبشيرية بين المسيحيين في « لبنان»، أو بمعنى أصح، كما ذكر فليدنر Fliedner ، رئيس الجمعية، « **نشر النور والحياة الإنجيلية**»، كانت تحدياً للطوائف المسيحية الأخرى. فسياسة الشمّاسات في إجبار أقارب الأيتام على توقيع عقود في القنصلية البروسية في بيروت تلزمهم إبقاء الموصى عليهم فترة طويلة في الدار كانت لها ردود فعل عنيفة من جانب الطوائف المسيحية وخاصة الكاثوليكية[٤٢]. ولقد حاول اليسوعيون عرقلة نشاط الشمّاسات بشتى الطرق. فتذكر تقارير صادرة عن الكيزرزفرت خططاً لليسوعيين بتشجيع العائلات المارونية والكاثوليكية على سحب اليتامى من الدار لقاء مكاسب مادية أو مساعدات غذائية ووعود بفتح أبواب مياتمهم ومؤسساتهم التعليمية امام

أيتام زوار(٤٣). ويبدو ان سياسة اليسوعيين قد نجحت بادىء الأمر حين ترك نحو ١٠٠ يتيم زوآر. ولعدة أسابيع ظلّت دار الأيتام شبه خالية واقتصرت على ٣٠ يتيماً(٤٤) . وترافق هذا الحادث مع إنتقال الدار إلى مبناها الجديد في مينة الحصن. وقد خشيت الشمّاسات يومها أن تنتقل إلى المبنى الجديد بهذا العدد الصغير لكن عندما تبين أن اليسوعيين لم يستطيعوا الوفاء بكل وعودهم للعائلات المسيحية، عادت نسبة الأيتام في زوآر في الارتفاع من جديد ووصلت بعد مرور عدة أسابيع من الانتقال إلى المبنى الجديد إلى ١٣٠ يتيماً(٤٥).

وفي السنوات التالية شكّل الموارنة والكاثوليك والبروتستانت غالبية أيتام زوآر، في حين انعدم تمثيل الطوائف الأخرى تقريباً. وعندما طلبت أربع فتيات درزيات الدخول إلى الدار عام ١٨٦٤ قبلن شرط عدم الامتناع عن حضور درس الدين(٤٦) . وفي العام التالي التحقت فتاتان مسلمتان بالدار وسرعان ما ارتدتا إلى المسيحية بتأثير من الشمّاسات. وقد أصبحت إحدى هاتين الفتاتين أول راهبة تابعة لجمعية الكيزرزفرت من أصل مسلم(٤٧) . ورغم ذلك فلا يمكن وصف زوآر بأنه كان مشرعاً للمسلمين، ذلك أن الشمّاسات لم يستطعن تخطي تحفظ المسلمين تجاه « **مجتمع مسيحي مغلق** » Christian Closed Society لخشية هؤلاء على أبنائهم أو الموصى عليهم من سياسة التغريب أو الارتداد عن الدين الإسلامي، كما كانت الحال في طاليطا قومي بالقدس(٤٨).

ومرة اخرى اضطرت الدار لتوسيع المبنى بسبب تزايد أعداد الأيتام. ففي عام ١٨٧٣ أنشىء مغسل ضم خمس خادمات عملن بمساعدة تسعة من الأيتام. وفي الوقت نفسه قامت جمعية الكيزرزفرت بتسجيل المبنى على اسم القنصل الألماني في بيروت وذلك بهدف ضمان مستقبل عملها تجاه أية عراقيل عثمانية(٤٩).

وكما هو الحال في مؤسسات ومدارس الكيزرزفرت في الشرق، فقد سار التعليم في ثلاثة اتجاهات: تعليم مدرسي، اعمال منزلية وأشغال يدوية. ففي البداية اقتصر التدريس على صفين، وبعد عام ١٨٦٢ اصبحت ثلاثة وبعد عام ١٨٦٦ أربعة صفوف. وبسبب عدم تمكن الشمّاسات، في البداية، التدريس باللغة العربية، فقد وظفت معلمتان عربيتان من الطائفة الأرثوذكسية وخريجات الإرسالية الأميركية لتدريس هذه اللغة. وبعد فترة من الزمن أخذت

الشمّاسات تشاركن تدريجاً بالتعليم باللغة العربية. وبالإضافة إلى تعليم العربية والألمانية كانت تعطى مواد في التاريخ والجغرافيا والحساب. أما التعليم الديني فكان يشمل قصصاً إنجيلية، الإنجيل، مبادىء المذهب اللوثري وأغاني دينية. وكان الأيتام الذين يودون اعتناق المذهب البروتستانتي يحصلون على دروس في التثبت من قبل راهب الجماعة الإنجيلية في بيروت(٥٠) . وحتى عام ١٨٧٩ كان ٣٣ يتيماً ويتيمة قد تمّ تثبيتهم، من ضمنهم ٢٢ من أصل أرثوذكسي(٥١).

وفي إطار الأعمال المنزلية كان يناط بكل يتيم عمل معين، كالكنس، التمسيح، غسل الأطباق وتنظيف النوافذ. وأتاح تدريب الشمّاسات للتلميذات اليتيمات على الأشغال اليدوية إمكانية سد احتياجات الدار من الألبسة التي كانت الفتيات تصنعها بنفسها. ففي تقرير لزوآر لعام ١٨٦٣ إلى ١٨٦٥ نستدل أن الفتيات اليتيمات إستطعن إنجاز كلسات للسيدات، سراويل، ألبسة، مفارش، أسماء مطرزة ، قمصان، جاكتات، مراييل، قبعات، شراشف وغيرها. وكان قسم من الإنتاج يستخدم داخل الدار بينما يذهب قسم آخر إلى المستشفى البروسي في بيروت وما تبقى يباع إلى العائلات الأوروبية في المدينة(٥٢) . ومن خلال ذلك تصاعد دخل الدار تدريجاً. ففي عام ١٨٦٣ بلغت أرباح الدار من المبيعات ١٦٣ تالاً(٥٣)، وعام ١٨٦٦ بلغ ٣١٩ تالاً(٥٤) و٣٠٠٠ تال عام ١٨٧٩(٥٥)، وهو دليل على جودة المنتجات إن لم يكن على سياسة الشمّاسات التربوية.

وكما سنرى في حينه، عندما كانت الدار خلال الثمانينات من القرن الماضي تعاني ضائقة مالية، قررت الشمّاسات فرض رسوم على استقبال الأيتام في الدار. وبينما عجزت شماسات الكيزرزفرت في القدس عن تنفيذ مثل هذه السياسة، نجحت الشمّاسات في تطبيقها ببيروت ابتداء من عام ١٨٨٨. ورغم ذلك فقد ظلت الشمّاسات تستقبل كثيراً من الأيتام مع حسومات تارة او بصورة مجانية تارة أخرى، عندما كان يتبين لهن ان المسألة تتعلق حقاً بفقراء(٥٦).

وبعد مرور ٢٥ عاماً على بدء نشاط الشمّاسات في بيروت، أي في عام ١٨٨٥، كانت الشمّاسات قد خرّجت ٧٩٣ يتيماً ويتيمة، من ضمنهم ٤٣٤ أرثوذكسياً، ٢١٨ مارونياً، ٧٥ بروتستانتياً، ٢٤ كاثوليكياً، ٣١ أرمنياً، ٩ من

المسلمين و ٢ من اليهود(٥٧) . ومن بين ٦٦٥ الذين تركوا الدار توفي ٣٣ وتزوج ١٤١ ، بينما انتقل ٣١ إلى مدارس كاثوليكية و١١ إلى مدارس بروتستانتية في بيروت(٥٨) . ولعل اعظم مآثر الشمّاسات في سوريا هو تخريج معلمات عربيات. ففي عام ١٨٦٧ تخرجت من الدار ١٥ معلمة(٥٩)، وفي عام ١٨٨٥ كانت هناك ٤٥ مدرسة من خريجات الدار يعملن في مدارس ببيروت، عينتاب، مرسين، بعلبك، الناصرة وعكا(٦٠) .

وفي أعقاب المذابح العثمانية بين الأرمن قبل نهاية القرن الماضي استقدمت جمعية الكيزرزفرت ٣٣ يتيمة أرمنية الى بيروت وأوتهن في الدار. وقد اضطرت الدار إلى التدريس أيضاً باللغة الأرمنية . وحتى ذلك الوقت، نهاية القرن التاسع عشر، بلغ عدد الأيتام واليتيمات الذين تربوا داخل الدار نحو ١٠٠٠. وقد أشرف على تربيتهم ٩ شمّاسات. وفي بداية القرن الحالي ارتفع عدد أيتام الدار من ١٣٠ إلى ١٨٠ في السنة(٦١).

تأسيس جمعية زوآر: وللابقاء على إتصال مع المتخرجين من الدار أسست الشمّاسات عام ١٨٨٨ جمعية زوآر. وكان الشق الآخر من الهدف هو أن تقدم الخريجات العاملات دعماً مادياً مستمراً للدار(٦٢).

مدرسة البنات العالية وفرعها الداخلي: تأسست هذه المدرسة عام ١٨٦٢ في الجناح الشرقي لدار الأيتام. وكان الهدف منها إعطاء بنات العائلات الغنية في بيروت قدراً من التعليم الإنجيلي(٦٣). وفي الوقت نفسه كانت جمعية الكيزرزفرت تأمل في أن تساهم المدرسة في زيادة الموارد المالية لمؤسستها في بيروت كي تتمكن من الإنفاق على دار الأيتام المجاني(٦٤) . وفي أيار ١٨٦٢ أفتتحت المدرسة بعدد بسيط من الفتيات لم يتجاوز الثلاث. إلّا أنه ارتفع بعد عام إلى ٤٤ فتاة من ضمنهن ٦ فتيات في القسم الداخلي و ١١ في القسم نصف الداخلي، والباقيات كتلميذات بالمدرسة النهارية. وحتى عام ١٨٨٥ كانت هذه المدرسة قد خرّجت ٥٤١ فتاة و ١٣٠ صبياً(٦٥) . أما معظم التلامذة فكانوا من عائلات بروتستانتية وأورثوذكسية غنية(٦٦).

ومن بين ٦٧١ تلميذاً وتلميذة تخرجوا حتى عام ١٨٨٥ كان هناك ٢١ من عائلات إسلامية(٦٧).وقد عزت الشمّاسات قلّة عدد المسلمين في المدرسة

إلى أن الطائفة الإسلامية لم تكن غنية بوجه عام لترسل أبناءها إلى مدرسة الشمّاسات التي كانت تفرض أقساطاً مرتفعة(٦٨) . وإذا كان هذا هو السبب برأي الشمّاسات، فعلى المرء ألا ينسى أن سياسة الشمّاسات التبشيرية جعلت المسلمين يتجنبون مؤسستهن. ولكن هذا التحفظ تلاشى مع الوقت بعدما تأكدت عائلات إسلامية غنية ان المدرسة ليست حقلاً تبشيرياً إسوة بزوآر. فيذكر تقرير لمجلة « ذكرى وعرفان» Dank - und Denkblätter ، وهي مجلة تصدرها جمعية الكيزرزفرت، بمناسبة مرور ٥٠ عاماً على نشاط المدرسة في بيروت، أن عدد المسلمين والمسلمات الذين تخرجوا من المدرسة حتى نهاية العقد الأول من القرن العشرين بلغ ٢٠٣ متخرّجين من أصل مجموع الخريجين البالغ ١٦٤٦، أي بنسبة ١٢,٣ ٪. وبالمقابل بلغت نسبة المسيحيين من السكان المحليين نحو ٢٠٪، في حين أن ٦٧,٧٪ من التلامذة الباقين كانوا من العائلات الأوروبية القاطنة في بيروت(٦٩).

وبين عامي ١٨٧٩ إلى ١٨٨٢ ازدادت مساحة أبنية المدرسة عن طريق شراء عقار مجاور، مما رفع عدد التلامذة من ٨٠ إلى ١٢٠ سنوياً(٧٠).

وكان التدريس يجري بإشراف مباشر من الشمّاسات. وكانت مواده كالتالي كانت تعطى في مدرسة عاليه، كالرياضيات، الهندسة، الجبر، العلوم الطبيعية. أما التعليم الديني فانحصر بأقاصيص إنجيلية. وبينما كان تلامذة دار الأيتام مجبرون جميعاً على حضور الدروس الدينية، اقتصرت تلك الدروس في مدرسة البنات على التلميذات البروتستانتيات(٧١).

وحتى نهاية القرن الماضي يمكن وصف المدرسة بأنها كانت مؤسسة دينية - دولية، تمثلت فيها ١٨ قومية و ١١ طائفة دينية(٧٢) . ومن ضمن صفوف المدرسة الخمسة في عام ١٨٧٨ كانت أربعة منها تعطي تعليماً باللغة الفرنسية، بينما الصف الخامس باللغة الإنكليزية ، في حين لم يكن هناك أي تدريس باللغة الألمانية(٧٣). ورغم إضافة صفين للتعليم باللغة الألمانية بين عامي ١٨٧٨ و ١٨٨٢ ظلت اللغة الفرنسية هي الغالبة في مناهج التدريس(٧٤) . فثلث تلامذة المدرسة كانوا يتلقون دروسهم باللغة الألمانية. كذلك كانت نسبة التلامذة الألمان في المدرسة زهيدة(٧٥).

وطبيعي ان يخفي حال المدرسة هذا الشخصية الألمانية لتلك المؤسسة، وهذا ما لفت انتباه الخارجية الألمانية منذ الثمانينات من القرن المنصرم. فكما نعلم فإن النفوذين السياسي والاقتصادي لألمانيا أخذا يقويان في منطقة الشرق منذ ذلك الوقت. وكان نشر اللغة والثقافة الألمانية في المنطقة يصاحب سياسة التغلغل السلمية للأمبريالية الألمانية[٧٦]. لذلك كان على المؤسسات الألمانية في الخارج ومنها المدارس في الشرق أن تلعب دوراً هاماً في الدعاية لألمانيا[٧٧]. ولهذه الأسباب أخذت الحكومة الألمانية منذ عام ١٨٨٢ تدعم المؤسسات والمدارس الألمانية في الخارج انطلاقاً من سياسة قومية[٧٨]. وهذه السياسة، دعم المؤسسات الألمانية خارج البلاد مادياً ومعنوياً مقابل إبراز تلك المؤسسات «**الشخصية الألمانية**» في مجالات الثقافة والتعليم وأن تكون تلك المؤسسات والمدارس في خدمة «**السياسة العليا**» للدولة، كانت تحمل في طياتها أخطاراً على مستقبل تلك المؤسسات، خاصة في بلد كـ «لبنان»، الذي كان يتعرض منذ القرن الثالث عشر بكثافة للنفوذ الثقافي الفرنسي. ولهذه الأسباب فضّلت جمعية الكيزرزفرت في البداية الاستغناء عن مساعدة الحكومة الألمانية المشروطة. وعندما طلبت جمعية الكيزرزفرت بعد سنوات قليلة وبسبب أوضاعها المالية الصعبة مساعدة عاجلة من الحكومة الألمانية لمدارسها في بيروت وسمرنة، ردّت وزارة الخارجية الألمانية بأنها تدعم المدارس« **التي تساهم في دعم الأهداف القومية الألمانية التي ليس لها طابعاً دينياً**»[٧٩]. إضافة إلى ذلك اشترطت الخارجية الألمانية على جمعية الكيزرزفرت تشكيل إدارة جديدة للصفوف الألمانية في مدرستها ببيروت وأن توضع هذه الصفوف تحت إشراف القنصل الألماني في المدينة وان تكون أفضلية الانتساب إلى المدرسة للألمان أو الذين هم تحت الحماية الألمانية. وأخيراً اشترطت الخارجية بأن يُقبل التلامذة الألمان الفقراء برسوم مخفضة في المدرسة وأن تكون اللغات الأجنبية في المدرسة، وخاصة اللغة الفرنسية، «**لغة تدريس**» فقط[٨٠].

استمر تردد جمعية الكيزرزفرت في قبول شروط الخارجية الألمانية حتى عام ١٨٩١، عندما واجهت الجمعية عجزاً جديداً في ميزانيتها في بيروت واضطرت للموافقة على بعض من شروط الخارجية، كأن تصبح اللغة الألمانية لغة التدريس الرئيسة في المدرسة وأن تخفض الرسوم بالنسبة للألمان المحتاجين وتشكيل إدارة جديدة للمدرسة[٨١]. أما الطابع الديني للمدرسة فحافظت عليه

الجمعية دون أي اعتراض من قبل الخارجية الألمانية. وبذلك ضمنت الخارجية الألمانية الطابع الألماني لمدرسة الكيزرزفرت، فيما الكيزرزفرت صانت مدرستها من «**العلمنة**». وهكذا تحولت مدرسة الكيزرزفرت في بيروت الى مدرسة تتبع النظام التعليمي الألماني. وفي عام **١٩٠٣** كانت جميع الصفوف الفرنسية ما عدا واحداً قد استغني عنها[٨٢]. وابتداء من عام **١٨٩١ - ١٨٩٢** أخذت المدرسة تحصل سنوياً على مساعدة من الحكومة الألمانية قدرها **١٠٠٠** مارك[٨٣].

ولم تؤثر التوجهات« **الوطنية**» للمدرسة على عدد التلامذة، ذلك ان الشمّاسات لم تطبق الإجراءات الوطنية دفعة واحدة، بل تدريجاً، بمعنى ان إلغاء الصفوف الفرنسية لم يتم فوراً وكلياً. ومما ساعد على ذلك ان معظم تلامذة المدرسة كانوا من أبناء العائلات البروتستانتية والأرثوذكسية التي لم يكن لديها اهتمام شديد بالثقافة الفرنسية.

ويمكن القول إن المدرسة الألمانية حصلت على سمعة جيدة من قبل سكان بيروت. ولتجنب المنافسة مع المدارس البروتستانتية الاخرى العاملة في بيروت اقترحت الشمّاسات عام ١٨٦٨ على الإرساليات الاميركية والإنكليزية تنسيقاً تربوياً فيما بينها. وعلى ما يبدو فإن هذا الاقتراح لم يجد طريقه إلى التنفيذ[٨٤]، بسبب المنافسة القوية بين المدارس البروتستانتية نفسها. وطبقاً لما يذكره طيباوي فقد استطاعت مدارس الكيزرزفرت تحجيم نشاط الإرسالية الأميركية التعليمي[٨٥]. بالمقدار نفسه شكّلت مدارس الكيزرزفرت منافسة لمدارس الإرسالية الانكليزية. فطبقاً لما تذكره تقارير الجمعية الألمانية فقد فاق المستوى التعليمي لمدارسها مستوى مدارس الارسالية الانكليزية[٨٦]. وعلى كل حال تتفق بعض المصادر المعاصرة على المستوى الرفيع لمناهج التعليم والتنظيم في مدرسة الكيزرزفرت[٨٧].

وإذا كانت مدرسة الكيزرزفرت قد استطاعت تخطي منافسة المدارس البروتستانتية الاخرى، إلا انها واجهت منافسة قوية من قبل المدارس الكاثوليكية، وخاصة مدارس راهبات الناصرة التي كانت تحصل على دعم من اليسوعيين. فبدعم من الآباء اليسوعيين استطاعت راهبات الناصرة تخفيض الأقساط والرسوم واستخدام عربات لنقل التلامذة، وهو أمر عجزت الكيزرزفرت عن تطبيقه بسبب مواردها المالية المتواضعة[٨٨].

واستمرت المنافسة الثقافية بين الطوائف المسيحية في بيروت لفترة طويلة. وعندما قامت بعض الإرساليات والجمعيات بافتتاح مدارس جديدة نهارية وداخلية منذ العقد الثامن وبرسوم مخفضة، أدى هذا إلى انخفاض عدد تلامذة الكيزرزفرت من ١٢٠ إلى ١٠٠[٨٩]. ففي عام ١٨٨٩ وُجدت في بيروت إضافة إلى مدرسة الكيزرزفرت، سبع مدارس داخلية للبنات وست مدارس نهارية[٩٠]. ولكن تقريراً للكيزرزفرت للفترة من عام ١٨٩٤ إلى عام ١٨٩٦ ذكر ان مدرسة الشمّاسات استطاعت استيعاب المنافسة، وأن تطور نفسها أيضاً وتزيد من عدد تلميذاتها إلى ١٨٧[٩١]. ولا شك ان هذا الرقم يبقى متواضعاً جداً إذا ما قيس بعدد تلميذات راهبات الناصرة البالغ ٥٠٠ في عام ١٨٨٣[٩٢]. وهذا يعود بالتأكيد إلى النفوذ الفرنسي المتين في سوريا، الذي ظل أقوى بكثير من النفوذ الألماني.

وعلى كل حال فإن تطور مدرسة الكيزرزفرت كماً ونوعاً يدعو إلى الاعتراف بدور الشمّاسات في مجال التربية والتعليم. فحتى عام ١٨٩٩ كانت الشمّاسات قد خرّجت نحو ١٠٠٠ من التلامذة لعب معظمهم دوراً بارزاً في المجتمع السوري. فـ ٦٠ خريجة أصبحن فيما بعد معلمات، ٥ ممرضات، ٢ مبشّرات، ١٠ أطباء، ٦ صيادلة، ٣ قضاة، ٢ متخصصين في علم اللغات، ٣ ضباط، ٣ موظفين قنصليين، ١٠ موظفي مصارف، ١٢ من موظفي الدولة، ٨ ميكانيكيين، ٣ فنانين، ٦ عمّال يدويين وواحد كاتب وآخر محرر صحفي[٩٣].

وإذا ما أخذنا بعين الاعتبار نشاط الشمّاسات في زوآر، أي بين الفقراء وأبناء الطبقة المتوسطة، ونشاطهن في مدرسة البنات بين أبناء العائلات الميسورة، فإنه يمكننا القول ان التربية البروتستانتية للشمّاسات قد لمست مختلف طبقات المجتمع السوري.

نشاط الشمّاسات في عاريا: بتطوير نشاطهن في الشرق أصبح من الضروري تشييد منتجع للشمّاسات المنهكات من العمل في المنطقة[٩٤]. وبتوسط فيبر، القنصل الألماني في بيروت، عمدت الكيزرزفرت عام ١٨٦٨ إلى بناء منزل صيفي على قطعة أرض في عاليه. وبعد سنوات ثبت ان المنزل أصبح صغيراً إضافة إلى اكتظاظ مصيف عاليه بالسياح الأجانب. ولهذا اشترت

الكيزرزفرت عام ١٨٨٢ منزلاً آخر مؤلفاً من طبقتين بمنطقة عاريا. وقد سُجل العقار على اسم برونينغ، القنصل الألماني في بيروت[٩٥].

وحمل الانتقال إلى المنزل الجديد معه مشروعاً جديداً للشمّاسات في قرية عاريا الدرزية. فقد خصصت الشمّاسات قسماً من المنزل ليكون مدرسة، حيث قامت إحدى خريجات زوآر بالتدريس بإشراف الشمّاسات. وفي فصل الشتاء كان عدد التلامذة يرتفع إلى ٤٠ ـ ٥٠، في حين ينخفض خلال فصل الصيف إلى ما بين ٢٥ ـ ٣٠ تلميذاً. وعلى كل حال فلم يكن هناك أكثر من صف واحد ولكن بأقسام متعددة، منها قسم الاشغال اليدوية[٩٦].

وإلى جانب نشاطهن التعليمي قامت الشمّاسات برعاية المرضى وتزويدهم بالأدوية. إضافة إلى ذلك قامت الشمّاسات بعيادة المرضى في المنازل. وفي البداية كان التمريض مجاناً، ولكن بعد عام ١٨٨٨ كانت تستوفى رسوم شكلية لأجل تحسين المنزل[٩٧].

مسألة تمويل نشاطات الكيزرزفرت في «لبنان»: عند بدء نشاطها في «لبنان» استطاعت جمعية الكيزرزفرت ان تحصل على دعم الرأي العام الألماني لمسيحيي «لبنان». ولتحقيق هذا الهدف صب في صندوق الجمعية مبلغ ٧٥٣٠٩ تال قدمتها «لجنة سوريا البرلينية» وبعض الجمعيات النسائية وجمعيات للشابات في هولندا وسويسرا، إضافة إلى تبرعات من ألمانيا. وعلاوة على ذلك قامت الشمّاسات بحملة تبرعات في بيروت واستطاعت ان تجمع مبلغ ٧٢٨ ٢٨ تالاً[٩٨]. وبنصف هذه المبالغ اشترت الكيزرزفرت قطعة الأرض التي بنت عليها فيما بعد ميتم زوآر[٩٩] بحيث لم يتبق في صندوق الجمعية في بيروت في نهاية العام الأول سوى مبلغ ٣٤٢ ٢١ تالاً، الذي أودع احد المصارف للاستفادة من فائدته[١٠٠].

وعن طريق التبرعات التي كانت تأتيها من اوروبا، كان هناك توقع أن تتمكن الكيزرزفرت من تغطية نفقات المشروع بموازنة سنوية قدرها ٦٦٧٠ تالاً تجمع على الشكل التالي: ٢٨٧٠ تالاً من المدن الألمانية، و ٣٨٠٠ تال من الدول الأوروبية[١٠١]. لكن هذه التوقعات لم تتحقق، كما أن نفقات المشروع السنوية تجاوزت الـ ٨٠٠٠ تال، في حين لم يصب في صندوق الجمعية ببيروت

سوى ٥٠٠٠ تال سنوياً ، مما اضطر الكيزرزفرت إلى تغطية العجز من خزانتها المركزية في ألمانيا[١٠٢].

وكانت « لجنة سوريا البرلينية» و « المنظمة الإنكليزية والقارية لدور الأيتام السورية»[١٠٣] و « جمعية بيت المقدس»[١٠٤] البرلينية تقدم مساعدات مادية منتظمة إلى الكيزرزفرت.

وفي عام ١٨٧٣ طرأ للمرة الاولى عجز كبير مما حمل الكيزرزفرت على سحب جزء من مال الاحتياط المودع في المصرف، بحيث انخفض الرأسمال إلى ١٧٧٧٦ تالاً[١٠٥] . وفي الفترة التالية تصاعد العجز بحيث تلاشى الرأسمال الاحتياطي تماماً بحلول عام ١٨٨٧[١٠٦] . ويذكر تقرير للكيزرزفرت أن سبب هذا التدهور المالي للجمعية يعود أساساً إلى تطوير الكيزرزفرت لنشاطاتها في « لبنان» وحاجتها إلى ١٨٠ ألف مارك سنوياً منذ منتصف السبعينات. وفي عام ١٨٨٩ بلغ العجز في دار الأيتام زوآر وحدها مبلغ ٥٤١٧٧ ماركاً[١٠٧].

وكعادتها حاولت الكيزرزفرت حل المشكلات عن طريق إيجاد « أولياء » للأيتام في ألمانيا، على ان يدفع كل ولي مبلغ ١٨٠ ماركاً عن كل يتيم في السنة. ولكن سرعان ما تبين أن ١٧ من هؤلاء كانوا على استعداد للانضمام إلى المشروع[١٠٨]، وكانت الوسيلة الأخرى لتنمية المداخيل هي بيع منتجات يدوية كان يصنعها الأيتام بأنفسهم. ورغم ان الكيزرزفرت قد حصلت في التسعينات على مبلغ وصل إلى ٣٩٦٣٤ ماركاً من جراء تسويق منتجات الدار، ظل العجز يتصاعد حتى وصل إلى ١١٠ آلاف مارك بين عامي ١٨٩٥ و١٨٩٧[١٠٩]. لم تنفع سياسة فرض رسوم على أوصياء الأيتام لكون معظمهم من غير الميسورين. وحتى مدرسة البنات التي كانت تأسست أصلاً لبنات العائلات الغنية وللحصول على أرباح لدعم نشاط زوآر، لم تستطع أن تقدم مساهمة فعالة، خاصة إذا علمنا أن بعضاً من تلميذات المدرسة كن يقبلن برسوم مخفضة[١١٠].

والواقع أن صعوبات الكيزرزفرت المالية كانت جزءاً من أزمة عامة كانت تتعرض إليها الإرساليات الألمانية في الشرق، ولكنها ظهرت بوضوح عند الكيزرزفرت بسبب امتلاكها لخمسة مركز تبشيرية في الشرق[١١١]. كما أن

دعم الحكومة الألمانية للكيزرزفرت في مطع التسعينات لم يؤدِ إلى حل المشكلة المالية للجمعية الألمانية. فزوآر ومدرسة البنات لم يحصلا معاً على أكثر من ٢٠٠٠ مارك سنوياً[١١٢] ، وهي نسبة لا تتجاوز ٢٪ من احتياجات الكيزرزفرت السنوية في لبنان .

واستناداً إلى ما تقدم، يمكننا أن نعطي أرقاماً للدلالة على مدى إنجازات الكيزرزفرت، وأيضاً على الصعاب التي اعترضتها: في الفترة من عام ١٨٦٠ إلى عام ١٨٩٧ صرفت الكيزرزفرت، طبقاً لتقديراتي، على مشاريعها في « لبنان» نحو ١,٦ مليون مارك، في حين بلغ مدخولها في الفترة نفسها ١,٢ مليون مارك.

٣ ـ المستشفى البروسي في بيروت
(Das Preussische Krankenhaus in Beirut)

« رهبنة فرسان يوحنا» والوضع في « لبنان»: دفعت الحرب الأهلية في المقاطعات اللبنانية عام ١٨٦٠ رهبنة فرسان يوحنا[١١٣] Johanniterorden ـ الفرع الألماني لمساعدة « **ضحايا الحرب الموارنة**»[١١٤]. فالموارنة، كما رأت الرهبنة، رغم أنهم ليسوا بروتستانت، يظلّون إخوة في الإيمان « **يرزحون منذ قرون طويلة تحت نير الإسلام**»[١١٥].

وفي ٧ تشرين الأول ١٨٦٠ دعا الامير البروسي كارل، رئيس الرهبنة جميع أعضاء الجمعية إلى تقديم المساعدة إلى «**البائسين الموارنة الذين بقوا على قيد الحياة**». وبالفعل تمكنت الرهبنة من جمع مبلغ ٤٢ ألف مارك لصرفها في ذلك السبيل. ولتحقيق هذا الهدف أرسل إلى « لبنان» عضوين من الرهبنة هما الغراف فون بسمارك ـ بولين Graf von Bismarck - Bohlen والغراف بربونشر ـ سدلنيتزكي Graf von perponcher- Sedlnitzky ليعاينا الوضع . وقد رافق الإثنين كل من الفارس فون بير ليينوف von Behr - liebenow والطبيب فندت Wendt وأربعة ممرضين تابعين للرهبنة. إضافة إلى ذلك اصطحب الغرافان معهما مستشفى للطوارىء يتسع لـ ٦٠ سريراً[١١٦].

وفي كانون الثاني ١٨٦١ وصل الفريق إلى بيروت. وحتى ذلك التاريخ

كان يوجد في بيروت مستشفيان بروتستانتيان تابعان للجنة الأنجلو ـ أميركيه، مما حتّم على الفريق الألماني بدء نشاطه في مكان غير بيروت.

مستشفى صيدا: ولما كانت المنطقة حول مدينة صيدا مكتظة باللاجئين المسيحيين، قررت رهبنة فرسان يوحنا أن تبدأ نشاطها هناك. وفي ٢٦ شباط ١٨٦١ دُشن المستشفى الذي اتسع لـ ٣٢ سريراً. ولكن سرعان ما واجهت البعثة الألمانية صعاب جمة يصفها لنا الطبيب فندت على الشكل التالي:

> «... وعلى عكس ما كان متوقعاً فقد ظهرت المصاعب بسرعة، كجهل العادات وتقاليد البلد، وقبل أي شيء اللغة المحلية، وهي مصاعب لم يتم التغلب عليها بواسطة المترجم. إضافة الى ذلك لم يكن بالإمكان الاستعانة بمترجم أو إيجاده في كل مكان وزمان. وكنا نضطر إلى استعمال أسلوب الإشارة والتحزير حيث كانت قوة البديهة والإدراك الطبيعية عند العرب تلعب دوراً كبيراً، ولم يكن الرفض القاطع وشكوك السكان المحليين تجاه المستشفيات شيئاً دون أساس، بل نتيجة طبيعية لوضع المستشفيات المخزي التي عملت سابقاً في المنطقة ولا تزال»[١١٧].

وفي الأسبوع الأول لافتتاح المستشفى تمّ استقبال ٢٨ مريضاً مسيحياً، توفي منهم ثلاثة وترك أربعة وبقي ٢١ قيد العلاج[١١٨]. وبعد فترة وجيزة إنتشر مرض التيفوئيد في المنطقة مما ألقى أعباء جديدة على عاتق الطبيب فندت وخليفته الطبيب لورينج Lorange. فالأسرَّة ظلت مشغولة طوال الوقت وكذلك ظل المستوصف مكتظاً. وخلال الشهور الثلاثة الأول غادر المستشفى ١٢٣ مريضاً، بعدما تلقوا علاجاً وبقي ٢٦ تحت الإشراف الطبي[١١٩].

وبإنحسار موجة المرض في حزيران ١٨٦١ وعودة الكثيرين من اللاجئين إلى ديارهم وقراهم، انخفض عدد مرضى المستشفى إلى ١٧ مريضاً. ولكي لا يؤثر ذلك على سمعة المستشفى تقرر إستقبال مرضى من الدروز والمسلمين. وفي الوقت نفسه أراد فرسان يوحنا أن يُظهروا أنفسهم على أنهم لا يعملون على أسس طائفية. ولكن استقبال مرضى مسيحيين ودروز معاً في المستشفى إصطدم بعقبات كثيرة، خاصة أنه كانت تحدث بين الفينة والأخرى نزاعات بين الجماعتين[١٢٠].

وما ان حل الشتاء حتى بدا أن العمل في صيدا لم يعد مجدياً ، خاصة أن مستشفى فرنسياً كان قد تأسس في المنطقة ، إضافة إلى عزم السلطات العثمانية

تشييد مستشفى لها في منطقة صيدا[١٢١]. ولهذه الأسباب عملت رهبنة فرسان يوحنا بنصيحة فيبر، القنصل الألماني في بيروت، وحلَّت مستشفاها تمهيداً للانتقال إلى نشاط مماثل في بيروت ، وذلك بعد ١٣ شهراً من العمل المتواصل. وحتى ذلك التاريخ كان ٨٤٩ مريضاً قد تلقوا العلاج وزودوا بالأدوية الضرورية[١٢٢].

إنتقال المستشفى إلى بيروت: انتقل مستشفى فرسان يوحنا من صيدا إلى بيروت، وبالذات إلى الشارع البروسي حيث كانت القنصلية البروسية ودار الأيتام زوآر ومدرسة البنات التابعة للكيزرزفرت[١٢٣] . ومنذ ذلك الحين أطلق السكان على المستشفى إسم « **المستشفى البروسي**»[١٢٤]. وبالإضافة إلى المستشفى أفتتح مستوصف وصيدلية.

ولكن إفتتاح المستوصف حمل معه المزيد من المشكلات الإدارية. فكثير من المرضى كانوا يتلقون العلاج في المستوصف وفي الوقت نفسه من قبل أطباء محليين غيرمرخص لهم. كذلك كان الكثير من المرضى يقطع العلاج دون سبب وجيه. إضافة إلى ذلك لم تنظم إدارة المستوصف طريق استقبال المرضى وإدخالهم إلى الطبيب. ولهذا حاول الطبيب لورينج أن يزيل هذه الأوضاع السيئة عن طريق وضع أنظمة صارمة لاستقبال المرضى. فكان على كل مريض يرغب بالمعاينة الحصول على رقم يبرزه من وقت لآخر لإدارة المستوصف. كما كان على المريض أن يضع بتصرف المستشفى قطعة من الحلى أو شيئاً ثميناً يخسرها إذا ما قطع العلاج دون سبب معقول. ورغم هذه الإجراءات القاسية استطاع المستوصف ان يكسب ثقة الجمهور وأن يزود في عام ١٨٦٧ آلاف المرضى بالأدوية والعقاقير.

وعالج المستوصف حتى حزيران ١٨٦٢، اي بعد شهور قليلة على إنتقاله إلى بيروت، ١٠٥ مرضى، وارتفع هذا العدد إلى ٢٢٣ في نهاية ذلك العام [١٢٥] . وكذلك فان عدد المعالجين سنوياً في المستشفى لم يتجاوز ٣٠٠ مريض، على الرغم من تأسيس أقسام لمعالجة الأثرياء من المرضى المحليين والأجانب برسوم مرتفعة. ولا شك أن صغر المبنى قد لعب دوراً في تحديد قدرة المستشفى الاستيعابية. ففي بعض الأحيان كان طفلان يضطران للنوم معاً في سرير واحد بسبب ضيق المكان [١٢٦] .

تشييد بناء جديد للمستشفى: شجّع نمو بيروت وازدهارها منذ الستينات من القرن الماضي رهبنة فرسان يوحنا على توسيع نشاطها في المدينة. فكما رأينا سابقاً، كان فيبر الباعث على انتقال المستشفى من صيدا إلى بيروت. وقبيل الانتقال إلى بيروت اقترح فيبر على رهبنة فرسان يوحنا تشييد مبنى جديد للمستشفى في بيروت. ولكي لا يشكل هذا المشروع عبئاً على مالية الرهبنة رأى فيبر أن تخصص عشر غرف من المستشفى للمرضى الميسورين. ومن خلال أرباح هذه الغرف يمكن تمويل الاقسام المجانية في المستشفى . وتوقع فيبر أن يحصل المشروع على دعم جهات بروتستانتية اوروبية. وأخيراً أبدى فيبر استعداده للتفاوض مع فؤاد باشا، المفوض العثماني في بيروت، في سبيل الحصول من السلطات العثمانية على قطعة أرض كهبة لرهبنة فرسان يوحنا لأجل بناء مستشفى عليها[١٢٧].

والواقع أن مدينة بيروت كانت تفتقر إلى مستشفى عثماني. فحتى عام ١٨٨٣ لم يكن هناك سوى ثلاثة مستشفيات أجنبية؛ أحدها المستشفى البروسي، والاثنان الآخر ان تابعان لراهبات الناصرة والكنيسة الأرثوذكسية[١٢٨]. وبسبب هذا التقصير الصحي، وربما أيضاً لأسباب سياسية وافقت الحكومة العثمانية في بداية الستينات على إهداء رهبنة فرسان يوحنا قطعة أرض لتشيد عليها مستشفاها، مشترطة أن تفرز قطعة الأرض في الدوائر العقارية على أنها هبة من الحكومة العثمانية ليشاد عليها مستشفى[١٢٩].

وفي عام ١٨٦٦ انتهى بناء المستشفى على قطعة أرض كبيرة، التي هي اليوم مركز السفارة الفرنسية في بيروت. وبلغت كلفة البناء يومها ١٢٠ الف مارك جُمعت من متبرعين في رهبنة فرسان يوحنا ولجنة سوريا البرلينية ومن المنظمة البريطانية والقارية لدور الأيتام السورية ومن جمعيات وشخصيات ألمانية مختلفة[١٣٠]. وبتدشين المستشفى في ٧ كانون الأول ١٨٦٧ أصبحت رهبنة فرسان يوحنا تمتلك ٣٠ مؤسسة في ألمانيا وخارجها[١٣١].

وتألف المستشفى الجديد من طبقتين تتسعان لخمسة وأربعين سريراً. كما ضم جناحين وغرفتين خصوصيتين للميسورين وأعضاء رهبنة فرسان يوحنا. وخُصصت درجتان أخريان للمرضى الذين يستطيعون تأدية رسوم المعالجة:

الدرجة الأولى حيث يدفع المريض ١٠ فرنكات يومياً، وفيما بعد ٢٠ فرنكاً. والدرجة الثانية حيث كان رسم السرير ٥ فرنكات وفيما بعد ١٠ فرنكات. إضافة إلى هاتين الدرجتين كانت توجد درجة ثالثة مجانية للفقراء من السكان المحليين والأجانب[١٣٢]، وبشكل خاص المحتاجين من أفراد الجماعة الألمانية في بيروت. وسعى فيبر لقيام تعاون بين المستشفى البروسي والكيزرزفرت بغية حلول الشمّاسات محل الممرضين من الرهبان التابعين لإخوة راوهن Rauhen Brûder الذين كانوا يقومون بالتمريض في المستشفى حتى ذلك الحين[١٣٣].

التعاون المشترك بين رهبنة فرسان يوحنا والكيزرزفرت: قبيل انتقال المستشفى إلى مبناه الجديد عقدت رهبنة فرسان يوحنا وجمعية الكيزرزفرت اتفاقاً حول تعاونها المشترك في المستشفى البروسي[١٣٤]. وقد توزعت المسؤوليات على النحو التالي:

- تهتم رهبنة فرسان يوحنا بتأمين المال اللازم للمستشفى.
- تناط المسؤولية الطبية بالطبيب لورينج يعاونه الطبيب لودفيغ[١٣٥].
- تتولى شمّاسات الكيزرزفرت شؤون التمريض.

وبعد التوقيع على الاتفاقية شكّلت لجنة محلية من شخصيات بروتستانتية في بيروت برئاسة راعي الجماعة البروتستانتية في بيروت.

تطور المستشفى وأسلوب العمل: ساعدت السمعة الحسنة للمستشفى بين مختلف فئات سكان بيروت على تطوير العمل، خاصة بعد انتقال المستشفى إلى مبناه الجديد. وفي السنة الأولى لانتقاله بلغ عدد المرضى الذين عولجوا نحو ٢٨٧ ، توفي منهم ١١ وتحسنت حالة ٤٦ ، فيما غادره ٥ وشفي ٢١١ مريضاً تماماً من آلامهم. وتبعاً للطوائف الدينية فقد كانوا ٢٠٧ من المسيحيين المحليين، ٥١ من الأوروبيين، ١٧ مسلماً، ٨ من الدروز و ٤ من اليهود[١٣٦] . وخلال فترة عشر سنوات من العمل بلغ عدد المرضى المعالجين سنوياً نحو ٥٠٠ شخص[١٣٧] . وارتفع هذا العدد إلى ٦٣٠ في السنة في منتصف العقد الثامن من القرن الماضي[١٣٨] . كذلك ازداد عدد الشمّاسات الممرضات من أربع إلى ست ممرضات. وبعد عام ١٨٨٨ تراجع عدد مرضى المستشفى البروسي إلى ٦٠٠ في السنة وحافظ على مستواه حتى نهاية القرن

وذلك بسبب المنافسة التي سببها تأسيس مستشفى كاثوليكي وآخر أرثوذكسي[١٣٩] .

إن إلقاء نظرة سريعة على مذاهب المرضى يوضح أن أعداد المرضى المسلمين الذين تلقوا العلاج داخل المستشفى كان في تصاعد مستمر: من ٦٪ في عام ١٨٧٦[١٤٠] ، إلى ٢١٪ في السبعينات[١٤١] ، فإلى ٣٢٪ في مطلع التسعينات[١٤٢] . وبمجمل القول، فإن نحو ٧ آلاف مسلم تلقوا العلاج في المستشفى حتى عام ١٩١٠ مقابل ١٥١٧٢ من المسيحيين المحليين[١٤٣] . والسؤال الذي يطرح نفسه هنا، لماذا ان نسبة المسلمين المعالجين في مستشفى شمّاسات الكيزرزفرت في القدس إلى المسيحيين بلغت ٣ إلى ١[١٤٤] ، في حين بلغت في المستشفى البروسي ببيروت نسبة ٢ من المسيحيين مقابل ١ من المسلمين؟ الواقع أن قلة عدد المرضى المسلمين في المستشفى البروسي ببيروت كانت تعود إلى أن مستشفيات أخرى عاملة في المدينة استقبلت مرضى من المسلمين، إضافة إلى أن السكان المسلمين في بيروت لم يكونوا الأكثرية في المدينة بعكس الحال في مدينة القدس، حيث شكلوا الأغلبية.

ورغم أن جذور المستشفى البروسي ببيروت كانت طائفية، ذلك انه تأسس أصلاً لإنقاذ المسيحيين الموارنة، فإن العمل على هذا المنوال لم يستمر طويلاً . . ففي عام ١٨٧٧ اتهمت صحيفة « **فوزيشه تسايتونغ** » Vossische Zeitung الكاثوليكية رهبنة فرسان يوحنا بأن مستشفاها في بيروت يعمل على قواعد طائفية وتجاهل تام للطوائف الإسلامية ويرفض استقبال الجنود العثمانيين جرحى الحرب الروسية ـ العثمانية (١٨٧٧/ ١٨٧٨) وأن رهبنة فرسان يوحنا لا تريد العمل بين « **الملحدين** »[١٤٥] . وردّت الرهبنة يومها على ذلك بنشر تعليمات كانت قد أصدرتها إلى إدارة المستشفى في بيروت تقضي بفتح أبواب المستشفى أمام الجنود العثمانيين الجرحى ومعالجتهم[١٤٦] . والواقع انه يمكن تبين نشاط المستشفى غير الطائفي خصوصاً بعد انحسار الحرب الأهلية عام ١٨٦٠ في المقاطعات اللبنانية، وهو ما أكدته بعض الدراسات المعاصرة والحديثة[١٤٧] . والجدير بالذكر أن الشمّاسات رأت في المستشفى البروسي في بيروت، حيث نشطن، « **مركزاً أمامياً للعمل التبشيري بين المحمديين** »[١٤٨] . إلا أن التقارير التي وصلت إلينا لم تذكر نجاح الشمّاسات في تنصير أي من

المسلمين، باستثناء إثنين من الدروز[١٤٩] .

وبسبب الإقبال على المستشفى انتقل المستوصف عام ١٨٧٣ إلى مبنى جديد في حديقة المستشفى. وفي عام ١٨٧٩ جرت تعديلات في المبنى، فشيد قسم للأمومة، وجناحان مع غرفة للعمليات حديثة المعدات إضافة إلى حمّام ومطبخ. وأدى التوسع في المستوصف إلى ارتفاع أعداد المرضى المعالجين حيث وصل إلى ١٢٥٠٠ في منتصف العقد السابع[١٥٠] وإلى ١٤٠٠٠ في نهاية ذلك العقد[١٥١] . وبسبب منافسة مستشفيات أخرى له، تراجع عدد مرضى المستوصف البروسي في نهاية الثمانينات إلى ٧٠٠٠ ـ ٨٠٠٠ في السنة[١٥٢]، ليعود مرة أخرى للارتفاع فيصل إلى ١٤٠٠٠ سنوياً ، بعد استعادة المستوصف لمكانته السابقة[١٥٣] .

التعاون بين المستشفى البروسي والكلية السورية الإنجيلية: عندما حصل في عام ١٨٧١ خلاف مذهبي بين شمّاسات الكيزرزفرت والطبيب لورينج، وهو من الهوغونت فرنسي الأصل ، وجدت رهبنة فرسان يوحنا نفسها مضطرة إلى صرف الطبيب حرصاً على علاقاتها مع الكيزرزفرت[١٥٤] . وفي الوقت نفسه كان تطور كلية الطب التابعة للكلية السورية الإنجيلية يتطلب إقامة مستشفى لتدريب التلامذة. فساعدت إذن التطورات التي حدثت في المستشفى البروسي كلية الطب على الدخول في مفاوضات مع رهبنة فرسان يوحنا في برلين قادها أحد أطباء كلية الطب وهو جورج بوست George Post بغية ربط المستشفى بالكلية وأن يوضع المستشفى تحت الإدارة الطبية لأطباء الكلية السورية. وفي عام ١٨٧٢ توصل الفريقان إلى اتفاق وضع قيد التنفيذ على الفور[١٥٥] .

وبالفعل فقد شكّل الاتفاق دعماً كبيراً لنشاطات الكلية السورية التي كانت تمتلك مستشفى صغيراً وتحتاج لواحد أكبر لضمان تطورها[١٥٦] . إضافة إلى ذلك كان المستشفى البروسي مزوداً بأحدث الأجهزة والمختبرات[١٥٧] . وفي برلين ساد اقتناع بأن التعاون مع الأميركيين لن يؤدِ إلى إضعاف « **الطابع الألماني** » للمستشفى[١٥٨] .

سار التعاون بين الفريقين بشكل ودّي. فالأطباء الاميركيون أمثال جورج

بوست وكورنيليوس فان ديك Cornelius Van Dyck وغيرهما اهتموا بالعناية الطبية في المستشفى ومستوصفه. فأجروا عمليات سرطان، حصى الكلية، عمليات في العين وساهموا في تطوير كلية الطب وتدريب طلابها[١٥٩] . وهذا ما حمل اليسوعيين على افتتاح كلية الطب اليسوعية عام ١٨٨٣ .

وبتأسيس كلية للطب تابعة لجامعة القديس يوسف بإعانات سنوية من الحكومة الفرنسية وصلت إلى ١٠٠ ألف فرنك، وجد الأميركيون في ذلك تحدياً جدياً لنشاطهم الطبي. ففي حين استطاعت كلية الطب لجامعة القديس يوسف في الفترة من ١٨٨٧ إلى ١٩١٣ تخريج ٢٧٦ طبيباً و ٥٧ صيدلياً، خرَّجت كلية الطب التابعة للكلية السورية منذ تأسيسها وحتى عام ١٩١٣ - ٢٤١ طبيباً و٧٠ صيدلياً فقط[١٦٠] .

وللتصدي للمنافسة اليسوعية قررت كلية الطب إعادة تنظيم المستشفى البروسي على أسس جديدة[١٦١] . فرأت ان تزيد عدد الأسرَّة التي كان عددها حتى ذلك الوقت ٨٣ سريراً، وتوسيع القسم النسائي عن طريق بناء مركز للتوليد وإنشاء قسم مستقل للأطفال وأمراض الجلد والعيون. وعلى ما يبدو رفضت رهبنة فرسان يوحنا هذه المقترحات لأسباب مالية، مما حمل كلية الطب الأميركية على تشييد اقسام خاصة بها في سرادق. هذه الخطوة « **الاستقلالية** »للكلية السورية أساءت بالفعل إلى علاقة التعاون بين الكلية السورية ورهبنة فرسان يوحنا ودفعت الأخيرة عام ١٩٠٦ إلى التهديد بفسخ العقد مع الكلية السورية. وكان معنى هذا توجيه ضربة شديدة لكلية الطب الأميركية حيث إن الأخيرة كانت لا تستطيع الاستمرار في نشاطها دون مستشفى. وبعد محاولات قام بها الطبيب بوست في برلين أجّلت رهبنة فرسان يوحنا فسخ العقد إلى عام ١٩٠٨ لكي يتسنّى للكليّة السورية إنشاء مستشفاها الخاص. وقبل أن يتخذ مجلس امناء الكلية السورية الإنجيلية في نيويورك قراراً بشأن بناء مستشفى للكلية، توسط الغراف فون تزيتن - شفرين، رئيس جمعية بيت المقدس البرلينية، بين الفريقين. وللمرة الثانية سافر الطبيب بوست إلى برلين وتوصل مع الألمان إلى اتفاق يقضي بتوسيع المستشفى طبقاً لسياسة الكلية السورية والاستمرار في التعاون. ولكن دخول الولايات المتحدة الحرب العالمية الأولى جعل الكلية السورية تفسخ الاتفاق مع الألمان[١٦٢] .

مدرسة التمريض: بسبب افتقار مدينة بيروت إلى مؤسسة لتعليم الفتيات مهنة التمريض، قرَّرت رهبنة فرسان يوحنا في منتصف العقد الثامن من القرن الماضي أن تؤسس مدرسة للتمريض ترتبط بالمستشفى البروسي. وقبل نهاية ذلك العقد وقعت الرهبنة والكيزرزفرت اتفاقاً يقضي بأن توضع المدرسة بإشراف شمَّاسات الكيزرزفرت. ومنذ ذلك التاريخ خرجت تلك المدرسة فتيات سوريات حصلن على تدريب في التمريض بالمستشفى البروسي[١٦٣] .

أهمية المستشفى البروسي والمواقف منه: بسبب تأثيره الفعَّال في الناحيتين الصحية والطبية لقي المستشفى البروسي استحساناً من قبل السكان المحليين والأجانب في بيروت. فكثير من الألمان والأوروبيين المقيمين في المدينة كانوا يترددون على المستشفى عند الحاجة. كذلك كان يتردد على المستشفى بين الحين والآخر موظفون عثمانيون، كطبيب الجيش العثماني، على سبيل المثال، الذي امتدح المستشفى و بصورة خاصة غرفة العمليات[١٦٤].وفي عام ١٨٩٥ كان أحد كبار ضباط الجيش المصري من بين نزلاء المستشفى[١٦٥].

ومن جهة أخرى حصل المستشفى على استحسان المسلمين. فتذكر صحيفة رهبنة فرسان يوحنا أن أحد أبناء رجال الدين المسلمين نقل إلى المستشفى في عام ١٨٩٠ . وفي اليوم التالي على ذلك وعلى ذمة الصحيفة، وكان يوم جمعة، اعتلى الشيخ، والد الصبي المريض، المحراب وشكر الشمَّاسات علناً على عملهن الخيري. وتضيف الصحيفة قائلة إن الشيخ استمر في شكر الشمَّاسات أياماً متتالية حتى تماثل إبنه للشفاء[١٦٦].

ومهما يكن من أمر فإن اعتراف السكان بدور المستشفى يمكن دعمه بالارقام . . ففي عام ١٩١٠ ، اي بعد مرور ٥٠ عاماً على انشاء المستشفى ، بلغ عدد الاشخاص المعالجين في المستوصف ٤٨٧٦٩١ مريضاً . وفي المستشفى تلقى ٢٦٨٢٠ مريضاً العلاج ، من ضمنهم ١٨٩٥٨ عولجوا مجاناً . وكان من بين مرضى المستشفى ١٧٢٦ اجنبياً ، في حين ان بقية المرضى وعددهم ٢٥٠٩٤ كانوا من الرعايا العثمانيين. وتبعاً للطوائف كانوا على الشكل التالي: ٧٠٠٠ مسلم، ١٥١٧٢ مسيحياً، ١٩٦٠ يهودياً و٩٦٢ درزياً،

وحتى ذلك التاريخ بلغت الاموال التي صرفت على المشروع ٨٨٤٥٢٢ ماركاً[١٦٧] .

٤ - المدرسة الألمانية في بيروت
(Die Deutsche Schule in Beirut)

دوافع تأسيس المدرسة: عقب تكوين جماعة إنجيلية Evangelische Gemeinde في بيروت عام ١٨٥٦ من ألمان وسويسريين وفرنسيين وهولنديين، وجد أعضاء الجماعة ضرورة ملحة لانشاء مدرسة لأبنائهم. والواقع ان محاولات سابقة كانت قد جرت لتأسيس مدرسة للجماعة الإنجيلية. الا ان جميعها باء بالفشل بسبب الافتقار إلى المال، والى الخلاف بين أعضاء الجماعة حول كيفية إدارة المدرسة المنوي إنشاؤ ها. ولكن حصول الجماعة الألمانية بعد تشكيلها على مساعدات من جمعية غوستاف - أدولف وجمعية بيت المقدس، جعلها تفكر من جديد في مشروع المدرسة. وكان راعي الجماعة وليم كريمر Wilhelm Krâmer هو المحرك لهذا المشروع. ولكي لا يشكل إنشاء المدرسة عبئاً مالياً على الجماعة الناشئة، تطوع كريمر للعمل كمدرس بالمدرسة وبصورة مجانية[١٦٨] .

الفترة الأولى (١٨٥٩ - ١٨٦٨): افتتحت المدرسة بعد مرور ثلاث سنوات على تكوين الجماعة الإنجيلية وقد ضمت ٧ تلاميذ ، ستة منهم من أبناء الجماعة البروتستانتية، فيما السابع إبن القنصل النمساوي في بيروت[١٦٩] . وانحصر منهج التدريس في القراءة والكتابة، الحساب، التاريخ والجغرافيا والأقاصيص الدينية. وكانت الفرنسية هي لغة التدريس، لكن التلامذة الألمان كانوا يدرسون باللغة الألمانية[١٧٠] .

وبعد تعيين صموئيل كولن Samuel Kullen راعياً للجماعة، عُين مدرس سويسري يتكلم الفرنسية مدرساً لمساعدة راعي الجماعة في التدريس لارتباطاته الخارجية. وبتزايد أعداد التلاميذ وظُف مدرس آخر وكان أرثوذكسياً. كذلك أخذت إدارة المدرسة تبحث جدياً مسألة الانتقال إلى مبنى أكبر[١٧١] .

وخلال عمل إدوار إيبل Eduard Ebel ، خليفة كولن المتوفى في عام ١٨٦٥، حظيت المدرسة على كل دعم وتشجيع منه، إضافة إلى إجراء المدرسة امتحاناتها بصورة علنية. لكن حماس إيبل سرعان ما بدأ يخف عندما تبين له أن واحداً من بين ٢٢ تلميذاً كان تابعاً للجماعة الإنجيلية، في حين أن التلامذة الباقين كانوا من خارج الجماعة من أبناء العائلات المحلية أو أبناء العائلات الأوروبية المقيمة في بيروت. كذلك لاحظ إيبل أن أبناء الجماعة البروتستانتية يزورون المدارس التبشيرية الاميركية والإنكليزية وأيضاً مدارس اليسوعيين. ولهذا كله رأى إيبل أن المدرسة لم تعد تخدم أبناء الجماعة الإنجيلية وانه لا فائدة من استمرارها. إضافة إلى ذلك فإن خلافات في وجهات النظر بين أفراد الجماعة حول كيفية إدارة وتنظيم المدرسة كانت سبباً آخر جعلت إيبل يقرر إقفال المدرسة. وفي ١٤ شباط ١٨٦٨ طلب إيبل من لجنة الجماعة إقفال المدرسة، وهو ما حصل في تموز العام نفسه[١٧٢]، ورغم ذلك أعلن إيبل عن استعداده لتدريس أبناء الجماعة البروتستانتية على انفراد. لكن هذا لم يحصل بسبب انتقال جميع التلاميذ إلى مدارس أخرى.

انتقال أبناء الجماعة الإنجيلية إلى مدرسة الكيزرزفرت (١٨٧٨ - ١٨٨٠): مرّت عشر سنوات على إقفال المدرسة وأبناء الجماعة الإنجيلية يزورون المدارس التبشيرية في بيروت. وفي عام ١٨٧٨ توصل بول بارتس Paul Baarts راعي الجماعة، إلى اتفاق مع إدارة مدرسة البنات التابعة للكيزرزفرت على فتح صف ابتدائي لأبناء الجماعة الإنجيلية. وقد تمّ له ذلك وافتتح الصف الذي ضم ١٠ تلاميذ[١٧٣] . لكن سرعان ما تبين الحاجة إلى صف آخر يكون ممهداً لدخول التلاميذ إلى المدارس الثانوية الألمانية. ولكي يشجع بارتس الكيزرزفرت على القيام بتلك الخطوة تعهد لها بتدريس اللغة اللاتينية في مدرستها[١٧٤] . ولكن هذه الخطوة لم يكتب لها النجاح حيث ان الكيزرزفرت لم تكن تقبل صبية في مدرسة البنات ممن تجاوزوا الحادية عشرة من عمرهم[١٧٥] .

الفترة الثانية (١٨٨٠ - ١٨٨٧): بينما الجماعة البروتستانتية في بيروت منشغلة بمسألة تأسيس صف آخر لأبنائها في مدرسة الشمَّاسات، وصل إلى بيروت الراهب غوتفريد شفارتز Gottfried Schwarz ، الذي كان يعمل في

مدرسة خاصة في يافا[١٧٦] . وفي غياب الراهب بارتس اتفقت بعض عائلات الجماعة الميسورة مع شفارتز على تأسيس مدرسة للصبيان. وتعهدت هذه العائلات بدفع مبلغ ٥٠٠٠ فرنك سنوياً وعلى مدى ثلاث سنوات لقاء إدارته للمدرسة[١٧٧]. واتفق ان تكون المدرسة علمانية، وأن تكون اللغة الألمانية مادة تدريس إجبارية، ذلك أن شفارتز كان يأمل في الحصول على إعانة حكومية ألمانية قدرها ١٠٠٠ مارك سنوياً، وهي مساعدة كانت تقدمها الخارجية الألمانية للمدارس والمؤسسات الألمانية في الخارج التي تنطلق من أسس وطنية المانية[١٧٨]. وفي العام الدراسي الأول (١٨٨٠/١٨٨١) استقبلت المدرسة ١١ صبياً، وانضم إليهم ٨ آخرون خلال العام الدراسي، من ضمنهم تلميذ أرمني وآخران نمساوي وداغركي. أما بقية التلاميذ فكانوا من الجالية الألمانية[١٧٩].

وكان التعليم يُعطى في البداية في صفين، وبعد ذلك في خمسة صفوف. وكان شفارتز ومدرس آخر يقومان بالتعليم. أما المدرس الثالث فتم توظيفه عام ١٨٨٤. وكانت مواد التدريس عبارة عن اللغة الألمانية، التاريخ، الجغرافيا، الحساب وقصص دينية. . وبالنسبة لتلامذة الصفوف العالية كانت تدرس اللغة اللاتينية والرياضيات. وبالنسبة للغة الفرنسية فكانت تُعامل كلغة تدريس[١٨٠].

وفي عام ١٨٨٣ انتهت فترة العقد بين العائلات الميسورة في الجماعة الإنجيلية وشفارتز. وترافق ذلك مع انتشار وباء في بيروت[١٨١] ، مما حمل بعض العائلات الميسورة المتعاقدة مع شفارتز على مغادرة المدينة إلى أوروبا، في حين أرسل بعضها أبناءه إلى ألمانيا لإكمال دراساتهم هناك[١٨٢] . وعلى هذا لم تعد هناك عائلات متعاقدة مع شفارتز تستطيع تسديد مبلغ ٥٠٠٠ فرنك سنوياً كدعم لاستمرار المدرسة. كذلك لم يكن متوقعاً ان تنضم عائلات ألمانية أخرى إلى العقد مع شفارتز، حيث أنها كانت متوسطة أو فقيرة الحال معظم أفرادها من الحرفيين أو العمال أو من أعضاء جماعة الهيكل الالمانية الذين تركوا يافا وحيفا بعد خلافات داخلية في الجمعية[١٨٣].

وفي ضوء هذه الظروف المستجدة حذَّر بول شرودر Paul Schrôder ، القنصل الألماني في بيروت، الخارجية الألمانية من أن إقفال المدرسة سيدفع أبناء العائلات الألمانية إلى الالتحاق بالمدارس الفرنسية في المدينة. ولفت شرودر

انتباه الخارجية إلى أن المدارس الفرنسية تعمل بإشراف رجال الدين الكاثوليك وتفرض رسوماً زهيدة في مؤسساتها التعليمية. وأضاف ان انتقال أبناء الجماعة الألمانية إلى مدارس اليسوعيين سيؤدي إلى الإضرار بهم لأن نشر اللغة الفرنسية والقيام « **بدعاية دينية**» هو الهدف من هذه المدارس. واختتم شرودر تقريره بأن وضعاً كهذا ، انتقال التلامذة الألمان إلى المدارس الفرنسية، سوف يؤدي إلى :

> **«تغريب الأولاد الألمان عن ولائهم القومي والقضاء على إحساسهم بالارتباط بالوطن. إن صبغ العنصر الألماني بحضارة الليفانت سوف يؤدي إلى الإضرار بالاعتبار الذي حصل عليه الألمان في سوريا من قبل السكان المحليين»**[١٨٤].

ولكي يضمن شفارتز استمرار المدرسة بدعم رسمي ألماني، أبدى استعداده بإظهار الشخصية الألمانية للمدرسة وأن يضعها تحت إشراف القنصل الألماني مع صلاحيات له بوضع منهاج التدريس وتعيين المدرِّسين. إضافة إلى ذلك تعهد شفارتز بتقديم تقرير سنوي إلى الخارجية الألمانية عن نشاط المدرسة[١٨٥].

وبناء على تقرير شرودر وتعهد شفارتز رفعت الخارجية الألمانية مساهمتها السنوية من ١٠٠٠ مارك إلى ٢٠٠٠[١٨٦] . إضافة إلى هذا المبلغ كان شفارتز يستوفي مبلغ ٢٠٠ ـ ٢٥٠ فرنكاً من كل طالب في الصفوف العالية و ١٥٠ ـ ٢٠٠ فرنك في الصفوف السفلى. وبذلك أصبح شفارتز في وضع مكنه من دفع رواتب المدرِّسين والحصول على دخل له، كما استطاع أن ينقل مدرسته إلى بناء أوسع في منطقة رأس بيروت[١٨٧].

وفي ضوء التطورات الجديدة عاد اهتمام عائلات أوروبية بإرسال أبنائها إلى مدرسة شفارتز. وهذا مما شجع شفارتز على التعليم باللغات الإنكليزية والفرنسية واليونانية[١٨٨] . إلا أن هذه الخطورة إضافة إلى تقرير شفارتز السنوي الذي لم يذكر فيه تعليم مادة التاريخ الألماني، جعلت الخارجية الألمانية تطلب من قنصلها في بيروت معلومات مفصَّلة عن المدرسة[١٨٩] . وفي تقريره حاول القنصل تيتنبورن Tettenborn أن يبدد شكوك الخارجية مؤكداً أن ١٣ من ٢٣ تلميذاً كانوا من الرعايا الألمان وأن ٢ كانا « نصف ألمانيين». كما نفى أن يكون أي تعديل قد طرأ على منهاج المدرسة، وأكد أن منهاج الدراسة ونظام المدرسة هما نفسهما المتبعان في المدارس الابتدائية في ألمانيا. كذلك فإن التدريس

باللغة اللاتينية كان ضرورة كي يستطيع التلامذة فيما بعد الالتحاق بالمدارس الثانوية الألمانية. أما مادة التاريخ الألماني فهي تُعطى اهتماماً أكثر من السابق[١٩٠] . وإدراكاً منها ان مدرسة ألمانية واقعة في منطقة النفوذ الثقافي الفرنسي لا يمكنها ان تخدم الأهداف الوطنية الألمانية أكبر مما تفعله مدرسة شفارتز، اكتفت الخارجية الألمانية بتوضيح قنصلها في بيروت. كما استمرت في تقديم دعمها المالي للمدرسة التي واصلت تطورها حتى عام ١٨٨٧[١٩١] .

وفي عام ١٨٨٧ وإثر منافسة شديدة مع المدارس الفرنسية التي أحدثت انخفاضاً في صفوف تلامذتها[١٩٢] ، افتتحت شمّاسات الكيزرزفرت صفاً ثانياً في مدرستها لأبناء الجماعة الإنجيلية في بيروت. كما خفضت الرسوم[١٩٣] . هذه السياسة أثّرت على تطور مدرسة شفارتز حيث انتقل عدد من تلامذته إلى مدرسة الشمّاسات. وبذلك لم يعد باستطاعة التلامذة الباقين الذين يزورون مدرسة شفارتز تأمين مبلغ ٣٠٠٠ مارك سنوياً كرسوم دراسية[١٩٤]. فمصروفات المدرسة السنوية كانت تصل إلى ٥٢٠٠ مارك، بحيث كان يغطى الفرق من قبل الخارجية الالمانية[١٩٥] .

ولهذه الأسباب قرر شفارتز التخلي عن المدرسة. إلا أن وزارة الخارجية الألمانية سرعان ما أعلنت موافقتها على رفع مساهمتها السنوية إلى ٣٠٠٠ مارك[١٩٦]. وعلى ما يبدو كانت تدرك اهمية مدرسة شفارتز في ترويج الدعاية لألمانيا اكثر مما تفعله مدرسة الشمّاسات. ولكن شفارتز رأى أن المساعدة غير كافية لكي يؤمن قوت عائلته. ولهذا رفض العرض وغادر بيروت في العام نفسه[١٩٧].

وبعد رحيل شفارتز أراد أوتو فريتزه Otto Fritze ، راعي الجماعة الإنجيلية في بيروت، أن يحل محل شفارتز في إدارة المدرسة، في حال استمرت الحكومة الألمانية في دعمها السابق لها[١٩٨] . وفي ذلك الوقت لم تعد المدرسة تضم أكثر من ٤ تلاميذ أجانب غير ألمان، من ضمنهم تلميذ مسلم من بيروت يدعى محمد بيهم[١٩٩] . لكن الخارجية الألمانية رأت عدم جدوى الاحتفاظ بالمدرسة التي لا يزورها أي من أبناء الجالية الألمانية. فألغت مساهمتها المالية للمدرسة[٢٠٠] . ومنذ ذلك الحين لم تتكرر محاولة جديدة لإعادة تأسيس مدرسة أو صف للجماعة الإنجيلية في بيروت. فأبناء الجماعة البروتستانتية أخذوا منذ

ذلك الحين يزورون المدارس الأجنبية الأخرى في المدينة. والجدير بالذكر هنا القول، أن اللغة الألمانية كانت تُدرَّس في تلك المدارس بشكل مُتدنٍ عن اللغات الأجنبية الأخرى. ففي مدارس اليسوعيين كان التلامذة الألمان يدرسون القليل من اللغة الألمانية، في حين كانت تُدرس فقط في قسم التجارة في الكلية السورية الإنجيلية[٢٠١].

٥ ـ خلاصة :

بعد انحسار الحرب الأهلية عن المقاطعات اللبنانية حاولت شمّاسات الكيزرزفرت استغلال نشاطهن الخيري ـ الثقافي في سبيل نشر البروتستانتية. ولكن الصعوبات المالية التي تورطت فيها اضطرتها إلى تجميد التبشير. فسياستها بتمويل مشاريعها التربوية ـ التعليمية عن طريق فرض رسوم تعليمية مرتفعة على بنات العائلات الميسورة في بيروت، ومن خلال ذلك تعليم أبناء العائلات الفقيرة في زوآر مجاناً، حملت معها إمكانات معارضة سياسة التبشير الإنجيلية في أوساط العائلات الغنية. إذ إن ميسوراً غير مسيحي أو مسيحي على مذهب غير المذهب البروتستانتي كان أقل ميلا للارتداد إلى البروتستانتية من فقير لا حول له ولا قوة إلاَّ إرسال أبنائه إلى زوآر حيث نشط التبشير، وخاصة بين أفراد الطائفة الأرثوذكسية.

وبسبب المصاعب المالية حاولت الشمّاسات الحصول على دعم من الحكومة الألمانية لمدرسة البنات. ولما كانت الخارجية الألمانية لا تقدم مساعدات سوى للمؤسسات التي تشجع «**الأهداف الوطنية**» الألمانية، اضطرت الكيزرزفرت في نهاية القرن الماضي إلى تحويل مدرستها في بيروت من مدرسة دولية ـ دينية، حيث تكثر جنسيات التلاميذ وتنشط التوجهات البروتستانتية في العملية التربوية، إلى مؤسسة وطنية ألمانية تحافظ في الوقت نفسه على طابعها البروتستانتي.

وكما رأينا، فقد حدث تعاون في عام ١٨٦٧ بين رهبنة فرسان يوحنا والكيزرزفرت في ما يتعلق بالمستشفى البروسي. وفي عام ١٨٧٢ دخلت الكلية السورية ممثلة بكلية الطب طرفاً ثالثاً في الاتفاق. هذا التعاون المشترك أضفى على المستشفى سمعة حسنة لدى أوساط مختلفة في بيروت. والجدير بالذكر هنا

أن قطعة الأرض التي قدمتها السلطات العثمانية لأجل بناء المستشفى البروسي عليها في بيروت لدليل على تقدير تلك السلطات لدور المستشفى في الحقل الإنمائي الطبي والصحي. لكن يمكن الافتراض أن السلطات العثمانية التي كانت تفتقر إلى مستشفى عثماني في بيروت أرادت من وراء ذلك أيضاً ان تظهر للدول الأوروبية اهتمامها بـ « لبنان »، كي تستطيع أن تستخدم ذلك حجة في إعادة سيطرتها على المنطقة فيما بعد.

وتشكل المدرسة الألمانية ثالث المشروعات الألمانية البروتستانتية في « لبنان ». وكان تأسيس المدرسة جاء في الدرجة الأولى ليخدم أبناء الجماعة الإنجيلية في المدينة، وخاصة الألمان منهم. وإذا كانت الجماعة الإنجيلية قد استطاعت بين عامي ١٨٥٩ - ١٨٦٨ ومن ١٨٨٠ - ١٨٨٧ من إنشاء عدد من الصفوف ، إلا أن ضعف الوجود الألماني في المنطقة عطّل إمكانية إقامة مدرسة منتظمة بالمعنى الصحيح. ورافق ذلك الخلافات الداخلية بين أعضاء الجماعة البروتستانتية ورفض الخارجية الألمانية دعم مدرسة لا تظهر الشخصية الألمانية.

الفصل الثامن

نشاطات الكاثوليك الألمان في فلسطين

١ - خاصية العمل التبشيري الكاثوليكي:

يُعتبر القرن الثالث عشر فاتحة الاهتمامات التبشيرية الكاثوليكية الأوروبية في فلسطين، حين وصلها الرهبان الفرنسيسكان الطليان. أما فرنسا التي ادعت منذ القرن السادس عشر حمايتها للمسيحيين القاطنين منطقة الشرق الأدنى في كنف الدولة العثمانية دون تمييز بين جنسياتهم، فقد وطدت علاقتها الثقافية والتبشيرية بالمنطقة منذ القرن السابع عشر بإرسال الجزويت والكرمليين والكبوشيين واللعازاريين[١]. وخلال سيطرة المصريين على فلسطين وفي أعقابها تمتعت الارساليات الكاثوليكية بحرية أكبر في ممارسة نشاطاتها. وبعد أحداث عام ١٨٦٠ كثفت الارساليات الكاثوليكية من نشاطها في المقاطعات اللبنانية.

ويتميز العمل الارسالي الكاثوليكي عن العمل البروتستانتي أساساً بكون الكنيسة الكاثوليكية مؤسسة دولية في حد ذاتها، فيما الإرسالية البروتستانتية كانت تعيش على مساعدة الكنائس الوطنية. ولذلك فإن فرنسا والفاتيكان، والنمسا، لم تنشط في فلسطين إلى الحد المتوقع على أنها دعامة العقيدة الكاثوليكية فحسب، بل كمنافسة سياسية أيضاً، وذلك بسبب المصالح السياسية لكل دولة - هذه المصالح التي كانت تنعكس في أغلب الأحيان على نشاطات الارساليات. ففي عام ١٨٤٨ على سبيل المثال، وبعد انقطاع طويل

عين البابا فاليرغا Valerga بطريركا لاتينياً على القدس رغم المعارضة الفرنسية(٢). وفي نهاية القرن التاسع عشر دخلت كل من إيطاليا وألمانيا حقل المنافسة للنفوذ الثقافي السياسي الفرنسي المهيمن في المشرق، وفوق ذلك تحجيم الحماية الفرنسية المطلقة على مسيحيي المنطقة(٣).

وفي مجال العمل الإرسالي الكاثوليكي في المشرق ظلت مشاركة الألمان ضعيفة لفترة طويلة. ومرد ذلك أساساً إلى الصراعات السياسية التي تورطت فيها الكنيسة الكاثوليكية الألمانية داخل البلاد خلال القرن التاسع عشر: محاولات العلمنة في بداية القرن الماضي وبعد توحيد المانيا، والكفاح الثقافي للدولة الألمانية ضد الكاثوليك الألمان بسبب ارتباط الكنيسة الكاثوليكية الألمانية بالسياسة العليا للفاتيكان من دون مراعاة المصالح الوطنية الألمانية(٤). ولكن بانتهاء الكفاح الثقافي وُجدت أسس للتعاون السياسي بين الكنيسة الكاثوليكية الألمانية ممثلة بحزب الوسط والحكومة الألمانية. وفي الوقت نفسه كانت المانيا قد بدأت للتو سياستها الاستعمارية، فوجد الكاثوليك الألمان في ذلك فرصة لتوسيع نشاطهم التبشيري خارج البلاد(٥). وبذلك نشأ ارتباط بين سياسة ألمانيا الاستعمارية وبين التبشير الكاثوليكي.

وفي عام ١٨٨٣ استقرت راهبات بورميه Borromâusschwestern في الاسكندرية وأسسن أول محطة إرسالية كاثوليكية المانية في الشرق الأدنى(٦). وبعدها بثلاث سنوات وسعت الراهبات نشاطهن ليشمل فلسطين أيضاً(٧). ومنذ عام ١٨٩٠ كان الآباء اللعازاريون الألمان ينشطون في الأراضي المقدسة(٨).

ويمكن تقسيم النشاط التبشيري الكاثوليكي الألماني في فلسطين الى فترتين مميزتين: **الفترة الأولى** وتمتد حتى نهاية الكفاح الثقافي في منتصف العقد الثامن من القرن الماضي. وقد حافظ الكاثوليك الألمان في هذه الفترة على اتصال غير مباشر بالأراضي المقدسة في فلسطين من خلال جمعيتين في بفاريا Bayern وهما «**جمعية لودفيغ التبشيرية**» Ludwigmissionsverein التي تأسست عام ١٨٣٨، و«**جمعية صهيون**» Zionsverein التي تأسست عام ١٨٦٦، وأخيراً من خلال «**جمعية القبر المقدس**» Verein Vom Heiligen Grabe التي تأسست عام ١٨٥٥ في كولونيا Kôln . وفي هذه الفترة الأولى، لم يسر التبشير الكاثوليكي في

فلسطين على أسس قومية المانية، بل ظل جهوداً تبشيرية كنسية عامة. وأما **الفترة الثانية** فتبدأ عام ١٨٨٤ في أعقاب تأسيس «**جمعية فلسطين للكاثوليك الألمان**» Palâstinaverein der Katholiken Deutschlands التي كان هدفها الأول تمثيل المصالح الكاثوليكية الألمانية من جانب قومي ألماني والمساعدة على قيام نشاط ارسالي كاثوليكي ألماني مستقل في فلسطين.

وبعد توحيد هذه الجمعية عام ١٨٩٥ مع جمعية القبر المقدس تحت اسم «**الجمعية الألمانية للأرض المقدسة**» Deutscher Verein vom Heiligen Lande، كما سنرى ذلك بعد قليل، ظهر الكاثوليك الألمان في فلسطين كفريق ألماني وطني حيال الإرساليات التبشيرية التي سبقتهم إلى العمل في الأراضي المقدسة.

٢ ـ نشاط الكاثوليك الألمان في الفترة الأولى (منذ ١٨٣٨):

جمعية لودفيغ التبشيرية وجمعية صهيون في بفاريا: بداية الاهتمامات الكاثوليكية الألمانية بفلسطين انطلقت أول الأمر من منطقة بفاريا، عندما أسس ملك بفاريا لودفيغ الأول .Ludwig I عام ١٨٣٨ «جمعية لودفيغ التبشيرية» برأسمال قدره ماية ألف غولدن(*) Golden وأن تكون هذه الجمعية فرعاً لـ «**جمعية نشر الإيمان**» Verein der Glaubensverbreitung التي كانت قد تأسست في مدينة ليون عام ١٨٢٢(٩). ومن أهداف جمعية لودفيغ دعم النشاطات الكاثوليكية في الأراضي المقدسة. وفي هذا السبيل كانت الجمعية تقدم سنويا إلى الرهبان الفرنسيسكان في القدس مبلغا يصل الى ١٠ آلاف مارك(١٠)، وحتى عام ١٨٨٨، أي بعد مرور ٥٠ عاماً على تأسيس جمعية لودفيغ، كانت الجمعية المذكورة قد دعمت النشاطات الكاثوليكية في فلسطين بملغ اجمالي قدره ٥١٥ ألف مارك(١١).

ويبدو أن لودفيغ الأول لم يشأ الاكتفاء باتصال غير مباشر بالأراضي المقدسة، بل أراد أن يعيد بناء كنيسة القبر التي كانت قائمة خلال الحروب الصليبية. ولتحقيق ذلك رأى ملك بفاريا يومها شراء منطقة المارستان في القدس(١٢) ليبني عليها مستشفى. وأخيراً خطط لارسال قنصل الى القدس وليشيد ديراً للرهبان الفرنسيسكان في الجليل الأعلى. إلا أن هذه الخطط جميعها

* الغولدن عملة المانية نمساوية.

عين البابا فاليرغا Valerga بطريركا لاتينياً على القدس رغم المعارضة الفرنسية(٢). وفي نهاية القرن التاسع عشر دخلت كل من إيطاليا وألمانيا حقل المنافسة للنفوذ الثقافي السياسي الفرنسي المهيمن في المشرق، وفوق ذلك تحجيم الحماية الفرنسية المطلقة على مسيحيي المنطقة(٣).

وفي مجال العمل الإرسالي الكاثوليكي في المشرق ظلت مشاركة الألمان ضعيفة لفترة طويلة. ومرد ذلك أساساً إلى الصراعات السياسية التي تورطت فيها الكنيسة الكاثوليكية الألمانية داخل البلاد خلال القرن التاسع عشر: محاولات العلمنة في بداية القرن الماضي وبعد توحيد المانيا، والكفاح الثقافي للدولة الألمانية ضد الكاثوليك الألمان بسبب ارتباط الكنيسة الكاثوليكية الألمانية بالسياسة العليا للفاتيكان من دون مراعاة المصالح الوطنية الألمانية(٤). ولكن بانتهاء الكفاح الثقافي وُجدت أسس للتعاون السياسي بين الكنيسة الكاثوليكية الألمانية ممثلة بحزب الوسط والحكومة الألمانية. وفي الوقت نفسه كانت المانيا قد بدأت للتو سياستها الاستعمارية، فوجد الكاثوليك الألمان في ذلك فرصة لتوسيع نشاطهم التبشيري خارج البلاد(٥). وبذلك نشأ ارتباط بين سياسة ألمانيا الاستعمارية وبين التبشير الكاثوليكي.

وفي عام ١٨٨٣ استقرت راهبات بورميه Borromâusschwestern في الاسكندرية وأسسن أول محطة إرسالية كاثوليكية المانية في الشرق الأدنى(٦). وبعدها بثلاث سنوات وسعت الراهبات نشاطهن ليشمل فلسطين أيضاً(٧). ومنذ عام ١٨٩٠ كان الآباء اللعازاريون الألمان ينشطون في الأراضي المقدسة(٨).

ويمكن تقسيم النشاط التبشيري الكاثوليكي الألماني في فلسطين الى فترتين مميزتين: **الفترة الأولى** وتمتد حتى نهاية الكفاح الثقافي في منتصف العقد الثامن من القرن الماضي. وقد حافظ الكاثوليك الألمان في هذه الفترة على اتصال غير مباشر بالأراضي المقدسة في فلسطين من خلال جمعيتين في بفاريا Bayern وهما **«جمعية لودفيغ التبشيرية»** Ludwigmissionsverein التي تأسست عام ١٨٣٨، و**«جمعية صهيون»** Zionsverein التي تأسست عام ١٨٦٦، وأخيراً من خلال **«جمعية القبر المقدس»** Verein Vom Heiligen Grabe التي تأسست عام ١٨٥٥ في كولونيا Kôln . وفي هذه الفترة الأولى، لم يسر التبشير الكاثوليكي في

فلسطين على أسس قومية المانية، بل ظل جهوداً تبشيرية كنسية عامة. وأما **الفترة الثانية** فتبدأ عام ١٨٨٤ في أعقاب تأسيس **«جمعية فلسطين للكاثوليك الألمان»** Palâstinaverein der Katholiken Deutschlands التي كان هدفها الأول تمثيل المصالح الكاثوليكية الألمانية من جانب قومي ألماني والمساعدة على قيام نشاط ارسالي كاثوليكي ألماني مستقل في فلسطين.

وبعد توحيد هذه الجمعية عام ١٨٩٥ مع جمعية القبر المقدس تحت اسم **«الجمعية الألمانية للأرض المقدسة»** Deutscher Verein vom Heiligen Lande، كما سنرى ذلك بعد قليل، ظهر الكاثوليك الألمان في فلسطين كفريق ألماني وطني حيال الإرساليات التبشيرية التي سبقتهم إلى العمل في الأراضي المقدسة.

٢ ـ نشاط الكاثوليك الألمان في الفترة الأولى (منذ ١٨٣٨):

جمعية لودفيغ التبشيرية وجمعية صهيون في بفاريا: بداية الاهتمامات الكاثوليكية الألمانية بفلسطين انطلقت أول الأمر من منطقة بفاريا، عندما أسس ملك بفاريا لودفيغ الأول Ludwig I. عام ١٨٣٨ «جمعية لودفيغ التبشيرية» برأسمال قدره ماية ألف غولدن(*) Golden وأن تكون هذه الجمعية فرعاً لـ **«جمعية نشر الإيمان»** Verein der Glaubensverbreitung التي كانت قد تأسست في مدينة ليون عام ١٨٢٢(٩). ومن أهداف جمعية لودفيغ دعم النشاطات الكاثوليكية في الأراضي المقدسة. وفي هذا السبيل كانت الجمعية تقدم سنويا إلى الرهبان الفرنسيسكان في القدس مبلغا يصل الى ١٠ آلاف مارك(١٠)، وحتى عام ١٨٨٨، أي بعد مرور ٥٠ عاماً على تأسيس جمعية لودفيغ، كانت الجمعية المذكورة قد دعمت النشاطات الكاثوليكية في فلسطين بملغ اجمالي قدره ٥١٥ ألف مارك(١١).

ويبدو أن لودفيغ الأول لم يشأ الاكتفاء باتصال غير مباشر بالأراضي المقدسة، بل أراد أن يعيد بناء كنيسة القبر التي كانت قائمة خلال الحروب الصليبية. ولتحقيق ذلك رأى ملك بفاريا يومها شراء منطقة المارستان في القدس(١٢) ليبني عليها مستشفى. وأخيراً خطط لارسال قنصل الى القدس وليشيد ديراً للرهبان الفرنسيسكان في الجليل الأعلى. إلا أن هذه الخطط جميعها

* الغولدن عملة المانية ونمساوية.

لم تتحقق بسبب اندلاع الثورة في المانيا عام ١٨٤٨ واضطرار لودفيغ الأول الى التنازل عن العرش[١٣].

ويعود تأسيس جمعية صهيون في عام ١٨٦٦ إلى الأسباب نفسها التي تأسست لأجلها جمعية لودفيغ، وهي دعم النشاط الارسالي الكاثوليكي في فلسطين. ولكن يلاحظ أن مساعداتها المالية كانت تذهب أساسا لدعم **«راهبات نوتردام صهيون»** Notre Dame de Sion اللواتي استقرين في القدس عام ١٨٥٦ ونشطن بين النساء[١٤].

«جمعية القبر المقدس» في كولونيا: إثر ورود تقارير إلى المانيا عام ١٨٥٤ تشكو الوضع السيِّء للكنيسة الكاثوليكية في فلسطين، اجتمع عدد من رجال الدين والاكليروس الكاثوليك وأسسوا في بداية عام ١٨٥٥ «جمعية القبر المقدس» وقرروا وضعها تحت حماية رئيس أساقفة كولونيا. وكان الهدف من إنشاء الجمعية هو دعم المصالح الكاثوليكية في الأراضي المقدسة من دون تفريق بين جنسيات الجمعيات العاملة[١٥]. ورغم وضوح هذا الهدف فقد انصب اهتمام الجمعية المذكورة على دعم البطريركية اللاتينية وإرسالية الفرنسيسكان والمحافظة على حقوق الكاثوليك ومقدساتهم في الأراضي المقدسة[١٦]. ولا شك أن مناهضة الدعاية والنفوذ الأرثوذكسي، فضلاً عن النفوذ البروتستانتي، قد لعبت دورا في تأسيس جمعية القبر المقدس[١٧]. وإضافة إلى دعم النشاطات الكاثوليكية في فلسطين تطرق برنامج الجمعية الى تشجيع جهود الكاثوليك في كل من سوريا ومصر وقبرص.

وبعد مرور عامين على تأسيسها بدأت جمعية القبر المقدس تصدر مجلتها باسم **«مجلة الأرض المقدسة»** Das heilige Land بمعدل ٤ ـ ٦ مرات سنوياً. كذلك أخذت تنشر تقارير وتحقيقات عن فلسطين والشرق إلى جانب إحصاءات عن العمل التبشيري الكاثوليكي في المنطقة. وفي عام ١٨٨٥ كانت المجلة تطبع ٤ آلاف نسخة في كل إصدار لها[١٨].

وحتى الثمانينات من القرن الماضي ظلت جمعية القبر المقدس تعتبر عضواً أساسياً هاماً في دعم النشاطات الكاثوليكية في فلسطين عامة. ورغم المخصصات السنوية الضخمة التي كانت تدفعها سنويا إلى المؤسسات الايطالية

والفرنسية وقبل كل شيء الى البطريركية اللاتينية، ظلت تلك الجمعية غير معروفة محليا أو دوليا[١٩]. والواقع أنه لم تتوفر لا للرأي العام الأوروبي ولا للفلسطينيين معلومات بأن جمعية القبر المقدس هي التي كانت تقف بثقلها وراء ازدهار مختلف الإرساليات الكاثوليكية الأوروبية[٢٠]. حتى ان البابا نفسه تجاهل قصداً أو عفواً دور جمعية القبر المقدس. ففي إحدى المناسبات من عام ١٨٨١ أعلن البابا أمام وفد ألماني في روما انه لم يكن يعلم:

«أن ألمانيا فعلت الكثير لأجل الأماكن المقدسة. لقد كانت معرفتي (يمضي البابا) تقتصر على أن مساعدات تتدفق من فرنسا وأميركا (الاسبانية) »[٢١].

غير أن بطريرك اللاتين في القدس كانت لديه معلومات أدق ليعلن:

«إن جمعية القبر المقدس تحتل المركز الأول بين الجمعيات التي تقدم المساعدات الخيرية للبطريركية»[٢٢].

والواقع أنه يمكن حصر المساعدات التي كانت جمعية القبر تقدمها للارساليات الكاثوليكية في فلسطين والشرق بالأرقام التالية: خلال الفترة من ١٨٧١ إلى ١٨٨١ حصلت البطريركية اللاتينية في القدس على مبالغ وصلت الى نحو ١٧٥ ألف مارك، وفي العقد التالي حصلت البطريركية نفسها على ٢٨٠ ألف مارك. وفي مقابل ذلك قدمت **«مؤسسة مدارس الشرق»** Oevre des écoles d'Orient الفرنسية التي كانت لديها موارد مالية أضخم من تلك المتوفرة للجمعية الألمانية، قدمت الى البطريركية اللاتينية في الفترة من ١٨٨٠ ـ ١٨٩٠ مبلغاً قدره ٥٤ ألف مارك فقط. أما الجزويت فحصلوا من جمعية القبر المقدس في الفترة ١٨٦١ ـ ١٨٦٤ على ٤٢ ألف فرنك، وكذلك حصل اللعازاريون والكرمليون على مبالغ ليست قليلة[٢٣]. وفي عام ١٨٦٠ تبرعت جمعية القبر المقدس بمبلغ ٢٩ ألف تال لدعم نشاط الارساليات الكاثوليكية الفرنسية في المقاطعات اللبنانية[٢٤].

وفيما الهدف الأساسي للتبرعات الكاثوليكية الألمانية إلى المؤسسات الكاثوليكية الفرنسية والايطالية العاملة في فلسطين كان خدمة الأهداف الكاثوليكية العليا، بدأ الألمان يدركون أكثر أن تبرعاتهم كانت تخدم بالدرجة

الأولى أو في نهاية المطاف المصالح السياسية الفرنسية في المنطقة[٢٥]. وفي هذا الصدد تذكر التقارير الكاثوليكية الألمانية أن شكوكاً أخذت تراود الكاثوليك الألمان في أن اهتمام المؤسسات الفرنسية في الشرق الأدنى وفلسطين خاصة انصب على الدعاية لفرنسا وليس على دعم مسألة «**تنصير الشرق**»[٢٦]. وجاءت الحرب البروسية ـ الفرنسية عام ١٨٧٠/١٨٧١ وتوتر العلاقات الألمانية الفرنسية في الفترة اللاحقة لتزيد من تباعد الكاثوليك الألمان عن الارساليات الكاثوليكية الفرنسية وتجعل الكاثوليك الألمان يسعون لنشر الكاثوليكية في منطقة الشرق الأدنى وفلسطين من منطلق قومي ألماني[٢٧].

٣ ـ سياسة ألمانية جديدة على أسس قومية:

بدايات التحول: اتسمت النشاطات الكاثوليكية الألمانية المباشرة مع فلسطين في مبتداها بطابع المبادرات الشخصية الفردية. ففي عام ١٨٧٠ أسست آنا سكس Anna Saxe بمبادرة شخصية مدرسة للبنات خارج بوابة يافا في القسم الغربي من مدينة القدس. ورغم تلقيها دعماً من جهات ألمانية، إلا أنها تمكنت بجهود مضنية من الاحتفاظ بالمدرسة[٢٨]. أما أوتمار ماير Othmar Mayr، أحد رهبان المحبة بمنطقة بفاريا، فافتتح عام ١٨٨٠ مستشفى صغيراً بمدينة الناصرة[٢٩]. وأخيراً أسس المبشر الألماني غات Gatt مركزاً تبشيرياً في مدينة غزة عام ١٨٧٩[٣٠].

على أن أهم المبادرات الفردية كانت بلا شك جهود الراهب الفرنسيسكاني لاديسلاوس شنايدر Ladislaus Schneider من منطقة شلسين Schlesien. ففي مطلع السبعينات سعى شنايدر لاقامة مركز للعمال الكاثوليك الألمان في القدس وتشييد مستعمرة زراعية في منطقة عمواس ـ قبيبة. ولهذا الغرض اشترى في الفترة ١٨٧٦ ـ ١٨٧٩ قطعاً من الأرض في المنطقة المذكورة الواقعة خارج بوابة يافا في القدس. وبلغ ثمن الأراضي المشتراة ٢٦ ألف فرنك. وبالفعل بدأ ١٢ عاملاً كاثوليكياً ألمانياً عملهم في المستوطنة، لكن المشروع سرعان ما توقف عندما أوعزت دوائر كنسية فرنسية منافسة الى مجمع الفرنسيسكان استدعاء الراهب شنايدر وتعيينه في الاسكندرية[٣١].

ودفعت هذه الاجراءات شنايدر عام ١٨٨٠ إلى شن حملة في الصحف

الألمانية لافتاً انتباه الكاثوليك الألمان إلى واجباتهم الكنسية ذات الطابع القومي في الأراضي المقدسة. فتساءل شاكياً:

> «لماذا هناك تجاهل تام للكاثوليك الألمان في الأراضي المقدسة. ولماذا تستحيل مشاركتهم في أي شكل من الأشكال في تنصير الأرض المقدسة أو دعم المؤسسات القائمة هناك؟ ولماذا تقدم الصدقات الألمانية الضخمة باستمرار الى مختلف المؤسسات الكاثوليكية التابعة للدول الأخرى»[٣٢].

وفي مكان آخر أضاف شنايدر:

> «إن الروافد الصغيرة سرعان ما تفقد هويتها حينما تنضم إلى النهر الكبير بحيث لا تعود تعرف أو تذكر، فيطويها النسيان. هذا ما يحدث مع روافد الصدقات والهبات التي تقدم للأراضي المقدسة بعدما تنضم إلى النهر الفرنسي أو الايطالي»[٣٣].

كذلك انتقد شنايدر في مقالاته السياسة غير الوطنية لجمعية القبر المقدس التي نسيت «هويتها» الألمانية وتعمل انطلاقاً من المفهوم الكنسي العالمي. لكن جمعية القبر المقدس سرعان ما ردت على شنايدر عبر مجلتها بأنها تأسست أصلاً «**لتشجيع الأهداف الكنسية الكاثوليكية عموماً**»، وليس المشروعات التبشيرية الكاثوليكية الألمانية[٣٤]. وأضافت الجمعية أن مهمتها ليست المشاركة في المشروعات الاستيطانية أو إنشاء نزل في القدس. وفي الختام لفتت إلى أنها تقدم فعلاً إعانات ومساعدات الى مؤسسات كاثوليكية ألمانية في فلسطين أمثال المبشر غات في غزة، مستشفى الراهب ماير في الناصرة ومدرسة سكس في القدس وأخيراً وليس آخراً إلى شنايدر نفسه بمبالغ إجمالية قدرها ٤٠ ألف مارك[٣٥].

«**جمعية فلسطين للكاثوليك الألمان**»: والواقع ان مقالات شنايدر مهدت لقيام جمعية كاثوليكية ألمانية للعمل في الأراضي المقدسة على أسس وطنية. وانطلاقاً من هذا المفهوم أسس فريق من رجال الدين والنبلاء والعلماء والتجار بمنطقة آخن Aachen عام ١٨٧٩ لجنة دعيت «لجنة فلسطين» Palâstinakomite[٣٦]، عهد إليها تشكيل جمعية كاثوليكية المانية. وبعد مرور خمس سنوات على ذلك التاريخ تأسست جمعية فلسطين للكاثوليك الألمان. وقد انتخب ليوبولد وليم يانسن Leopolod Wilhelm Jansen رئيساً للجمعية. أما مجلس الادارة فضم ٢٠ عضواً من شخصيات كاثوليكية ألمانية بينهم عدد من

أعضاء حزب الوسط وصناعيين كبار. وبعد فترة وجيزة أنشئت للجمعية فروع محلية في مناطق دورتموند Dortmund، بوخوم Bochum وفي مدن ذات الأغلبية الكاثوليكية[٣٧]. ومنذ عام ١٨٨٦ أخذت الجمعية تصدر مجلتها «ورقة فلسطين» Palästinablatt بمعدل أربع مرات سنوياً.

وطبقاً للنظام الداخلي انحصرت مهام الجمعية في ما يلي[٣٨]:

- صون المصالح الكنسية والاجتماعية الكاثوليكية في الأراضي المقدسة.
- تشييد نزل، كنيسة، مدرسة ومستشفى.
- نشر المذهب الكاثوليكي.

وبعبارة اخرى أرادت الجمعية ان تظهر ان مواطنا المانيا صالحا يمكنه أن يكون في الوقت نفسه «**كاثوليكياً صالحاً**» [٣٩]. كما أرادت أن تبرز نفسها بين الارساليات الكاثوليكية الأخرى العاملة في فلسطين وخاصة الفرنسية، وأن تضع حداً لتزايد النفوذ البروتستانتي الألماني وتقاعس الكاثوليك الألمان [٤٠].

ولبلوغ هذه الأهداف قامت الجمعية باستقطاب راهبات بوروميه والآباء اللعازاريين الألمان، الذين كانوا قد استقروا قبل فترة وجيزة في فلسطين، انسجاما مع سياسة الجمعية لتحقيق مشروعاتها التي سنعالجها فيما بعد. وفيما الرأي العام الكاثوليكي الألماني قابل انشاء الجمعية باستحسان، وقد انعكس ذلك ارتفاعا في عدد أعضاء الجمعية الى ٢٢ ألفاً عام ١٨٨٧[٤١]، قابلت الدوائر الفرنسية المعنية السياسة «**الفلسطينية**» الجديدة للكاثوليك الألمان بقلق بالغ. ففي ١٠ نيسان كتب دي بيتيتفل Vicomte de petiteville القنصل الفرنسي في بيروت الى حكومته يقول:

«علينا الحذر من جانب ألمانيا. فللمرة الأولى يظهر العنصر الكاثوليكي الألماني في سوريا، فإن راهبات سان شارل بوروميه (St. Charles Boromée) قد أسسن لهن مركزاً بمساعدة حكومة برلين، وهن يأملن في أن يؤسسن مراكز في أنحاء مختلفة من منطقة الجليل إن لم يكن في سوريا ذاتها. فبالنظر إلى قيام هذا التنافس الذي يمكن اعتباره عملاً غير ودي بالنسبة لفرنسا، لأن هذا التنافس يتناقض مع بنود اتفاقية دولية رسمية، فإنه علينا أن نحافظ على مؤسساتنا اكثر من أي وقت مضى»[٤٢].

وإذا كان الفرنسيون قد اعتبروا تأسيس الجمعية منافساً لنشاطاتهم في

فلسطين، فان جمعية فلسطين للكاثوليك الألمان لم تدخل في الواقع في منافسة مع جمعية القبر المقدس، حيث آن عضوين من الجمعية كانا في الوقت نفسه بين أعضاء مجلس ادارة جمعية فلسطين. وفوق ذلك كانت جمعية فلسطين تتلقى بدورها مساعدة مالية من جمعية القبر المقدس[٤٣]. ورغم ذلك علت أصوات في المانيا تنتقد تأسيس جمعية فلسطين وترى عدم جدواه، وطالبت بأن يقتصر نشاط الكاثوليك الألمان في فلسطين، كما كان في السابق، على دعم المؤسسات الفرنسية والايطالية هناك. وبلسان رئيسها رفضت جمعية فلسطين للكاثوليك الألمان هذا المنطق رفضاً قاطعاً وصرح يانسن قائلاً: «**لا وألف لا، إن واجباتنا بالنسبة إلى فلسطين تتعدى ذلك**». كما طالب بألا تبقى المانيا الكاثوليكية «**مجهولة**»، رغم ما تقدمه من وافر الجهد للنشاط الكاثوليكي في فلسطين[٤٤].

«**الجمعية الكاثوليكية للأرض المقدسة**»: مما لا شك فيه أن ازدياد الشعور القومي الألماني في السبعينات من القرن التاسع عشر والنزاع مع فرنسا بشأن مسألة حماية الكاثوليك في الشرق[٤٥] كانا عاملين رئيسيين في دمج جمعيتي القبر المقدس وجمعية فلسطين للكاثوليك الألمان معاً. ففي عام ١٨٩٥ اتحدت الجمعيتان معا تحت اسم «الجمعية الألمانية للأرض المقدسة» Deutscher Verein von Heiligen Lande. وقد روعي في الجمعية الجديدة المحافظة على أهداف الجمعيتين. فالنظام الداخلي أكد في مادته الأولى:

«١ - حماية الأماكن المقدسة ودعم الإرسالية الكاثوليكية عموماً في الأراضي المقدسة (مهام جمعية القبر المقدس)،

٢ - وخاصة المحافظة على المصالح الكنسية والاجتماعية للكاثوليك الألمان في الأرض المقدسة (مهام جمعية فلسطين)»[٤٦].

وللحصول على تأييد رسمي وضعت الجمعية نفسها تحت حماية الرايخ الألماني[٤٧]. كما تقرر أن تكون مجلة «الأرض المقدسة» ناطقة باسم الجمعية الجديدة، وأن تتوقف مجلة «ورقة فلسطين» عن الصدور. كذلك انتخب مجلس إدارة جديد بإشراف رئيس أساقفة كولونيا فيليبوس كريمنتز Philippus Crementz ونائبه الدكتور شميتز Dr. Schmitz[٤٨].

ورغم ان نظام الجمعية الجديدة قد نص صراحة على أن تصرف المداخيل

لتحقيق هدفي الجمعيتين المتحدتين[٤٩]، دعم الارساليات الكاثوليكية في فلسطين من دون اعتبار لجنسياتها، وتنشيط المصالح الكاثوليكية الألمانية هناك، **«إلا أن الاتجاه الوطني الألماني ساد، بحيث كانت الأموال تصرف لتحقيق أهداف جمعية فلسطين، أي دعم المؤسسات الكاثوليكية الألمانية»**[٥٠]. فعلى سبيل المثال، طرأ تراجع في المبالغ التي كانت جمعية القبر تقدمها في السابق إلى البطريركية اللاتينية في القدس وتصل سنوياً إلى ٢٥ ألف مارك. ففي عام ١٨٩٥ حصلت البطريركية المذكورة على مبلغ ١٠٥٠٠ مارك فقط. وفي السنوات التالية لم تتجاوز المبالغ التي حصلت عليها البطريركية ٢٠ ألف مارك سنوياً[٥١].

٤ ـ نشاطات الكاثوليك الألمان في الفترة الثانية (منذ عام ١٨٨٤):

رواد النشاطات وحجمها: بعد مرور عامين على انشائها في عام ١٨٨٤ بدأت جمعية فلسطين عملها المباشر في فلسطين. ففي عام ١٨٨٦ اشترت الجمعية الممتلكات التي كان الراهب شنايدر قد اشتراها خارج بوابة يافا في القدس وكذلك قطع الأرض في منطقة عمواس ـ قبيبة[٥٢]. ثم ما لبثت الجمعية أن عقدت اتفاقا مع جمعية سان شارل بوروميه التابعة لمنطقة تشن Teschen، يقضي بانضمام راهبات بوروميه الى نشاطات جمعية فلسطين. وفي ٩ أيلول ١٨٨٦ وصلت أول ثلاث راهبات مع خادمة الى القدس عبر الاسكندرية[٥٣]. أما الخطوة التالية فكانت عقد اتفاق مشابه مع الآباء اللعازاريين الألمان. لكن هذا العقد لم يوضع موضع التنفيذ، حيث أن مراكز الآباء اللعازاريين في المانيا كانت لا تزال مصادرة من قبل حكومة بسمارك نتيجة للكفاح الثقافي. كذلك أصر الآباء اللعازاريون على التمتع بالحماية القنصلية الألمانية خلال تواجدهم في فلسطين، وهو أمر لم تكن حكومة بسمارك على استعداد لتقديمه في ذلك الوقت. ولكن هاتين العقبتين تلاشتا بعد عام ١٨٩٠ عندما أوقفت الحكومة الألمانية الكفاح الثقافي ضد الكاثوليك[٥٤].

ويمكن حصر نشاطات الكاثوليك الألمان في تشييد **النُزل** والتعليم والتمريض وإقامة المستوطنات وبناء الكنائس.

تشييد النُزل: كان تشييد نزل للكاثوليك الألمان خارج بوابة يافا في القدس هو أول مشروعات جمعية فلسطين للكاثوليك الألمان. وقد انتهى بناؤه في عام ١٨٨٧[٥٥]، وضم ٣٠ غرفة في جناحين، أحدهما للحاجات والآخر للحجّاج من الرجال. والى جانب النزل ارتفع بناء لإيواء الراهبات وليكون أيضاً كنيسة صغيرة. وقد وضعت إدارة النزل في يد الأب اللعازاري وليم شميدت Wilhelm Schmidt. أما رعاية الضيوف من النساء في النزل فكانت من مهام الراهبات، فيما الآباء اللعازاريون اهتموا بالرجال.

وكان الهدف من تأسيس النزل ليكون مركزاً لتجميع الكاثوليك الألمان وخاصة الحجاج منهم والذين يفدون الى القدس وضواحيها. كذلك اهتم النزل بمساعدة الكاثوليك الألمان عموما الذين يجهلون المنطقة والعادات والتقاليد المحلية. وكان الرحالة الألمان يمكنهم المبيت في النزل لمدة أسبوعين بسعر مخفض. وبعد فترة طوّر العمل ليصبح النزل **أيضاً** مركزاً للباحثين الذين يأتون الى القدس وضواحيها للقيام بأبحاثهم في التاريخ والدراسات الدينية[٥٦]. وفي هذا السبيل أسس الأب شميدت مكتبة احتوت مؤلفات كاثوليكية وبروتستانتية وغير ذلك. وسرعان ما ضمت مكتبته مجلدات في فروع اللاهوت والكتب الدينية واللغات السامية والأدب. كذلك كانت تصلها الصحف والمجلات الكاثوليكية الأوروبية[٥٧].

ورغم الجهود لتطويره، الا أن القدرة الاستيعابية للنزل ظلت محدودة ولا تزيد عن ٢٥ شخصاً في الحالات العادية و٥٠ شخصاً في الحالات الطارئة. ولهذا اشترت الجمعية الألمانية للأرض المقدسة في عام ١٨٩٩ بوساطة القنصل الألماني في القدس قطعة أرض كبيرة بمدينة القدس بمبلغ ٥٠ ألف مارك[٥٨] بغية تشييد نزل كبير ومدرسة للصبيان وكنيسة صغيرة. وبسبب الافتقار إلى المال اللازم والعجز عن تأمين رخصة البناء من السلطات العثمانية تأخرت عملية البناء[٥٩]. إلا أن السفير الألماني مارشال تدخل بالموضوع لدى السلطات العثمانية في الاستانة واستطاع في ٢٤ شباط ١٩٠٢ أن يبلغ الخارجية الألمانية أن السلطان عبد الحميد قد أصدر أمراً بالسماح بالبناء[٦٠]. وبين عامي ١٩٠٤ ـ ١٩٠٨ شيد النزل الذي اتسع لـ ١٦٠ شخصاً. كما بنيت المدرسة والكنيسة. وقد بلغت الأموال التي صرفت على المشروع نحو نصف مليون مارك[٦١].

وبالاضافة الى النزل في القدس، شُيدت نُزل اخرى : في عمواس قبيبة عام ١٨٨٦، في حيفا عام ١٨٨٨، وفي مستوطنة الطبغة الزراعية عام ١٨٨٩ والتي سوف نعالجها مفصلة في ما بعد. ومكنت هذه الشبكة من النزل الحجاج الألمان الذين كانت جمعية فلسطين تستقدمهم لزيارة الأراضي المقدسة منذ عام ١٨٩٣ من مشاهدة الأماكن الدينية والسياحية[٦٢]. وكان الحجاج يزودون بدليل سياحي باللغة الألمانية وخارطة للبلاد ومستندات لتسهيل انتقالهم في الأراضي المقدسة[٦٣]. وفي مستوطنة الطبغة وضع مركب بخاري في خدمة الحجاج والسيّاح خلال رحلاتهم في بحيرة طبرية[٦٤].

التعليم: عقب وصولهن الى بيت المقدس في عام ١٨٨٦ افتتحت راهبات بوروميه في جناحهن في النزل مدرسة داخلية مجانية للبنات. ومع الوقت ضمت المدرسة فتيات من عائلات فقيرة من ضواحي القدس كتلميذات نهاريات لا يبتن في الدار. وفي عام ١٨٩٤ بلغ عدد تلميذات القسم الداخلي ٣٠ والقسم الخارجي ٢٠[٦٥]. وفي عام ١٩٠١ كانت هناك ١٠٢ فتاة تتلقى العلم في مدرسة راهبات بوروميه. وهذا العدد تضاعف في السنوات التالية[٦٦].

ومن المؤسف أننا لم نتمكن من العثور على معلومات حول نسب الطوائف الممثلة في المدرسة، أو عما إذا كانت الراهبات قد مارسن سياسة التنصير. إلا أن بعض التقارير التي تعود إلى العام ١٨٩٢ تذكر أن جميع تلميذات القسم الداخلي وعددهن ١٨ كن من الطائفة المسيحية[٦٧] وأنه حتى بداية القرن الجاري لم تكن أية فتاة يهودية بين تلميذات المدرسة[٦٨]. إلا أن الافتراض يظل قائماً بأن الراهبات قد استقبلن فتيات مسلمات، على الأقل كتلميذات في القسم النهاري - وهي سياسة سارت عليها معظم المؤسسات التعليمية التبشيرية الأجنبية.

وحتى نهاية القرن الماضي انحصر نشاط الراهبات في حقل تعليم الفتيات. ولكن بعد شراء الجمعية الكاثوليكية للأرض المقدسة عام ١٨٩٩ لقطعة أرض لتشييد نزل كبير عليها، تقرر أن يلحق بالمبنى مدرسة للصبيان. وبسبب تأخر عملية البناء للافتقار الى الرخصة العثمانية، كما أسلفنا سابقاً، افتتحت مدرسة مؤقتة في عام ١٩٠٠ بمنزل مؤجر يتألف من ثلاث غرف. ولقد تبرع الامبراطور وليم الثاني بمبلغ ٨ آلاف مارك دعماً لهذا المشروع[٦٩].

ولم يتعدّ عدد التلاميذ في البداية الـ ٨، لكن عددهم ازداد في نهاية العام الدراسي الأول الى ٢٥، وبعد عامين الى ٨٠. وبانتهاء بناء النزل والقسم المقترح للمدرسة عام ١٩٠٨ لم يجر نقل المدرسة الى مبناها الجديد كما كان مخططا، وذلك بسبب رغبة البطريرك اللاتيني في تحويل المبنى الجديد إلى حلقة تعليمية لتخريج معلمين كاثوليكيين من السكان المحليين[٧٠]. وبذلك بقيت المدرسة في منزلها المؤجر.

وفي حيفا حيث استقرت الراهبات منذ عام ١٨٨٨، افتتحت روضة للأطفال التي تحولت بعد سنوات قليلة إلى مدرسة بلغ عدد تلاميذها ٨٠ في عام ١٨٩٨، وارتفع الى ١٤٠ تلميذاً في ١٩٠٢. ويذكر أن معظم التلاميذ كانوا يأتون من مستوطنة جمعية الهيكل الألمانية في حيفا[٧١]. وإلى جانب الصبية استقبلت المدرسة فتيات، إلا أن عددهن لم يتجاوز خمس العدد العام للتلاميذ.

وبعدما تمكن الراهب تسيفرين بيفر Zephyrin Biever، مدير مستوطنة الطبغة الكاثوليكية الألمانية، في عام ١٨٩٧ من كسب ٤١ أرثوذكسياً من منطقة الرملة الى الكنيسة الكاثوليكية[٧٢]، اقترح على الجمعية أن تقوي مركزها في الجليل باقامة المدارس. وبالفعل افتتح الآباء اللعازاريون ٤ مدارس للصبيان في قرى المغار وعيلبون وصخنين وعرابة. وبعد عام على انشاء تلك المدارس كان هناك ١٥٠ صبياً على مقاعد الدراسة من ضمنهم ٣٠ تلميذاً من قرية دير حنا[٧٣]. وفي عام ١٩٠٠ لفت الراهب بيفر الانتباه الى أهمية العمل الإرسالي بين الإناث وخاصة في مجال التعليم والتربية. وطالب الجمعية بتخصيص معلمات مبشرات مدربات على أفضل الوسائل «**لتنصير المرأة من قبل المرأة**»[٧٤].

وقبيل نهاية القرن الماضي افتتح عدد من مدارس الصبيان في منطقة الجليل. وفي بداية القرن الحالي وسعت الجمعية نشاطها في المنطقة بإنشاء مدارس للاناث. ومع اندلاع الحرب العالمية الأولى كان النشاط التعليمي للجمعية الألمانية قد تطور بشكل كبير. فحينذاك كانت الجمعية تمتلك أو تدعم نحو ١٠ مدارس[٧٥]، و٢٢ مدرسة طبقاً لمصادر أخرى[٧٦]، أما عدد التلاميذ فكان ٥٥٠ تلميذاً.

وأشرفت الراهبات على التعليم في مدارس البنات، فيما الآباء

اللعازاريون تولوا التعليم في مدارس الصبيان. وعلى عكس المدارس الفرنسية التي تصفها المصادر الكاثوليكية الألمانية بأنها كانت مخصصة «**للدعاية لفرنسا**»(٧٧)، قامت سياسة الجمعية الألمانية على عدم «**تغريب**» التلاميذ المحليين من خلال السياسة التعليمية(٧٨). وكما يذكر كل من لوبك وشفاغر فان الجمعية الألمانية أرادت الاستفادة من «**أخطاء الارسالية الكاثوليكية**» في الشرق المتمثل بأن كسب أناس للكنيسة الكاثوليكية يجب ألا يحمل معه أية عملية انسلاخ فكرية للسكان عن مجتعهم الأصلي(٧٩). وفي اجتماعات الهيئة العمومية لعام ١٨٩٩حدد الراهب شميدت سياسة الجمعية التربوية بقوله: «**على الارساليات أن تبتعد عن سياسة ألمنة التلاميذ لأنها قضية خاسرة من بدايتها**»(٨٠). وعلى عكس ذلك طالب شميدت أن يكون للمدارس طابعها العربي الألماني(٨١)، وأن تدرس اللغة الألمانية فقط كلغة أجنبية. وانسجاماً مع هذا المطلب قامت الجمعية بتعيين معلمات ومعلمين عرب، الذين قاموا بالتدريس باللغة العربية.

أما مواد التدريس فكانت إلى جانب العربية، الألمانية والفرنسية، القراءة والكتابة، الحساب، التاريخ والجغرافيا والدين(٨٢) هذا المنهج التعليمي قوبل باستحسان من جهات مختلفة.

التمريض ورعاية المسنين: في بداية نشاطهم في فلسطين لم يؤسس الكاثوليك الألمان مستشفى لأسباب مادية وفنية. ولكن باستقرار راهبات بوروميه في حيفا عام ١٨٨٨ أصبحت الظروف مهيأة للبدء برعاية صحية للسكان. فافتتحت الراهبات مستوصفا قدم ١٠ آلاف استشارة سنويا. وبعد توسيع منزلهن مع بداية القرن الجاري خصصت الراهبات قسما من المنزل ليكون مستشفى. وقد تمكن المستشفى من معالجة ٢٠٠ - ٣٠٠ مريض سنوياً، معظمهم من المسلمين(٨٣). وفي القدس افتتحت الراهبات عام ١٨٩٦ مأوى للمسنين ارتبط بصيدلية ومستوصف(٨٤). وقد جرى في عام ١٩٠٥ توسيع المأوى وقدرته الاستيعابية، كما ازداد عدد الراهبات العاملات فيه الى ١٢.

الكاثوليك الألمان والاستيطان: لحق الكاثوليك الألمان بالركب التبشيري الاستيطاني متأخرين عن غيرهم نظراً إلى أوضاعهم مع السلطات الألمانية داخل البلاد. ومع ذلك فان الاستيطان والحصول على موطىء قدم في الأراضي

المقدسة أسوة بالبروتستانت الألمان ظل يراود الفكر الكاثوليكي حتى قبل وقف السلطات الألمانية لـ«الكفاح الثقافي» ضد الكاثوليك. فجلسات الجمعيات الكاثوليكية الألمانية العمومية مليئة بالمناقشات حول مهام الكنيسة الكاثوليكية الألمانية الاستيطانية في مناطق النفوذ الاستعماري الألماني(٨٥). فخلال انعقاد الجمعية العمومية للكاثوليك الألمان بمدينة مونستر Münster عام ١٨٨٥ جرى الحديث عن تقسيم الأدوار بين الكنيسة والدولة في مناطق النفوذ والاستعمار الألماني. ففيما ألمانيا تستغل «**الثروات المادية**» للمستعمرات «**لأجل رخاء الوطن**»، تقوم الكنيسة الكاثوليكية «**بنشر الحضارة المسيحية**» في المستعمرات(٨٦). فالاستعمار، كما رأت الارساليات الكاثوليكية الألمانية، يبقى «**عملا غير محمود**» من دون نشر المسيحية معه في آن واحد(٨٧)، لأن الإرسالية هي التي تقدم «**السند والدعامة للنشاط السياسي الاستعماري**» الألماني في ما وراء البحار(٨٨). وعندما أخذت المانيا تشق طريقها في ركب الاستعمار كان هناك وفاق بين الكاثوليك الألمان على أن الاستعمار هو «**ضرورة طبيعية**» لألمانيا، وأنهم، أي الكاثوليك، ملزمون «**جعل كنيستهم تشارك في هذا التحول والارتقاء**»(٨٩).

ورغم أن فلسطين كانت خارج السياسة الاستعمارية الألمانية، فقد كانت للكاثوليك تطلعات استيطانية « **حضارية** » في المنطقة المذكورة. فمولر، عضو مجلس إدارة جمعية الأرض المقدسة، يصف خطط الكاثوليك الألمان بأنها تسعى الى «**ملء كل المراكز الهامة في الشرق وتأسيس مستوطنات ومدارس ومستشفيات وكنائس**»(٩٠). أما الأمير فرانز فون ارنبرغ Franz von Arenberg أحد قادة حزب الوسط الكاثوليكي، فينصح بانشاء مستعمرات كاثوليكية في فلسطين وشراء الأراضي لهذه الغاية (٩١)، وأنه يمكن من خلال ذلك:

> «إيقاظ السكان المحليين من عطالتهم وتدريبهم على الفلاحة من جهة، ودعم الطابع الألماني في الأرض المقدسة دعماً متيناً من جهة أخرى»(٩٢).

وفوق ذلك هدفت الارسالية الكاثوليكية الألمانية من الاستيطان في فلسطين اللحاق بغيرها من الارساليات التبشيرية التي سبقتها في العمل التبشيري والاستيطاني في الأراضي المقدسة.

وبالانتقال بالاستيطان من الفكر إلى التطبيق قامت جمعية الأرض المقدسة بتجميع المعلومات عن العلاقات المحلية في فلسطين والملكية الزراعية ونظام التملك[٩٣]. لكن أصواتا في المانيا ارتفعت تنتقد الاستيطان في فلسطين من نواحيه التقنية معتبرة التربة الفلسطينية في قسم كبير منها غير صالحة، وعبارة عن صحاري حجرية. بالاضافة الى كون الفلاحين الفلسطينيين **«غير أكفاء للتجاوب مع الزراعة الحديثة»**[٩٤]. ورداً على المعارضين ضربت جمعية الأرض المقدسة جماعة الهيكل الألمانية كمثال ناجح في تطبيق استصلاح الأراضي البور واستخدام الزراعة الحديثة. كذلك فان تشغيل الرهبان الفرنسيسكان للفلاحين الفلسطينيين في مستوطناتهم أثبت صلاحية الفلاح العربي للتأقلم مع الزراعة الحديثة ومستوجباتها. وأخيراً أفهمت الجمعية المعارضين أن نشاطها الاستيطاني سوف لن يكون من دون تغطية رسمية المانية حيث ستقدم القنصلية الألمانية في القدس كل عون وحماية للنشاطات مما يضمن مستقبل المستوطنات[٩٥].

مستوطنة عمواس ـ قبيبة: كما ذكرنا سابقاً، فقد اشترت جمعية فلسطين أراضي الراهب الكاثوليكي شنايدر في عمواس ـ قبيبة التي تبعد لساعات غربي القدس. ويعود اختيار هذه المنطقة للاستيطان الى أهميتها الدينية. ففي هذه المنطقة التقى السيد المسيح شابين في يوم الفصح وتناول معهما القربان[٩٦]. وعلى مقربة من أراضي جمعية فلسطين كان الرهبان الفرنسيسكان يمتلكون مستوطنة زراعية.

وحتى عام ١٨٨٦ أمكن استصلاح ٣ ـ ٤ هكتارات وزرعها بشجر اللوز والزيتون و٤٠٠ شجرة تين. ورغم ذلك فشلت الجهود في تحويل المستوطنة إلى منطقة زراعية أو مهنية، وسبب ذلك الافتقار إلى العنصر الكاثوليكي الألماني والى التكاليف الباهظة التي استلزمها استصلاح الأراضي. ولذا تركز اهتمام الجمعية على زراعة دوالي العنب وأشجار الزيتون[٩٧]. ورغم أن المستوطنة استطاعت ان تعيل نفسها بنفسها اقتصاديا لكنها لم تتطور بالشكل المتوقع. فالافتقار الى وسائل النقل والى الطرقات السهلة وكذلك موقع المستوطنة المنعزل ظلت عقبات يصعب تذليلها[٩٨]. ونتيجة لذلك تحولت المستوطنة في عام ١٩٠٢ الى منتجع للعاملين مع الجمعية وللحجاج وأيضا للعائلات الفلسطينية[٩٩]. وخلال إقامتهن القصيرة في المنطقة استطاعت الراهبات

الكاثوليكيات لجمعية سان شارل بوروميه اقامة علاقات بالسكان المحليين، مما شجع على افتتاح مركز تبشيري في المنتجع. وفي عام ١٩٠٦ استقرت الراهبات كليا في المنتجع وافتتحن حلقة دراسية لتخريج المعلمين إضافة الى عيادة خارجية.

مستوطنة الطبغة الزراعية: تعتبر مستوطنة الطبغة الواقعة بمنطقة عين الطبغة بالجليل شمالي بحيرة طبرية المشروع الاستيطاني الثاني للكاثوليك الألمان. ويقال إن بطرس اصطاد في هذه المنطقة[١٠٠] التي احتوت سبعة ينابيع[١٠١]. أما الهدف الذي دفع جمعية فلسطين لانشاء المستوطنة، فلكي تكون قاعدة لنشر الكاثوليكية ومكافحة النفوذ الأرثوذكسي الروسي في الجليل[١٠٢].

وكانت جمعية فلسطين قد باشرت عام ١٨٨٧ بتنفيذ المشروع عندما اشترت بـ ٥ آلاف مارك ذهبية ٢٤ هكتاراً من الأراضي على مقربة من مستوطنة للفرنسيسكان كانت أقيمت قبل قليل من تأسيس الكاثوليك الألمان لمستوطنتهم[١٠٣]. وفي السنوات العشر التالية توسعت المستوطنة بشراء أراض في خان منية وخربة منية في عين التين[١٠٤]، بعدما قدمت القنصلية الألمانية في القدس دعمها في شراء قطع الأرض وتسجيلها على إسم الجمعية[١٠٥]، ويبدو أن استعجال الجمعية الألمانية مضاعفة مساحة الأراضي التي تمتلكها يعود إلى الأنباء التي تحدثت عن قرب افتتاح خط حديد حيفا ـ القدس بمحطة عند الطبغة بما قد يحمله من ارتفاع في أسعار الأراضي[١٠٦].

وحتى بداية القرن الحالي كانت الجمعية تمتلك ٥٦ هكتاراً، منها ٣٥ هكتاراً من الأراضي السهلية والباقية أراض جبلية. وفي سبيل استصلاح التربة وزراعة الأرض صرفت الجمعية أموالاً طائلة. فما بين عامي ١٨٨٧ و١٩٠٠ احتاجت المستوطنة الى نحو ٨٠ ألف مارك ذهبية[١٠٧]. وقد أدى ذلك الى انتقادات واسعة خلال الجلسات العمومية للجمعية بأن مستوطنة الطبغة **«ليست مشروعاً مربحاً»**[١٠٨]. ولكن الجمعية ردَّت على المنتقدين بأن وجود **قاعدة تبشيرية** كاثوليكية في منطقة الجليل الأرثوذكسية هو أهم بكثير من الربح والتجارة[١٠٩].

ومنذ عام ١٨٩١ أصبح بالامكان ممارسة الزراعة الجنائنية. فإضافة الى ٦

هكتارات من أراضي الحبوب تمت زراعة أشجار الزيتون والتين والموز والتمر والليمون والتفاح والايجاص (١١٠) . أما الهضبة الجبلية فزرعت بدوالي العنب، فيما المنطقة السهلية تخصصت بزراعة البطاطا والبندورة (١١١) . كما عمدت المستوطنة الى تربية الخيول والبقر والخنازير(١١٢).

ورغم الجهود التي ذكرناها ظلت مصروفات المستوطنة تفوق عائداتها. كما ظل العجز يتراكم سنة بعد سنة. والواقع أن عوامل ثلاثة كانت تتحكم في تطوير المستوطنة وهي: مشكلات الري والمناخ وصعوبة تسويق الانتاج وأخيراً الافتقار الى المستوطنين الألمان.

وكانت مستوطنة الطبغة تقع على ارتفاع ٢٠٠ متر دون سطح البحر ومناخها شديد الحرارة والجفاف صيفاً ولا يهطل المطر بين شهري نيسان وتشرين الثاني. وكان نجاح المشروع يتوقف على ري كافٍ. ولهذا حاولت المستوطنة التوسع في اتجاه الينابيع السبعة وشراء الأراضي هناك. وبعدما تم لها ذلك تقريباً بنيت الأقنية لجر المياه الى الحقول والحدائق(١١٣). لكن التوسع باتجاه الينابيع حمل معه نزاعاً مع الرهبان الفرنسيسكان الذين كانوا يمتلكون مستوطنة هناك وادعوا بحقوقهم في منطقة الينابيع استنادا الى أسبقيتهم في الاستيطان. وطبقاً لسجلات الخارجية الألمانية المحفوظة في بون فقد تطور النزاع بين الفريقين وعرض أمام القضاء. وبسبب دعم القنصل الفرنسي لموضوع الرهبان الفرنسيسكان وممارسته للضغوط على السلطات العثمانية المحلية، حكمت احدى المحاكم المحلية لمصلحة الفرنسيسكان. ولكن الجمعية استأنفت الحكم وميزته في محكمة أعلى ونالت حكما لمصلحتها(١١٤)، ولكن التوسع شرقا في منطقة الينابيع لم يحل مشكلات المستوطنة بالنسبة للمياه. فقد كان عليها أن تسلّم مرات عديدة بمحصول قليل نتيجة الافتقار الى المياه.

ولعبت المواصلات دوراً هاماً في تحديد الانتاج وتصريفه. فطبرية وصفد والناصرة كانت تبعد مسافة ساعات عن المستوطنة وسط طرقات وعرة رديئة. كما أن تعطل بناء خط حديدي بين حيفا ودمشق عام ١٨٩١ حطم آمال المستوطنة في أن ترى انتعاشاً اقتصادياً(١١٥) وفي عام ١٨٩٢ اشترت الجمعية بمبلغ ٥ آلاف مارك(١١٦) قارباً بخارياً لرحلات الحجاج في بحيرة طبرية استخدم في الوقت نفسه لصيد الأسماك(١١٧). لكن هذه الجهود لم تحدث نقلة

نوعية في التسويق الا بعد بناء فرع الخط الحجازي من درعا الى سمخ فحيفا عام ١٩٠٦(١١٨) وبذلك استطاعت المستوطنة إيصال انتاجها عبر بحيرة طبرية أو أن تبيعه هناك أو بواسطة خط الحديد عبر سمخ ومنها الى حيفا(١١٩).

أما المشكلة الأخيرة التي أعاقت نمو المستوطنة فكانت الافتقار الى المستوطنين الألمان. فجمعية فلسطين أرادت أن تفرز الأراضي الى قطع صغيرة وتضمنها الى فلاحين ألمان، وأن تمنحهم اعفاء من الايجار في السنوات الثلاث الأول شرط أن يؤدي المستوطنون ضريبة العشر الى السلطات العثمانية(١٢٠). وبعد انقضاء هذه الفترة كان على المستوطنين دفع ايجار بسيط عن قطع الأرض التي في حوزتهم الى الجمعية. ومقابل ذلك تعهدت الجمعية ببناء منازل للمستوطنين وأن تعترف برابطة منبثقة عنهم(١٢١).

ولكن الموقع المنعزل والمناخ أرهبا الساعين للاستيطان بالانزلاق في المشروع. وحتى عام ١٩٠٠ كانت عائلتان كاثوليكيتان ألمانيتان فقط قد استقرتا في المستوطنة. وفشلت محاولات جديدة لاستقدام ألمان من منطقة فورتنبرغ Wûrttemberg . وبذلك بدا واضحا عدم اهتمام العنصر الكاثوليكي الألماني بمسألة الاستيطان. وتذكر التقارير أن عدد العائلات الكاثوليكية الألمانية في فلسطين كلها لم يكن يتجاوز الثلاث عائلات تتوزعها القدس ويافا وحيفا. أما في مناطق أخرى من فلسطين فكان من الصعب العثور على كاثوليكي ألماني(١٢٢).

ونتيجة لخيبة الأمل هذه عدلت جمعية فلسطين من خططها وقررت في عام ١٩٠٠ توطين عائلات فلاحية عربية في مستوطنتها. وحتى الحرب العالمية الأولى نمت المستوطنة ووصلت مساحتها الى ٢٢٥ هكتاراً(١٢٣).

وأخيراً لابد من القول إن أهمية المستوطنة لم تكن في كونها مستوطنة زراعية، بل كانت قاعدة للتبشير بين الأرثوذكس الفلسطينيين، ومركزا للنشاط الثقافي الكاثوليكي الألماني في الجليل.

كنيسة نياحة العذراء: dormitio Sanctae Maria Virginis : يعتبر بناء كنيسة نياحة العذراء حدثاً هاماً في التاريخ

الكنسي للكاثوليك الألمان في فلسطين، والذي كان له صداه المحلي والدولي[١٢٤]. ففي بداية التسعينات من القرن الماضي رجت جمعية فلسطين الحكومة الألمانية مساعدتها الدبلوماسية بغية شراء القاعة التي تناول فيها السيد المسيح العشاء الأخير مع تلامذته والتي كانت تقع ملاصقة لمقام النبي داود على جبل صهيون وتسمى باللاتينية **«كوناكولم»** Coenaculum[١٢٥]. وبعد قيامه بالخطوات الضرورية لذلك أبلغ مارشال، السفير الألماني في الاستانة، الخارجية الألمانية استحالة تنفيذ رغبةالجمعيةالألمانية كون المسألة لها **«حساسيتها الدينية»** القصوى[١٢٦]. فقاعة العشاء الأخير كانت تقع في اطار مقام النبي داود الذي يعتبر من مقدسات المسلمين، وان السلطان عبد الحميد لا يستطيع **«أن يقتطع مقدسات إسلامية لمصلحة جمعية مسيحية»** رغم العلاقات الحميمة التي تجمع عرشي ألمانيا والسلطنة. وحذر مارشال من ممارسة الضغوط على السلطان لإعطاء موافقته بالنسبة إلى الموضوع خشية أن يحدث ذلك اضطراباً في العالم الاسلامي يؤثر على سمعة السلطان بل على وجوده نفسه[١٢٧]. وكحل وسط اقترح مارشال على الجمعية الألمانية شراء قطعة أرض تقع على جبل صهيون غربي مقام النبي داود في المكان الذي يعتقد بأن مريم العذراء ويوحنا المعمدان قد أقاما فيه والذي يطلق عليه باللاتينية اسم dormitio Sanctae Mariae Virginis . ورأى مارشال أن قطعة الأرض هذه ملك خاص ليس له أهمية دينية عند المسلمين[١٢٨]. ولم يكن أمام الجمعية الألماني سوى القبول بما اقترح مارشال خاصة إنها كانت تريد أن تحتفل بتدشين بناء الكنيسة خلال زيارة الامبراطور الألماني الى فلسطين واستغلال ذلك للحصول على تقدير كبير أسوة بالبروتستانت الألمان خلال زيارة وليم الثاني لفلسطين. ولكن شراء قطعة الأرض اصطدم من جديد بعقبات أهمها رفض مالكي الأرض بيعها الى مسيحيين لاعتبار ذلك عاراً يلحق بالاسلام[١٢٩]. ولما كانت هذه التطورات تحدث قبيل بدء وليم الثاني لزيارته الى فلسطين في خريف **١٨٩٨** لتدشين كنيسة المخلص البروتستانتية[١٣٠]، استعجلت الجمعية الخارجية الألمانية للقيام بخطوات دبلوماسية لتسهيل شراء الأرض. وبالتالي أن تقدم اليهم كهدية من قبل الامبراطور في احتفال رسمي[١٣١]. والواقع أن هذه الفكرة راقت للامبراطور وليم الثاني، إذ رآها تخدم سياسته في الشرق ضد فرنسا التي تدعي حمايتها المطلقة على الكاثوليك في الشرق. ولذلك وضعت الخارجية الألمانية مارشال في

الصورة، بأن الامبراطور يعلق أهمية كبيرة على إهداء قطعة الأرض الى الكاثوليك الألمان خلال زيارته للقدس وأن عليه القيام بما يلزم لتأمين شراء الأرض[١٣٢]. وفي ٨ تشرين الأول **١٨٩٨**، بعث مارشال الى الخارجية يخبرها بموافقة السلطان عبد الحميد على بيع الأرض للأمبراطور وليم الثاني[١٣٣].

وخلال زيارته للقدس يوم **٣١** تشرين الأول **١٨٩٨** قدم وليم الثاني قطعة الأرض الى رعاياه الكاثوليك في احتفال مهيب[١٣٤]. ويذكر أن إجراءات البيع الرسمية لقطعة الأرض وكذلك نقل ملكيتها في الدوائر العقارية لم يحدثا خلال زيارة العاهل الألماني، بل بعد ذلك، وأن مراسيم تقديم قطعة الأرض للكاثوليك الألمان من قبل امبراطورهم لم تكن سوى مراسيم شكلية. وبعد عودة وليم الثاني الى المانيا اهتمت الخارجية الألمانية بالموضوع. لكن تيشندورف Tischendorf، القنصل الألماني في القدس، بعث في **٣٠** تشرين الثاني عام **١٨٩٨** يخبر الخارجية بأن قطعة الأرض هي وقف[١٣٥] وبذلك يستحيل بيعها من دون موافقة السلطان وشيخ الاسلام. وإضافة الى ذلك فان بعض مالكي الأرض لا يزالون يرفضون بيع حصصهم[١٣٦]. ولكن بفضل دبلوماسيته والنفوذ الألماني في الاستانة تمكن مارشال من الحصول على موافقة السلطان عبد الحميد على عملية البيع[١٣٧]. ويبدو أن السلطان العثماني استطاع أن يتفادى مسألة الوقف عن طريق خدعة، وهي شراؤه الأرض وتحريرها كوقف وبالتالي بيعها من جديد إلى الامبراطور الألماني[١٣٨].

ويلاحظ هنا أن المخرج الذي أوجده السلطان عبد الحميد للمسألة قد عتم الحقيقة، عما اذا كان الامبراطور الألماني قد اشترى فعلا قطعة الأرض. أو أنها كانت هدية من السلطان. فالمصادر العثمانية المعاصرة لا تتحدث سوى عن هدية من السلطان الى الامبراطور[١٣٩]، فيما الوثائق الألمانية تذكر أن الحكومة الألمانية اشترت قطعة الأرض بمبلغ **١٠٠** ألف مارك[١٤٠]. والواقع أن الامبراطور الألماني لم يذكر في خطابه في القدس يوم **٣١** تشرين الثاني أن القطعة كانت **«هدية»** من السلطان، بل انها **«اشتريت»** منه[١٤١]. وهذا ما أكده وليم الثاني مرة ثانية في رسالة له الى البابا[١٤٢].

وعلى كل حال فقد سجلت قطعة الأرض في الدوائر العقارية على انها ملك للأمبراطور الألماني، فيما الجمعية الألمانية اعتبرت المستثمر لها[١٤٣]. وفي

عام ١٩٠٨ انتهى تشييد الكنيسة التي استغرق بناؤها ثماني سنوات وكلفت ٨٠٠ ألف مارك[١٤٤].

٥ ـ تمويل المشروعات الكاثوليكية الألمانية في فلسطين:

بينما قامت جمعية لودفيغ التبشيرية بدعم النشاطات الكاثوليكية الأوروبية في فلسطين بمبلغ ٥١٥ ألف مارك خلال خمسين عاما من النشاط، استطاعت جمعية القبر أن تمول المؤسسات الكاثوليكية في الشرق خلال ثلاثين عاما بمبلغ اجمالي قدره ٢,٤ مليون فرنك[١٤٥]. فبعد تأسيسه بعام واحد بلغت موارد جمعية القبر نحو ٢٤٧٥٩ ماركا. وبفتح فروع للجمعية في المدن الألمانية الكاثوليكية ارتفع هذا المورد في الستينات الى ٦٠ ألف مارك سنويا وإلى ٧٠ ألف مارك خلال السبعينات والى ١٤٠ ألف مارك خلال التسعينات من القرن الماضي[١٤٦]. وفي المقابل كانت موارد جمعية فلسطين أقل من ذلك بكثير. فقد بلغت في السنوات الأولى على تأسيسها نحو ٣٠ ألف مارك وارتفعت قليلا في السنوات التالية ووصلت الى معدل ٤٤ ألف مارك في السنة[١٤٧].

وكان نصف مداخيل جمعيتي القبر المقدس وفلسطين تأتي من تبرعات تقدمها منطقة أسقفية كولونيا. كذلك كانت أبرشيات مونستر Mûnster وأسقفية إمارة برسلاو Breslau تقدم تبرعات سخية. وفوق ذلك كانت تصل إلى الجمعيتين تبرعات وهبات من بعض الدول الأوروبية الكاثوليكية[١٤٨].

وبعد دمج الجمعيتين معاً كان من المتوقع أن يؤدي ذلك إلى زيادة المداخيل لتصل الى ١٧٥ ألف مارك في السنة. إلا أن هذه التوقعات أثبتت عدم مطابقتها للواقع. ففي عام ١٨٩٦، أي بعد مرور عام على قيام الجمعية الألمانية، بلغ مدخول الجمعية ١٣٩١٢١ ماركاً فقط و١٢٨٦٤٥ ماركاً في عام ١٨٩٨[١٤٩]. وأسباب ذلك تعود الى أنه بعد دمج الجمعيتين أصبح أعضاء الجمعية الجديدة يقدمون اشتراكاتهم وتبرعاتهم الى جهة واحدة وليس الى جهتين كما كان يحصل سابقا، وبذلك انخفض عدد المساهمات التي كان يقدمها الأعضاء[١٥٠]. وبسبب تشييد كنيسة نياحة العذراء والنزل الجديد استطاعت الجمعية أن تزيد دخلها السنوي بصورة استثنائية حيث وصل الى ٣٦١٦٧٠ ماركاً في عام ١٩٠٤[١٥١].

٦ ـ خلاصة:

جاء اهتمام الكاثوليك الألمان المباشر بفلسطين متأخراً قياساً إلى اهتمامات الكاثوليك الأوروبيين أو البروتستانت الألمان. فالنظرة العالمية إلى الكنيسة الكاثوليكية ظلت لفترة طويلة تقيد توجهاتهم القومية في العمل الإرسالي. ولكن «الكفاح الثقافي» في ألمانيا البسماركية دفع المشاعر القومية للكاثوليك الألمان الى الأمام. فجمعية فلسطين التي تأسست في عام ١٨٨٤ والجمعية الألمانية للأرض المقدسة التي تأسست في عام ١٨٩٥ انطلقتا في أهدافهما من منطلقات قومية وهي تمثيل المصالح الكاثوليكية الألمانية في فلسطين وتقديم العون للحكومة الألمانية في سياستها الاستعمارية[١٥٢].

وكما ذكرنا، فقد جاء الكاثوليك الألمان إلى فلسطين متأخرين عن غيرهم من الإرساليات الأوروبية أو الألمانية. فحتى الحرب العالمية الأولى لم يتجاوز عدد أفراد الجماعة الكاثوليكية الألمانية في فلسطين أكثر من ٢٠٠ شخص[١٥٣]. ورغم ضآلة عددهم فقد كانت نشاطاتهم مؤثرة. ففي نهاية القرن المنصرم استطاع الكاثوليك الألمان أن يقيموا شبكة من النُزل والمدارس والمؤسسات حول القدس وفي الجليل الأعلى. كذلك أسسوا مستوطنات زراعية رغم الفشل في توطين عناصر كاثوليكية ألمانية واضطرارهم إلى توطين مسيحيين عرب في تلك المستوطنات. وفي بداية القرن الجاري استطاع الكاثوليك الألمان أن يفخروا بكنيستهم في القدس.

وكغيرهم من المبشرين رأوا في عملهم الارسالي استمراراً للحملات الصليبية ولكن بوسائل سلمية[١٥٤]. أما بالنسبة إلى النجاح والفشل في تنصير المسلمين فتصمت المصادر الكاثوليكية المتوفرة عن ذلك. ولكن الواقع على الأرض أجبر الكاثوليك الألمان أسوة بالبروتستانت الألمان على حصر نشاطاتهم التبشيرية بين أتباع الكنيسة الأرثوذكسية.

الفصل التاسع

العلاقات التجارية والنشاطات الاستيطانية قبل تأسيس الرايخ الألماني في عام ١٨٧١

رغم حصول النشاطات الدينية والكنسية السياسية الألمانية على تشجيع قوي منذ الأربعينات من القرن التاسع عشر ، ظلت الاهتمامات الألمانية الاقتصادية آخر اعتبارات الدولة نظراً إلى تخلف الصناعة الألمانية قياساً إلى الصناعة البريطانية والفرنسية ، وبسبب الافتقار إلى دولة ألمانية موحدة تأخذ على عاتقها تأمين أسواق تجارية في ما وراء البحار ، وهو ما أعتبر مطلباً حيوياً لألمانيا في ذلك الوقت . وهذا الفصل يهتم بالدرجة الأولى بالجهود التي سعت لإقامة علاقات اقتصادية ألمانية أوطد مع الشرق عموماً وفلسطين خصوصاً . ورغم أن كثيراً من هذه الاهتمامات لم يكتب لها النجاح ، إلا أنها وضعت الأسس المستقبلية لتوطيد العلاقات التجارية الألمانية بالمنطقة .

وباختصار ، يعتبر هذا الفصل تمهيداً للفصل التالي ومرتبطاً به ، فهو يتناول بالبحث النمو الاقتصادي للدويلات الألمانية المنتمية إلى « **الاتحاد الجمركي الألماني** » Zollverein حتى تأسيس « **اتحاد شمال ألمانيا** » Norddeutscher Bund ومن ثم الرايخ الألماني . كذلك يعالج الفصل المعاهدات التجارية وحجمها بين ألمانيا والدولة العثمانية ، وبنية التبادل التجاري الألماني مع فلسطين والعقبات التي اعترضت تعزيز تلك العلاقات في

تلك المرحلة ، كالافتقار إلى مواصلات برية وبحرية ألمانية مباشرة مع الشرق أو وسائل الاتصال ، كأسطول تجاري عبر البحار . كما لعب ضعف التمثيل القنصلي الألماني في المرافىء والمدن الفلسطينية دوراً في إعاقة نمو العلاقات التجارية الألمانية في المنطقة . وأخيراً يعالج الفصل محاولات الاستيطان الألمانية الفردية في فلسطين والتي فشلت في معظمها ، وكذلك موقف الحكومة البروسية من سياسة استيطان رعاياها في أراضي الدولة العثمانية .

١ ـ النمو الاقتصادي للدويلات الألمانية وأهمية الاتحاد الجمركي :

ساعد الحصار القاري الذي ضربه نابوليون بونابرت على أوروبا في بداية القرن الماضي على نمو الصناعة الألمانية في مختلف انحاء البلاد وجعلها تعيش فترة ازدهار كبير . فبغياب المنافسة الإنكليزية التقليدية في السوق الألمانية بسبب هذا الحصار ، نمت الصناعات الحديدية والفولاذية في المناطق الواقعة على الضفة اليسرى لنهر الراين وفي منطقة شلسين العليا Oberschlesien . وبالمقدار نفسه استفادت صناعة المنسوجات الألمانية من غياب المنافسة الإنكليزية وعملت على الانتقال التدريجي من الصناعات المنزلية إلى الانتاج الفبركي .

وبعد رفع الحصار القاري عادت البضائع الإنكليزية الرخيصة من جديد تغزو الأسواق الألمانية ، مما ألحق بالصناعة الألمانية الناشئة خسائر فادحة . ولم يكن بالإمكان في هذه الظروف تنشيط الصادرات الألمانية الى الدول الأوروبية ، حيث ان معظم الدول الأوروبية فرضت بعد مؤتمر فيينا عام ١٨١٥ جمارك مرتفعة على المستوردات الأجنبية حماية لصناعتها ومنتجاتها الوطنية ، وقد صعّب هذا الأمر على المنتجات الألمانية تأمين أسواق أوروبية مربحة . وبذلك وضح أن الاقتصاد الألماني يمكنه فقط أن يكون قادراً على المنافسة الأوروبية عندما يتم التغلب على التجزئة السياسية في ألمانيا وإقامة سوق داخلي متماسك يستطيع تمثيل الاقتصاد الألماني في الخارج [١] .

ففي عام ١٨١٨ تزعمت مملكة بروسيا أول خطوة لقيام سوق داخلي موحد ، إضافة إلى سياسة جمركية موحدة تجاه المنتجات الأجنبية . كما صدر في العام نفسه «**قانون الجمارك**» Zollgesetz . وبعد عشرة أعوام على ذلك

تأسس « اتحاد جمركي » من هسن ـ دارمشتادت Hessen- Darmstadt الذي انضمت إليه كورهسن Kurhessen بعد ثلاث سنوات . ولم تستطع الاتفاقات الجمركية الأخرى التي ضمت دويلات ألمانية كبفاريا Bayern وفورتنبرغ Württemberg أو « **اتحاد تجارة وسط ألمانيا** » التغلب على جهود بروسيا لالغاء الحواجز الجمركية بين دويلات ألمانيا أو التقليل من الدور البروسي القيادي في هذا المجال . وفي الأول من كانون الثاني عام ١٨٣٤ تأسس «**الاتحاد الجمركي الألماني**» والذي انضمت إليه بعد فترة قصيرة معظم دويلات ألمانيا . وكانت كبرى المهام الملقاة على هذا الاتحاد الجمركي هي تشجيع الصناعات الألمانية والصادرات الألمانية وخاصة الزراعية منها وحماية الصناعة الوطنية من المنافسة في الأسواق الألمانية .

وباستثناء الأزمة الاقتصادية العالمية في عام ١٨٥٧ ، فقد استطاع الاقتصاد الألماني أن ينمو باضطراد من دون التأثر نتيجة للاضطرابات الثورية التي ضربت أوروبا في عامي ١٨٤٨ و ١٨٤٩ أو الحرب البروسية الدانمركية في عامي ١٨٦٤ ـ ١٨٦٦ [٢] . وكان أبرز معالم الازدهار الاقتصادي الألماني هو نمو الصناعة والبنوك والمواصلات . وخلاصة القول ، إن ألمانيا كانت تسير في طريق التحول إلى دولة صناعية .

ففي الفترة من ١٨٤٨ إلى ١٨٦٤ تضاعف إنتاج الفحم الحجري والحديد الخام أربع مرات في منطقة الاتحاد الجمركي [٣] . وبين عامى ١٨٦٠ ـ ١٨٧٠ تضاعف إنتاج الحديد الخام مرة أخرى بنسبة ثلاثة أضعاف وفاق إنتاج فرنسا [٤] . أما شبكة المواصلات الحديدية فتضاعفت ثلاث مرات أيضاً في الفترة من ١٨٥٠ إلى ١٨٧٠ ، ووصل حجمها إلى ١٩٥٠٠ كلم ، ولم تسبقها سوى شبكتي المواصلات الحديدية في الولايات المتحدة وبريطانيا [٥] . وجاء تطور القطاع المصرفي خلال الخمسينات والستينات من القرن الماضي مرادفاً لهذا التطور الصناعي والاقتصادي وتبعاً لمتغيرات الصناعة الناشئة واحتياجاتها . فأخذت البنوك الضخمة تحل تدريجياً محل البنوك الخاصة مثل « ديسكونتو غيزيلشافت » Diskontogesellschaft في برلين عام ١٨٥١ و «دارمشتاديتر بنك » Darmstädter Bank عام ١٨٥٣ و« برلينر هاندلز غيزلشافت Berliner Handelsgesellschaft عام ١٨٥٦ وأخيراً « دويتشي بنك » Deutsche Bank

عام ١٨٧٠ و « درسدنر بنك » Dresdner Bank عام ١٨٧٢ (٦) .

ويذكر أن نمو التجارة الخارجية الألمانية لم يواكب النمو الصناعي . ففيما التجارة العالمية تضاعفت ما بين عامي ١٨٣٠ و ١٨٥٠ مرتين ، ازداد حجم التجارة الخارجية الألمانية قرابة نصف مرة فقط ، أي من ٤٠ إلى ٦٢ مليون جنيه استرليني (٧) ، ورغم ارتفاع حجم التعامل التجاري الخارجي بنسبة ١٢٥٪ ما بين ١٨٥٤ و ١٨٦٩ (٨) . لم تستطع التجارة الخارجية الألمانية إزاحة فرنسا عن مركزها الثاني في التجارة العالمية بعد بريطانيا (٩) .

٢ ـ العلاقات التجارية بين الدويلات الألمانية والدولة العثمانية : معاهدة بلطا ـ ليمان التجارية Balta- Liman بين بريطانيا والدولة العثمانية :

أيقظت الأحداث السياسية التي تعرضت لها الدولة العثمانية خلال الثلاثينات من القرن التاسع عشر (١٠) آمالا كبيرة في أوروبا في كسب أسواق جديدة في الشرق العثماني . وتسجل معاهدة بلطا ليمان عام ١٨٣٨ بين بريطانيا والأمبراطورية العثمانية قفزة هائلة لبريطانيا في هذا الاتجاه . فبموجب الاتفاقية حصلت بريطانيا على مرتبة « **أكثر الدول تفضيلاً** » في الدولة العثمانية . فقد حُددت الجمارك المفروضة على الصادرات البريطانية إلى الدولة العثمانية بنسبة ٥٪ ، فيما فرضت نسبة ١٢٪ على الصادرات العثمانية إلى بريطانيا . وفوق ذلك أزيلت جميع العقبات التي كانت تعترض تعزيز التجارة البريطانية مع الدولة العثمانية . كذلك حصل التجار الإنكليز المقيمون في الدولة العثمانية على وضع مساوٍ للتجار الأتراك في ما يتعلق بالتجارة الخارجية (١١) .

ولم تؤد معاهدة بلطا ـ ليمان إلى ازدهار التجارة البريطانية في الشرق واختراق السوق العثمانية فحسب ، بل أيضاً إلى قيام الدول الأوروبية الأخرى باختراقات مماثلة ، حين سارعت الدول الأوروبية إلى الاقتداء ببريطانيا للحصول على اتفاقات تجارية مع الدولة العثمانية مشابهة لبنود معاهدة بلطا ـ ليمان ، وقد تمَّ لها ذلك (١٢) .

الاتفاقات التجارية للدويلات الألمانية مع الدولة العثمانية :

كانت بروسيا هي أولى الدويلات الألمانية التي عقدت اتفاقات تجارية مع الدولة العثمانية وذلك في عام ١٧٦١ (١٣) . وبعد عام على اتفاقية بلطا ـ ليمان عقدت « **مدن الهنزا** » Hansestâdte في ١٨ أيار ١٨٣٩ « **معاهدة صداقة وتجارة وملاحة** » Freundschafts- , Handels- und Schiffahrtsvertrag على نسق معاهدة بلطا ليمان . وفي أيلول عام ١٨٤١ جُددت هذه المعاهدة بإضافة ملحق لها (١٤) . وفي ٢٢ تشرين أول ١٨٤٠ عقدت دول « الاتحاد الجمركي الألماني » (كولونيا Kôln ، بفاريا Bayern ، ساكسونيا Sachsen فورتنبرغ Wûrttemberg ، بادن Baden ، كورهسن Kurhessen ، غروس هرتسوغتوم هسن Grossherzogtum Hessen ، تورينغن Thûringen ، ناساو Nassau ، فرايه شتادت فرانكفورت Freie Stadt Frankfurt وبروسيا Preussen إتفاقية تجارية مع الباب العالي (١٥) . وقد جُددت كل من الاتفاقيتين في عام ١٨٦٢ (١٦) .

مشروع تغلغل لمدن الهنزا :

قامت السياسة التجارية الأوروبية عموماً على شراء المواد الخام من المناطق المتخلفة في العالم ومن ثم تصنيعها وبيع قسم من فائض الاستهلاك في الأسواق الخارجية . وفي هذا الإطار لا بد من الإشارة إلى مشروع جديد بالاهتمام حاولت مدن الهنزا أن تطبقه في الشرق (١٧) . فلتحسين مركزها في تجارة المنتجات الحريرية والقطنية في الشرق خططت مدن الهنزا لمشروع أمبريالي مبكر وهو تصنيع الحرير والقطن في مناطق إنتاجه بآسيا الصغرى ومن ثم تسويقه في الشرق ، مما يوفر عليها نقل الحرير والقطن الخام من الشرق إلى ألمانيا وتصنيعه هناك ، ومن ثم نقله مجدداً ومصنَّعاً إلى الشرق ، وتحمَّل مصاريف إضافية يمكن توفيرها مما يسمح بمنافسة الانتاج الأوروبي الذي يتدفق على المنطقة . كما قامت خطة مدن الهنزا على تربية الشرانق وزراعة القطن وتصنيعهما على إحدى الجزر اليونانية في بحر إيجه ومن ثم بيعه في الشرق . وكانت الغاية من هذه العملية منافسة المنتجات الحريرية الفرنسية والقطنية النمساوية . وبعد مفاوضات مع السلطات العثمانية في الآستانة استمرت اشهر

عدّة بعث الدكتور باتريك كولكوهـون Patrick Colquhoun وهو بـريطاني ومفاوض باسم دول الهنزا بتقرير في نهاية عام ١٨٤١ عن تقدم محادثاته وجاء فيه ؛ أنه حقق خطوات في ما يتعلق بالمفاوضـات مع الجهـات المسؤولة في الآستانة . ومما يلفت النظر في المسألة هو انقطاع المعلومات عن تطور المشروع الهنزياني . فإننا لم نعثر على أية وثيقة أو معلومة تفيد الموضوع . كذلك من غير الواضح إذا كان مشروع مدن الهنزا قد فشل بسبب معارضة عثمانية ، أم أنه سقط بسبب الحريق الكبير الذي دمَّر مدينة هامبرغ ، إحدى مدن الهنـزا الرئيسية .

٣ ـ العلاقات التجارية بين دويلات ألمانيا وسوريا :

تجارة سوريا مع أوروبا [١٨] : كانت بيروت أهم ميناء بحري على الساحل السوري الممتد من الإسكندرونة إلى يافا . تسارع نمو ميناء بيروت خلال الخمسينات والستينات من القرن التاسع عشر [١٩] . ومن بيروت كان قسم كبير من السلع الأوروبية المستوردة يأخذ طريقه إلى دمشق ومن هناك إلى المناطق الداخلية في سوريا ، أو إلى بغداد ومنها إلى الشرق الأقصى . كذلك كانت مرافىء محلية على الساحل السوري الفلسطيني كطرابلس واللاذقية وصيدا وعكا وحيفا ويافا تستورد بدورها منتجات أوروبية عبر بيوتات تجارية في بيروت [٢٠] . وإضافة إلى ذلك لعبت تلك المرافىء دوراً بارزاً على صعيد الصادرات السوريـة . وفي شمال سـوريا شكَّلت حلب من خـلال ميناء الإسكندرونه اهم مركز لتجارة الترانزيت بين اوروبا والمناطق الداخلية في آسيا الصغرى [٢١] .

وانحصرت الصادرات السورية إلى أوروبا أساساً في المنتجات الزراعية وأهمها الحرير ، الحبوب ، القطن ، الصوف ، التبغ والفاكهة المجففة . ومقابل ذلك كانت منتجات قطنية وصوفية وأدوات حديدية وفولاذية ، نحاس ، سكر وقهوة تستورد من أوروبا .

وخلال الاحتلال المصري لسوريا انتعشت التجارة السـورية بشكـل ملحوظ ، كما يتبين ذلك من الجدول رقم (١):

جدول رقم (١) ـ نمو تجارة بيروت في النصف الأول من القرن التاسع عشر [٢٢]

(ملايين الفرنكات)

السنة	الاستيراد	التصدير
١٨٢٥ ـ ١٨٢٧	٤,٦	٣,٢
١٨٣٦ ـ ١٨٣٨	١٤,٥	٨,٥
١٨٤١ ـ ١٨٤٣	٢٣,٤	١٦,١
١٨٥٥ ـ ١٨٥٧	٣٦,٨	٣٩,٩

وكان ما يقرب من نصف المستوردات الأوروبية بريطانية المنشأ وربعها من فرنسا ، في حين كان ثلاثة أرباع الصادرات السورية تأخذ طريقها إلى فرنسا [٢٣] .

مسألة الإحصاء التجاري : ليس بالإمكان التثبت من حجم التجارة الألمانية مع سوريا بسبب الفوضى التي اتسم بها نظام الجمارك العثماني . ففي المراكز الجمركية في المرافىء السورية والفلسطينية كان تسجيل البضائع ومنشأها يتم تبعاً لهوية السفن الشاحنة . ولما كان قسم كبير من المنتجات الألمانية لا يصل مرافىء الشرق وبالتالي الموانىء السورية والفلسطينية على متن السفن الألمانية ، بل على سفن أوروبية ، وهو ما سنعالجه بعد قليل ، فقد أدى ذلك إلى ضياع منشأ البضائع الألمانية وبالتالي تسجيلها في سجلاّت الجمارك العثمانية لحساب الدولة التي تتبعها السفينة الشاحنة . هذا الوضع ينطبق أيضاً على التجارة السويسرية [٢٤] . ولهذا السبب فان جميع المعلومات حول التجارة الألمانية مع سوريا وفلسطين تستند إلى تقديرات معاصرة تتباين أحياناً في ما بينها ، إلا أنها تعطي رغم ذلك معلومات تقريبية عن حجم التبادل التجاري بين الفريقين .

عدّة بعث الدكتور باتريك كولكوهون Patrick Colquhoun وهو بريطاني ومفاوض باسم دول الهنزا بتقرير في نهاية عام ١٨٤١ عن تقدم محادثاته وجاء فيه ؛ أنه حقق خطوات في ما يتعلق بالمفاوضات مع الجهات المسؤولة في الآستانة . ومما يلفت النظر في المسألة هو انقطاع المعلومات عن تطور المشروع الهنزياني . فإننا لم نعثر على أية وثيقة أو معلومة تفيد الموضوع . كذلك من غير الواضح إذا كان مشروع مدن الهنزا قد فشل بسبب معارضة عثمانية ، أم أنه سقط بسبب الحريق الكبير الذي دمَّر مدينة هامبرغ ، إحدى مدن الهنزا الرئيسية .

٣ ـ العلاقات التجارية بين دويلات ألمانيا وسوريا :

تجارة سوريا مع أوروبا[١٨] : كانت بيروت أهم ميناء بحري على الساحل السوري الممتد من الإسكندرونة إلى يافا . تسارع نمو ميناء بيروت خلال الخمسينات والستينات من القرن التاسع عشر[١٩] . ومن بيروت كان قسم كبير من السلع الأوروبية المستوردة يأخذ طريقه إلى دمشق ومن هناك إلى المناطق الداخلية في سوريا ، أو إلى بغداد ومنها إلى الشرق الأقصى . كذلك كانت مرافىء محلية على الساحل السوري الفلسطيني كطرابلس واللاذقية وصيدا وعكا وحيفا ويافا تستورد بدورها منتجات أوروبية عبر بيوتات تجارية في بيروت[٢٠] . وإضافة إلى ذلك لعبت تلك المرافىء دوراً بارزاً على صعيد الصادرات السورية . وفي شمال سوريا شكّلت حلب من خلال ميناء الإسكندرونه اهم مركز لتجارة الترانزيت بين اوروبا والمناطق الداخلية في آسيا الصغرى[٢١] .

وانحصرت الصادرات السورية إلى أوروبا أساساً في المنتجات الزراعية وأهمها الحرير ، الحبوب ، القطن ، الصوف ، التبغ والفاكهة المجففة . ومقابل ذلك كانت منتجات قطنية وصوفية وأدوات حديدية وفولاذية ، نحاس ، سكر وقهوة تستورد من أوروبا .

وخلال الاحتلال المصري لسوريا انتعشت التجارة السورية بشكل ملحوظ ، كما يتبين ذلك من الجدول رقم (١) :

جدول رقم (١) ـ نمو تجارة بيروت في النصف الأول من القرن التاسع عشر[٢٢]

(ملايين الفرنكات)

السنة	الاستيراد	التصدير
١٨٢٥ ـ ١٨٢٧	٤,٦	٣,٢
١٨٣٦ ـ ١٨٣٨	١٤,٥	٨,٥
١٨٤١ ـ ١٨٤٣	٢٣,٤	١٦,١
١٨٥٥ ـ ١٨٥٧	٣٦,٨	٣٩,٩

وكان ما يقرب من نصف المستوردات الأوروبية بريطانية المنشأ وربعها من فرنسا ، في حين كان ثلاثة أرباع الصادرات السورية تأخذ طريقها إلى فرنسا[٢٣] .

مسألة الإحصاء التجاري : ليس بالإمكان التثبت من حجم التجارة الألمانية مع سوريا بسبب الفوضى التي اتسم بها نظام الجمارك العثماني . ففي المراكز الجمركية في المرافىء السورية والفلسطينية كان تسجيل البضائع ومنشأها يتم تبعاً لهوية السفن الشاحنة . ولما كان قسم كبير من المنتجات الألمانية لا يصل مرافىء الشرق وبالتالي الموانىء السورية والفلسطينية على متن السفن الألمانية ، بل على سفن أوروبية ، وهو ما سنعالجه بعد قليل ، فقد أدى ذلك إلى ضياع منشأ البضائع الألمانية وبالتالي تسجيلها في سجلّات الجمارك العثمانية لحساب الدولة التي تتبعها السفينة الشاحنة . هذا الوضع ينطبق أيضاً على التجارة السويسرية[٢٤] . ولهذا السبب فان جميع المعلومات حول التجارة الألمانية مع سوريا وفلسطين تستند إلى تقديرات معاصرة تتباين أحياناً في ما بينها ، إلا أنها تعطي رغم ذلك معلومات تقريبية عن حجم التبادل التجاري بين الفريقين .

التجارة الألمانية خلال الثلاثينات : في أعقاب صلح أدرنة ١٨٢٩ والقضاء على القرصنة في البحر المتوسط التي انتهجتها دويلات شمال أفريقيا وظهور مؤشرات على ازدهار التجارة الشرقية ، أخذت وزارة الشؤون الخارجية البروسية تستغل كل مناسبة لمساعدة الصناعة الألمانية الناشئة على تصريف منتجاتها في أسواق الدولة العثمانية . ففي بداية الثلاثينات توسطت الخارجية البروسية لبيع السلطان العثماني كمية من المسدسات والساعات ومصنوعات فضية وذهبية وبورسلانية وأواني ومنسوجات شرقية لكي يقدمها هدايا إلى وزرائه (٢٥) .

وفي الفترة نفسها كانت دويلات ألمانية أخرى تسعى جاهدة لتسويق منتجاتها في الدولة العثمانية . فيذكر يوليوس هاغنمايستر في دراسته التي نشرها عام ١٨٣٨ عن تجارة تركيا وإيران ، الدور الهام الذي لعبته معارض لايبزيغ Leipzig وبرسلاو Breslau في هذا الصدد . فالمنتجات الحريرية والقطنية الألمانية ولوازم خياطة Kurzwaren(٢٦) وبضائع جلدية وبورسلانية وكريستالية وزجاجية وأحجار كريمة إضافة إلى السكّر كانت تأخذ طريقها إلى الشرق عبر تريست Triest أو فيينا (٢٧) . وبعد عام على دراسة هاغنمايستر اكد دلنبوش ما نشره الأول من معلومات حول التجارة الألمانية مع الشرق ، وأضاف أن مسامير ، قضبان وسبائك حديدية ، صفائح حديدية ونحاسية وقصدير كانت تصدَّر من قبل الدويلات الألمانية وتصل إلى أسواق الشرق العثماني (٢٨) .

ويذكر تقرير إنكليزي لعام ١٨٤٠ عن تجارة سوريا أن بيوتات تجارية مسيحية في حلب كانت تستورد بضائع ألمانية عبر تريست لكي تبيعها في أسواق الشام أو بغداد . ويضيف التقرير أن المنسوجات الألمانية والخردوات والبضائع الزجاجية اثبتت قدرتها على المنافسة في الأسواق الشرقية(٢٩)، كذلك كان هناك إثنان من المهندسين البروسيين ينقبان عن الفضة والحديد شمالي سوريا (٣٠) . وأخيراً يضيف التقرير ، أن أقطانا حلبية ولاذقانية كانت تصدَّر إلى ألمانيا (٣١) .

التجارة الألمانية في الأربعينات : رغم الاتفاقات التجارية التي عقدتها دويلات ألمانيا مع الدولة العثمانية ، ورغم توسيع حجم التجارة الألمانية مع أسواق الدولة العثمانية (٣٢) ، ظلّت الصادرات الألمانية مع السلطنة متأخرة

نسبياً عن صادرات الدول الأوروبية المعنية بالتجارة الشرقية . ففي تجارة سوريا حلت دول الاتحاد الجمركي في المرتبة الخامسة او السادسة خلف بريطانيا وفرنسا والنمسا وإيطاليا وسويسرا ، هذا مع الأخذ بعين الاعتبار تغير مراتب الدول من منطقة لأخرى ومن سنة لأخرى (٣٣) . وفي عام ١٨٥١ حاول تقريرِ لأرشيف التجارة أن يقدر حجم تجارة بيروت لفترة الأرباع الثلاثة الأول لعام ١٨٥٠ . وطبقا لذلك حلّت دول الاتحاد الجمركي الألماني بصادراتها التي كانت تصل بيروت عبر تريست على المرتبة الخامسة وكان نصيبها من الصادرات الأوروبية العامة إلى بيروت بنسبة ٢,١٪ .

جدول رقم (٢) ـ الصادرات الأوروبية إلى بيروت من أول كانون الثاني حتى آخر أيلول ١٨٥٠ (٣٤) .

المنشأ	القيمة بالعملة العثمانية (قروش)	النسبة المئوية
بريطانيا	١٨٩٢٥٤٢٠	٦٥,٣
سويسرا	٤٨١٠٧٦٥	١٦,٦
فرنسا	٢٢٠٦٣٤١	٧,٦
النمسا (عبر تريست)	١٢٩٨٨٩٥	٤,٥
دول الاتحاد الجمركي (عبر تريست)	٦١٥٨٨٥	٢,١
ليفورنو	٥٨٠٧٦٤	٢,٠
امستردام	٥٣٩٣١١	١,٩
	٢٨٩٧٧٣٨١	١٠٠,٠

التبادل التجاري بين ألمانيا وسوريا حتى تأسيس الرايخ : شهدت الصادرات الأوروبية إلى الدولة العثمانية في أعقاب حرب القرم ازدهاراً ملحوظاً ساهمت فيه أيضاً الدويلات الألمانية (٣٥) . وفي التبادل التجاري مع

سوريا استطاع الألمان تحسين مركزهم التجاري . فأحد تقارير أرشيف التجارة الألماني ذكر أن الفترة ما بين ١٨٥٧ ـ ١٨٧٠ كانت بمثابة « **العصر الذهبي للتجارة الألمانية مع سوريا** » . فقد لعبت ألمانيا دوراً هاماً في التجارة السورية وواجهت بالكاد منافسة في بيع منتجاتها المعروفة كالأقمشة من جميع الأصناف . وبالنسبة للصادرات إلى سوريا حلّت ألمانيا في المرتبة الثالثة بعد بريطانيا وفرنسا [٣٦] . وهذا القول يبدو لنا مبالغ فيه ، إذ إن التقرير نفسه يذكر في مكان آخر وطبقاً للجدول رقم (٣) أن النمسا وألمانيا احتلتا **معاً** المركز الثالث بين الدول المصدِّرة إلى سوريا ، ولذا فإنه من المستبعد في ضوء أوضاع التجارة الألمانية الخارجية ان تكون حصَّة ألمانيا تخطت نصيب النمسا في التصدير إلى سوريا .

جدول رقم (٣) ـ تجارة سوريا مع أوروبا في عام ١٨٦٩ [٣٧]

المنشأ	الصادرات إلى سوريا القيمة بـ ١٠٠٠ فرنك	النسبة ٪	الصادرات من سوريا القيمة بـ ١٠٠٠ فرنك	النسبة ٪
بريطانيا	١٤٧٦٢,٣	٤٦,٩	١٤٧١,٧	٧,٧
فرنسا	٨٩٣٣,٢	٢٨,٤	١٤٥١٠,٤	٧٥,٨
النمسا / ألمانيا	٤٥٨٨,٣	١٤,٥	٨٤٩,٧	٤,٤
إيطاليا	١٨٥٧,٧	٥,٩	٥٢٣,٩	٢,٧
أميركا	١١١٠,٠	٣,٥	١٦٨٠,٤	٨,٨
اليونان	١٨٥,٥	٠,٦	١٥,١	٠,١
روسيا	٤٩,٥	٠,١	١٠١,٥	٠,٥
	٣١٤٨٦,٥	١٠٠,٠	١٩١٥٣,٠	١٠٠,٠

البنية التجارية : تميزت التجارة الألمانية السورية بعجز في الميزان التجاري لصالح الصادرات الألمانية إلى سوريا التي كانت تصل المنطقة عبر مرافىء أوروبية وليس مباشرة من ألمانيا . فأحد التقارير لأرشيف التجارة الألماني

يصف **التجارة الألمانية المباشرة** مع سوريا بمنزلة « **الصفر** » [٣٨] وإن ألمانيا كانت تستورد المنتجات السورية عبر بيوتات تجارية في مارسيليا وليفربول وتريست [٣٩] . وكانت ثلاثة أرباع الصادرات السورية ، ومعظمها من الحرير الخام أو الشرانق ، تذهب إلى فرنسا [٤٠] .

أما الصادرات الألمانية إلى سوريا فكانت في معظمها من المنسوجات ، وكذلك بضائع زجاجية وبورسلانية وخاصة ما يسمى بالصحون التركية ، الورق ، الكبريت ، الخردوات ، المصنوعات الكيميائية والصيدلية [٤١] . ويُستخلص من أحد التقارير التجارية أن الخردوات [٤٢] ساهمت بـ ٧٠٪ من جملة الصادرات الألمانية إلى بيروت في عام ١٨٥٠ [٤٣] ، وأنها كانت تعتبر في حينه من التجارات المهمة مع بيروت [٤٤] . وبعد عشرين عاماً على ذلك كانت الخردوات الألمانية قد تراجعت إلى المرتبة الثانية في قائمة الصادرات الألمانية إلى سوريا وحلّت محلها المنسوجات وخاصة تلك المصنعة في منطقة ساكسونيا [٤٥] .

٤ ـ عقبات نمو التجارة بين الدويلات الألمانية وسوريا :

لم يكن ضعف الصناعة الألمانية المعدة للتصدير خلال القرنين الثامن عشر وأوائل التاسع عشر هو الذي اعترض تعزيز التجارة الألمانية مع الشرق فحسب ، بل إن عوامل أخرى لعبت دوراً في إضعاف قدرة البضائع الألمانية المصدرة على المنافسة في الأسواق العالمية . وما ينطبق من هذه العوامل على التجارة الألمانية في ما وراء البحار ينطبق بدوره على التجارة الالمانية مع الساحل السوري وفلسطين ، كالافتقار الى اتصال بحري مباشر بين المرافىء الألمانية والشاطىء السوري وعدم أهلية الجهاز القنصلي الألماني في سوريا وفلسطين في دعم التجارة ، وأخيراً عدم وجود وكالات تجارية ألمانية في المنطقة .

مسألة طرق المواصلات : كانت خطوط المواصلات التقليدية بين المانيا والشرق تمر عبر فيينا أو الدانوب . ولكن التحول الى النقل البخاري قلب الموقف رأساً على عقب ولغير مصلحة التجارة الألمانية . ففي عام ١٨٣٥ دشن الإنكليز أول رحلة سفن بخارية إلى بيروت [٤٦] . وبعد سنوات قليلة سيَّرت شركة لويد Lloyd النمساوية خطاً بخارياً منتظماً من تريست إلى مرافىء الساحل السوري [٤٧] . ومنذ عام ١٨٥١ كانت سفن بخارية فرنسية تعمل بين مارسيليا

والموانىء السورية . كذلك شاركت السفن اليونانية والإيطالية والبلجيكية والروسية في التجارة مع الشرق [٤٨] . هذا التحول إلى السفن البخارية السريعة الرخيصة أضر بالتجارة الألمانية الخارجية . فأحد التقارير لعام ١٨٤٧ يذكر على سبيل المثال ، أن شحن قنطار من البضائع من لندن إلى الآستانة كان يكلف تالين و ١٢ ١/٢ غروشن فضي ، فيما الكمية نفسها المشحونة بالسفن الشراعية من برسلاو إلى الآستانة كانت تكلف ٨ تالات و ١٠ غروشن فضي [٤٩] . . ومنذ الستيناتوبسبب الافتقار إلى أسطول بحري بخاري لألمانيا مع المرافىء السورية كان قسم كبير من الصادرات الألمانية إلى فلسطين وسوريا يأتي على متن السفن الأجنبية القادمة عبر تريست وجزئياً عبر مارسيليا، المرافىء الايطالية، انتورب، روتردام وليفربول. وبسبب كثرة عمليات التفريغ للبضائع وإعادة التحميل والأجور المرتفعة التي كانت شركات السفن الأجنبية تستوفيها من نقل هذه البضائع، فقد كانت التجارة الألمانية مع الشرق عملية غير مربحة[٥٠] .

ورغم هذه الناحية السلبية في العلاقات التجارية بين ألمانيا والشرق ، فإن هذا لا يعني أن السفن الألمانية قد انقطعت تماماً عن المرافىء الشرقية . فإذا ما استثنينا الانقطاعات القصيرة نتيجة الحروب (حرب عام ١٨٦٥) على سبيل المثال ، فإن عدد السفن الألمانية التي كانت تزور ميناء الآستانة منذ الأربعينات كان في تزايد مضطرد [٥١] .

السنة	عدد السفن
١٨٤٦	١٠٩ سفن
١٨٦٢	٣٤٦ سفينة
١٨٦٤	٤٤٤ سفينة
١٨٦٨	٥٧٩ سفينة

كذلك كانت السفن التجارية الألمانية تتردد على ميناء الإسكندرية وقد بلغ عددها عام ١٨٥٨ (٤٢) سفينة [٥٢] . ومع ذلك فقد نظر أصحاب السفن التجارية الألمانية عموماً إلى التجارة الشرقية على أنها عمل غير مربح . ولهذا السبب لم تهتم دول الهنزا ، التي امتلكت أسطولاً تجارياً كبيراً ، في تطوير

علاقاتها التجارية مع الدولة العثمانية ولم يتجاوز عدد سفنها التي زارت ميناء الآستانة عام ١٨٦٤ (٧) سفن [٥٣] . وهذا مما جعلها تحتل المركز السابع بين الدول الأوروبية التي تزور سفنها الميناء المذكور تبعاً لحمولة تلك السفن [٥٤] .

أما عدد السفن الألمانية التي كانت تزور الساحل السوري فيمكن إحصاؤها على أصابع اليد . فيذكر أحد المراقبين المعاصرين في هذا الصدد أن ٥ سفن شراعية ألمانية زارت ميناء بيروت عام ١٨٦٦ من أصل ٣٣٠٤ سفن شراعية و ٣٥٤ سفينة بخارية . وبعد عام على ذلك زارت سفينتان ألمانيتان مرفأ بيروت [٥٥] . وعلى العموم من المفترض أن السفن الألمانية التي كانت تتردد على ميناء بيروت من وقت إلى آخر كانت تزور أيضاً موانىء أخرى على الساحل السوري ومنها موانىء فلسطينية .

ومنذ الثلاثينات من القرن المنصرم ازدادت المطالبة بإقامة اتصال بحري مباشر بين المرافىء الألمانية والشرق وخاصة مع الساحل السوري [٥٦] . وكانت دوائر ألمانية ترى أن المشكلة لا تكمن في عدد السفن الضخمة عابرة المحيطات [٥٧] ، بل في الافتقار إلى سياسة حكيمة في تشغيل الأسطول التجاري ، سواء من جانب بروسيا أو من جانب دول الاتحاد الجمركي. ففي تعليق لصحيفة بروسية لعام ١٨٤٥ جرى انتقاد الحكومة البروسية بسبب عدم مبالاتها حيال هذه المسألة ، فيما الحكومة المذكورة صرفت أموالاً طائلة لتحقيق مشروع مطرانية القدس الإنجيلية . ودعت الصحيفة إلى اتباع سياسة أسطولية عامة متزنة من قبل الاتحاد الجمركي لإحياء التجارة الألمانية مع الشرق [٥٨] . وعند منتصف الأربعينات دعا لوكوك Le Coq ، المبعوث البروسي في الآستانة ، إلى إنشاء خط ملاحة تجاري مباشر بين هامبرغ واستانبول على أن تلحقها خطوة أخرى بتوسيع الخط إلى موانىء الساحل السوري . ولكن مدن الهنزا لم تتحمس للاقتراح لعدم حصوله على دعم بروسي رسمي [٥٩] .

وتقترن الجهود لأجل إقامة اتصال بحري مباشر بين المرافىء الألمانية ومرافىء الساحل السوري باسم رجل الصناعة فردريك هاركوت Friedrich Harkort [٦٠] ، كعضو في مجلس النواب ببرلين وممثل لولاية وستفاليا Westfalen ، وطالب هاركوت عام ١٨٥٢ بإقامة رحلات مباشرة إلى بيروت ومرافىء الساحل السوري عن طريق استخدام قطع مجتمعة من

الأسطول الحربي البروسي كسفن شحن ، أو « **دعم مشروع خاص** » يحقق هذا الهدف [٦١] . ولكن الحكومة البروسية رفضت هذا الاقتراح معللة ذلك بأن تجميع سفن في رحلات تجارية منتظمة إلى الساحل السوري لن يؤدي إلى نجاح تجاري . كذلك لا تصلح السفن الحربية ولا يمكن استخدامها لأغراض النقل التجاري . وأخيراً رأت الحكومة البروسية أن دعم مشروع خاص لهذه الغاية لن يؤدي إلى فائدة تذكر [٦٢] .

والواقع أنه بسبب سلبية الحكومة البروسية تجاه الموضوع ، فإن إقامة اتصال بحري مباشر بين ألمانيا والشرق استغرقت سنوات طويلة [٦٣] .

حالة الجهاز القنصلي : كانت بروسيا عند بداية القرن التاسع ممثلة في سوريا من خلال نائب قنصل (قنصل بعد عام ١٨٣٠) مقره حلب[٦٤] . ونائب قنصل آخر مقره مدينة صيدا ، الذي كانت سلطاته القنصلية تشمل بيروت أيضاً[٦٥]. والواقع أنه لا يمكن الحديث في هذه الفترة عن تمثيل قنصلي بروسي بالمعنى الصحيح ، حيث ان المسألة لم تكن تتعلق بقناصل حقيقيين ، بل بوسطاء أو وكلاء قناصل من عائلات مسيحية محلية كبيشيوتي Piciotti وشاسو Chasseaud غرضهم الأساسي من تمثيل بروسيا هو الحصول على الحماية القنصلية البروسية . ومن وقت إلى آخر كان الأشخاص أنفسهم الذين يمثلون بروسيا هم أيضاً قناصل لدول أوروبية اخرى . فعلى سبيل المثال ، كان روفائيل بيشيوتي عام ١٨٣٦ قنصلاً في حلب لكل من بروسيا وروسيا [٦٦] . هذا فضلاً عن عدم إلمام هؤلاء القناصل باللغة الألمانية ، بل الفرنسية ، فيما بعضهم لم يكن يأخذ عمله القنصلي بجدية [٦٧] . وتحت هذه الظروف لم يكن متوقعاً أن يخدم الجهاز القنصلي في سوريا وفلسطين المصالح التجارية البروسية . ومما زاد المشكلة تعقيداً ليس فقط أن قنصل بروسيا في صيدا كان مسؤولاً في الوقت نفسه عن مدينة بيروت التي تبعد حوالى ٤٠ كلم وعدم تمكنه من القيام بواجباته القنصلية بين المدينتين بالسرعة اللازمة لبعد المسافة في ضوء مواصلات سوريا في القرن التاسع عشر، بل أيضاً إلى عدم إعارة الخارجية البروسية مدينة بيروت الأهمية التي كانت تعيرها لصيدا ، رغم أن الأولى كانت قد بدأت تلعب دوراً تجارياً أكبر من ذي قبل وأصبحت منذ عام ١٨٤٠ مقراً للإدارة العثمانية ، في حين أخذت الثانية تخسر من قيمتها كميناء .

ولم يكن فريدريك هاركورت هو الوحيد الذي أدرك أهمية الشرق بالنسبة للتجارة الألمانية . ففي عام ١٨٤١ طالب كل من كونغسمارك Kônigsmarck ، المبعوث البروسي في الآستانة ، وفريدريك ليست Friedrich List الاقتصادي الألماني الكبير ، كل على انفراد بتحديث الجهاز القنصلي في الشرق وإرسال قناصل ألمان متعلمين متمكنين من اللغات الشرقية إلى أهم المناطق التجارية في الشرق . وأضافا أنه من دون هذه الخطوة فإن التجارة الألمانية لن تشهد ازدهاراً مع الشرق [٦٨] . ويبدو أن وزارة الخارجية البروسية استجابت إلى هذه النداءات وأرسلت في السنة التالية (١٨٤٢) لويس فون فيلدنبروخ Louis von Wildenbruch كقنصل عام على سوريا وفلسطين ، على أن يكون مركزه مدينة بيروت [٦٩] . كذلك أرسل المستشرق أرنست غوستاف شولتز Ernst Gustav Schultz كقنصل على القدس [٧٠] .

وإلى جانب البعثة الدبلوماسية في الآستانة كان لبروسيا في عام ١٨٤٣ ثلاث قنصليات عامة في الدولة العثمانية-في الاسكندرية وبيروت وجاسي . وكذلك إحدى عشرة قنصلية ونيابة قنصلية ، منها إثنتان في سوريا وفلسطين (صيدا والقدس) [٧١] . وفي السنوات التالية وسُعت شبكة القنصليات الألمانية في سوريا وفلسطين بشكل كبير : في عام ١٨٤٨ أرسل المستشرق البرليني يوهان غوتفريد فتزشتاين Johann Gottfried Wetzstein قنصلاً إلى دمشق [٧٢] . وبعد عامين وصل تيودور فيبر Theodor Weber كوكيل قنصلي إلى بيروت [٧٣] . وفي عام ١٨٥٩ عيُن نائب قنصل في طرابلس [٧٤] ، وبعد سنوات ثلاث نائباً آخر للقنصل في صيدا بعد انقطاع طويل [٧٥] . وفي ما يتعلق بفلسطين فقد أسست في عام ١٨٦٨ نيابة قنصلية أو وكالة قنصلية بروسية في كل من عكا وحيفا وطبريا وصفد [٧٦] .

وكانت مهمة هؤلاء القناصل بالدرجة الأولى تعزيز التجارة الألمانية مع سوريا وفلسطين [٧٧] ، أي أن يقوم القناصل ونوابهم وكذلك الوكلاء القناصل بدراسة الأوضاع التجارية في مناطق تواجدهم وإرسال تقارير حول ذلك بصورة مستمرة ومنتظمة مع اقتراحات حول سبل توطيد التجارة الألمانية في المنطقة . وكان عليهم أيضاً أن يزودوا التجار المحليين في فلسطين بنماذج للمصنوعات

الألمانية وما شابه ذلك (٧٨) . وأخيراً كان عليهم تقديم كل مساعدة ممكنة للسفن الألمانية المتواجدة في المرافىء الفلسطينية (٧٩) . وبعدما اشتكت غرفة التجارة في غورليتز Gôrlitz أن هذه الأهداف وحدها لا تفي بغرض تطوير التجارة الألمانية مع الشرق (٨٠) ، أخذ القناصل البروسيون في الشرق يرسلون بناء على تعليمات الخارجية البروسية منذ عام **١٨٥٦** تقارير إضافية عن اسعار العمـلات والأوضـاع المـاليـة في فلسـطين ، والـتي كـان « أرشيف التجارة » Handelsarchiv يعمل بدوره على نشرها (٨١) .

واللافت في أوضاع القنصليات البروسية في سوريا وفلسطين وخصوصاً في الفترة الأولى التي تمتد حتى تأسيس الدولة الألمانية الموحَّدة ، أن القنصليات كانت تفتقر إلى الاعتمادات والمخصصات المالية الكافية لتحقيق المهام الموكولة إليها في تدعيم التجارة . فعلى سبيل المثال ، كان شولتز ، القنصل البروسي في القدس يضطر أن يلاحق الشؤون القنصلية العديدة منفرداً (٨٢) ، وفي سوريا ظلَّ مركز قنصل سوريا العام خالياً من **١٨٤٧ - ١٨٦٦** وكان يُدار من قبل القنصل البروسي العام في القاهرة (٨٣) . وبعد عودة فتزشتاين إلى برلين في عام **١٨٦٢** ظلَّت قنصلية دمشق شاغرة حتى نهاية الستينات (٨٤) . علاوة على ذلك فقد كان فتزشتاين قنصلاً فخرياً ولا يتقاضى أجراً .

وكما ذكرنا سابقاً ، كان المدعو هاركورت مهتماً بتعزيز التجارة الألمانية مع سوريا . ولهذا تقدم عام **١٨٥٢** ، إلى جانب طلبه بإقامة خط ملاحي تجاري مباشر بين ألمانيا وسوريا ، باقتراح بإضافة **١٠٠٠** تال إلى مخصصات القنصلية البروسية في دمشق على أن تحسم من مخصصات القنصلية البروسية العامة في القاهرة (٨٥) . ويبدو أن هاركورت كان مدفوعاً بقناعاته حول مستقبل التجارة الألمانية إلى دمشق وعبرها وأن إضافة مبلغ **١٠٠٠** تال إلى مخصصات القنصلية البروسية هناك سوف يعزز إمكانات القنصل البروسي في دعم التجارة والمصالح الألمانية . ولكن لجنة برلمانية مختصة وجدت أنه ليس هناك ما يبرر طلب هاركورت « **لأن التجارة المباشرة من دمشق وعبرها . . . . لا تشكّل أهمية كبرى لدول الاتحاد الجمركي** » (٨٦) . إضافة إلى ذلك فان دعم قنصلية دمشق يجب أن يكـون عملاً مشتـركاً لـدول الاتحـاد الجمـركي وليس لبـروسيـا وحدها (٨٧) . وعلى ما يبدو فإن موقف اللجنة هذا كان يعود إلى تأثرها بتقارير

بنتز Pentz ، القنصل البروسي العام في مصر وسوريا ، لأن هذا كان يقف موقفاً متحفظاً تجاه احتمالات توسيع التجارة مع الشرق (٨٨) ، خاصة أنه كان يرى التجارة مع مصر أكثر فائدة منها مع سوريا ، وسبب ذلك وجود **١٦** ألف مستوطن أوروبي في القاهرة والإسكندرية(٨٩) .

الافتقار إلى الوكالات التجارية : كان الافتقار إلى وكالات تجارية ألمانية عقبة أخرى أمام تطوير التجارة الألمانية مع سوريا وفلسطين . ففي بيروت على سبيل المثال ، كان يوجد عـام **١٨٨٥** خمس عشرة مؤسسة تجارية أوروبية دون أن يكون من بينها أية مؤسسة ألمانية (٩٠) . وبعد حوالي **٢٠** عاماً يذكر أحد التقارير البريطانية وجود شركات قومسيون ألمانية في دمشق (٩١) . وفي فلسطين اقتصر التمثيل التجاري الألماني على « مؤسسة شبتلر وشركاه » Firma Spittler und Cie. مع فرع لها في يافا (٩٢) .

والواقع أن أهمية التمثيل التجاري لتعزيز التجارة الألمانية في الشرق كان موضع نقاش مستمر . ففي عام **١٨٤١** دعا دلنبوش Dellenbusch في كتابه « **مذكرات تجارية من تركيا** » Merkantil- Memorien aus der Tûrkei رجال الصناعة الألمان في منطقة الراين Rheinland إلى تقليد السياسة الإنكليزية التجارية بتأسيس وكالة تجارية بروسية في الآستانة مع فروع في المرافىء التجارية الهامة في المنطقة تحت اسم « **شركة الليفانت للاتحاد الجمركي الألماني** » Levan- tinische Compagnie des deutschen Zollverbandes وأن تزود الوكـالة بشبَّان ألمان مثقفين يُرسلون إلى الشرق بحيث يتعلمون اللغـات الشرقيـة الضرورية للعمل التجاري (٩٣) . وفيما بقي نداء دلنبوش دون استجابة ، تمكّن لو كوك Le Coq المبعوث البروسي في الآستانة ، عام **١٨٤٤** من إقناع حكومته بإرسال موظف ضليع بالمسائل التجارية إلى العاصمة العثمانية . وفي العام نفسه وصل ليفنهاغن Levenhagen إلى الآستانة ليكـون مستشاراً في الشؤون الاقتصادية (٩٤) ، أي ليعمل كملحق تجاري . وفي عام **١٨٥٠** أكد بنتز Pentz قنصل بروسيا العام في القاهرة اهمية الوكالات التجارية في ازدهار التجارة الألمانية مع الشرق ، إذ قال إنه في غياب وكالات تجارية ألمانية :

«إن جميع الجهود لإعطاء التجارة المباشرة مع الشرق شأناً أكبر ستظل دون جدوى، وكذلك من النادر ان تنجح جميع هذه المحاولات لحل المسألة بارسال البضائع

وبيعها إلى بيوتات تجارية شرقية »[٩٥] .

ويبدو أن رجال الصناعة الألمان لم يكونوا متحمسين إلى توسيع أعمالهم مع الشرق . وقد اقتصر تشجيع التجارة الألمانية مع الشرق على محاولات فردية من قبل بعض أصحاب الفبارك في منطقتي الراين ووستفاليا عن طريق إرسال وكلاء تجاريين إلى المرافىء الشرقية [٩٦] ، مما حمل القنصل البروسي العام في القاهرة على انتقاد هذه السياسة ، إذ رآها تضر أكثر مما تنفع ، خاصة عندما كانت مدة إقامة الوكيل التجاري قصيرة جداً لا تتجاوز الأسابيع ، وبالتالي عدم تمكنه خلال تلك الفترة من الحصول على معلومات دقيقة عن الأوضاع الاقتصادية والتجارية في المنطقة [٩٧] .

٥ ـ النشاطات الاستيطانية الألمانية في الشرق وسوريا وفلسطين بشكل خاص :

أبدى الرأي العام الألماني منذ العشرينات من القرن التاسع عشر اهتماماً متزايداً بمسألة الاستيطان في منطقة الشرق العثماني . وكان هناك دافعان يحركانه : تنظيم الهجرة الألمانية إلى الشرق بدلاً من العالم الجديد ، مما قد يمكن ألمانيا من أن تلعب دوراً سياسياً هناك ، وثانياً أن تشارك ألمانيا كقوة عظمى في ميراث الأمبراطورية العثمانية المنهارة أسوة ببقية الدول الأوروبية . وبالإضافة إلى هذه الدوافع السياسية فقد كان للتوسع الألماني نحو الشرق اقتصادياً واستعمارياً واستخدام آسيا الصغرى كمنطقة امتصاص للفائض البشري الألماني كانت له أصداؤه لدى طبقات الشعب الفقيرة من الفلاحين والحرفيين ، كما كان محركاً لطبقات أخرى من الشعب الألماني ، كرجال الصناعة الباحثين عن المواد الخام لصناعاتهم والأسواق لتصريف منتجاتهم وأصحاب الرساميل الساعين لتوظيف أموالهم وشركات المقاولات المدعومة من البنوك وتسعى وراء المشروعات وأخيراً الأفراد المدفوعين دينياً ويريدون الاستيطان في الأراضي المقدسة . وفي هذا القسم من الكتاب سوف لن نتطرق إلى كل هذه المشروعات ، بل إلى ما يتعلق منها بفلسطين [٩٨] .

النمو السكاني والهجرة من المانيا : لا بد للباحث في المشروعات الاستيطانية الألمانية في الدولة العثمانية أن ينظر إليها من خلال خلفيتها

السكانية الاقتصادية . فالقرن التاسع عشر يسجل نسبياً زيادة قوية في النمو السكاني بألمانيا يقابله بطالة وركود اقتصادي في بعض فترات هذا القرن وخاصة نصفه الأول . ففي حين لم يزد عدد سكان ألمانيا في عام ١٨١٦ عن ٢٤,٨ مليون نسمة ، هذا الرقم ارتفع إلى ٢٩,٥ مليون نسمة في عام ١٨٣٠ ليصل إلى ٤١ مليوناً حين تأسيس الرايخ الألماني في ١٨٧٠[٩٩]. ورغم انه ثبت في ما بعد عدم صحة اعتبار هذه الزيادة « **اكتظاظاً سكانياً** » ، إلا أن التصنيع ضرب مورد الرزق للعديد من الحرفيين والعاملين في قطاع الصناعات المنزلية والزراعة . فكثير من هؤلاء وجدوا في الهجرة وبشكل خاص نحو أميركا ، مخرجهم الوحيد من أزمتهم الاقتصادية [١٠٠] . وخلال سنتي المجاعة في عامي ١٨١٦ و ١٨١٧ بألمانيا حدثت أولى موجات الهجرة ، لكن أعداد المهاجرين عادت وتراجعت في السنوات التالية ، لتعود مرة أخرى إلى الارتفاع مجدداً منذ الأربعينات ليستقر على معدل سنوي بين ٦٠ ألفاً إلى ١٠٠ ألف .

موقف الحكومة البروسية من الاستيطان : كنا قد أشرنا في الفصل المتعلق بإنشاء مطرانية القدس الإنجيلية ، أن من أهداف إنشائها كان توطين جماعات يهودية متنصرة [١٠١] . والواقع أن مخططات بونسن كانت أبعد بكثير من مجرد توطين بعض المرتدين من اليهود في القدس . فمن خلال دعم بريطاني كان بونسن يأمل في شراء أراض في فلسطين لتوطين مهاجرين ألمان وتشغيلهم بالزراعة [١٠٢] . وعن طريق تقوية العنصر الألماني في فلسطين كان يؤمل تعزيز التجارة الألمانية مع سوريا وفلسطين[١٠٣] . وفي خريف ١٨٤١ كُلّف كونغسمارك ، المبعوث البروسي في الآستانة ، مهمة وضع دراسة حول إمكانات الاستيطان في الدولة العثمانية . وفي تقريره بتاريخ ٦ تشرين الأول ١٨٤١ [١٠٤] نصح كونغسمارك حكومته بإنشاء جمعية :

> « تأخذ على عاتقها في ظروف طبيعية وإشراف منظم ، تجميع المستوطنين (الراغبين الاستيطان في الدولة العثمانية) وتسفيرهم إلى الشرق وتنظيمهم سياسياً ومدهم بالمال في مراحل الاستيطان الأولى » .

كذلك رأى وجوب أن تكون للمستوطنين السيطرة الكاملة على أراضيهم . لكن كونغسمارك استدرك ليحذر حكومته من تخصيص الأموال الكثيرة لهذا المشروع . فالاستيطان يجب أن يكون نواته فقراء ألمان من

البروتستانت . ورأى كونسغمارك أنه يمكن تحقيق ثلاثة أهداف من خلال الاستيطان في الدولة العثمانية :

« وسيلة فعالة للحضارة وازدهار المنطقة وتنميتها تحت السيطرة العثمانية ، أن تكون منطقة لفقراء الألمان الذين يباعون ويُضحّى بهم في الوقت الحاضر في العالم الجديد، أن تكون منطقة تسويق للمنتجات الصناعية لدول المنشأ » .

وفيما أراد اللورد بالمرستون دعم بروسيا في خططها لامتلاك أراض في الدولة العثمانية [١٠٥] ، لم يكن خليفته في الخارجية اللورد أبردين على استعداد لأن يربط بين المشاريع السياسية والاستعمارية وبين مشروع مطرانية القدس الإنجيلية التي جعلت من بروسيا وبريطانيا شريكين ، إذ كان يرى في مشروع المطرانية مشروعاً دينياً بحتاً [١٠٦] .

كذلك اتخذت الحكومة البروسية في تلك المرحلة وفي أعقابها موقفاً متحفظاً تجاه مشروعات الاستيطان الألمانية في الدولة العثمانية . وبعدما حاول في بداية الأربعينات من القرن الماضي عدد من الألمان الذين كانوا قد استوطنوا في منطقة جنوب روسيا خلال عصر القيصر الكسندر الأول ، الحصول على دعم حكومتهم في الهجرة إلى آسيا الصغرى ، رحّب لو كوك ، المبعوث البروسي في الآستانة ، بالفكرة ورأى أن تتعاون الحكومتان البروسية والروسية للحصول على موافقة الباب العالي حول الموضوع . ولكن الجهات المسؤولة في برلين شكّكت في إمكان الحصول على دعم روسي للقضية وقررت عدم التورط في المسألة [١٠٧] . ومما دفع الحكومة البروسية لاتخاذ هذا القرار كان التجربة الاستيطانية الفاشلة لمستوطنين ألمان في سمرنة عام ١٨٤٩ [١٠٨] . وحتى «مرسوم الاستيطان» لعام ١٨٥٧ الذي أصدرته السلطات العثمانية لمصلحة الأجانب مقابل قبولهم الجنسية العثمانية لم يزحزح الحكومة البروسية عن موقفها السابق المعلن [١٠٩] . ويبدو ان الباب العالي رحب آنذاك بقدوم مستوطنين ألمان إلى آسيا الصغرى ، ولكن الحكومة البروسية لم تستجب للنداء لأنها كانت لا تحبذ من حيث المبدأ هجرة رعاياها إلى الدولة العثمانية ، إذ كانت تجربة سمرنة لا تزال في الأذهان . كذلك لم تشأ الحكومة البروسية أن تأخذ الهجرة اتجاهاً معيناً [١١٠] . وعندما أصدرت الحكومة العثمانية عام ١٨٦٧ قانون التملُّك ، الذي سهّل كثيراً على الأجانب امتلاك الأراضي ، حذرت الحكومة

البروسية علناً من التورط في مشروعات استيطانية كون الباب العالي لا يحبذ في الواقع استيطان أجنبي داخل السلطنة . ولكن الدافع الحقيقي لمواقف الحكومة البروسية الرافضة للاستيطان هو موقف بروسيا العام المتحفظ تجاه المسألة الشرقية ، إذ خشيت أن تتورط في نزاعات حربية مع دول أخرى مهتمة بالمنطقة من جراء استيطان رعاياها في الشرق [١١١] .

الرأي العام الألماني والاستعمار :

خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر ولأسباب اقتصادية وسكانية ، كثر الحديث في ألمانيا لدى أوساط الرأي العام الألماني حول توقعات الاستيطان في أراضي الدولة العثمانية ، من دون إيلاء معطيات الوضع في الشرق ما تستحقه من اعتبار .

فبالنسبة لفردريك ليست Friedrich List ، الاقتصادي الألماني ، فقد اعتبر مستقبل ألمانيا كدولة برية يقع في الشرق . وكغيره من معاصريه ، الذين كانوا يتوقعون انهيار الدولة العثمانية ، طرح لِيسْت تساؤلاً على الألمان [١١٢] :

« هل تريد ألمانيا المعروفة بمهارة سكانها في إنشاء المستوطنات والمؤسسات في دول أجنبية أن تخرج فارغة اليدين من المشاركة في صنع الحضارة بآسيا وأيضاً في تقسيم المغانم التي تنتظر » .

وبعد عودته من الشرق نشر هلموت فون مولتكه انطباعاته عن الدولة العثمانية لافتاً النظر إلى المغانم التي تنتظر الألمان ، فقال : [١١٣]

« كم لا تزال هنا قوى الطبيعة دون انتفاع بها . كم هي الغابات الواسعة غير المستغلة للافتقار إلى الطرقات . كم هي مواد البناء الموزعة هنا وهناك . أية ثروات تحويها هذه الجبال . كم هناك من أشياء مشابهة باقية حتى اليوم تنتظر الاستغلال فقط » .

وفي العام نفسه نشر مولتكه بإسم مستعار في صحيفة ألمانية [١١٤] خطته لإقامة إمارة مسيحية ألمانية في فلسطين يحكمها أمير ألماني **« لأن ألمانيا تتمتع بميزة سلبية هي أنها ليست قوة بحرية . ولكن من خلال استخدام الدانوب والمرافىء النمساوية على البحر الأدرياتيكي فإن طريقاً تجارياً ثانياً مفتوح أمامها للوصول إلى الشرق »** . ورأى مولتكه أن مهمة هذه الدولة

« حماية الملكية والفرد وإعطاء المشروعات الصناعية والتجارية الأمن ، والتسامح تجاه مشروعات التعليم الروحية الأخرى وإقامة العدل والعدالة » . ومن الناحيتين العسكرية والاستراتيجية لفت مولتكه الانتباه إلى أن فلسطين هي « بمثابة سور أمامي لسوريا أمام مصر » ، فيما لو سقطت مصر في يد غير العثمانيين وشاء العثمانيون مهاجمة مصر لاسترجاعها . وبطريقة غير مباشرة أراد مولتكه أن يلفت نظر العثمانيين إلى أن وجوداً ألمانياً في فلسطين هو ضمانة لاستمرار سيطرتهم على سوريا ومصر . ومن خلال مراسلاته إبَّان مفاوضات المطرانية في لندن لا يتضح ما إذا بونسن قد علم بخطة مولتكه هذه . ولكن يمكن الافتراض بأن مولتكه أراد التوقيت لنشر مقالته لكي يكون لها وقعها في المفاوضات بين بلاده وبريطانيا .

ولم تكن كتابات بونسن هي الوحيدة التي تطرقت إلى مشروعات الاستيطان الألمانية في الشرق . فقد اهتمت كبريات الصحف الألمانية الجنوبية بلفت انتباه الألمان إلى ما ينتظرهم من ثروات في الشرق العثماني (١١٥) . كذلك كرَّست صحيفة بروسية واسعة الانتشار مقالات عدة للحديث عن الاستيطان في آسيا الصغرى (١١٦) . وعندما نشر البريطاني وليم هاملتون في عام ١٨٤٢ كتابه الشهير عن آسيا الصغرى ودعا إلى تقسيم الأمبراطورية العثمانية بين إنكلترا وفرنسا وروسيا ردَّت الصحيفة المذكورة عليه بأن:

« آسيا الصغرى من سينوب حتى قبرص مصيرها للألمان وأن القدر كفيل بتحقيق ذلك » (١١٧) .

ولم تكن وجهات نظر الليبراليين والاشتراكيين من الاقتصاديين والسياسيين تختلف كثيراً عن غيرها . فقد اعتبر الاشتراكي فرديناند لاسّال Ferdinand Lassalle مؤسس الحركة العمالية الألمانية ، أن الثورة الألمانية هي « المرشحة الطبيعية للمسألة الشرقية » (١١٨) . وبعد تشكيلها في فرانكفورت عام ١٨٤٨ أرسلت الحكومة المركزية المؤقتة الأمير كلودفيغ هوهنلوهي - شيلنغسفورست Chlodwig zu Hohenlohe Schillingsfürst - إلى الشرق لدراسة إمكانيات الاستعمار . وبعد زيارته لفلسطين رأى أن الظروف مناسبة للبدء بسياسة استعمارية ألمانية. فكتب في يومياته (١١٩) :

« إذا كنا نستطيع الحصول على قبرص ورودس باتفاق سلمي مع الحكومة التركية أو من خلال استغلال إحدى أزمات المسألة الشرقية ، فإننا نكسب من جراء ذلك ملجأ لآلاف الكادحين (الألمان) ، نكسب مرافىء وسفناً تجارية ربحرية وبحارة . وعلينا أيضاً ألا نغض الطرف عن سوريا وآسيا الصغرى ونترك المنطقة للروس والإنكليز . لذلك من المفيد قبل أي شيء عدم إرسال أساقفة بروتستانت ومبشرين إلى هناك (فلسطين) ، بل شد أزر العالم الكاثوليكي في الشرق . . . حتى الآن فإن انطباعات المرء في الشرق عن النمسا غير جيدة ، عن بروسيا أنها تدعم المطران البروتستانتي وتنصر اليهود . أما عن المانيا فإن أحداً لا يعرف شيئاً عنها . إن أكثر درجات الإحباط أن يسافر المرء إلى الشرق كالماني . . . نعم، لماذا نشكو . لننقذ ما يمكن إنقاذه » .

وقرابة ذلك الوقت قام عالم الآثار لودفيغ روس Ludwig Ross بدعم مالي من الملك البروسي فريدريك وليم الرابع ، برحلة علمية إلى آسيا الصغرى حيث عثر على منطقة استيطان مناسبة للمهاجرين الألمان . وكان روس مقتنع بأن الاستيطان ليس مسألة تعني دولة ألمانية منفردة ، بل يجب أن تكون مسألة قومية ألمانية . ولكن مقترحاته التي دوَّنها في كتابه « آسيا وألمانيا » بإنشاء جمعية استيطانية تملك رأسمال وبإقامة مستوطنات مغلقة تضم ما بين ٥٠٠٠ إلى ١٠٠٠٠ ألماني ، كانت خيالية كالمشروعات الأخرى التي وضعت في هذا القبيل (١٢٠) :

نشاطات استيطانية متفرقة :

من خلال مطالعاتنا يتبين أنه ليست هناك علاقة بين الخطط الخيالية التي أتينا على ذكرها وبين المحاولات المتفرقة التي حدثت بالفعل لاستعمار فلسطين . فمعظم المهاجرين إلى الأراضي المقدسة كانوا من المدفوعين دينياً ولم تكن لديهم خطط منظمة لتنمية استيطان ألماني في فلسطين (١٢١) . ولقد رأينا في الفصل الثاني الفشل الذي لحق بمشروعات شبتلر الاستيطانية .

وفي الخمسينات نجح عدد من العمال الحرفيين من منطقة الراين في الوصول الى القدس (١٢٢) . وإلى بيروت وصل عدد من الألمان من منطقة فوبرتال Wuppertal للعمل في الزراعة (١٢٣) ولكنهم سرعان ما تخلوا عن مشروعهم وانتقلوا إلى فلسطين حيث أسسوا مستوطنة في منطقة بين بيت لحم والخليل ، ثم انتقلوا مرة أخرى إلى مقربة من يافا . وقد حالفهم الحظ في

البداية فضمت مستوطنتهم نحو ألف شجرة فاكهة إلى جانب عدد كبير من أشجار التوت [١٢٤] . وبعد سنوات اضطروا بسبب مشكلات الري والنزاع مع السكان المحليين إلى التخلي عن المشروع [١٢٥] . كذلك كان مصير مستوطنة أقامها المدعو فيليب هوخشتاتر Philipp Hochstetter عند مدينة الناصرة [١٢٦] .

وبعدما أعلن فيليب ولف Philipp Wolff ، أحد مشجعي الاستيطان الألماني في فلسطين ، في صحيفة ألمانية عام ١٨٦١ بأنه يمكن تحويل فلسطين إلى مستعمرة ألمانية بواسطة ٣٠٠٠ مستوطن مسلح ، اضطر القنصل البروسي العام في دمشق فتزشتاين Wetzstein إلى تحذير القراء من الأخذ بمشروعات وولف لأنها ستفشل حتما حيث أن الدولة العثمانية لا ترحب بالفعل باستيطان أجنبي على أراضيها [١٢٧] .

وبإصدار الدولة العثمانية لمرسوم الملكية عام ١٨٦٧ ، الذي سهَّل على الأجانب امتلاك الأرض في السلطنة ، بدا أن عقبة رئيسية في وجه الاستيطان الألماني بفلسطين قد زالت من الوجود . وفي ذلك الوقت بدأ عدد من الأميركيين بإقامة مستوطنة زراعية على مقربة من يافا [١٢٨] . وفي فيينا أسس المدعو كولمان Kuhlmann « **جمعية الحياة النموذجية ولتوسيع الوطن الأم (الغرب) على حساب الشرق** » [١٢٩] . ولكن دعوته لاستعمار الشرق بواسطة ألف مسلح ألماني ومطالبته الرأسماليين الألمان باستغلال « **أموالهم الفائضة** » في استعمار الشرق كانت أكثر من خيالية [١٣٠] .

ولكن الألمان الوحيدون الذين حققوا نجاحاً طويل الأمد في حقل الاستعمار كانوا جماعة التمبلر أو الهيكل Tempelgesellschaft واليهود [١٣١] . فاليهود دعموا نشاطاتهم الاستيطانية منذ عام ١٨٧٠ عندما أسس الأليانس الإسرائيلي العالمي مدرسة « **ميكفة إسرائيل** » Mikweh- Israel عند يافا بهدف تلقين اليهود أسس الزراعة الحديثة والحرف [١٣٢] .

بداية الاستيطان الألماني في فلسطين (جمعية الهيكل الألمانية) :

نشأت جمعية الهيكل الألمانية في الأربعينات من القرن التاسع عشر في منطقة فورتمبرغ كحركة دينية انشقت عن الكنيسة البروتستانتية ووقفت موقفاً

ناقداً ومعارضاً لسياسة الكنائس عامة في عدم التصدي للفساد الاجتماعي وخلق الإنسان « **الصحيح** » كما أرادت المسيحية في الأصل . وفي عام ١٨٥٤ أسس كريستوف هوفمان Christoph Hoffmann « **جمعية جمع شعب الله في القدس** » Gesellschaft fûr die Sammlung des Volkes Gottes in Jerusalem التي أطلق عليها منذ عام ١٨٦١ « **المعبد الألماني** » Der Deutsche Tempel [١٣٣] .

وفي عام ١٨٥٨ قام عدد من أعضاء الجمعية برحلة استكشاف إلى فلسطين لدراسة ظروف الاستيطان الأجنبي هناك . ولكن تقدماً حقيقياً في هذا المضمار لم يحصل قبل صدور مرسوم الملكية العثماني لعام ١٨٦٧ . وبوساطة وليم هوفمان Wilhelm Hoffmann ، شقيق كريتسوف، رئيس الوعاظ في البلاط البروسي ببرلين ، حصل أعضاء جمعية الهيكل لأسباب إنسانية على دعم دبلوماسي من اتحاد شمال ألمانيا Norddeutscher Bund لمشروعاتهم الاستيطانية في فلسطين [١٣٤] . ولكن فيبر Weber القنصل البروسي في بيروت حذَّر الهيكليين من الإقدام على أية خطوة قبل الحصول على موافقة عثمانية رسمية . وبعد تعذر الحصول عليها قرر الهيكليون البدء بإنشاء مستوطناتهم . وفي عام ١٨٦٩ تأسست أولى المستعمرات في حيفا وفي يافا ، وبعد سنتين على ذلك تأسست مستوطنة أخرى في ساورنا ورابعة في عام ١٨٧٣ عند القدس . ورغم ما اعترضتهم من صعاب فقد استطاع الهيكليون أن يطوروا مشروعاتهم الاستيطانية على أسس اقتصادية صحيحة [١٣٥] .

٦ ـ خلاصة :

كان التغلغل المضطرد لبروسيا والدويلات الألمانية في أسواق الشرق الأدنى والبحث عن إمكانات للاستعمار في المنطقة نتيجة حتمية للتقدم الصناعي وازدياد السكان في ألمانيا خلال القرن التاسع عشر . بيد أن المرء لا يستطيع أن يتحدث في تلك الفترة عن سياسة تجارية بروسية أو ألمانية حقيقية في الشرق . كذلك الأمر فإن مشروعات استيطانية كثيرة لم يُكتب لها النجاح . والواقع أن الدويلات الألمانية المجزأة سياسياً كانت ضعيفة اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً بالقدر الذي لم يسمح لها بمشاركة الدول الأوروبية الأخرى في تأمين أسواق عبر البحار .

ولم تستطع المعاهدات التجارية التي عقدتها بروسيا ودويلات ألمانيا في الأربعينات والستينات مع الدولة العثمانية ، توسيع حجم التجارة الألمانية مع الشرق . فقد انحصرت الصادرات الألمانية إلى الدولة العثمانية بمنتجات تقليدية كالمنسوجات والأدوات الحديدية . وبمقارنة الصادرات الألمانية إلى سوريا وفلسطين بالصادرات الألمانية عامة نجد أنها كانت أقل من ١/١٠٠٠ [١٣٦]

ولعل إعادة بناء الجهاز القنصلي البروسي في سوريا وفلسطين التي بدأت في الأربعينات من القرن الماضي واستمرت خلال عصر بسمارك ، كانت خطوة مستقبلية هامة لتحسين التبادل التجاري والمصالح الاقتصادية الألمانية في المنطقة .

وفي ما يتعلق بالاستيطان فقد كانت مستوطنات جمعية الهيكل هي الوحيدة التي كتب لها النجاح بين كل المشروعات الاستيطانية الألمانية من دون دعم رسمي . حقيقة أن المستعمرات كانت صغيرة من حيث حجمها وعدد أفرادها ، إلا أنها شكلت الأقوى لناحية الاستيطان الأوروبي في فلسطين ، باستثناء المستعمرات اليهودية [١٣٧] . وقد دفعت مستوطنات الألمان من خلال استخدام التقنيات الحديثة في مجال الزراعة والتجارة والخدمات السكان العرب إلى الاقتداء بها [١٣٨] .

الفصل العاشر

المصالح التجارية والاقتصادية الألمانية في سوريا وفلسطين

(منذ تأسيس الرايخ حتى بداية القرن العشرين)

١ ـ المصالح الاقتصادية الأوروبية في الدولة العثمانية :

المعالم الرئيسية لسياسة الاختراق الاقتصادية : في الربع الأخير من القرن التاسع عشر كانت حال السلطنة العثمانية قد وصلت إلى ما يشبه « **مستعمرة أوروبية** » . وكانت سياسة الاستدانة من الغرب أهم وسائل الاختراق الأوروبي للاقتصاد العثماني . فخلال حرب القرم ١٨٥٣ ـ ١٨٥٦ اضطر الباب العالي لأول مرة إلى الاستدانة من البنوك الأجنبية . ومنذ ذلك الحين سارت الدولة العثمانية في هذا الاتجاه حتى بلغت الديون الخارجية في عام ١٨٧٥ نحو ٢٠٠ مليون ليرة عثمانية ذهبية ، فيها نسبة الفوائد على الديون التي كان على الحكومة العثمانية أن تسددها سنوياً وصلت إلى ١٤ مليوناً من الليرات العثمانية الذهبية [١] . هذا التدهور المالي والاقتصادي دفع الحكومة العثمانية في عام ١٨٧٥ إلى إعلان إفلاسها والتوقف عن دفع الديون . ومما ساعد على زيادة الانهيار الكوارث العسكرية التي لحقت بالدولة نتيجة حربها مع روسيا في عامي ١٨٧٧/١٨٧٨ . وفي عام ١٨٨١ أعلنت الحكومة العثمانية إفلاسها مجدداً ، مما أفسح المجال أمام الدول صاحبة الديون بإحكام قبضتها على الاقتصاد والمالية العثمانية ، حيث شكّلت الدول المدينة وهي بريطانيا وهولندا وفرنسا وألمانيا

والنمسا ـ هنغاريا وإيطاليا « **مجلس إدارة الدين العمومي العثماني** » Conseil d'Administration de la dette Publique Ottomane ، الذي حصل على صلاحيات واسعة للإشراف على عائدات الدولة المالية وتنظيم احتكارها . وباختصار فقد وضع هذا المجلس مقدرات الدولة العثمانية الاقتصادية والمالية تحت سيطرته [٢] .

أما الوسيلة الأخرى التي زادت من تبعية الدولة العثمانية لأوروبا ، فكانت مشروعات بناء خطوط المواصلات الحديدية ، التي بدأت في الخمسينات من القرن المنصرم وكانت تنفذ بشكل رئيسي من قبل الشركات الأجنبية بضمانة حكومية . وفي الفترة من ١٨٨٨ إلى ١٨٩٨ تضاعفت شبكة المواصلات الحديدية العثمانية مرتين ونصف المرة ، من ١٦٩٢ كلم إلى ٤٢٤٨ كلم ، وفي الوقت نفسه ازداد تغلغل رأس المال الأوروبي في الاقتصاد العثماني [٣] .

ومما زاد الوضع الاقتصادي سوءاً أن سياسة الدولة العثمانية التجارية كانت تفرض من قبل الدول الأوروبية وفي غير مصلحة الاقتصاد الوطني العثماني . ففي الفصل السابق رأينا تأثير معاهدة بلطا ـ ليمان التجارية (١٨٣٨) على الدولة العثمانية . وفي بداية الستينات أجبر الباب العالي بضغط بريطاني على عقد معاهدات تجارية حُددت فيها ضريبة الاستيراد على البضائع الأوروبية بـ ٨٪ وعلى التصدير من السلطنة إلى ١٪ . وعندما حاول الباب العالي في الثمانينات والتسعينات من القرن الماضي رفع ضريبة الاستيراد جُوبه بمعارضة شديدة . ولم تتمكن الدولة العثمانية من عقد معاهدة تجارية جديدة ترفع فيها نسبة الضريبة على الاستيراد سوى تلك التي عقدتها في عام ١٨٩٠ مع ألمانيا . وحتى هذه المعاهدة بقيت حبراً على ورق ولم يتم التصديق عليها ، إذ انها ارتبطت بشرط ألماني هو عقد الدول الاوروبية الأخرى لمعاهدة مماثلة مع السلطنة [٤] ، وهو ما كانت الدول الأوروبية ترفضه بالطبع .

مركز ألمانيا في التجارة الشرقية : في نهاية القرن التاسع عشر كانت ألمانيا قد أصبحت دولة صناعية . ولكن هذا النمو الصناعي رافقته أزمات صعبة . فبعد فترة من الانتعاش الاقتصادي في أعقاب الحرب مع فرنسا ، واجهت الصناعة الألمانية فترة ركود من ١٨٧٣ ـ ١٨٧٩ ، فانتعاش قصير ثم أزمة

اقتصادية جديدة من ١٨٨٢ إلى ١٨٨٦ ومن ١٨٩٠ إلى ١٨٩٥ فانتعاش غير مستقر حتى نهاية القرن التاسع عشر [٥] . ومن معالم الأزمات الاقتصادية زيادة الانتاج الصناعي على القدرة الاستهلاكية والتصديرية وزيادة السكان من ٤١ مليون نسمة في عام ١٨٧١ إلى ٦٥ مليوناً في عام ١٩١٣ ، وأخيراً الهجرة الضخمة إلى العالم الجديد التي بلغت ٣,٥ ملايين شخص ما بين عامي ١٨٦١ و١٩١٣ [٦] ـ هذه القضايا دفعت منذ نهاية السبعينات وبداية الثمانينات إلى المناداة بتقوية الصادرات الألمانية وممارسة سياسة استعمارية نشطة . ووسط هذه الدعوات لعب المشرق العثماني دوراً بارزاً كمنطقة تستطيع حل مشكلات تصريف المنتجات الألمانية [٧] .

والواقع أن اختراق الأسواق العثمانية جاء نتيجة توطيد العلاقات الألمانية العثمانية منذ الثمانينات من القرن الماضي . ففي عام ١٨٨٣ أرسلت إلى الأستانة البعثة العسكرية الألمانية برئاسة الجنرال كولمار فون در غولتز Colmar Freiherr von der Goltz [٨] . وفي عام ١٨٨٩ قام الأمبراطور وليم الثاني بزيارة السلطان عبد الحميد الثاني في العاصمة العثمانية [٩] . وقد ترافق ذلك مع تأسيس « خطوط الملاحة الألمانية الشرقية » Deutsche Levante-Linie [١٠] . وقرابة الوقت نفسه (١٨٨٨) حصلت شركات ألمانية على امتيازات لبناء عدد من خطوط السكة الحديدية في الأناضول بدأ العمل فيها مع مستهل التسعينات [١١] . ومنذ ذلك الحين ازدادت العلاقات التجارية الألمانية بالدولة العثمانية بشكل كبير ، كما يتبين من الجدول رقم(٤):

جدول رقم (٤)ـ تجارة ألمانيا مع الدولة العثمانية ١٨٨٨ ـ ١٩٠٠
(آلاف الماركات) [١٢]

السنة	صادرات عثمانية	واردات عثمانية	
		الإجمالي	أسلحة ومعدات لبناء سكة حديد
١٨٨٠	١٩٣٦	٦٤٢٣	
١٨٨٨	٢٣٦١	١١٧١٣	٢٢٦٩
١٨٨٩	٧٠٨٦	٢٩٨٩١	٦٤٢٣
١٨٩٠	٩٦٠٧	٣٤٠٧٩	٨٨٥٦
١٨٩١	١٣٨٧٧	٣٧٠٢٧	٥٨٦٠
١٨٩٢	٢٧٩٥٢	٣٩٧٢٦	١٠٠٩٥
١٨٩٣	١٦٥٦٦	٤٠٩٦١	١٣٠٥٦
١٨٩٤	١٨٨٣٧	٣٤٣٨٤	٥٩٨٠
١٨٩٥	٢٢٠٤٤	٣٩٠٢٨	١٢٢٣٨
١٨٩٦	٢٥٨٧٠	٢٨٠٢١	٤٣٦٧
١٨٩٧	٣٠٤٥٩	٣٠٩٢١	١٦٤٦
١٨٩٨	٢٩٤٨١	٣٧٠٧٥	
١٨٩٩	٢٨٩٠٠	٣٢٦٠٠	
١٩٠٠	٣٤٣٥٠	٣٤٣٥٠	

ويلاحظ من الجدول ارتفاع حجم الصادرات الألمانية إلى الدولة العثمانية بشكل كبير وأنها تجاوزت حجم الاستيراد من الدولة العثمانية ، وأن الزيادة الكبيرة في الصادرات تعود إلى تصدير معدات حربية ومواد بناء للسكك الحديدية . وفي عام ١٨٩٣ ، أي عندما عرفت الصادرات الألمانية إلى الدولة العثمانية زيادة كبيرة ، بلغت الصادرات الألمانية من المعدات الحربية ومواد

البناء لخطوط السكك الحديدية نسبة ٣١,٨٪ من إجمالي الصادرات الألمانية إلى الدولة العثمانية في السنة المذكورة .

واحتلت المنسوجات المكان البارز في قائمة الصادرات الألمانية إلى الدولة العثمانية ، والتي كانت تصل في حجمها إلى نصف الصادرات الألمانية إلى السلطنة . وبعد الصناعات النسيجية حلَّت المصنوعات الحديدية . وقرابة نهاية القرن التاسع عشر أخذت المنتجات الصيدلية والكيميائية وكذلك المصنوعات الجلدية والورقية والبورسلان والصناعات الخزفية تتدفق على أسواق الدولة العثمانية [١٣] .

وفي مقابل هذه الصادرات كانت ألمانيا تستورد المواد الخام والمنتجات الزراعية على اختلافها [١٤] : الحبوب ، الخشخاش ، السمسم ، العصفر ، الأفيون ، البندق ، الجوز ، الزبيب ، التين ، التمر ، زيت الزيتون ، النبيذ والتبغ .

المنتجات الحيوانية : فرو الخراف والماعز ، جلود حيوانية ، العظم .
المعادن : الكروم ، الصنفرة ، القار ، البوراكس .

وفي عام ١٨٩٨ وطبقاً لتقديرات ألمانية رسمية بلغت قيمة رأس المال الألماني الموظف في الدولة العثمانية ٤٠٠ مليون مارك ، منها ٢٢٥ مليوناً مستثمرة في مشروعات بناء خطوط المواصلات الحديدية [١٥] . أما حصة ألمانيا في الدين العثماني فبلغت ١٢,١٪ من اجمالي الدين [١٦] .

ورغم ازدهار العلاقات التجارية الألمانية العثمانية منذ التسعينات ، فقد ظل مركز ألمانيا التجاري في نهاية القرن الماضي متأخراً عن بقية الدول الأخرى . فلم تتجاوز حصة ألمانيا المئوية من إجمالي الصادرات إلى الدولة العثمانية الـ ٦٪ [١٧] ـ هذه النسبة جعلت ألمانيا تحل بين المرتبتين السادسة والرابعة بين الدول الأوروبية المصدرة [١٨] .

٢ ـ التجارة الألمانية مع سوريا :

ركود التجارة السورية : تحول الازدهار التجاري الذي عرفته التجارة الأوروبية في سوريا وفلسطين بعد حرب القرم إلى ركود اقتصادي استمر حتى

التسعينات من القرن الماضي ، ثم عودة من جديد إلى انتعاش قرابة نهاية القرن [١٩] . وتعود أسباب الركود إلى التقلبات التي طرأت على التجارة في المنطقة بتحول خطوط المواصلات الدولية بافتتاح قناة السويس عام ١٨٦٩ . فتجارة الترانزيت مع بغداد التي كانت سبباً في ازدهار دمشق وحلب كمركزين تجاريين شُلت بشكل كبير نتيجة انفتاح طريق البحر أمام بغداد [٢٠] . وإضافة إلى ذلك ساعد الانخفاض الملحوظ والمتواصل في أسعار المنتجات الزراعية الشامية في الأسواق العالمية والتي كانت صادرات سوريا الرئيسية في ركود التجارة في المنطقة . إن الجدول رقم (٥) حول تطور أسعار الحرير السوري يظهر بوضوح الميل التراجعي لأسعار الحرير السوري وكيفية تأثر التجارة السورية بفعل الأزمات التجارية الدولية التي ساهمت في تدهور أسعار السلع الزراعية ، كما حدث بين عامي ١٨٩٢ و ١٨٩٥ على سبيل المثال .

وكان الافتقار إلى شبكة مواصلات داخلية تربط أنحاء البلاد عقبة أخرى في سبيل توسيع التجارة السورية . وكان هذا العجز يحدث جزئياً بسبب خروج كميات مستمرة من الذهب إلى أوروبا كثمن للمستوردات السورية من أوروبا [٢١] . إضافة إلى ذلك ألحقت الصادرات الأوروبية إلى سوريا أضراراً بالغة في الاقتصاد السوري وخاصة الصناعة المحلية التي لم تستطع منافسة المنتجات الأجنبية [٢٢] . فمن بين ٢٠ ألف نول كانت تعمل في دمشق لم يبق منها في نهاية القرن الماضي سوى النصف [٢٣] . وفي منطقة حلب تراجع عدد الأنوال العاملة من ١١ ألفاً في الستينات إلى أقل من الثلث في نهاية القرن التاسع عشر [٢٤] .

وكان الافتقار إلى شبكة مواصلات داخلية تربط أنحاء البلاد عقبة أخرى في طريق تعزيز التجارة السورية. فالطرقات المعبدة ظلّت قليلة جداً. وعندما بنت شركة فرنسية خلال ١٨٩٤ و ١٨٩٥ خطا لسكة الحديد من بيروت إلى دمشق فحوران بتكاليف باهظة ، تبين أن الخط غير مربح تجارياً [٢٥] . أما معظم المرافىء فلم تكن قد بُنيت بشكل جيد . وبعد تدشين مرفأ بيروت الجديد عام ١٨٩٣ لم يحقق الميناء في البداية أرباحاً بسبب تجنبه من قبل سفن الشحن لارتفاع رسوم الرسو التي فرضت من قبل إدارة المرفأ [٢٦] .

وأخيراً لا بد من الإشارة إلى أن تعرض المنطقة في بعض الفترات لأضرار

جدول رقم (٥) - تطور أسعار الحرير ١٨٧٧ - ١٨٩٤ [٢٧]

السنة	متوسط سعر الحرير الخام (بالفرنكات لكل كلغ)	سعر الشرانق (بالقروش لكل أقة *)
١٨٧٨/١٨٧٧	٦٧,٦٥	٢٤
١٨٧٩/١٨٧٨	٥٩,٢٥	٢٣
١٨٨٠/١٨٧٩	٦٨	٢٨
١٨٨١/١٨٨٠	٥٧,٨٠	٢٢
١٨٨٢/١٨٨١	٥٨,٤٠	٢٢
١٨٨٣/١٨٨٢	٥٧,٧٥	٢٢
١٨٨٤/١٨٨٣	٥٢,٤٥	٢٣
١٨٨٥/١٨٨٤	٥٠,٨٠	٢٣
١٨٨٦/١٨٨٥	٥١,٧٥	٢٦
١٨٨٧/١٨٨٦	٥٢,٧٠	٢٦
١٨٨٨/١٨٨٧	٤٨,٩٠	٢٧
١٨٨٩/١٨٨٨	٤٥,٧٥	٢٤
١٨٩٠/١٨٨٩	٥٢,٠٥	٢٢
١٨٩١/١٨٩٠	٥٠,٤٥	٢٨
١٨٩٢/١٨٩١	٤٢,٠٥	٢٢
١٨٩٣/١٨٩٢	٥٣,٨٥	١٨
١٨٩٤/١٨٩٣	٤٣,٨٠	٢٧
١٨٩٥/١٨٩٤	٣٥,٩٠	١٩

(*) الاقة الواحدة = ١,٢٨٢ كلغ.

اقتصادية جسيمة بفعل الأوضاع السياسية المحلية والدولية ، وأيضاً بفعل العوامل الطبيعية والصحية ، كالحرب الروسية العثمانية في عامي ١٨٧٨/١٨٧٧ واحتلال بريطانيا لمصر في عام ١٨٨٢ والاضطرابات في أرمينيا

وثورة الدروز في منتصف التسعينات . إضافة لذلك فإن تعرض البلاد لموجات الجراد وانتشار الأوبئة وإجراءات الحجر الصحي كان يعطل حركة الاتصالات التجارية وبالتالي الحركة السياحية التي كانت دعامة للاقتصاد السوري الفلسطيني نظراً لارتباطها بموسم الحج إلى الأراضي المقدسة [٢٨] ..

تقييم لمركز ألمانيا التجاري : تتفق التقارير المعاصرة على تراجع الصادرات الألمانية إلى سوريا في السبعينات من القرن التاسع عشر بشكل كبير[٢٩]، وذلك بسبب الأزمة الاقتصادية في ألمانيا في أعقاب الحرب مع فرنسا (١٨٧٠ / ١٨٧١) من ناحية وبسبب الوضع المتدهور للتجارة السورية من ناحية أخرى. يضاف إلى ذلك عدم تكيف المصدرين الألمان مع احتياجات السوق السورية المتغيرة[٣٠].

ومنذ الثمانينات شهدت التجارة الألمانية السورية انتعاشاً جديداً حين أخذت ألمانيا تشارك للمرة الأولى في تجارة الاستيراد من سوريا [٣١]،رغم ان حصتها المئوية ظلَّت حتى بداية القرن الحالي لا تزيد عن ٣٪ [٣٢].وبهذه النسبة المئوية حلَّت ألمانيا ما بين المرتبتين السادسة والخامسة بين الدول المستوردة من سوريا ، وهي بريطانيا ، فرنسا ، إيطاليا ، النمسا ـ هنغاريا والولايات المتحدة الأميركية .

ورغم تراجع طفيف في حصتها ظلَّت بريطانيا حتى نهاية القرن التاسع عشر مهيمنة على تجارة الصادرات إلى سوريا ، في حين تراجعت الصادرات الفرنسية بشكل كبير وحافظت النمسا ـ هنغاريا على مركزها . ومنذ الثمانينات من القرن التاسع عشر كانت الصادرات الألمانية إلى سوريا وفلسطين في تصاعد مستمر كما هو مبين في جدول رقم(٦)استناداً إلى مصادر فرنسية .

جدول رقم (٦) ـ التجارة الألمانية مع سوريا وفلسطين
من ١٨٨٥ ـ ١٨٩٩ [٣٣]
(القيمة بـ ١٠٠٠ فرنك فرنسي)

السنة	بيروت		دمشق		الاسكندورنة ـ حلب		يافا ـ القدس	
	استيراد	تصدير	استيراد	تصدير	استيراد	تصدير	استيراد	تصدير
١٨٨٥			٢٢٥	٤٤٥			١٣٠	
١٨٨٦			١٦٢	٤٣١			١٠٥	
١٨٨٧			١٧٨	٤٧٧			٣٠٢	١٦٣
١٨٨٨			٤٤٥	٢٥٤			٣٦٢	١٨١
١٨٨٩			٥٩٥	٤٠٩			٣٧٨	٢١٦
١٨٩٠			٦٩٠	١٩١			٣٤٠	٤٨٠
١٨٩١			٦٥٩	١٤٨			٣١٥	٤٢٨
١٨٩٢			٧٨٣	٢٦٤		٣١٤	٣٥٢	١٤١
١٨٩٣			٨٥٩	٣١٢		٥٣٣	٣٧٨	١٥١
١٨٩٤			٧٩٠	٣١٠	٢٠١	٧٥٤	٥٠٤	١٠٢
١٨٩٥	٤٠٣٢	٥٤١			٢٩٣	٦٠٩	٥٩٤	١٣١
١٨٩٦	٤٦٦٢	٦٩٣			١٩٣	١٠٢٤	٥٧٤	١٨٦
١٨٩٧	٤٣٨٤	٤٣٤			٨٤٥	٩١١	٧٢٨	١٥٦
١٨٩٨					١٠٦٩	٦٦٦		
١٨٩٩					١٢٦٧	٦٨٦		

ولكن إعطاء رقم دقيق لحجم المشاركة الألمانية في تجارة الصادرات إلى سوريا يبدو في غاية الصعوبة ، وخصوصاً في المرحلة التي تتناولها الدراسة ، ذلك أن **التجارة الألمانية المباشرة** مع سوريا لم تكن تلعب في تلك الفترة دوراً يذكر [٣٤] ، لا بل إن **التجارة الألمانية غير المباشرة** مع سوريا عبر مرافىء دول

أوروبية أخرى ، كمرفأ تريست ، هي التي تميز العلاقات التجارية الألمانية السورية . ولكن المعلومات حولها التي يوردها أرشيف التجارة الألماني غير كاملة وتتناقض فيما بينها في بعض الأحيان . إضافة إلى ذلك ميل التقارير الألمانية إلى المبالغة في حجم التجارة الألمانية مع سوريا . ففي بداية الثمانينات من القرن الماضي حلّت ألمانيا طبقاً لتقارير أرشيف التجارة الألماني في المرتبة الثالثة بين الدول المصدرة إلى بيروت ، خلف بريطانيا وفرنسا وقبل النمسا ـ هنغاريا أو على قدم المساواة معها[٣٥]. وفي التسعينات قفزت إلى المرتبة الثانية بعدما تخطت فرنسا[٣٦]، ولكن تقارير أخرى تذكر أن الصادرات النمساوية ـ الهنغارية إلى بيروت فاقت الصادرات الألمانية وبلغت ٦,٥ مليون مقابل ٥,٥ مليون فرنك لألمانيا[٣٧]. إن الجدول رقم(٧) يوضح أن ألمانيا كانت في المرتبة الثالثة بعد النمسا ـ هنغاريا وقبل فرنسا في تجارة الصادرات إلى بيروت. وهذا ما تؤكده صحيفة « ورقة التجارة الاستانبولية » [٣٨] .

جدول رقم (٧) ـ نصيب الدول الأوروبية الرئيسية في التصدير إلى بيروت في الفترة ما بين ١٨٩٥ ـ ١٨٩٧ و ١٩٠٠ [٣٩]

(النسبة المئوية من التصدير العام)

	١٨٩٥	١٨٩٦	١٨٩٧	١٩٠٠
بريطانيا	٥٦,٧	٥٦	٥٥	٤٠
النمسا ـ هنغاريا	١٤,٦	١١,٤	١٤	١٥
ألمانيا	١١,٢	١٠,٤	١٢	١٢
فرنسا	٩,٥	٨,٩	٨	١٠

وفي الصادرات إلى دمشق حلّت ألمانيا خلال عامي ١٨٩٣ و ١٨٩٤ في المرتبة الرابعة خلف بريطانيا ، النمسا ـ هنغاريا ، فرنسا بنصيب قدره ٥٪ [٤٠] .

وفي الإسكندرونة تميزت التجارة الألمانية بوضع مشابه لما هو في دمشق ، حيث يصعب التمييز بين السلع ذات المنشأ الألماني وتلك ذات المنشأ

النمساوي ـ الهنغاري . وفي جدول رقم (٨) نعطي تقديرات للصادرات الأوروبية الى الإسكندرية لعامي ١٨٩٦ و ١٨٩٧ وهي في الواقع معلومات تستند مرة إلى مصادر بريطانية ومرة أخرى إلى أرشيف التجارة الألماني، الذي تبدو تقديراته هذه المرة أكثر واقعية. وتقوم التقديرات على المعادلة بأن ثلث الصادرات الألمانية إلى الاسكندرونه كانت تأتي عبر مرفأ تريست، في حين أن قسماً آخر كان يصل الإسكندرونة عبر ميناء أنتورب[٤١] وهذا كان بدوره كافياً لأن تحتسب البضائع الالمانية إلى الإسكندرونة من ضمن السلع النمساوية ـ الهنغارية المصدرة إلى هذا الميناء. ولذلك فحيننا نعيد قيمة البضائع النمساوية ـ الهنغارية المصدرة الى الاسكندرونة الى حجمها الطبيعي، أي أن نحسم منها نسبة الثلث ونضيف هذه النسبة إلى حصة ألمانيا مع ميناء الإسكندرونة، فإن ألمانيا لا تعود الدولة الأوروبية الأخيرة المصدّرة إلى الميناء السوري، بل الرابعة بين الدول الأوروبية.

وفي نهاية القرن التاسع عشر احتلت ألمانيا المركز الرابع أو الثالث بين الدول الأوروبية المصدِّرة إلى سوريا .

الصادرات الألمانية الرئيسية إلى سوريا : كان ثلثا الصادرات الألمانية إلى سوريا من المنتجات النسيجية . أما المصنوعات الرئيسية الأخرى فكانت الخردوات بأوسع معانيها ومصنوعات معدنية وكيميائية [٤٢] .

أما المصنوعات النسيجية فقد تفوقت في البداية خيوط الغزل الحمراء والأقمشة الشرقية من منطقة سكسونيا . ولكن منذ الثمانينات تراجع تسويق هذه الأصناف بسبب إقبال السوريين على اللباس الأوروبي [٤٣] . أما في ما يتعلق بخيوط الغزل الحمراء فقد خسرت بدورها الكثير من مبيعاتها بسبب إقدام السكان المحليين على صباغة الغزل بأنفسهم [٤٤] . لكن سبباً آخر لتراجع تسويق هذه الأصناف يعود إلى ارتفاع أسعار المنتجات الألمانية بالمقارنة مع مثيلاتها الأوروبية[٤٥] .وبينما غطت صادرات خيوط الغزل الحمراء الألمانية ٧/٨ من احتياجات السوق السورية حتى منتصف الثمانينات [٤٦] ، تراجعت هذه النسبة أيضاً منذ التسعينات من القرن الماضي إلى ٣/٥ [٤٧] وأصبحت مع مرور الوقت غير مهمة [٤٨] وفي التسعينات استطاع الألمان استعادة بعض من مكانتهم السابقة من خلال تصدير خيوط الحياكة وسط منافسة بريطانية وإيطالية

جدول رقم (٨) ـ الصادرات الأوروبية إلى الإسكندرونة في عامي ١٨٩٦ و ١٨٩٧[٤٩] .

المنشأ	١٨٩٦		١٨٩٧	
	المصادر البريطانية	أرشيف التجارة	المصادر البريطانية	أرشيف التجارة
	القيمة بملايين الفرنكات			
بريطانيا	٢٠,٣٤		٢٥,٨٥	
النمسا ـ هنغاريا	٤,٨٧	(٣,٢٥)	٤,٥٠	(٣,٠٠)
فرنسا	٢,٥٨		٣,٠٦	
إيطاليا	٠,٥٩		٢,٢٩	
بلجيكا	٠,٧٣		١,٦٤	
روسيا	٠,٦٤		١,٦٤	
ألمانيا	٠,١٩	٢,٠٠	٠,٨٣	٢,٧٥
المجموع العام	٤١,٤٦		٥١,٢٨	
	نصيب كل دولة من النسبة المئوية للتصدير العام			
بريطانيا	٤٩,٠		٥٠,٤	
النمسا ـ هنغاريا	١١,٧	(٧,٨)	٨,٧	(٥,٨)
فرنسا	٦,٤		٥,٩	
إيطاليا	١,٤		٤,٤	
بلجيكا	١,٧		٣,٢	
روسيا	١,٥		٣,٢	
ألمانيا	٠,٤	٤,٨	١,٦	٥,٣
المجموع العام	٧٢,١		٧٧,٤	

شديدة[٥٠] . أما الأقمشة الشرقية التي كان صيتها لا يضاهى في السبعينات فقد نوفست بشدة من قبل المنتجات النمساوية الرخيصة والجميلة[٥١] .

وبالنسبة للخردوات الألمانية فقد وجدت دوماً تصريفاً جيداً في الأسواق السورية[٥٢] . وكان هناك طلب خاص على الخردوات واللعب الآتية من منطقة نورنبرغ Nûrnberg . وفي نهاية القرن الماضي كانت الكماليات وأدوات الزينة الألمانية مهيمنة في الأسواق السورية[٥٣] . أما المصنوعات الخزفية والبرسلانية فكانت تغطي ٤٠٪ من احتياجات السوق السورية[٥٤] .

وفي ما يتعلق بالمصنوعات الحديدية الصغيرة فظلت رائجة معظم الأوقات . وفي التسعينات استطاعت ألمانيا أن تحصل على مركز متقدم[٥٥] . وكانت المصنوعات الآتية من منطقتي صولنغن Solingen وريمشايد Remscheid تحصل على أفضل تصريف .

وفي الفترة التي تتناولها الدراسة بالبحث ظل تصريف الآلات الألمانية في الأسواق السورية ضعيفاً . ومنذ التسعينات بدأت ألمانيا تسوّق آلات خياطة[٥٦] لكن سرعان ما أخذت مثيلاتها البريطانية والأميركية تتدفق على الأسواق السورية منافسة المنتجات الألمانية[٥٧] .

وعن المنتجات الكيميائية والصيدلية التي كانت تزداد أهميتها في سوريا ، فكانت مشاركة ألمانيا في الصادرات في هذه الأنواع منذ البداية كبيرة[٥٨] . وفي نهاية القرن كانت ألمانيا تغطي ٤٠٪ من احتياجات السوق المحلية[٥٩] . وكانت منطقتا هوخست Hôchst وبارمن تلبيان احتياجات السوق السورية من الأصبغة والإنثلين[٦٠] .

أهم الصادرات السورية إلى ألمانيا : كما ذكرنا سابقاً ، ظلت ألمانيا لفترة طويلة لا تشارك في تجارة الاستيراد من سوريا[٦١] . ففي تقرير لعام ١٨٨٢ ذُكر أن استيراد ألمانيا من سوريا « **ضعيف للغاية** » وأن كميات من المشمش المجفف ، السوس ، القار ومصارين الخراف المملحة فقط كانت تجد طريقها إلى ألمانيا[٦٢] . ومنذ التسعينات ازدادت الصادرات السورية إلى ألمانيا نسبياً[٦٣] وكان أهمها : الجلود ، صوف الخراف ، الشمع ، الزبيب ، البرتقال ، الحامض ، النبيذ ، الحبوب ، العقاقير ، الأثاث الشرقي ، مصنوعات نحاسية من دمشق ، كروم وصنفرة[٦٤] .

٣ ـ التجارة الألمانية مع فلسطين :

خاصية التجارة الفلسطينية : تنطبق الظروف الصعبة التي واجهتها التجارة السورية أيضاً على التجارة الفلسطينية [٦٥] . ومع ذلك تمتلك التجارة الفلسطينية خاصية مميزة تبرر معالجتها مستقلة عن التجارة السورية .

ففيما تتسم التجارة السورية بغلبة الاستيراد على التصدير ، تتضارب المعلومات حول حجم التجارة الأوروبية مع فلسطين . فمنها من يجعل ميزان التجارة لمصلحة التصدير من فلسطين إلى أوروبا وخصوصاً ما بين ١٨٩٤ و١٨٩٧ ، ومنها من يرى أن الميزان كان يميل في السنوات ١٨٩٥ إلى ١٨٩٦ لمصلحة الاستيراد من أوروبا . ويعزو شولش هذا التناقض إلى الخطأ في معالجة التجارة الفلسطينية المباشرة [٦٦] . فميناءا عكا وحيفا كانا لا يخدمان التجارة الفلسطينية فحسب ، بل أيضاً وبصورة رئيسية تجارة الصادرات السورية إلى أوروبا وكانا على علاقة مباشرة بميناء بيروت . وكان الاستيراد من أوروبا إلى فلسطين يتم عبر ميناء يافا ومنه يُرسل قسم كبير إلى القدس بواسطة سكة الحديد التي كانت تربط المنطقتين ابتداء من عام ١٨٩٢ .

وتتفق المصادر في ما بينها على حدة المنافسة التجارية بين الدول الأوروبية على التجارة مع فلسطين [٦٧] . ففيما بريطانيا كانت تهيمن على التصدير إلى الأسواق السورية ، كانت الدول الأوروبية المصدّرة إلى فلسطين كبريطانيا وفرنسا وروسيا والنمسا ـ هنغاريا على قدم المساواة في المرتبة بالنسبة للتجارة الفلسطينية .

وكما هي الحال بالنسبة للصادرات السورية ، فقد غلبت المنتجات الزراعية في الصادرات الفلسطينية . ولكن الوضع في فلسطين اختلف عنه في سوريا التي تميزت بمحصول زراعي رئيسي وهو الحرير ، حيث صُدرت محاصيل فلسطينية عديدة إلى أوروبا ، كالقمح والشعير ، الذرة ، السمسم ، زيت الزيتون الحمضيات إضافة إلى الصوف والصابون [٦٨] .

مركز ألمانيا التجاري في فلسطين : كما هي الحال بالنسبة للتجارة الألمانية مع سوريا ، فإنه من الصعب الحصول على معلومات دقيقة عن حجم هذه التجارة مع فلسطين . فالتقديرات المعاصرة تتناقض فيما بينها تناقضاً شديداً .

وفي السبعينات من القرن الماضي استوردت ألمانيا كميات قليلة من خشب الزيتون المصنّع في القدس ومصنوعات صدفية من بيت لحم وكذلك البرتقال . وبالنسبة للتصدير إلى فلسطين كانت مشاركة ألمانيا «**ضعيفة جداً**» . وكانت أهم الصادرات ، الأقمشة من منطقة سكسونيا وكذلك الخردوات ومصنوعات حديدية وزجاجية [٦٩] . وتذكر التقارير لعام ١٨٧٩ أن ساعات ومصنوعات ذهبية وجلدية كانت تأخذ طريقها من ألمانيا إلى الأسواق الفلسطينية [٧٠] .

وحمل العقد الثامن من القرن المنصرم معه نمواً متصاعداً للتجارة الألمانية الفلسطينية ترافق ذلك مع نمو الجالية الألمانية في فلسطين وتكثيف ألمانيا لعلاقاتها السياسية والاقتصادية مع الدولة العثمانية [٧١] . وتميزت تلك الفترة بتسويق ألمانيا لمصنوعاتها الحديدية والخردوات ولوازم الخياطة والقرطاسية [٧٢] . وبالمقابل صدَّرت فلسطين النبيذ والسمسم والحمضيات [٧٣] .

وفي نهاية القرن التاسع عشر كانت ألمانيا تساهم بـ ٨ ـ ٩٪ من جملة الصادرات الأوروبية إلى فلسطين . وبهذه النسبة حلّت ألمانيا في المرتبة الخامسة خلف النمسا ـ هنغاريا ، فرنسا ، بريطانيا ، وروسيا ، كما يتبين ذلك من الجدول رقم(٩).

جدول رقم (٩) ـ نصيب الدول الأوروبية في التصدير إلى فلسطين ١٨٩٣ ـ ١٨٩٦ (النسبة ٪) [٧٤] .

السنة	ألمانيا	النمسا ـ هنغاريا	فرنسا	بريطانيا	روسيا
١٨٩٣	٣,٣	١٧,٦	١٤,٨	١١,٨	٦,٦
١٨٩٤	٧,٣	١٤,٩	١٧,٠	١٥,٦	٤,٠
١٨٩٥	٨,٥	١٣,٧	١٦,٣	١٠,٥	٦,٧
١٨٩٦	٨,٩	—	١٦,٦	١٠,٨	—

٤ ـ تطور رحلات السفن الألمانية إلى الساحل السوري الفلسطيني :

خلال مطالعتنا تقارير قنصلية عن التجارة الألمانية كنا نعثر على شكاوى تعزو عدم قدرة التجارة الألمانية على المنافسة في الأسواق الشرقية إلى غياب

اتصال بحري مباشر بين ألمانيا والموانىء في شرقي حوض البحر المتوسط واضطرار المصانع الألمانية نتيجة ذلك إلى إرسال بضائعها على متن السفن الأجنبية عبر موانىء دول أجنبية أخرى وأراضيها ، وما يفرضه ذلك من ضرورة تفريغها وإعادة تحميلها غير مرة مما يكلف البضائع الألمانية مصاريف إضافية باهظة ويصيبها بأضرار بالغة ويجعلها غير قادرة على المنافسة [٧٥] .

وفي عام **١٨٨١** حاولت شركة غلافكه وهنيغس Firma Glâfcke und Hennings في هامبرغ تنظيم أول عملية شحن من هامبرغ إلى الليفانت بواسطة السفن البخارية ـ وبعد فترة تحت إسم « **خطوط الشرق** » Orientlinie . وبعد عام على ذلك التاريخ قامت شركة البواخر « **أي سي دو فرايتاس** » A. C. de Freitas and Co. باتصال بحري مباشر بين ألمانيا وموانىء الشرق . لكن السفن لم تكن تتردد باستمرار ، كما أنها لم تكن سريعة بما فيه الكفاية ، مما جعل معظم الشاحنين الألمان يفضلون الاستمرار في شحن بضائعهم عن طريق الموانىء الأجنبية [٧٦] .

ولكن انضمام دول الهنزا إلى الاتحاد الجمركي (انضمت بريمن عام **١٨٨٥** وهامبرغ عام **١٨٨٨**) [٧٧] وحصول الدويتشي بنك Deutsche Bank عام **١٨٨٨** على امتياز بناء خطوط حديدية في الأناضول ، وتوقعات ازدهار التجارة الألمانية مع الشرق ، كان نقطة تحول في العلاقات التجارية والاقتصادية الألمانية مع الشرق الخاضع معظمه للدولة العثمانية . وفي **٦** أيلول **١٨٨٩** تأسست في هامبرغ « **خطوط الملاحة الألمانية الشرقية** » Deutsche Levante-Linie كشركة مساهمة [٧٨] . وكان هدف إنشائها هو « **شراء السفن البخارية وتشغيلها بين هامبرغ والليفانت والقيام بكل النشاطات التي تؤدي لتحقيق هذا الهدف** » [٧٩] . ومنذ اليوم الأول لإنشائها حظيت شركة خطوط الملاحة الألمانية الشرقية على دعم جهات رسمية وصناعية تجارية . فوضعت شركة « **الخطوط الحديدية البروسية الرسمية** » Preussische Staatseisenbahnen تعرفة خاصة مخفَّضة لنقل البضائع المصدَّرة إلى الشرق عبر ميناء هامبرغ والتي تستخدم السكة الحديدية الداخلية والبحيرات والأنهر . وقد انضمت إلى التعرفة الجديدة « **الخطوط الحديدية الجنوبية الألمانية** » Sûddeutsche Eisenbahnen وهذا ما شجع رجال الفبارك على البدء بالاستغناء عن الموانىء الأجنبية في شحناتهم إلى

الشرق [٨٠] .

وفي عام **١٨٩٠** بدأت الشركة نشاطها بأربع سفن بخارية ، ثم ما لبثت الشركة ان زادت من عدد السفن المستخدمة ، فوصلت إلى **٢١** في نهاية القرن الماضي [٨١] . ورغم دعوة الشركة المصانع الألمانية لاستخدام أسطولها التجاري ، فإن **٣٠٪** فقط من الصادرات الألمانية إلى الشرق كانت تأتي على متن السفن الألمانية ، فيما **٤٠٪** من المنتجات الألمانية كانت تصل الشرق عن طريق ميناء تريست تحت علم نمساوي أو إيطالي و **٢٠٪** تحت أعلام مختلطة والـ **١٠٪** المتبقية كانت تُرسل تحت علم هولندي [٨٢] .

ومع أن السفن الألمانية كانت تزور مرفأ الإسكندرية منذ عام **١٨٩٢** بصورة منتظمة ، إلا أنها كانت نادراً ما تأتي الساحل السوري ـ الفلسطيني . إن الجدول رقم (**١٠**) يبين لنا حركة السفن التجارية الألمانية على الساحل السوري الفلسطيني . ولكن ينبغي الانتباه إلى أن السفينة الواحدة كانت تزور في معظم الأحيان غير مرفأ على الساحل السوري وبالتالي تُحتسب غير مرة في جداول التسجيل في المرافىء السورية ـ الفلسطينية . ومن حين إلى آخر كانت سفن سياحية بخارية تأتي الساحل السوري الفلسطيني [٨٣] .

وفي التسعينات عندما اشتدت الهجرة السورية إلى أميركا الشمالية ، خطَّطت شركة اللويد الألمانية الشمالية لإقامة اتصال مباشر ومنظم بين نيويورك والساحل السوري . وفي شباط **١٨٩٧** وصلت الباخرة فرّا Werra إلى مرفأ بيروت في رحلة تجريبية . ولكن المشروع سرعان ما تعطل عندما منعت السلطات العثمانية الهجرة من سوريا ولرفض شركة لويد دفع الرشوة للإدارة المحلية العثمانية في بيروت لتسهيل تسفير المهاجرين [٨٤] .

وقبيل نهاية القرن حدث جدل كثير بشأن إقامة اتصال بحري مباشر بين ألمانيا ومرافىء الساحل السوري الفلسطيني [٨٥] . ومن الآستانة دعا مارشال إلى توسيع نطاق حركة السفن التجارية الألمانية في الشرق [٨٦] . ولكن رحلة العاهل الألماني إلى فلسطين وسوريا بأصدائها الدولية [٨٧] والتوقعات التي أعطتها حول تطوير العلاقات الألمانية العثمانية ، دفعت شركة الملاحة الألمانية الشرقية في عام **١٨٩٩** إلى افتتاح خط بحري مع مرافىء الساحل السوري ـ

جدول رقم (١٠) ـ رحلات السفن التجارية الألمانية إلى مرافىء الساحل السوري الفلسطيني ١٨٧٥ ـ ١٩٠١ [٨٨]

ح.م. = الحمولة المسجلة بـ ١٠٠٠ كلغ ـ
ب = سفينة بخارية ش = سفينة شراعية

السنة	بيروت		الإسكندرية		طرابلس		يافا		حيفا	
	العدد	ح.م.	العدد	ح.م.	العدد	ح.م.	العدد	ح.م.	العدد	ح.م.
١٨٧٥			١ ش	٠,٣٠						
١٨٧٨							١			
١٨٨٢	١ ش	٠,١٥	١ ب	٠,٦٢						
١٨٨٤							٢ ش	٠,٢٧		
١٨٨٥	١ ش	٠,٩٨								
١٨٨٦	١ ب	٠,٢٥					١ ؟	٠,١٣		
١٨٨٧	١ ش	٠,١٤					١ ب	٠,٨١		
١٨٨٩	٢ ؟	١,٦٧								
١٨٩٠	٢ ؟	١,٤٩								
١٨٩١	١ ب	؟					١ ب	؟		
١٨٩٢	١ ب	١,١١								
١٨٩٣	١ ؟	١,١٩					١ ؟	٤,٠١		
١٨٩٤							٣ ؟	٨,٤٤	٢ ب	٨,٤٤
١٨٩٥	٤ ؟	٤,٠١								
١٨٩٦	٣ ب	٤,٨٣					٣ ؟	٤,٨٣	٢ ب	٠,٨٢
١٨٩٧	٢ ب	٥,٧٥			١ ب	٠,٨٧			١ ب	١,٠١
١٨٩٨	٣ ب	٨,٥٠					٦ ؟	١٣,١٧		
١٨٩٩	٢ ب	٢,٤٢	١ ب	١,٠٤	٤ ب	٤,٤٩				
١٩٠٠	١٣ ب	١٧,٣٩	١٣ ب	١٨,٠٠	١٣ ب	١٧,١٠	١٥ ب	٢٢,٣٥		
١٩٠١	٢١ ب	٣٠,٣٥	١٧ ب	٢٢,٥٠	١١ ب	١٦,٢٠			١١ ب	١٥,١٣

الفلسطيني [٨٩] . وفي بداية القرن الجاري كان هناك خطّان مباشران إلى المرافىء على الساحل السوري ، يافا ، بيروت طرابلس والإسكندرونة : الأول من هامبرغ كل عشرين يوماً ، والثاني من أنتورب مرة كل شهر [٩٠] .

٥ ـ السياسة التجارية الألمانية في سوريا و فلسطين:

دور القنصليات الألمانية : لا شك أن القنصليات الألمانية التي تأسست في معظمها بعد الأربعينات من القرن التاسع عشر ، قد لعبت دوراً هاماً في تدعيم التجارة الألمانية في فلسطين وخاصة منذ السبعينات من ذلك القرن . وتأكيداً لهذا الدور الهام طالب الفرايهر فون فارتر Freiherr Von Werther ، السفير الألماني في الآستانة ، القناصل الألمان ونوابهم في فلسطين وسوريا عام ١٨٧٧ بتقديم تقارير مفصَّلة عن حالة التجارة الألمانية وإمكانات تطويرها [٩١] . وفي العام نفسه بعث إلى القناصل بنسخ عن تقرير تجاري بريطاني لكي يكون « **نموذجاً ومثالاً يقتدي به قناصل الأمبراطورية (الألمانية) خلال معالجتهم لمشاهداتهم** » [٩٢] ، ومنذ ذلك الوقت كانت التقارير حول التجارة في المرافىء السورية والفلسطينية التي ينشرها « أرشيف التجارة » وتتضمن تقارير تجارية صادرة عن القناصل ، تصدر بانتظام وبتفصيل أكثر من السابق .

وفي آذار عام **١٨٩٥** منحت وزارة الخارجية الألمانية بول شرودر Paul Schrôder القنصل الألماني في بيروت ، وسام النبلاء اعترافاً منها بخدماته في ترويج التجارة الألمانية في سوريا وفلسطين [٩٣] . وطبقا لما تذكره دوائر تجارية بريطانية فقد كان الدبلوماسيون الألمان في فلسطين نشيطين في اقتناص الفرص التجارية [٩٤] .

البيوتات التجارية الألمانية والمندوبون التجاريون المتنقلون : تأسست أولى البيوتات التجارية الألمانية في سوريا وفلسطين في نهاية الستينات ومطلع السبعينات من القرن الماضي . وتذكر التقارير وجود شركات قومسيون ألمانية في دمشق [٩٥] وبيوتات تجارية ألمانية في بيروت [٩٦] وفلسطين [٩٧] . وفي فلسطين أخذ أعضاء جماعة الهيكل الألمانية بعد استقرارهم في البلاد بتنظيم تصدير منتجاتهم الزراعية بأنفسهم [٩٨] . وبلغ عدد شركاتهم التجارية في مدينة حيفا

عام ١٨٨٧ ثلاثاً [٩٩] . وفي العقد الثامن من القرن التاسع عشر تأسست في بيروت وكالات تمثيلية من قبل شركة التأمين العامة Dresdner Allgemeine Versicherungsgesell-schaft ومركزها درسدن وشركة التأمين على النقل Rheinisch- Westfâlische Transportversicherungsgesell schaft ومركزها منطقة الراين - وستفاليا بهدف التأمين ضد الأضرار الناجمة عن الشحن البحري [١٠٠] . وفي نهاية القرن الماضي كان يوجد في آسيا الصغرى وفلسطين نحو ٣٠ بيتاً تجارياً ألمانياً تعمل برأسمال قدره ٦ - ٧ ملايين مارك [١٠١] .

ومع استمرار ترويج البضائع الألمانية في فلسطين أدرك رجال الفبارك الألمان أن تأمين سوق لتصريف المنتجات يجب أن يسبقه دراسة دقيقة لأوضاع السوق وقدرته الاستهلاكية وقوته الشرائية . ولذلك بدأ عدد من الممثلين التجاريين الألمان بالتردد على فلسطين ومناطق شامية . ففي عام ١٨٩٥ زار على سبيل المثال ٢٩ ممثلاً تجارياً ألمانياً فلسطين ، مقابل ٤١ يمثلون جميع الدول الأوروبية [١٠٢] . ويذكر أحد التقارير لأرشيف التجارة لعام ١٨٨٧ أن معظم الممثلين التجاريين الألمان الذين كانوا يرسلون إلى سوريا وفلسطين كانوا من « **الماهرين النشيطين تجارياً ، المتمكنين من اللغات ويعرفون كيف يكسبون ثقة الجمهور** » [١٠٣] . وتؤكد استطلاعات معاصرة أن التجار الألمان عموماً فهموا كيف يتكيفون مع احتياجات السوق . ويضرب روبين مثالاً على ذلك ذاكراً أن الممثلين الإنكليز كانوا يبيعون قطع أقمشة في بالات بطول ٥٠ - ٦٠ ياردة ، فيما قطع مشابهة مستوردة من لايبزيغ Leipzig كانت بطول يصل إلى ثلث القطعة الإنكليزية ، تجد تسويقاً أفضل في الأسواق الشامية [١٠٤] .

ورغم هذه النواحي الإيجابية فقد كانت سياسة التجار الألمان في بعض الأحيان عدائية ولا تتسم بالذكاء . ففي تقرير لأرشيف التجارة السالف الذكر لعام ١٨٨٧ جرى الحديث عن « **إغراق المنطقة بالممثلين التجاريين** » والمنافسة الشديدة بين الفبارك والمخاطر من أن يؤدي ذلك إلى انخفاض عام في أسعار المنتجات [١٠٥] . وفي تقرير تجاري لعام ١٨٩٥ جرى تحذير التجار الألمان من « **أسلوب لا يتسم بالحصافة المناسبة** » عندما « **يسرفون في تقديم قروض طويلة الأمد** » ويضغطون الأسعار في سبيل القضاء على منافسة بيوتات قومسيون

محلية [١٠٦] .

الجمعيات التجارية الألمانية : ولم يقتصر ترويج المنتجات الألمانية على عمل الأفراد أو الممثلين التجاريين الذين كانوا يترددون من وقت إلى آخر على منطقة الشرق ، بل إن جمعيات ألمانية أخذت على عاتقها منذ الثمانينات مهمة ترويج المنتجات الألمانية . فبايعاز من صناعيي منطقة الراين ووستفاليا Rhein-land and Westfalen أسس هرمان لونيز Hermann Loehnis عام ١٨٨٠ « جمعية تجارية ألمانية » مهمتها ليس تشجيع التجارة فحسب ، بل تطوير الموارد الطبيعية في بلدان الشرق أيضاً [١٠٧] . وفي عام ١٨٨١ قام لونيز برحلة استطلاعية إلى الشرق حيث زار يافا والقدس وبيت لحم [١٠٨] . ورغم جهوده في دعم التجارة الألمانية ظلت اهتمامات رجال الصناعة الألمان بمنطقة الشرق محدودة - وبذلك عاشت الجمعية « **عيشة متواضعة** » ، على حد قول كراوس [١٠٩] . حتى حُلت بعد وفاة مؤسسها في عام ١٨٨٩ .

وبعد عام على وفاة لونيز تأسست « **رابطة التصدير لمصانع الآلات والتعدين الألمانية** » Export- Verband deutscher Maschinenfabriken und Hüttenwerke التي افتتحت لها معرضاً دائماً في الآستانة وكذلك مخزناً في سالونيك ووكالات في مدن سورية وفلسطينية ، كحلب وبيروت ودمشق وحيفا ويافا [١١٠] . ولكن بعد فترة قصيرة تبين أن الرابطة حققت خسائر في مبيعاتها مما جعل أمر حلّها محتوماً في عام ١٨٩٧ [١١١] . وتعلق صحيفة « ورقة التجارة الاستانبولية » Konstantinopler Handelsblatt على هذه النهاية للرابطة بأنها كانت « **نتيجة الغرور بالنفس والثقة الزائدة للتجار الألمان بتفوق التقنية الألمانية وتقديرهم الضعيف للاحتياجات التجارية للشرق** » . وتضرب الصحيفة مثالاً على ذلك ، فتذكر أنه في بداية التسعينات قام مدير عام الرابطة ، الذي « **يمثل أعلى درجات المعرفة التقنية** » بعرض آلة زراعية أمام فلاحين في إحدى القرى الفلسطينية . ورغم ان أحد رجال الأعمال الألمان كان موجوداً أثناء العرض ولفت انتباه المدير العام إلى خطأ في تجميع الآلة ، إلا أن المدير العام رفض الأخذ بنصائحه ،

« ... وفي آخر الأمر بدأت الآلة بالعمل ، ولكن بعد قليل نظر الفلاحون بعجب إلى حطام القطعة الفنية الألمانية المشهورة . ولقد استغرق وقتاً طويلاً بعد هذه التجربة قبل

أن يعود الفلاحون الفلسطينيون من جديد لشراء آلات زراعية ألمانية. وعلى رجال الفبارك الألمان أن يشكروا المدير العام «الحريف» لرابطة التصدير على ذلك»[١١٢]...

ولم يكن حظ «**جمعية التصدير للصناعيين الألمان**» Export- Gesell- schaft Deutscher Industrieller التي تأسست في عام ١٨٩٧ [١١٣] أفضل من رابطة التصدير، إذ عملت بدورها لفترة قصيرة وتوقفت [١١٤]. ويرجع السبب الرئيسي لهذا الفشل إلى عدم الأخذ بعين الاعتبار لظروف الأسواق الشرقية بشكل جيد. فبدلاً من التعامل مع الوسطاء من بيوتات القومسيون الألمانية، أراد الصناعيون الألمان أن يكونوا المنتجين والمروجين في الوقت نفسه [١١٥].

تقديرات أجنبية مبالغة حول التجارة الألمانية: رغم بعض الانتكاسات التي تعرضت لها محاولات تدعيم العلاقات التجارية الألمانية مع الشرق، إلا أن التقارير الإنكليزية والفرنسية المعاصرة كانت تبالغ في ثبات التجارة الألمانية وقدرتها بغية حث التجّار الإنكليز والفرنسيين على بذل جهد أكبر لترويج منتجاتهم الوطنية [١١٦]. وفي هذا المعنى كانت التقارير التجارية البريطانية الصادرة عن القناصل في مناطق فلسطين وسوريا تركز باستمرار على المنافسة التي كانت تشكلها المنتجات الألمانية للسلع البريطانية في أسواق المنطقتين [١١٧]. وهذا هو السبب من وراء تأليف موريس شوب Maurice Schwob في عام ١٨٩٦ لكتابه «الخطر الألماني - دراسة حول النمو الصناعي والتجاري لالمانيا» Le Danger Allemand. Etude sur le déve- lopement Industriel and Commerical de L'Allemagne. وقد وصف شوب حالة التجارة الفرنسية في سوريا في «**غاية السوء**»[١١٨]، وأكد واقعية الخطى التجارية لكل من ألمانيا والنمسا في أسواق المنطقة [١١٩].

٦ - بنك فلسطين الألماني:

وكما ساهمت الإرساليات التبشيرية الألمانية في ازدهار التجارة الألمانية مع فلسطين، كذلك ساهمت في ازدهار القطاع المصرفي لألمانيا في المنطقة. وفي الفصل الثاني من الكتاب ذكرنا أن شركة «شبتلر» قد انقسمت بعد وفاة مؤسسها إلى محل تجاري ومصرف صغير [١٢٠]. وكان المصرف الصغير يُدار من قبل عائلة فروتيغر Frutiger حتى حلّه في عام ١٨٩٣. وانحصرت نشاطات

المصرف في التعامل مع الإرساليات البروتستانتية بالقدس. وبسبب خبرته في الشؤون المالية الفلسطينية كان فروتيغر يزود القنصل الألماني بالقدس باستمرار بمعلومات وتقارير عن الأوضاع المالية في فلسطين [١٢١]، الذي يقوم بدوره بوضعها بتصرف الهيئات التجارية والصناعية الألمانية.

وفي عام ١٨٩٦ أسس الغراف تزيتن - شفرين Graf von Zieten- Schwerin، رئيس جمعية بيت المقدس البرلينية «**الشركة الفلسطينية والشرقية الألمانية**» Deutsche Palâstina- und Orientgesellschaft وكانت أهداف الشركة:

> **«تشجيع المصالح الألمانية في فلسطين وفي الشرق، وممارسة جميع الأعمال المرتبطة بها، وبشكل خاص شراء الأراضي وتضمينها وزراعتها. وعلاوة على ذلك: ممارسة الأعمال المصرفية، وخاصة فيما يتعلق بتنمية التجارة بين ألمانيا والشرق. إقامة ما يخدم التجارة الألمانية من منشآت صناعية وما يتعلق بالمواصلات»[١٢٢].**

وفي أيار ١٨٩٧ بدأت الشركة تمارس نشاطاتها المصرفية [١٢٣] تحت إسم «**بنك فلسطين الألماني**»، بفرع في القدس [١٢٤]. ومع أن جماعات بروتستانتية تبشيرية ألمانية كانت المحرك لتأسيس المصرف، إلا أن رغبة البروتستانت في أن يكون البنك مؤسسة وطنية مهمتها دعم المصالح الألمانية في الشرق، أفسح المجال أمام الكاثوليك الألمان من الإرساليات التبشيرية للانضمام إلى المشروع [١٢٥]. ورداً على اتهام قائل بأن المصرف كان «**مشروعاً إكليريكياً**»، أي أن مؤسسي البنك كانوا من رجال الدين البروتستانت والكاثوليك، أوضح كارل فون هايدت Karl von der Heydt، الذي امتلك معظم أسهم المصرف[١٢٦]:

> **«إن الاهتمام منصب على تشجيع الحركة الاقتصادية للألمان في فلسطين مع البلد الأم على أسس تجارية محضة. إن المشروع لا يعترف أبداً بأهداف دينية أو مذهبية وإنه يراد من ورائه خدمة الأهداف الوطنية عن طريق القيام بأعمال مربحة. ولما كانت المشروعات الدينية في هذا الوقت تشكل الأساس في فلسطين، فانه لا يثير العجب أن يكسب البنك الصغير ثقة المؤسسات التبشيرية البروتستانتية والكاثوليكية وخاصة الأديرة الايطالية والنمساوية واليونانية والأرمنية الغنية كعملاء ويضعون أموالهم لدى المصرف. كما أن مؤسسات الحجّاج الروس واليهود لديها ودائع في المصرف. واضافة الى ذلك فإن المصرف يعمل بصورة متزايدة ومستمرة وسريعة مع الألمان (معظمهم أعضاء في جمعية الهيكل) والباعة التجّار اليهود والسوريين والعرب»[١٢٧].**

وعكس تشكيل مجلس الادارة الارتباط الحميم بين المصالح التبشيرية والمالية والسياسية . فإلى جانب الغراف تزيتن - شفرين ، انضم إلى مجلس الادارة رجل المصارف فون هايدت وعدد من اعضاء مجلس الشعب الألماني ومنهم إثنان من حزب الوسط الكاثوليكي . كما انضم إليه الصيرفي فروتيغر كخبير في الشؤون المالية الفلسطينية [١٢٨] .

وما أن بدأ المصرف أعماله في عام **١٨٩٧** حتى أوعزت وزارة الخارجية الألمانية إلى القنصل الألماني في القدس «**لتقديم كل تشجيع ممكن**» إلى المصرف [١٢٩] . وتأكدت هذه السياسة الرسمية تجاه البنك بتحويل الحكومة الألمانية ثمن شراء قطعة أرض كنيسة نياحة العذراء الكاثوليكية في القدس بواسطة المصرف المذكور [١٣٠] .

ورغم المنافسة القوية التي تعرض لها بنك فلسطين الألماني من قبل بنك كريدي ليونيه Crédit Lyonnais والبنك العثماني Banque Imperiale Ottomane استطاع بنك فلسطين ان يُثبت نفسه بسرعة . فحجم المعاملات الذي كان في عام **١٨٩٩** (**٢٣**) مليوناً من الفرنكات ، ارتفع في عام **١٩٠٠** إلى **٥٢** مليون فرنك [١٣١] . وفي عام **١٨٩٩** أسس البنك في مدينة يافا فرعاً متخصصاً بأعمال التصدير [١٣٢] . وفي السنوات التالية كانت أعمال المصرف في تزايد مستمر . فأسس فروعاً له في بيروت ودمشق وحيفا وطرابلس [١٣٣] . ولكن منذ **١٩٠٨** أخذت معاملات المصرف تتحول من فلسطين إلى المانيا [١٣٤] وتراجعت أعماله كثيراً في الشرق . وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى أغلق البنك مع جميع فروعه [١٣٥] .

٧ - خلاصة :

كما رأينا، أدى التطور الصاعق للاقتصاد الألماني في العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر إلى ازدياد الاهتمامات الألمانية التجارية مع الشرق وحصلت على دعم سياسي أكثر من السابق .

وفي هذه الظروف المتغيرة للاقتصاد الألماني ازدادت التجارة الألمانية نسبياً مع سوريا وفلسطين منذ الثمانينات من القرن الماضي حيث كانت الخردوات

والأدوات الحديدية والكيميائية والطبية تتدفق على الأسواق الفلسطينية والسورية وكانت لها مرتبة قيادية . ورغم تحسن مركزها التجاري في سوريا وفلسطين ، ظلَّت المانيا في نهاية القرن الماضي خلف إنكلترا وفرنسا والنمسا - هنغاريا. ففي سوريا احتلت المركز الرابع أو الثالث بين الدول المصدّرة، في حين حلَّت في المرتبة الخامسة في ما يتعلق بتجارة فلسطين.

ورغم تزايد العلاقات التجارية والاقتصادية لألمانيا مع الشرق ، فإنها ظلَّت على هامش التجارة الألمانية الخارجية وكانت أقل من ١٪ من مجمل تجارة ألمانيا الخارجية في نهاية القرن التاسع عشر [١٣٦] . أما نصيب سوريا وفلسطين من مجمل التجارة الألمانية مع الدولة العثمانية فكان ، حسب تقديراتي ، أقل من ٢٠٪ .

وجاء تأسيس خطوط الملاحة الشرقية الألمانية بغية تعزيز العلاقات التجارية الألمانية مع الشرق ، على رغم أن اتصالاً بحرياً مباشراً مع المرافىء السورية الفلسطينية لم يتم قبل عام **١٨٩٩** .

ويُجسد تأسيس بنك فلسطين الألماني عام **١٨٩٧** الارتباط الحميم بين المصالح الاقتصادية والتبشيرية . والجدير بالذكر هنا أنه عن طريق البنك وُجدت لأول مرة أسس لتعاون الإرساليات التبشيرية البروتستانتية والكاثوليكية الألمانية المتنافسة في فلسطين .

الفصل الحادي عشر

المصالح السياسية الألمانية في سوريا وفلسطين

١ ـ سياسة ألمانيا الخارجية مع المشرق:

بعد هزيمة فرنسا أمام بروسيا والدويلات الألمانية في حرب ١٨٧٠ /١٨٧١ وقيام الدولة الألمانية الموحدة، سعى بسمارك، مستشار ألمانيا، لاتباع سياسة أوروبية تقوم على « **توازن القوى**» الأوروبية Balance of power في سبيل المحافظة على مكتسبات الحرب الألمانية. وعن طريق سلسلة من التحالفات مع النمسا وروسيا وكذلك إيطاليا، حاول بسمارك أن يعزل فرنسا أوروبياً وأن يحمي الانتصارات الألمانية من شهوات الانتقام الفرنسية. كذلك حاول إشغال الدول الأوروبية في مسائل بعيدة عن وسط أوروبا مستفيداً من صراعات تلك الدول في الهيمنة الاستعمارية في العالم. وقد رأى بسمارك في المسألة الشرقية أفضل طعم يمكن أن تتلهى به الدول المتصارعة، خاصة ان بلاده لم تكن في تلك المرحلة مهتمة بتلك المسألة. فخلال مؤتمر برلين ١٨٧٨ لعب بسمارك دور « **السمسار الشريف**» Ehrlicher Makler بين المصالح الاستعمارية المتناقضة للدول الكبرى في منطقة الشرق الأدنى. أما ألمانيا التي « **تشبعت** » saturated من خلال مكتسبات الحرب مع فرنسا، فكانت على لسان بسمارك « **قوة غير مهتمة**» بالمسألة الشرقية[1] ـ هذه السياسة أكدتها الخارجية الألمانية غير مرة. ففي عام ١٨٨٨، اي قبل أن يحصل البنك الألماني Deutsche Bank على امتياز بناء خط حديد الأناضول، أرسلت الخارجية

الألمانية تعليمات إلى السفير الألماني في الأستانة تحدد أسس السياسة الألمانية تجاه المسألة الشرقية كما يلي :

«ليس لدينا مصالح سياسية مباشرة في الشرق، ولا يمكن التخلي عن سياسة عدم التدخل (بالمسألة الشرقية) لأسباب مالية»[٢].

وبعدما خطت ألمانيا أولى خطواتها الاستعمارية أراد بسمارك إفهام الجميع في ألمانيا أن المقصود هو « **سياسة اقتصادية** » لاغير، هدفها تطوير التجارة الألمانية[٣] ـ هذه السياسة ظهرت معالمها واضحة عندما وضعت الحكومة الألمانية الممتلكات الألمانية في أفريقيا تحت حمايتها ولم تحكمها كمستعمرات. ولكن التطورات الاجتماعية والاقتصادية الداخلية وتغير توازن القوى الدولي فرضت نفسها على سياسة بسمارك. وبذلك تحولت معظم « **المناطق المحمية** » في أفريقيا حتى قبل استقالة بسمارك في عام ١٨٩٠ إلى مستعمرات ألمانية[٤] . وبعد هذا التاريخ سعت الحكومة الألمانية إلى ان تجعل سياستها الخارجية « **سياسة عالمية** ». ففي عام ١٨٩٦ حدد الأمبراطور وليم الثاني دور ألمانيا الأمبريالي المرتقب بأن تصبح ألمانيا دولة استعمارية عالمية وأن تحصل على « **مكان تحت الشمس**» Platz an der Sonne [٥].

وانسجاماً مع سياستها العالمية المعلنة لم يعد بإمكان ألمانيا عدم الاكتراث بالمسألة الشرقية. بل إن ألمانيا سعت منذ ذلك الوقت إلى تعميق علاقاتها السياسية والاقتصادية بالشرق العثماني وضرب نفوذ الدول الأوروبية الأخرى هناك[٦] ، هذه السياسة تتجلى بوضوح من خلال زيارتي وليم الثاني للشرق في عامي ١٨٨٩ و١٨٩٨ [٧] حيث جرى تأكيد سياسة ألمانيا المشرقية والتي عالجنا وجهها الاقتصادي في الفصل السابق .

ويلاحظ المتتبع للسياسة الألمانية حيال الشرق أن تحولاً قد طرأ منذ ذلك الحين على السياسة الألمانية تجاه فلسطين. ورغم أن بسمارك رأى عدم الانغماس في مسائل الشرق وإن كان يفضل نزاعاً هناك بين الدول الكبرى وخاصة بين فرنسا وروسيا[٨] ، ورغم أن اندفاع ألمانيا نحو الشرق Drang nach Osten قد حدث خلال حكم الأمبراطور وليم الثاني، فإن مؤشرات هذا التحول أخذت بالظهور خلال تولية بسمارك المستشارية وبشكل خاص في ما يتعلق بفلسطين. وفي الصفحات التالية سنتتبع السياسة الألمانية في عملية تحولها

التدريجي من عدم الانغماس في قضايا المشرق إلى تدخلها المباشر في شؤون المنطقة. وتتمثل معالم هذه التحولات في:

- تدخل القنصل الألماني بالقدس في النزاع الروسي العثماني بشأن عزل البطريرك الأرثوذكسي كيريل الثاني وموقف بسمارك من هذه المسألة.
- الأدوار المختلفة لمسألة حماية الرعايا الألمان في فلسطين وخاصة النزاع مع فرنسا بشأن حماية الكاثوليك الألمان.
- رحلة الأمبراطور وليم الثاني إلى فلسطين عام ١٨٩٨ .

٢ ـ تدخل القنصل الألماني بالقدس في النزاع الروسي العثماني بشأن عزل البطريرك الأرثوذكسي كيريل الثاني وموقف بسمارك :

حدثت في عام ١٨٧٢ تطورات في فلسطين أكدت سياسة بسمارك « **اللامبالية** » تجاه قضايا المشرق العثماني وأن المستشار الألماني لن يسمح بأن تؤثر النزاعات الدينية في فلسطين على موقفه المعلن من المسألة الشرقية.

ففي خريف عام ١٨٧٢ حدث نزاع علني طال انتظاره بين رجال الدين الأرثوذكس اليونانيين وممثلي السياسة الروسية، الذين طالما حرضوا الأرثوذكس العرب ضد الإكليروس اليوناني[٩] . وعندما قرر المجلس الكنائسي الأرثوذكسي عزل بطريرك القدس اليوناني كريل الثاني المتعاطف مع روسيا، قام القنصل الروسي في القدس بتحريض السكان المحليّين ضد الإكليروس اليوناني[١٠] . وكان من نتيجة ذلك قيام المظاهرات لمصلحة البطريرك المعزول سرعان ما تحولت إلى أعمال شغب وتخريب. وخشية من ان تصيب اعمال العنف الألمان في ممتلكاتهم وأرواحهم حث القنصل الألماني في القدس كارل فون ألتن Karl von Alten والي القدس على التصدي للمظاهرات بيد من حديد لإعادة الأمن والنظام إلى المدينة. ولم يتوقف فون ألتن عند هذا الحد، بل إنه لعب دوراً في حث والي القدس على الموافقة على قرار المجلس الكنائسي الأرثوذكسي بعزل كيريل الثاني. وبالفعل اعتقل البطريرك يوم ٢٧ تشرين الثاني وأرسل إلى الآستانة ـ هذا الموقف للقنصل الألماني فسَّرته المراجع السياسية الروسية على أنه موقف غير ودي للدبلوماسية الألمانية.

وجاء الرد الروسي على ذلك عنيفاً. فقد انهمرت برقيات الاحتجاج من بطرسبرغ على الخارجية الألمانية ابتداء من ٦ كانون الأول **١٨٧٢** تتهم فيها القنصل فون ألتن ليس بالتدخل بأمور كنسية في فلسطين فحسب، بل بعدم إظهار الاحترام الكافي لدوق روسيا نيقولافيتش خلال زيارته للقدس في تشرين الأول عام **١٨٧٢** انسجاماً مع الأعراف الدبلوماسية[١١].

والواقع أن برقيات الاحتجاج الروسية وصلت الخارجية الألمانية وبسمارك لا يزال يسعى لتكوين «عصبة الأباطرة الثلاثة» Dreikaiserbund من ألمانيا وروسيا والنمسا، بحيث رأى في سلوك القنصل فون ألتن إزعاجاً لذلك التقارب مع روسيا وقد يورط ألمانيا في نزاعات خارجية يكون لها انعكاسات سلبية على توازن القوى في أوروبا. ولذا سارع بسمارك إلى إرسال تعليمات إلى جميع البعثات الدبلوماسية الألمانية في الشرق «**بعدم التدخل في الشؤون السياسية للمنطقة**». وبذلك طويت قضية فون ألتن، الذي عزل من منصبه في العام التالي[١٢].

٣ ـ مسألة حماية الرعايا الألمان:

حتى منتصف السبعينات من القرن التاسع عشر حافظت الحكومة الألمانية على المبادىء الأساسية المتبعة في سياستها الشرقية ومن ضمنها عدم تشجيع أي نشاط استيطاني لألمانيا في المنطقة «**خشية الانزلاق عن قصد أو من دون قصد في قضايا المنطقة**»[١٣]. لكن استيطان أعداد من الرعايا الألمان البروتستانت وأعضاء جمعية الهيكل الألمانية بالإضافة إلى تجّار ألمان وآخرين في فلسطين جعل من الصعب التمسك دائماً بمبدأ عدم التدخل في المسألة الشرقية.

إرسال السفن الحربية الألمانية إلى الشاطىء الفلسطيني عام ١٨٧٧:

خلال الأزمة البلقانية التي بدأت في منتصف السبعينات من القرن الماضي وبشكل خاص مع بداية عام ١٨٧٧، وقبيل اندلاع الحرب الروسية العثمانية وبعدها، سرت موجة قلق بين الأوروبيين القاطنين في الدولة العثمانية، ذلك انهم خشوا حدوث ردّات فعل انتقامية للسكان المحليين ضد المسيحيين والأجانب. وكان يعيش في فلسطين حينئذ **٨٥٠** مواطناً ألمانياً، معظمهم أعضاء في جمعية الهيكل. أما بيروت فكان يقطنها **٢٥٣** مواطناً ألمانياً يتمتعون

بالحماية القنصلية الألمانية[١٤]. وتحسباً لأي طارىء قام أعضاء جماعة الهيكل بتحصين مستوطناتهم ووضعوا أنفسهم تحت السلاح، في الوقت الذي طالبوا فيه حكومتهم باتخاذ الإجراءات العملية لحمايتهم[١٥]. ولكي يهدىء الأمبراطور وليم الأول .Wilhelm I من روعهم امر في أول شباط عام **١٨٧٧** بإرسال السفينة الحربية «غزيل» Gazelle إلى الشاطىء السوري[١٦]. وبعد أربعة أسابيع من الإقامة في الموانىء السورية والفلسطينية قدَّم الغراف فون هاكه Graf von Hacke قائد القطعة البحرية الألمانية «**تقريراً إلى الخارجية الألمانية حول أوضاع الألمان وظروفهم في سوريا وفلسطين وخصوصاً المستوطنين الألمان في المناطق الساحلية يافا، حيفا وبيروت**». وفي تقريره نقل فون هاكه مخاوف جماعة الهيكل من ردَّة فعل «**إسلامية**» ضدها في حال انهزام الدولة العثمانية في حربها ضد روسيا. كذلك نقل رغبة الجماعة:

> «بإرسال سفن صاحب الجلالة الأمبراطور من إحدى القواعد الشرقية إلى السواحل السورية لضمان المصالح الألمانية في المنطقة وأن يستمر ذلك لسنوات عدة»[١٧].

وفي الوقت نفسه كان مونشهاوزن Mûnchhausen، القنصل الألماني في القدس، يصف للخارجية الألمانية وضع جماعة الهيكل بأنه «**دقيق للغاية**»[١٨].

وعندما بدأت السلطات العثمانية في أيار ١٨٧٧ بسحب قسم كبير من وحداتها العسكرية في سوريا وفلسطين وإرسالها الى جبهة الحرب مع روسيا[١٩] ازداد قلق الخارجية الألمانية على مصير رعاياها في فلسطين، مما جعل الأمير هنري فون رويس Heinrich von Reuss، السفير الألماني في الآستانة، يسرع الاتصال بمدحت باشا، الصدر الأعظم وينال منه وعداً لإعادة تركيز قوات عثمانية جديدة في القدس[٢٠]. ولكن عندما ثبت للدول الكبرى أن الدولة العثمانية ليست جادة في موضوع تأمين حماية عسكرية للمسيحيين والأجانب في المناطق التي أخلتها قواتها، أرسلت فرنسا وبريطانيا وإيطاليا وحدات عسكرية بحرية إلى الشاطىء السوري الفلسطيني بغية إعطاء رعاياها قدراً من الطمأنينة والأمن ضد أي اعتداء من السكان المحليين[٢١]. أما المستشار الألماني بسمارك فقرر إرسال بعض السفن الحربية الألمانية إلى الشاطىء السوري الفلسطيني لاعطاء:

«رعايا الرايخ (الألماني) القاطنين في الدولة العثمانية دعماً، (...) وللحماية والسهر عليهم، وأيضاً التدخل في حال تعرض هؤلاء للخطر في حياتهم وممتلكاتهم»(٢٢).

كما أعطيت الوحدات البحرية الألمانية أوامر بتجنب اللجوء للعمل العسكري قدر المستطاع(٢٣). وفي ١٤ حزيران ١٨٧٧ وصلت السفينة فكتوريا Viktoria إلى مرفأ يافا ومن هناك عرّجت على حيفا وبيروت. وبعد مرور عشرين يوماً على ذلك وصل أسطول ألماني إلى الشاطىء السوري مؤلف من خمس قطع. وفي آب عادت السفينة «غزيل» مجددا الى المنطقة(٢٤).

والجدير بالملاحظة هنا، أن تحرك ألمانيا سياسياً وعسكرياً على النحو الذي ذكرناه لا يُعتبر خروجاً عن سياسة ألمانيا تجاه المسألة الشرقية. فتدخل ألمانيا حدث هنا بموافقة الدول الكبرى وكان يجسد سياسة **«التجانس الأوروبي»**.

النزاعات بين جماعة الهيكل الألمانية والسكان المحليين في عام ١٨٨٠: عندما كانت تحدث نزاعات بين مواطنين ألمان ومستوطنين أوروبيين او بين ألمان ورعايا من الدولة العثمانية، كانت القنصلية الألمانية في منطقة النزاع تتدخل في كل مرة كوسيط في النزاع دون أية محاولة لتضخيم الأمور سياسياً وذلك انسجاماً مع سياسة ألمانيا المعلنة بعدم التورط بتعقيدات المسألة الشرقية(٢٥). وتجلت هذه السياسة بوضوح في ٤ حزيران عام ١٨٨٠ عندما حدث نزاع عنيف بين أعضاء جمعية الهيكل ورهبان الكرمل المتمتعين بالحماية الفرنسية وذلك بسبب ادعاء كل فريق بملكيته لأراض واقعة على جبل الكرمل في حيفا. وقد تطور عندما قام رهبان الكرمل بتحريض الفلاحين العرب العاملين لديهم على مهاجمة المستوطنين الألمان، مما نتج عنه سقوط عدد من الجرحى الألمان. وردَّ الألمان على ذلك بالاعتداء على أحد الرهبان الكرمليين. وعندما علم بسمارك بالمسألة، وان بريطانيا أرسلت إحدى سفنها الحربية إلى حيفا، طلب من الخارجية الألمانية معلومات مفصَّلة عن الموضوع(٢٦).

وبينما وصف مونشهاوزن الوضع في حيفا وعكا بـ **«غاية التوتر»** وطالب باتخاذ إجراءات سريعة لحماية أعضاء جمعية الهيكل(٢٧)، أبلغ برونينغ Brû-ning، القنصل الألماني في بيروت الذي تمتد صلاحياته القنصلية على عكا، الخارجية الالمانية بأن الحالة في عكا وحيفا ونابلس هادئة ولا تدعو للقلق(٢٨).

أما الغراف هاتزفلدت - فيلدنبورغ Graf von Hatzfeldt - Wildenburg، السفير الألماني في العاصمة العثمانية، فعزا النزاع إلى **«حقد شخصي وليس أبداً إلى تعصب ديني من جانب السكان»** المحليين(٢٩). وقد اقتنعت الخارجية الألمانية بتفسير سفيرها للحادثة ورأت في تقرير مونشهاوزن مبالغة لحملها على التدخل لمصلحة جمعية الهيكل. ولما كان نزاع أعضاء جمعية الهيكل مع جمعية فرنسية تخضع للحماية الفرنسية فقد جرت اتصالات عاجلة بين برلين وباريس لتسوية المسألة. وقد تمّ ذلك بالفعل ولم يحدث أي تدخل ألماني مباشر في المنطقة.

الوضع بعد احتلال بريطانيا لمصر في عام ١٨٨٢: مرة أخرى تزداد مخاوف الأوروبيين في فلسطين بعد احتلال بريطانيا لمصر وضرب الحركة الوطنية التي تزعمها عرابي باشا(٣٠). وكما هي الحال في كل مرة عم القلق أوساط المستوطنين الألمان، الذين كانوا يشكلون أكبر جماعة أجنبية في فلسطين(٣١). وفي أحد تقاريره إلى الخارجية الألمانية ذكر رايتز Reitz القنصل الألماني في القدس، بتاريخ ٤ تموز ١٨٨٢ بأنه يُجرى إثارة السكان المسلمين في المساجد ضد الأجانب وأن هناك شائعات عن حدوث اضطرابات في يافا وبيت لحم. وأخيراً ذكر رايتز أن المستوطنين الألمان يقومون بتحصين مستوطناتهم ضد أي هجوم(٣٢).

أما بسمارك الذي كان موضوع احتلال بريطانيا لمصر وتورطها من جرّاء ذلك في تعقيدات دولية مع فرنسا وروسيا يخدم استراتيجيته الأوروبية في نقل النزاعات إلى خارج القارة، رأى عدم الإقدام على أية خطوة لدعم الألمان في فلسطين كإرسال أسطول ألماني إلى المنطقة على سبيل المثال، كي لا يُفسَّر من جانب بريطانيا على أنه مناهض لسياستها في مصر أو يدفع روسيا وفرنسا إلى التقارب في المسألة الشرقية، وهو ما كان بسمارك يخشاه. وعندما علم بسمارك أن الأمبراطور وليم الأول أمر السفينة الحربية **«نيمف»** Nym-phe بالابحار إلى بيروت من دون استشارته وخشية منه لعواقب مثل هذا التصرف، أمر قبطان السفينة بتغيير خط سيره والعودة إلى قاعدته. لكن هذه الأوامر وصلت متأخرة بعدما كانت السفينة قد رست بالفعل في ميناء بيروت. ورغم ذلك فإن مخاوف بسمارك من أن تفسر هذه الخطوة على أنها

انفراد ألماني في المسألة الشرقية، ثبت عدم صحتها. فقُبيل وصول السفينة إلى بيروت كان أسطول فرنسي قد سبقها إلى هناك، مما أفقد الخطوة الألمانية وزنها. ولكي يضفي بسمارك على التحرك الألماني طابعاً دولياً ويتقرب في الوقت نفسه إلى فرنسا خصم ألمانيا العنيد، أمر قائد القطعة البحرية الألمانية بالتعاون مع قائد الأسطول الفرنسي الموجود في بيروت. وبطريقة غير مباشرة أراد بسمارك أن يؤكد احترامه للمصالح الفرنسية التقليدية في سوريا.

إلا أن تدهور العلاقات الألمانية-الفرنسية في منتصف الثمانينات من القرن المنصرم[٣٣]، انعكس على المنطقة السورية-الفلسطينية. ففي محاولة لإفهام الفرنسيين بأن محافظتهم على مصالحهم في سوريا وفلسطين مرتبطة بمدى تقربهم أو عدم تقربهم من ألمانيا، أخذت السفن الحربية الألمانية منذ ذلك الحين تتردد باستمرار على الساحل السوري-الفلسطيني[٣٤]. وإذا كانت سياسة المضايقة الألمانية لم تكن سوى تحدٍ غير مباشر لنفوذ فرنسا في المنطقة، إلا أن منازعة ألمانيا لفرنسا في ادعاءاتها في حماية جميع الكاثوليك في الشرق كان التحدي المباشر والأقوى من إرسال بضع سفن للتجوال أمام الساحل السوري-الفلسطيني.

الإدعاءات الفرنسية بحماية جميع كاثوليك الشرق: لعبت فرنسا لفترة طويلة دوراً تقليدياً في حماية جميع الكاثوليك في الدولة العثمانية بغض النظر عن جنسياتهم. فمنذ عام ١٥٣٥ ظلّت فرنسا تصبغ على سياستها في السلطنة العثمانية طابعاً رسمياً من خلال عقد المعاهدات والحصول على الامتيازات من السلطنة[٣٥]. كما أن معاهدة ١٧٤٠ lettres patentes سجلت أهم المكتسبات الفرنسية وكانت فاتحة لسلسلة من الامتيازات التي حصلت عليها الدول الأوروبية الكبرى. وفي المادة ٣٢ من معاهدة ١٧٤٠ أكد الباب العالي:

> **«ان المطارنة التابعين لفرنسا وسائر الرهبان الذين يمارسون الديانة الفرنجية داخل بلادهم، إلى أية طائفة أو جنس انتموا، لن يتعرضوا لأية مضايقة بشأن ممارستهم مهام وظائفهم، حيث يقطنون ضمن سيادتنا في أرجاء سلطتنا منذ أمد بعيد»[٣٦].**

وفي الفترة التالية أكدت فرنسا مرارا حقوقها بحماية الكاثوليك في الدولة لعثمانية: في صلح باريس عام ١٨٥٦[٣٧]، او بتكليف الدول الكبرى لفرنسا

بالتدخل العسكري في لبنان عام ١٨٦٠[٣٨]. ومع أن الفقرة السابعة من المادة ٦٢ لمعاهدة برلين ١٨٧٨ قد أكدت:

> **«أن الحقوق التي حصلت عليها فرنسا تبقى محفوظة لها، وأنه من المسلّم به ألاّ يحدث أي تبديل في الوضع الراهن للأماكن المقدسة»[٣٩].**

بيد أن الفقرة السادسة من المادة نفسها كانت قد أكدت أن الدولة العثمانية تعترف:

> **«بحق الممثلين الدبلوماسيين والقنصليين للدول الكبرى في تركيا بممارسة الحماية الرسمية على الأشخاص المذكورين أعلاه (الكهّان والحجّاج والرهبان لأية جنسية أو طائفة انتموا) وعلى دياناتهم ومؤسساتهم الخيرية وغيرها في الأماكن المقدسة وأماكن أخرى»[٤٠].**

والواقع أن إدعاءات فرنسا بحقها في حماية الكاثوليك في الشرق من دون إعتبار لجنسياتهم مستثنية بذلك غيرها من الدول الأوروبية الكاثوليكية لم يكن دوماً أمراً جازماً، إذ استطاعت النمسا منذ معاهدة كارلوفيتز Karlowitz ١٦٩٩ مع الدولة العثمانية الحصول على مرتبة مساوية لفرنسا في حماية الكاثوليك في الشرق وخاصة كاثوليك البلقان[٤١]، وفي عام ١٨٤٨ عيّن الفاتيكان المطران فاليرغا Valerga بطريركاً لاتينياً على القدس في وجه مقاومة فرنسية عنيفة[٤٢]. وبعد تأسيس الدولة الألمانية الموحدة أخذت ألمانيا وإيطاليا[٤٣] تنازعان فرنسا في **«حقوقها التقليدية»** بحماية جميع الكاثوليك في المشرق.

وأولى مؤشرات التحول في الموقف الألماني من مسألة حماية الكاثوليك الألمان القاطنين في الدولة العثمانية حدثت في أعقاب توقيع الاتفاقية المصرية الفرنسية في ١٠ تشرين الثاني ١٨٧٤، والتي استثنت المؤسسات الكاثوليكية المحمية من قبل فرنسا من مسألة الخضوع للمحاكم الدولية التي أنشئت في مصر[٤٤]. ففي أيار ١٨٧٥ صرح القنصل العام الألماني في القاهرة معقباً على الاتفاقية المصرية الفرنسية، فأكد:

> **«أن الحكومة الألمانية لا تعترف بحماية مطلقة لأية دولة على المؤسسات الكاثوليكية في الشرق، وتحتفظ لنفسها الحقوق كافة تجاه رعاياها، الذين ينتمون إلى أي من هذه المؤسسات (الألمان العاملين لدى المؤسسات الفرنسية) وتعتبر أن هذه المعاهدة (المعاهدة المصرية-الفرنسية) لا تضر بأي حال القوانين القضائية التي أعدت أو سوف توضع للرعايا الألمان في مصر من خلال المفاوضات التي أجرتها أو تجريها ألمانيا مع حكومة الخديوي»[٤٥].**

وبسبب عدم وجود كاثوليك ألمان بالدولة العثمانية في ذلك الحين على استعداد لأن يضعوا أنفسهم تحت حماية الرايخ الألماني نتيجة للكفاح الثقافي ضدهم وأيضاً بسبب ضعف تمثيلهم في الشرق، فَقَدَ تصريح الحكومة الألمانية المشار إليه تأثيره.

مناهضة ألمانيا لإدعاءات فرنسا بحماية الكاثوليك :

ولكن الظروف التي رافقت صدور التصريح الألماني لعام ١٨٧٥ تغيرت تغيراً جذرياً في نهاية الثمانينات، اي عندما أخذ الكاثوليك الألمان في فلسطين ومعظمهم من المبشرين يعملون على أسس قومية ألمانية. ففي عام ١٨٨٨ وإثر نزاع في كنيسة الميلاد ببيت لحم وطلب إثنين من الرهبان الكاثوليك الألمان وضع نفسيهما تحت الحماية القنصلية الألمانية، أعطت الخارجية الألمانية تعليماتها إلى القنصل الألماني في القدس:

« بأن جميع الألمان الموجودين خارج البلاد أو في الشرق لهم حق التمتع بالحماية الألمانية لشخصهم، سواء أكانوا رهبانا أم غير ذلك»[٤٦].

كذلك طلب أوتمار ماير Othmar Mayr وهو مبشر من بفاريا Bayern في بداية العام التالي الحماية القنصلية الألمانية بعد خلاف مع جمعية « سان جان دو ديو » Ordre de St. Jean de Dieu التي يعمل لديها. ولم تؤدِ خطوة ماير إلى نزاع بين ألمانيا وفرنسا، بل مرَّت بسلام[٤٧].

وطالما مسألة الحماية لا تتعدى سوى أفراد قلائل، فإن ذلك لم يكن محل نزاع بين فرنسا وألمانيا. ولكن عندما وضعت « جمعية فلسطين» الألمانية في عام ١٨٨٩ نفسها ومؤسساتها تحت الحماية الألمانية[٤٨]، شكَّل ذلك تحدياً مباشراً لادعاءات فرنسا التقليدية بحماية جميع كاثوليك الشرق. ولذا عمدت فرنسا إلى تحريك دبلوماسيتها للدفاع عن مصالحها وإلى كسب البابا إلى جانبها. وفي ٢٢ أيار ١٨٨٨ أكد البابا ليو الثالث عشر الحماية الفرنسية التقليدية في الشرق[٤٩] . وفي الوقت نفسه أخذت فرنسا تمارس ضغوطاً على جمعية فلسطين لكي تضع نفسها تحت الحماية الفرنسية. ولما فشلت في مسعاها أخذت تضغط نفسياً على الآباء اللعازاريين الألمان العاملين مع جمعية فلسطين كي يضعوا أنفسهم تحت حمايتها. فاضطر الراهب يوليوس لوميتر Julius Lemaitre إلى

مغادرة القدس عام ١٨٩٢. أما الراهب وليم شميدت Wilhelm Schmidt والراهب رايشن، الذي حل محل لوميتر، فصمدا بثبات أمام الضغوطات الفرنسية ورفضا وضع نفسيهما تحت الحماية الفرنسية[٥٠].

ومع بداية صيف ١٨٩٢ نقلت فرنسا النزاع مع ألمانيا من فلسطين إلى باريس، حيث حاولت الخارجية الفرنسية ممارسة الضغط على مركز الآباء اللعازاريين الرئيسي في باريس والذي يُموَّل من قبل دوائر فرنسية رسمية، في سبيل استدعاء الراهبين شميدت ورايشن من القدس[٥١] . ولتفادي حدوث ذلك اقترح تيشندورف Tischendorf، القنصل الألماني في القدس، على الخارجية الألمانية خطة للمناورة يتحول بموجبها شميدت ورفيقه إلى «راهبين مدنيين»، بمعنى أن يظلاَّ يمارسان وظيفتها كراهبين من دون الانتماء إلى جمعية الآباء اللعازاريين[٥٢]. وما لم يدركه تشيندورف هو أن المسألة كانت أكبر من مجرد نقل راهبين، إذ أنها كانت تتعلق بالسياسة الألمانية العليا ومركز ألمانيا في الشرق. ولذلك نرى أن الخارجية الألمانية أصرت على أن يبقى شميدت ورايشن في النزل الألماني بالقدس كراهبين كاثوليكيين ألمانيين تابعين لجمعية الآباء اللعازاريين وتحت الحماية الألمانية[٥٣] . وفي هذا المعنى أوعزت الخارجية إلى تيشندورف:

«بألاَّ يترك مجالاً للشك، بأننا (ألمانيا) ننظر إلى هذه (النزل والمؤسسات الكاثوليكية الألمانية) على أنها مؤسسات ألمانية . . . ونعتبرها تحت حمايتنا»[٥٤].

وفيما كان الوضع في القدس لا يزال على تأزمه بين ألمانيا وفرنسا انفجر صراع مشابه بين الدولتين في حيفا، عندما ضغط نائب القنصل الفرنسي في المدينة على راهبات بوروميه الألمانيات كي يرفعن العلم الفرنسي فوق مؤسساتهن كتعبير عن الاعتراف بالحماية الفرنسية. ورغم كل التهديدات التي أطلقها نائب القنصل فإن الراهبات بقين على موقفهن في توجهاتهن الوطنية، بل رفعن العلم الألماني على مؤسستهن في الأول من تموز عام ١٨٩٢[٥٥] . كذلك بقي شميدت ورايشن في القدس استعداداً لجولة ثانية مع ممثلي السياسة الفرنسية في المنطقة.

موقف الفاتيكان: عادت فرنسا من جديد، وبالتحديد منذ منتصف حزيران ١٨٩٢ تتحرك باتجاه الفاتيكان في سبيل الحصول على دعم منه[٥٦] . كذلك أدركت ألمانيا أهمية توضيح موقفها أمام الفاتيكان في الوقت نفسه وحذرته

وبسبب عدم وجود كاثوليك ألمان بالدولة العثمانية في ذلك الحين على استعداد لأن يضعوا أنفسهم تحت حماية الرايخ الألماني نتيجة للكفاح الثقافي ضدهم وأيضاً بسبب ضعف تمثيلهم في الشرق، فَقَدَ تصريح الحكومة الألمانية المشار إليه تأثيره.

مناهضة ألمانيا لإدعاءات فرنسا بحماية الكاثوليك :

ولكن الظروف التي رافقت صدور التصريح الألماني لعام ١٨٧٥ تغيرت تغيراً جذرياً في نهاية الثمانينات، اي عندما أخذ الكاثوليك الألمان في فلسطين ومعظمهم من المبشرين يعملون على أسس قومية ألمانية. ففي عام ١٨٨٨ وإثر نزاع في كنيسة الميلاد ببيت لحم وطلب إثنين من الرهبان الكاثوليك الألمان وضع نفسيهما تحت الحماية القنصلية الألمانية، أعطت الخارجية الألمانية تعليماتها إلى القنصل الألماني في القدس:

« بأن جميع الألمان الموجودين خارج البلاد أو في الشرق لهم حق التمتع بالحماية الألمانية لشخصهم، سواء أكانوا رهبانا أم غير ذلك»(٤٦).

كذلك طلب أوتمار ماير Othmar Mayr وهو مبشر من بفاريا Bayern في بداية العام التالي الحماية القنصلية الألمانية بعد خلاف مع جمعية « سان جان دو ديو » Ordre de St. Jean de Dieu التي يعمل لديها. ولم تؤدِ خطوة ماير إلى نزاع بين ألمانيا وفرنسا، بل مرَّت بسلام(٤٧).

وطالما مسألة الحماية لا تتعدى سوى أفراد قلائل، فإن ذلك لم يكن محل نزاع بين فرنسا وألمانيا. ولكن عندما وضعت « جمعية فلسطين» الألمانية في عام ١٨٨٩ نفسها ومؤسساتها تحت الحماية الألمانية(٤٨)، شكَّل ذلك تحدياً مباشراً لادعاءات فرنسا التقليدية بحماية جميع كاثوليك الشرق. ولذا عمدت فرنسا إلى تحريك دبلوماسيتها للدفاع عن مصالحها وإلى كسب البابا إلى جانبها. وفي ٢٢ أيار ١٨٨٨ أكد البابا ليو الثالث عشر الحماية الفرنسية التقليدية في الشرق(٤٩). وفي الوقت نفسه أخذت فرنسا تمارس ضغوطاً على جمعية فلسطين لكي تضع نفسها تحت الحماية الفرنسية. ولما فشلت في مسعاها أخذت تضغط نفسياً على الآباء اللعازاريين الألمان العاملين مع جمعية فلسطين كي يضعوا أنفسهم تحت حمايتها. فاضطر الراهب يوليوس لوميتر Julius Lemaitre إلى

مغادرة القدس عام ١٨٩٢. أما الراهب وليم شميدت Wilhelm Schmidt والراهب رايشن، الذي حل محل لوميتر، فصمدا بثبات أمام الضغوطات الفرنسية ورفضا وضع نفسيهما تحت الحماية الفرنسية(٥٠).

ومع بداية صيف ١٨٩٢ نقلت فرنسا النزاع مع ألمانيا من فلسطين إلى باريس، حيث حاولت الخارجية الفرنسية ممارسة الضغط على مركز الآباء اللعازاريين الرئيسي في باريس والذي يُموَّل من قبل دوائر فرنسية رسمية، في سبيل استدعاء الراهبين شميدت ورايشن من القدس(٥١). ولتفادي حدوث ذلك اقترح تيشندورف Tischendorf، القنصل الألماني في القدس، على الخارجية الألمانية خطة للمناورة يتحول بموجبها شميدت ورفيقه إلى «راهبين مدنيين»، بمعنى أن يظلاَّ يمارسان وظيفتها كراهبين من دون الانتماء إلى جمعية الآباء اللعازاريين(٥٢). وما لم يدركه تشيندورف هو أن المسألة كانت أكبر من مجرد نقل راهبين، إذ أنها كانت تتعلق بالسياسة الألمانية العليا ومركز ألمانيا في الشرق. ولذلك نرى أن الخارجية الألمانية أصرت على أن يبقى شميدت ورايشن في النزل الألماني بالقدس كراهبين كاثوليكيين ألمانيين تابعين لجمعية الآباء اللعازاريين وتحت الحماية الألمانية(٥٣). وفي هذا المعنى أوعزت الخارجية إلى تيشندورف:

«بألاَّ يترك مجالاً للشك، بأننا (ألمانيا) ننظر إلى هذه (النزل والمؤسسات الكاثوليكية الألمانية) على أنها مؤسسات ألمانية... ونعتبرها تحت حمايتنا»(٥٤).

وفيما كان الوضع في القدس لا يزال على تأزمه بين ألمانيا وفرنسا انفجر صراع مشابه بين الدولتين في حيفا، عندما ضغط نائب القنصل الفرنسي في المدينة على راهبات بورومية الألمانيات كي يرفعن العلم الفرنسي فوق مؤسساتهن كتعبير عن الاعتراف بالحماية الفرنسية. ورغم كل التهديدات التي أطلقها نائب القنصل فإن الراهبات بقين على موقفهن في توجهاتهن الوطنية، بل رفعن العلم الألماني على مؤسستهن في الأول من تموز عام ١٨٩٢(٥٥). كذلك بقي شميدت ورايشن في القدس استعداداً لجولة ثانية مع ممثلي السياسة الفرنسية في المنطقة.

موقف الفاتيكان: عادت فرنسا من جديد، وبالتحديد منذ منتصف حزيران ١٨٩٢ تتحرك باتجاه الفاتيكان في سبيل الحصول على دعم منه(٥٦). كذلك أدركت ألمانيا أهمية توضيح موقفها أمام الفاتيكان في الوقت نفسه وحذرته

من عواقب الوقوع في **شباك الدبلوماسية الفرنسية**، وأنه في حال رضوخ البابا للمطالب الفرنسية باستدعاء الراهبين **فإن ذلك** سوف يؤدي إلى ما يلي[٥٧] :

- إثارة الرأي العام الكاثوليكي الألماني.
- تمنّع الكاثوليك الألمان عن إرسال تبرعات سخية (حتى ذلك الوقت كان يُرسل سنوياً نحو ٤٠٠ ألف مارك[٥٨]) إلى إرسالية ليون.
- منع الحكومة الألمانية جمع التبرعات العامة في البلاد لمصلحة صندوق ليون.
- إن جمعية فلسطين لن تضع نفسها تحت الحماية الفرنسية مهما حاولت فرنسا معها من أساليب.

ويبدو أن البابا كان يدرك أبعاد الانحياز الكامل لجانب فرنسا، خاصة أنه كان لا يقر تماماً حماية فرنسية شاملة على جميع الكاثوليك في المشرق[٥٩] . ولهذا السبب رفض استدعاء الراهبين[٦٠] . وإضافة إلى ذلك وقفت إدارة رهبنة اللعازاريين في باريس موقفاً سلبياً من الطلب الفرنسي باستدعاء شميدت ورايشن[٦١] . ورغم الاحتجاجات الفرنسية اعترف الفاتيكان في عام ١٨٩٤ بالحماية الألمانية على مؤسسات راهبات بوروميه في مصر وفلسطين[٦٢] .

موقف الباب العالي: منذ إندلاع النزاع بين ألمانيا وفرنسا بشأن الحماية تمسكت الحكومة العثمانية بالفقرة السادسة من المادة ٦٢ لمعاهدة برلين بأن كل دولة تمارس الحماية على رعاياها في الدولة العثمانية[٦٣] . وفي حزيران بعث رادوفيتز Radowitz ، السفير الألماني في العاصمة العثمانية، إلى الخارجية الألمانية يعلمها أن الباب العالي « **يقف إلى جانب ألمانيا في ما يتعلق بموضوع رفع العلم الألماني على مؤسسات راهبات بوروميه**»[٦٤] في حيفا. أما بشأن استدعاء الراهبين، يضيف رادوفيتز، فإن الباب العالي يرى المسألة قضية داخلية كاثوليكية، وهو يقف تجاهها موقفاً محايداً. وبعد شهرين على رسالة رادوفيتز أكد سعيد باشا، وزير الخارجية العثماني أن حكومته تعترف بالحماية الألمانية على مؤسسات بوروميه[٦٥] .

وعلى أية حال، فإن النزاع حول مسألة حماية الكاثوليك لم تُحسم هذه

المرة، بل ان رواسبها ظلت تتفاعل حتى ظهرت من جديد خلال رحلة الأمبراطور وليم الثاني إلى فلسطين عام ١٨٩٨ ، وهو ما سنعالجه فيما بعد.

٤ ـ رحلة وليم الثاني إلى فلسطين وسوريا في تشرين الأول والثاني عام ١٨٩٨ :

الأوضاع الدولية عشية الرحلة: تعتبر رحلة الأمبراطور وليم الثاني إلى فلسطين ذروة العلاقات الألمانية العثمانية ودليلاً ـ على عكس سياسة بسمارك المتحفظة ـ على التدخل المباشر لألمانيا في المسألة الشرقية وتحدياً لمصالح الدول الأوروبية في الدولة العثمانية وبشكل خاص بريطانيا وفرنسا[٦٦] .

وفيما بريطانيا أدخلت منذ منتصف التسعينات من القرن الماضي تعديلاً على سياستها في المسألة الشرقية يتوافق مع سياسة روسيا المعلنة والقاضية بتوزيع تركة « **الرجل المريض**» على الدول الكبرى[٦٧] ، عملت ألمانيا لأسباب اقتصادية وسياسية واستراتيجية للمحافظة على سيادة الدولة العثمانية واستقلالها[٦٨] . وانسجاماً مع هذه السياسة صمتت ألمانيا على السياسة العثمانية تجاه الأرمن (منذ عام ١٨٩٥)[٦٩] وأيدت الدولة العثمانية دبلوماسياً في حربها ضد اليونان (١٨٩٧)[٧٠] ، فضلاً عن تزويدها بالسلاح الألماني. ومنذ ظهور ألمانيا كمنافسة استعمارية وتجارية لبريطانيا حدث توتر في علاقات الدولتين. ففي نهاية صيف ١٨٩٨ بدأ الرايشستاغ يدرس قوانين هدفها تطوير القدرة البحرية الألمانية تحت شعار « **قوانين الاسطول**» Flottengesetze . وهذا ما فسرته بريطانيا على أنه تحد لها ولقوتها البحرية الضاربة[٧١] .

ورغم التنافس الألماني البريطاني إلاّ ان الدولتين لم تكونا متباعدتين كثيراً بعضهما عن بعض في مسائل دولية معينة. فألمانيا أيدت بريطانيا في نزاعها مع فرنسا حول فاشودة[٧٢] ، عندما وصلت العلاقات البريطانية الفرنسية إلى حافة الحرب، في الوقت الذي كان فيه أمبراطور ألمانيا يستعد للقيام بزيارته إلى فلسطين. ومما لا شك فيه أن توقيت النزاع البريطاني الفرنسي حول فاشودة كان يخدم بصورة غير مباشرة السياسة الألمانية في تحويل الانتباه عن الأهداف الحقيقية لرحلة العاهل الألماني إلى الشرق[٧٣] ، مع أنه لا علاقة مباشرة لتوقيت الرحلة باندلاع النزاع البريطاني الفرنسي حيث أن الزيارة كان مخطط لها قبل

عام من حدوث الأزمة[٧٤].

التحضير للرحلة (مسألة الحماية): حاولت الدوائر السياسية الألمانية تصوير رحلة العاهل الألماني إلى فلسطين على أنها رحلة حج إلى الأراضي المقدسة ولتدشين كنيسة المخلص البروتستانتية وعدد آخر من المؤسسات الألمانية[٧٥]. ومع ذلك فإن المغزى الحقيقي للزيارة كان الحصول على مكاسب سياسية بتأكيد ألمانيا حقها في حماية رعاياها في الشرق، وخاصة الكاثوليك، وفي الوقت نفسه ضرب النفوذ الفرنسي العتيد في المنطقة. فمنذ أوائل عام ١٨٩٨ كانت الدوائر السياسية الألمانية منشغلة في تحديد أهداف الرحلة. وفي هذا المعنى كتب مارشال فون بيبر شتاين Marschall von Bieberstein ، في ٢٥ شباط ١٨٩٨ إلى المستشار الألماني هوهنلوهه Hohenlohe يقترح ما يجب أن تكون عليه أهداف الرحلة الأمبراطورية إلى الشرق:

> **«إن محاربة النفوذ الذي حصلت عليه فرنسا في المسائل الكنسية للكاثوليك الروم المسيحيين في تركيا وبشكل غير مباشر في مسائل سياسية، هو أحد أبرز مهام السياسة الألمانية في تركيا. وبفضل نفوذنا السياسي الذي حصلنا عليه في تركيا، فنحن الوحيدين الذين يمكننا وضعنا من تشجيع عملية التفتت الذي تجد الحماية الفرنسية نفسها فيه ويسرعها. وإذا ما تمكنت ألمانيا من إزاحة الحماية الفرنسية المطلقة، فإن هذا العمل سوف يرفع بشكل كبير من سمعتنا في أعين الشرقيين»[٧٦].**

أما برنهارد فون بولوف Bernhard von Bûlow وزير الخارجية الألمانية، فكتب إلى الأمبراطور يقول:

> **«إنه من المفيد بشكل عام دعم كل ما يمكن بواسطته تقويض هيبة فرنسا في الليفانت من جهة، وإذكاء الخصام الذي بدأ يظهر بين الألمان والكاثوليك الفرنسيين في المسائل الشرقية من جهة أخرى»[٧٧].**

ولهذه الأسباب حظيت مسألة الحماية بعناية خاصة خلال التحضير للزيارة. وطبقاً لتفسير ألماني للمادة ٣٢ من معاهدة ١٧٤٠ بين فرنسا والدولة العثمانية والتي تستند إليها فرنسا في دعم حججها في مسألة الحماية[٧٨]، فإن هناك خطأ في ترجمة النص التركي إلى الفرنسية. ففيما النص الفرنسي الذي تستند إليه فرنسا يتحدث عن حماية فرنسية لرجال دين وأساقفة «**إلى أية أمة أو جنس انتموا**» de quelque nation ou espèce qu'ils soient فإن الترجمة الصحيحة للنص عن اللغة العثمانية كما فسرته الدوائر الألمانية تنص على حماية

رجال الدين والأساقفة «**إلى أي نوع او جنس انتموا**» دون التطرق إلى الأمم التي ينتمي إليها هؤلاء الأشخاص de quelque genre ou espèce qu'ils soient[٧٩].

وعلى كل حال فإن الدبلوماسية الألمانية كانت تدرك ضرورة محاربة النفوذ الفرنسي في الفاتيكان نفسه[٨٠]. ومع أن البابا لم ينظر بعين الرضى إلى «**حماية فرنسية مطلقة في الشرق**»[٨١]، فلم تنجح الدبلوماسية الألمانية في جره لاتخاذ موقف محايد من النزاع أو إقامة علاقات دبلوماسية بين الفاتيكان والباب العالي[٨٢] وما سيجره ذلك من إضعاف للحماية الفرنسية في الشرق. فعلى عكس ما كانت تتمناه ألمانيا، أعلن البابا نتيجة ضغوطات فرنسية عليه في تموز ١٨٩٨ موافقته على إنشاء «**لجنة دولية للدفاع عن امتيازات فرنسا في الشرق**» Internationales Komitee fûr die Verteidigung der Vorrechte Frankreichs Im Orient[٨٣] ومجدداً أكد البابا في ٢٠ آب على حقوق فرنسا التقليدية في حماية الكاثوليك في الشرق[٨٤].

وترافقت تصريحات البابا الأخيرة مع زيارة الأمبراطور وليم الثاني للشرق. وفي ذلك وجدت الحكومة الألمانية عملاً غير ودي من جانب الفاتيكان[٨٥]. فاستدعت إلى برلين مبعوثها لدى الكرسي الرسولي في أيلول من العام نفسه[٨٦]. وعندما أعلن بطريرك القدس اللاتيني لودفيكو بيافي Ludovico Piavi عن أحقية ألمانيا في حماية رعاياها الكاثوليك في الشرق[٨٧]، سارعت الدبلوماسية الفرنسية لمعاقبته[٨٨] والتسبب في عزله من منصبه. لكنها لم تنجح في مسعاها وبقي بيافي في منصبه حتى عام ١٩٠٥[٨٩].

محاولة عرقلة رحلة وليم الثاني: قُبيل قيام الأمبراطور وليم الثاني برحلته إلى الشرق، أي في ٣٠ أيلول ١٨٩٨، تلقت الخارجية الألمانية في برلين معلومات من أحد الألمان في القدس ويدعى الدكتور رازفيلد Dr. Rasefeld بأن الأمبراطور قد يتعرض لمحاولة إغتيال خطط لها رجل دين فرنسي يدعى موريسون Morrisson وأن عملية الاغتيال كانت ستتم أصلاً في مصر، لكن إلغاء زيارة الأمبراطور لمصر بسبب أزمة فاشودة جعل المتآمرين يستبدلون يافا أو القدس بمصر كمسرح بديل لتنفيذ الاغتيال[٩٠]. وبعد أيام قليلة كشفت إحدى الصحف الألمانية استناداً إلى مصادر بريطانية في الإسكندرية أن خطة

اغتيال العاهل الألماني قد حيكت في مصر وستنفذ في فلسطين[٩١] . وبناء على رغبة من الحكومة الألمانية اتخذت سلطات الأمن العثمانية إجراءات أمن واسعة النطاق، كما أبعد العديد من الأجانب، خاصة من الإيطاليين والفرنسيين إلى خارج القدس ويافا وحيفا[٩٢].

وإضافة إلى خطة الاغتيال التي كُشف النقاب عنها، فقد تلقَّت الخارجية الألمانية تقريراً من قنصلها في بيروت عن قيام كولونيل فرنسي يدعى بريفوستيه Prévostier مع شقيق له بالتوجه إلى بيروت عبر الآستانة في ٢٣ أيلول لتحريض موارنة جبل لبنان ضد زيارة الأمبراطور[٩٣] . وعلى ما يبدو كان للتحركات الفرنسية أساس من الصحة، إذ يذكر المؤرخ اللبناني مزهر، أن الموارنة على عكس اوامر المتصرف، لم يزينوا الطرقات التي كان سيمر عليها موكب الأمبراطور. كذلك قام الموارنة بإطفاء أنوار الشوارع لإظهار إخلاصهم « **لحبيبتهم فرنسا**»[٩٤] .

محطات الرحلة[٩٥]: بعدما قضى الأمبراطور أسبوعاً مع مرافقيه في الآستانة وصل حيفا يوم ٢٥ تشرين الأول على متن الباخرة. وكان في استقباله هناك وفد من أعضاء جمعية الهيكل الألمانية في حيفا. وفي حيفا زار العاهل الألماني جبل الكرمل. وبعد توقف في يافا استقبل وفداً آخر من أعضاء جمعية الهيكل في يافا. أما في القدس فوصلها في ٢٨ تشرين الأول حيث دشن كنيسة المخلص وأهدى الكاثوليك الألمان قطعة الأرض لبناء كنيسة نياحة العذراء. وبعدها زار وليم الثاني جبل الزيتون ومسجد عمر والمؤسسات الألمانية في المدينة وحولها، كما تحدث إلى وفد يهودي. وفي ٥ و ٦ تشرين الثاني توقف الأمبراطور في بيروت حيث تفقد المؤسسات الألمانية هناك. وعن طريق عاليه توجه الأمبراطور إلى دمشق وزار المسجد الأموي وضريح صلاح الدين. وأخيراً عاد الأمبراطور إلى بيروت عن طريق بعلبك ومنها إلى ألمانيا.

وفي خطبه أكد العاهل الألماني مراراً على حماية ألمانيا لرعاياها سواء أكانوا من أعضاء جمعية الهيكل، بروتستانت أو كاثوليك. وكان إهداء وليم الثاني الجمعية الألمانية للأرض المقدسة قطعة الأرض دليلاً على الارتباط الحميم والجديد بين الدولة الألمانية ورعاياها الكاثوليك وأن صفحة الكفاح الثقافي قد

طويت إلى الأبد[٩٦] . فبعد يوم على عملية الإهداء أبرق يانسن، رئيس الجمعية الألمانية للأرض المقدسة، إلى وليم الثاني بأن الجمعية « **سوف تبقى دوماً وسيلة قيِّمة لدعم المصالح الكاثوليكية الألمانية في الشرق**» . وأضاف أن الكاثوليك الألمان الذين تخلوا لفترة طويلة عن واجباتهم الوطنية في فلسطين سوف يعملون من الآن فصاعداً على دعم المصالح القومية الألمانية[٩٧].

وعلى أي حال فإن اعتراف الباب العالي بالحماية الألمانية على الكاثوليك الألمان لم يحدث خلال زيارة وليم الثاني لفلسطين، بل في عام ١٩٠٢ في أعقاب نزاع جديد بين ألمانيا وفرنسا[٩٨] .

والجدير بالذكر هنا هو استقبال العاهل الألماني لوفد صهيوني برئاسة الدكتور تيودور هرتزل Theodor Herzl ، الذي أهدى الأمبراطور ألبوماً يحتوي على صور للمستعمرات اليهودية في فلسطين حُددت فيه الأهداف الصهيونية: «**إيجاد وطن مُعترف به ومضمون للشعب اليهودي في فلسطين**». وفي رده على هرتزل قال وليم الثاني:

> «إن جميع الجهود التي تهدف إلى النهوض بالزراعة في فلسطين لأجل رخاء الدولة التركية يمكنها ان تحصل على اهتمامي وعطفي، مع مراعاة كاملة واحترام لسيادة السلطان»[٩٩].

وبالفعل كانت كلمة العاهل الألماني رفضاً مهذباً لأماني الحركة الصهيونية في تأسيس وطن قومي لليهود في فلسطين بمساعدة ألمانية[١٠٠].

خطاب وليم الثاني في دمشق: كان خطاب العاهل الألماني في دمشق يوم ٨ تشرين الثاني أمام حشد من العلماء المسلمين عند ضريح صلاح الدين حدثاً بارزاً في رحلة الأمبراطور. فبعدما وصف وليم الثاني في خطابه صلاح الدين بالفارس الشجاع الذي علم أعداءه فنون الفروسية وآدابها، قال:

> «ليتأكد صاحب الجلالة (السلطان) وليتأكد معه الثلاثماية مليون مسلم الموزعون في شتى انحاء الأرض، الذين يعتبرون السلطان خليفتهم أن الأمبراطور الألماني هو صديقهم في كل الأوقات»[١٠١].

وبعد يومين على هذا الخطاب أبرق السلطان عبد الحميد الثاني إلى وليم الثاني شاكراً، واعتبر الخطاب دليلاً على « **الصداقة المستمرة بين**

العرشين»[١٠٢]، ويبدو أن الخطاب الذي صاغه مارشال بإعلان صداقة ألمانيا لكل العالم الإسلامي وما يعنيه هذا من انتهاج سياسة مضادة لإنكلترا في العالم الإسلامي، كان موضع نقاش في الدوائر الدبلوماسية الألمانية. فبولوف، وزير الخارجية الألماني، ادعى انه فوجىء بفحوى الخطاب وحاول عبثاً ان يمنع توزيعه[١٠٣]. ولكن غروته Grothe يتساءل:

«عما إذا كان خطاب كهذا قد جاء نتيجة عامل ظرفي، أو أنه كان يهدف أن يكون علامة مميزة في تحديد مسار السياسة الألمانية الإسلامية التي كان برنامجها المحافظة على استقلال الدول المتبقية في الشرق وسلامتها»[١٠٤].

ويرد غروته على تساؤله بأن على المرء أن يجيب بنعم في ما يتعلق بالشق الثاني من التساؤل، بأن ألمانيا في نهج جديد لسياستها الإسلامية، رغم ما تحمله في طياتها من مجابهة حتمية مع بريطانيا. وبعد شهور قليلة علق فريدريك نويمان Friedrich Naumann على خطاب الأمبراطور قائلاً: «**لا مصالحة مع إنكلترا، بل سياسة قومية**»[١٠٥].

الأهداف الاقتصادية للرحلة: لم نعثر للأسف في أرشيف الخارجية الألمانية في بون على أي وثيقة تتعلق بمفاوضات سياسية أو اقتصادية قام بها العاهل الألماني خلال رحلته[١٠٦]، رغم أنه اصطحب معه كبار رجالات الاقتصاد والسياسة الألمان. ولكن الثابت أن تدعيم النفوذ الاقتصادي الألماني في الدولة العثمانية لعب دوراً رئيسياً في أهدف الرحلة. ففي ٢٦ آذار ١٨٩٩، أي بعد مرور نحو خمسة أشهر على الرحلة لخّص بولوف، وزير الخارجية، النتائج الاقتصادية للرحلة في كتاب له إلى ميرباخ Mirbach رئيس البلاط:

«من المكاسب الاقتصادية التي حققتها رحلة الأمبراطور كان الحصول على امتياز لبناء مرفأ في حيدر باشا، امتياز كابل بين كونستنزا واستانبول، تمتين العلاقات التجارية القائمة بين الحكومة التركية والشركات الألمانية الكبرى...

وهنا لا بد من الإشارة إلى خطة لمد خط حديد الأناضول إلى بغداد، مما يؤدي إلى استغلال أكبر لآسيا الصغرى»[١٠٧].

رحلة وليم الثاني في مرآة الصحافة الدولية: لم تعر الصحافة الفرنسية بسبب أزمة فاشودة في البداية رحلة العاهل الألماني إلى الشرق الاهتمام الكافي، رغم أن افتتاحياتها قد تطرقت إلى مسألة الحماية الفرنسية. فصحيفة «لو

جورنال دي دبيا» le Journal de Debats توقعت في بداية تشرين الثاني عدم هزيمة فرنسا في موضوع الحماية، لأن الأمبراطور الألماني لم «**يفرض**» حمايته على الكاثوليك الألمان، بل «**عرضها**» عليهم، مما أفقد الإدعاءات الألمانية بشأن الحماية الصفة المطلقة. اما صحيفة «**لو تام**» le Temps فرأت أن إهداء وليم الثاني قطعة أرض لرعاياه الكاثوليك في فلسطين شيء في غاية الأهمية للعلاقات الداخلية الألمانية وأن الإهداء مهّد إلى تقارب بين الأمبراطورية الألمانية والكرسي الرسولي، مما جعل الهيبة الفرنسية في الشرق في خطر. أما «**الفيغارو**» le Figaro فرأت في برقية للأمبراطور إلى البابا يذكر فيها إهداء الكاثوليك الألمان لقطعة أرض حدثاً يلفت النظر[١٠٨]، إذ ان حاكماً كاثوليكيا لا يمكنه ان يصوغ مثلها. وفوق ذلك فإن البروتستانت الألمان لم يوجهوا الاتهامات الى امبراطورهم بسبب «**عطفه**» على رعاياه الكاثوليك. أما «**لا فريتيه**» La Verité فذكرت معاني تمتع حاكم بروتستانتي على «**حماية كاثوليكية**» في الشرق، وأن يجعل هذا الحاكم من القدس نقطة انطلاق للنفوذ الألماني في الشرق[١٠٩].

وعكست الصحافة الروسية وجهة النظر الرسمية ووقفت عموماً إلى جانب فرنسا. فرأت في التغلغل الاقتصادي الألماني في الدولة العثمانية خطر على مصالح الدول الأخرى[١١٠]. ولفتت الصحافة الروسية إلى خطورة استغلال ألمانيا لمسألة الحماية في سبيل إقامة مستوطنات ألمانية في آسيا الصغرى، مما يشكل في نهاية الأمر تهديداً للسياسة الروسية[١١١]. وحول موضوع إهداء الكاثوليك الألمان لقطعة الأرض، رأت الصحافة محاولة لامتلاك الأراضي في الشرق من قبل المانيا التي دعمت نفوذها السياسي على حساب فرنسا وروسيا[١١٢].

أما صحيفة «**التايمز**» Times اللندنية فمدحت في افتتاحيتها في ١٢ تشرين الأول ١٨٩٨ العاهل الألماني، الذي يتمتع منذ تسلمه العرش بـ«**سحر غير عادي**»، ليس فقط أمام الرأي العام الألماني، بل الأوروبي والإنكليزي أيضاً[١١٣]. وتوقعت الصحيفة أن تقوّى العلاقات الاقتصادية الألمانية مع الدولة العثمانية. وفي عدد ٢١ تشرين الأول ذكرت الصحيفة:

«هناك عادة تصور ضعيف في إنكلترا للسعي المتواصل الذي يحدث منذ سنوات لتنمية المصالح التجارية الألمانية في تركيا.. إن النفوذ الألماني هناك لا ينحصر في الحقل التجاري فحسب، بل أيضاً في المجالات العسكرية والمالية والتربوية»[١١٤].

ولفتت جريدة « **بول مول غازيت**» Paul Mall Gazette في **٢١** آب **١٨٩٨** الانتباه إلى أن ازدياد النفوذ الألماني في الدولة العثمانية يعود إلى أخطاء السياسة الأوروبية تجاه هذا البلد. وقالت:

«إذا ما حصلت ألمانيا على الامتيازات التي رفُض إعطاؤها إلى دول أخرى، فإن هذا يعود مبدئياً إلى رجل الدولة الذي يحكمها (ألمانيا) اليوم، الذي نجح في كسب ثقة السلطان بإعطائه براهين على صداقته له في معظم الأوقات الحرجة»[١١٥].

أما صحيفة « **سبكتاتور**» Spectator فتطرقت في **٢٢** تشرين الأول إلى نتائج التقارب الألماني ـ العثماني وذكرت أن موقف الدولة العثمانية تجاه أوروبا أصبح أقوى وأن الاصلاحات التركية سوف يتأخر تنفيذها، وأخيراً فإن احتمالات الصدام بين ألمانيا وروسيا أصبحت غير مستبعدة[١١٦] .

وفي ما يتعلق بمسألة الحماية فلم تكن موضوعاً خاصاً للصحافة البريطانية، إذ تبنت وجهة النظر الرسمية للورد ساليزبوري Salisbury ، الذي كان صرح في بداية تشرين الأول **١٨٩٨** أمام السفير الألماني في لندن:

«إنه من البديهي تماما ان يضع الكاثوليك الألمان في الشرق أنفسهم تحت الحماية الألمانية»[١١٧].

أما الصحافة النمساوية، التي كانت في عام **١٨٩٢** تبنت وجهة النظر الألمانية في مسألة الحماية الدينية[١١٨] ، فعمدت إلى التركيز على الجانب الاقتصادي لرحلة العاهل الألماني حين وصفت صحيفة « **نويه فرايه برسّه**» Neue Freie Presse في **٥** تشرين الأول **١٨٩٨** العاهل الألماني بأنه « **وكيل تجاري للفبارك الألمانية** » وأن رحلته تجارية محضة لدراسة الأسواق الشرقية[١١٩] .

واتسمت الصحافة العربية بتباين في وجهات النظر. ففيما صحيفة « **الأهرام** » وصفت في عددها بتاريخ **٢٧** حزيران **١٨٩٨** الرحلة بأنها مرتبطة بمخططات استعمارية[١٢٠]، رحبت صحيفة « **المقطم**» بالرحلة الامبراطورية وامتدحت أعضاء جمعية الهيكل الألمانية في فلسطين الذين يلقنون السكان المحليين نظريات حديثة في الزراعة والحرف[١٢١] .

وأخيراً، اتسم موقف الصحافة الألمانية بالطبع في الترحيب بالرحلة، وقد ركزت التعليقات الصحفية على المكاسب الاقتصادية التي من المتوقع أن تجنيها

ألمانيا من وراء الرحلة. ففي **٩** تشرين الثاني عام الرحلة كتبت صحيفة « **ميركيشه فولكس تسايتونغ** »[١٢٢] Mârkische Volkszeitung .

«... وفي الختام فإن رحلة الامبرطور تعني في نتائجها تقوية فعلية للنفوذ الألماني في الشرق، مما سينعكس حتماً لمصلحة النشاطات التجارية الألمانية».

ولفتت صحيفة « **راينيشه فولكس شتيمه**» Rheinische Volksstimme بتاريخ **١٥** تشرين الثاني الانتباه إلى أهمية الدولة العثمانية كحليف عسكري في أية حرب عالمية مقبلة[١٢٣]. أما صحيفة « **دي ڤيلت ام مونتاغ** » Welt am Montag فأكدت في **٢١** تشرين الثاني الأهمية القصوى للدولة العثمانية بالنسبة إلى ألمانيا على عكس المستعمرات الألمانية في أفريقيا العديمة الفائدة. وأردفت تقول:

«وحدها تركيا يمكنها أن تكون الهند بالنسبة إلى ألمانيا.. على السلطان أن يبقى صديقنا، طبعاً مع نيتنا المبيتة، وهي أننا نتمنى افتراسه.. نحن نرعى المورّث باخلاص حتى مماته.. إن ميراثاً عظيماً ينتظرنا. فتركيا سوف تقدم لنا مناطق شاسعة لاستثمار رأس المال الألماني وتصريف البضاعة الألمانية، وأيضاً مأوى للمستوطنين الزراعيين الألمان»[١٢٤].

٥ ـ خلاصة:

كما رأينا فقد مارس المستشار الألماني بسمارك في الواقع سياسة لا تهتم بالشرق، وهذا يعود بلا شك إلى خشيته من أن التدخل السافر بالمسألة الشرقية قد يضر بسياسة توازن القوى في أوروبا ويعرض مكاسب ألمانيا من حربها ضد فرنسا عام **١٨٧٠ / ١٨٧١** للخطر. إن تعليمات بسمارك إلى جميع الدبلوماسيين الألمان في الشرق بعد حادثة فون ألتن عام **١٨٧٢** بعدم التدخل في الشؤون السياسية للمنطقة يجب ان ينظر إليها كركن من أركان الدبلوماسية الألمانية البسماركية في الشرق. كذلك فإن إبحار السفن الحربية الألمانية أمام الساحل الفلسطيني وتأكيد ألمانيا على حقها بحماية رعاياها في الشرق يشكّلان انحرافاً وخروجاً أساسياً عن سياسة بسمارك.

ولكن بعد انتهاء عصر بسمارك ووصول وليم الثاني إلى عرش البلاد، أخذت الاتجاهات الأمبريالية في السياسة الألمانية تأخذ مكانها على الأرض. فبالنسبة إلى الشرق أخذت سياسة « **الزحف نحو الشرق**» بأبعادها السياسية

والاستراتيجية والاقتصادية والقومية والدينية والثقافية والنفسية تصبح محور السياسة الألمانية الجديدة.

وتُظهر معالجة مسألة الحماية في الشرق بوضوح كيفية استخدام الدين في خدمة السياسة. وقد أدى هذا إلى صراع طويل بين ألمانيا وفرنسا وبين ألمانيا والفاتيكان. وكانت مدلولات هذا الصراع السياسي تفوق مسألة حماية بضعة آلاف من المسيحيين الأوروبيين أو رعايا الدولة العثمانية من المسيحيين.

وتُسجل رحلة العاهل الألماني إلى فلسطين عام **١٨٩٨** تصميم ألمانيا على أن يكون لها كلمة نافذة وفاصلة في المسألة الشرقية. ففيما بريطانيا أيدت منذ منتصف التسعينات من القرن الماضي سياسة تدعو إلى تقسيم الدولة العثمانية طالما أنها لم تعد المستفيد الوحيد و « الأكثر تفضيلاً »، سارت ألمانيا في سياسة المحافظة على « **الرجل المريض** » إلى حين احتضاره.

ونتيجة لرحلة الأمبراطور إلى الشرق شهدت العلاقات الاقتصادية الألمانية العثمانية نمواً وازدهاراً. فحصلت الشركات الألمانية على العديد من الامتيازات كان أهمها مد خط بغداد الحديدي بأبعاده الاقتصادية والسياسية والاستراتيجية. كما ضمنت ألمانيا حليفاً إلى جانبها، وقد تجلى ذلك بوضوح بدخول الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى إلى جانب ألمانيا وحليفاتها.

خلاصة عامة

حتى نهاية الثمانينات من القرن التاسع عشر لم تمارس بروسيا أو ألمانيا سياسة شرقية نشطة. فخشية الإخلال بتوازن القوى في أوروبا سعى بسمارك الى ان تقف ألمانيا على الحياد تجاه المسائل الشرقية. ولم تشذ ألمانيا عن هذه السياسة إلّا خلال عصر الأمبراطور وليم الثاني، حين حصل الشرق الأدنى على اهتمام ضمن السياسة الألمانية العالمية مع ما يستتبعه ذلك التحول من صراع مع الدول الأوروبية الأخرى المتورطة في المسألة الشرقية. وخلال زيارته للأراضي المقدسة في عام ١٨٩٨ قال الأمبراطور الألماني في معرض حديثه مع أحد الرهبان الكاثوليك الألمان « **نحن ما زلنا في الواقع الآخرين** »(١). ونحن لا يمكننا سوى الافتراض أن العاهل الألماني كان يقصد بذلك ما جاء في الإنجيل « **بأن الآخرين يصبحون الأولين** ». ومهما يكن من أمر فإن رحلة وليم الثاني إلى سوريا وفلسطين كانت تخدم المصالح الألمانية في الشرق وتقويتها.

ولم تمثل سوريا وفلسطين في المرحلة التي تتناولها الدراسة دوراً بارزاً في حسابات السياسة الألمانية العليا ولا منطقة خاصة للمصالح الألمانية. فخلال خطابه في دمشق في ٨ تشرين الثاني ١٨٩٨ لم يدع الأمبراطور مجالاً للشك بأنه يعتبر نفسه صديقاً للسلطان، وأن المحافظة على سيادة الأمبراطورية العثمانية هي أحد المعالم الرئيسية للسياسة الألمانية تجاه المسألة الشرقية. وبذلك ظهرت بوضوح حدود السياسة الألمانية تجاه فلسطين. وبعد الرحلة كتب الدكتور روبرت بوس Robert Bosse، وزير الثقافة الالماني والذي شارك وليم الثاني رحلته إلى الشرق، في إحدى المقالات أن الحكومة الألمانية ترحب بنشاط ألماني سلمي في فلسطين:

«. . . ولكن فضلاً عن ذلك فإنه سيكون من الصعب على السياسة الألمانية الواقعية أن تتورط في مشروعات يمكنها في الوضع الراهن أن تقحمنا في مخاطر يصعب التنبؤ بنتائجها»[٢].

ورغم ذلك فللنشاطات الألمانية في سوريا وفلسطين قيمة خاصة. ولهذا ليس مصادفة أن يسمي وليم الثاني زيارته إلى فلسطين «**رحلة حج**» إلى الأراضي المقدسة. فنشر الأفكار الألمانية، وهي إحدى تركيبة الإيديولوجية ومحرك القومية الألمانية وسياسة الزحف نحو الشرق، لعبت دوراً بارزاً في عصر الأمبراطور وليم الثاني. وفي هذا المعنى جاء في التقرير الرسمي عن الرحلة إلى فلسطين:

«الآن حمل الأمبراطور وليم الثاني راية الصليب، وفي خريف ١٨٩٨ بدأت حملة صليبية فريدة وعجيبة تحت شعار السلم والمصالحة محاطة بالشكر والسعادة والمديح، متوجة بالنجاح، والتي سوف تفتح بإذن الله للمسيحية الألمانية والثقافة الألمانية آمالاً مستقبلية كبيرة»[٣].

وبكل فخر ردّد الألمان أنهم أكبر جالية أجنبية في فلسطين وأن اللغة الألمانية هي أكثر اللغات الأجنبية التي يفهمها ويتكلمها الكثيرون[٤].

والواقع أنه في نهاية القرن الماضي كان هناك عدد كبير من المستوطنين الألمان في فلسطين ووصل عددهم إلى ١٥٠٠ شخص، وفي سوريا إلى اكثر من ٧٠٠ شخص[٥]. لكن الجالية اليهودية تفوقت عليهم من حيث العدد حيث بلغ عدد أفرادها نحو ٨٥ ألف شخص على أبواب الحرب العالمية الأولى، أي ١٤,١٪ من عدد السكان البالغ ٦٠٠ ألف نسمة[٦].

كذلك لم يكن النفوذ الثقافي الألماني بالحجم الذي ذكره التقرير السالف الذكر. ففي عام ١٨٩٨ كان ربع تلاميذ القدس الذين يزورون المدارس الأجنبية مسجلين في المدارس الألمانية[٧]. وطبقاً لتقديراتي فقد كان هناك ٢٠٠٠ تلميذ في المدارس الألمانية في سوريا وفلسطين، مقابل ٤٠ ألف تلميذ في المدارس التي كانت تتلقى دعماً من الحكومة الفرنسية[٨]. وبعد عام على اندلاع الحرب العالمية الأولى أكدت صحيفة ألمانية:

«إن الحقيقة التي لا يمكن إنكارها هي أن فرنسا لا تزال في الوقت الحاضر تحافظ على وضع سياسي متفوق في سوريا وفلسطين»[٩].

ورغم هذه الحقيقة فإن العنصر الألماني لم يكن موجوداً في أي جزء من أجزاء الأمبراطورية العثمانية كما كانت الحال في فلسطين : فإن نصف الألمان والمتمتعين بالحماية الألمانية تقريبا كانوا يعيشون في فلسطين(١٠). والجدير بالملاحظة أن هذا الاستيطان قد حصل من دون مساعدة رسمية. وكما رأينا سابقاً فقد حافظت الحكومات الألمانية على سياسة متحفظة تجاه استيطان رعاياها في سوريا وفلسطين. ولذلك إتسمت مساعدة ألمانيا الرسمية لنشاطات الإرساليات الألمانية العاملة خارج البلاد بالقلة بالمقارنة مع المساعدات التي كانت تتلقاها إرساليات الدول الأخرى من حكوماتها. فخلال التسعينات من القرن الماضي لم تتجاوز جميع المساعدات التي كانت الحكومة الألمانية تقدمها إلى المدارس الألمانية في الخارج مبلغ ٦٠ ألف مارك(١١) ، ففيما دعمت فرنسا مؤسساتها ومدارسها في سوريا وفلسطين فقط بما يزيد على ٢٠٠ ألف فرنك(١٢) . أما روسيا فقد خصصت ٦٥ ألف روبل لدعم المدارس الأرثوذكسية في سوريا وفلسطين(١٣) .

ومن جهة أخرى لم يكن بالإمكان تطوير نشاط الألمان في فلسطين بالحجم الذي عالجته الدراسة لو لم تقدم الدولة الألمانية والرأي العام الألماني الدعم والمساندة للإرساليات أو الأفراد الذين قدموا فلسطين بمبادرة شخصية. وعلى عكس المرسلين الأميركيين والإنكليز الذين وفدوا إلى فلسطين وسوريا وتلقوا دعماً من الجمعيات والإرساليات المختصة في الولايات المتحدة، فإن الدولة الألمانية كانت المحرك لنشاطات الإرساليات في فلسطين.

وكما رأينا، فإن إنشاء مطرانية القدس الإنجيلية من جانب بروسيا جاء نتيجة لأسباب دينية وسياسية داخلية مرتبطة بمساعي بروسيا لتوطين اليهود في فلسطين(١٤). ولكن المطرانية التي تأسست في عام ١٨٤٢ كانت المدخل إلى النشاطات البروتستانتية الألمانية في فلسطين. ولم يأتِ المبشرون الألمان إلى المنطقة إلا بعد سنوات قليلة على إقامة المطرانية، أي في عامي ١٨٤٦ و ١٨٥١. ولا يقل عن إنشاء المطرانية أهمية هو توسيع بروسيا تمثيلها في الشرق منذ عام ١٨٤٢ وتعيين قناصل في المدن السورية والفلسطينية.

وكما هي الحال بالنسبة إلى البروتستانت الألمان، فقد ارتبطت نشاطات الكاثوليك الألمان في فلسطين بادىء الأمر بمبادرة رسمية عندما أسس ملك

بفاريا لودفيغ الأول جمعية كاثوليكية في فلسطين.

ورغم هذه النشاطات فإنه لا يمكن الحديث عن سياسة ألمانية منتظمة أو متماسكة لجعل سوريا وفلسطين منطقة نفوذ ألمانية. فالذين عملوا على تقوية المصالح الالمانية في فلسطين وبأسلوبهم الخاص كان المبشرون الألمان من البروتستانت والكاثوليك وأعضاء جمعية الهيكل - هؤلاء جميعاً الذين سعوا بجهدهم الخاص في سبيل حضور ألماني قوي في الأراضي المقدسة.

وطبقاً لمفهوم العالمية للكنائس المسيحية كان الهدف الأعلى للمبشرين هو هداية الناس إلى «**الدين الصحيح**» مع كل ما يحمله هذا من مشكلات. فقد كان معنى هذا أولاً التنافس بين الكناس المسيحية وأيضاً بين دولها التي كانت تدعمها مما كان يعيق العمل الإرسالي أكثر مما يشجعه. فتقارير الإرساليات تحتوي على نماذج كثيرة للمنافسات بين الإرساليات وكيف أن إرسالية كانت تحتفل بالنصر عند تحقيق سبق على جماعة كنسية تابعة لمذهب آخر أو أن تزيحها من طريقها. إن طرد الجماعة الإنجيلية الألمانية من بيت جالا في عام **١٨٨٥** من قبل الأرثوذكس والكاثوليك كان تجسيداً للمناخ المذهبي المسيحي العدائي العام في ذلك الوقت.

إن ارتباط النزاعات بين المسيحيين في فلسطين بالسياسة العليا يظهر بوضوح في تعيين الفاتيكان لفاليرغا بطريركاً لاتينياً على القدس عام **١٨٤٨** كرد على إقامة مطرانية القدس الإنجيلية وفي النزاع الديني بين الرهبان الأرثوذكس واللاتين في الأراضي المقدسة والذي كان سبباً مباشراً لاندلاع حرب القرم.

وكذلك الحال فالنوايا التنصيرية للإرساليات حملت معها إمكان الصدام مع الدولة العثمانية والمجتمع الإسلامي في فلسطين. فحب المبشرين للأرض المقدسة وسعيهم لتحريرها من سيطرة الدولة المسلمة وتنصير سكان الشرق ونشر المسيحية كانت من الأهداف العليا التي حركت تلك الجماعات. ولولا هذه الأهداف لما قدم المبشرون إلى فلسطين وقاموا بنشاطاتهم «**الخيرية**». فرهبان سان كريشونا أرادوا من وراء مجيئهم كسب بعض المسلمين إلى العقيدة المسيحية عن طريق إعطائهم وغيرهم من أفراد الطوائف المسيحية الأخرى في فلسطين «**نموذجاً حياً. كيف يعيش المسيحيون الحقيقيون وكيف يعاملون من يحيط بهم بمحبة وكيف يصلون ويعملون وكيف يسعون بالمشورة والفعل إلى**

مساعدتهم». أما يوحنا شنلر فقد رأى في الإسلام «**ديناً خاطئاً**» وفي المجتمع الإسلامي «**مجتمعاً فاسداً**» وتنبأ بقرب انهيار الإسلام. فأراد من خلال دار الأيتام السورية وضع الصبية تحت التأثير البروتستانتي ونشر التعاليم الإنجيلية والثقافة المسيحية لإصلاح «**مجتمع فاسد**». أما شمَّاسات الكيزرزفرت فأردن عن طريق مدرستهن ومستشفاهن «**زرع الإيمان البروتستانتي**» في قلوب تلميذاتهن ومرضاهن بإعطاء افضل مثال لسلوك المسيحي المؤمن. وفي المسيح رأى مأوى المجذومين أفضل طبيب لمعالجة النفس البشرية وخلاصها. هذه الأهداف التنصيرية التي حملها معهم المبشرون الألمان إلى فلسطين، بل قدموا من أجلها، جعلتهم في مواجهة وصدام مع المجتمع الاسلامي في فلسطين الخاضع لسلطة إسلامية. فرغم أن مرسوم **١٨٥٦** قد أعلن عن المساواة في القانون بين رعايا السلطنة، إلا أن الدولة العثمانية رفضت بشدة مطالب الدول الأوروبية بأن تسمح بالارتداد إلى المسيحية لرعاياها المسلمين[١٥]. فالدولة العثمانية كانت تعتبر نفسها «**خلافة إسلامية**» ومن واجبها الدفاع عن الدين الإسلامي والمعتقدات الإسلامية. ومن جهة اخرى لم يشعر المسلمون بحاجة إلى استبدال دينهم بدين آخر ـ نعم لقد دافعوا عن دينهم ضد معتقدات رأوا فيها بدعاً وتحريفاً. وعلاوة على ذلك فقد كان ارتداد المسلم، وحتى المسيحي من أتباع الكنائس الاخرى ليس معناه الحصول على دين جديد فحسب، بل قطع علاقاته وانفصاله عن مجتمعه الذي كان يعيش فيه. ولهذا كانت الإرساليات الألمانية تحاول إيجاد أماكن عيش جديدة للمرتدين خارج مجتمعاتهم، ولهذا السبب كان عدد المرتدين إلى المسيحية من المسلمين خاصة زهيداً جداً.

وحتى محاولة تنصير اليهود لم تؤدِ إلى النجاح المنشود. كما أن محاولة استقطاب أتباع الكنائس الاخرى وخاصة أتباع الكنيسة الأرثوذكسية ، جعل تلك الكنائس تدافع بعناد عن مواقعها وتزيد من نشاطاتها الاجتماعية والثقافية والصحية بين أتباعها.

ورغم العقبات وخيبات الأمل فقد استمر المبشرون الألمان في نشاطاتهم «**الخيرية**» وكلما ابتعدت تلك النشاطات عن التنصير المباشر، وجدوا استحسانا اكبر من قبل السكان المحليين وخاصة من المسلمين. ولهذا حاول المبشرون

الألمان الذين جاءوا فلسطين متأخرين عن غيرهم من مبشري الإرساليات الاوروبية الأخرى أن يتقربوا إلى المجتمع الشرقي عن طريق استحداث نشاطات جديدة لا يعرفها الفلسطينيون. فركزوا عملهم بين المرأة العربية وحاولوا مساعدتها للخروج من «**عبوديتها وعزلتها الاجتماعية**» من خلال تعليمها وتثقيفها. وقد دفع نشاط الشمّاسات حيال المرأة العربية منذ عام ١٨٥١ جمعيات ومؤسسات اخرى إلى افتتاح مدارس للبنات. ونتيجة لذلك بلغ عدد الفتيات اللواتي كنّ يتلقين العلم في مدارس بيروت عام ١٨٩٦ ٦٧٦٨ فتاة، مقابل ٨٦٠٥ صبياً. وفي عام ١٩٠٤ كانت هناك ٢١٣٣ فتاة على مقاعد الدراسة في القدس (باستثناء مدارس اليهود) مقابل ٢٤٠٢ صبياً[١٦]، وهذا في رأينا حدث فريد إذا ما وضع المرء بعين الاعتبار الأوضاع السائدة في الشرق في ذلك الوقت. كذلك فإن مصح المجذومين، على سبيل المثال، يعتبر أول مؤسسة طبية من نوعها في فلسطين اهتمت بمسألة المجذومين. وقد دفع المصح الألماني السلطات العثمانية إلى إنشاء مصح عثماني. كذلك يجب النظر إلى دار الأيتام السورية وإيلاء التعليم المهني والحرفي عناية فائقة على أنه مساهمة هامة في التطور الاجتماعي الاقتصادي للمجتمع السوري الفلسطيني. وفي هذا المجال لا ننسى أن نذكر جهود جماعة الهيكل الألمانية في سبيل تحسين طرق المواصلات في فلسطين إثر استخدام العربات في السبعينات كوسيلة للنقل[١٧]. وأخيراً اولى الألمان عناية أكبر تدريس اللغة العربية مما أولته الإرساليات الأخرى أو السلطات. وبصورة جزئية تم تعيين مدرسين عرب ليتولوا تدريس اللغة العربية.

ولكن هذه السياسة القائمة على التبشير أخذت مع مرور الوقت ـ عندما أخذ نفوذ المانيا العالمي يكبر ويتعاظم ـ تتحول إلى سياسة دعائية هدفها تقوية النفوذين السياسي والاقتصادي الألماني في فلسطين. فمنذ الثمانينات من القرن الماضي كان هناك ميل متواصل لـ «**ألمنة**» المؤسسات والبعثات الألمانية في الخارج. وأصبح على اللغة الألمانية والثقافة الألمانية أن تخدما المصالح العليا للدولة في سبيل ضرب نفوذ الدول الأخرى في المنطقة وفي مقدمتها فرنسا صاحبة النفوذ العريق في سوريا وفلسطين. ففي إحدى المناسبات أعلن الراهب وليم شميدت، مسؤول النزل الكاثوليكي في القدس، ان جمعيته ترفض بشدة «**ألمنة**» الإرسالية. ولكنه ذكر في مجال آخر:

«ورغم ذلك يتعلم العرب أن هناك ألمانيا كاثوليكية كبيرة تحبهم وتفعل أشياء كثيرة حميدة لهم. ويصلي الأولاد لأجل ألمانيا»..[١٨].

وحول تعليم اللغة الألمانية يقول شميدت:

«... وهي تدرس (اللغة الألمانية) بكل عزم، لأن الطابع الألماني هنا يتغلغل اكثر فأكثر، وان الحركة والتجارة وقوافل الحجّاج جعلت الإلمام بهذه اللغة أمراً مرغوباً فيه وضرورياً»[١٩].

وفي البداية لم يعِ المبشرون العلاقة بين دورهم كمبشرين وبين مصالح بلادهم في المنطقة. ولكنهم كانوا في نهاية القرن التاسع عشر أكثر وعياً لدورهم، وهو خدمة المصالح الألمانية العليا. فقد وجدوا أنفسهم جزءاً من السياسة الألمانية التوسعية في الشرق مرتبطين بشكل كبير بالمصالح التجارية والاستعمارية والسياسية لدولتهم في المنطقة. فعن طريق معرفتهم للغة السكان المحليين في سوريا وفلسطين وعاداتهم استطاع المبشرون الألمان أن يكونوا رأس جسر للاقتصاد الألماني في المنطقة.

إن الارتباط الحميم بين الأهداف التبشيرية والأهداف الاقتصادية يظهر بوضوح في الجهود التي بذلت لاستعمار فلسطين. وإن أول مشروع من هذا القبيل قامت به مطرانية القدس الإنجيلية لتوطين اليهود المتنصرين على المذهب البروتستانتي وخلق أسس اقتصادية لهم، ولكنه باء بالفشل، كما أسلفنا. ولكن هذا المشروع فتح أعين الرأسماليين اليهود في أوروبا على إمكان استغلال التناقضات الدولية في سبيل استعمار فلسطين - وهذا ما سيساهم في ما بعد في إنشاء الحركة الصهيونية في عام ١٨٩٧.

وبالنسبة الى الإرساليات وجمعية الهيكل الألمانية فقد كان إنشاء المستوطنات أيضاً لضرورة اقتصادية، وليس فقط لإقامة «ملكوت الله» في فلسطين. فجمعية بيت المقدس أرادت من خلال إقامة المستوطنات التغلغل إلى أعماق المجتمع الفلسطيني ومحاولة حل مشكلاته الاقتصادية والاجتماعية عن طريق تحرير الفلاح الفلسطيني المسيحي من السيطرة الاقطاعية المتمثلة بالأديرة والتي كانت «تستغل» الفلاحين في أراضيها وتجعلهم أداة طيعة في يدها وتحجّم بالتالي أي ميل انفصالي بالارتداد إلى مذهب آخر.

ولقد ربط المستعمرون الألمان بين شراء الأراضي وإقامة المستوطنات و«استصلاح أراضٍ مقدسة في فلسطين» بأن هذا سوف يؤدي إلى تحريرها من

سيطرة المسلمين « **الكفرة** »[٢٠]. كما رأوا أن الدولة العثمانية كممثلة للقوى الإسلامية تجاه الغرب المسيحي على وشك الانهيار، وأن هذا دليل واضح على قرب انهيار الإسلام . ولهذا أخذوا يتسابقون مع غيرهم من الإرساليات الأجنبية في عملية شراء ما يمكن شراؤه وبطرق مشبوهة في بعض الأحيان، والتمسك بما يمتلكونه من الأرض حتى بـ « **الأسنان** »، إذا ما دعا الأمر، على حد قول فليدنر، رئيس جمعية الكيزرزفرت[٢١] . ولكن هذه الأهداف والأماني لم تتحقق. فالدولة العثمانية ما انهارت إلا نتيجة للحرب العالمية الأولى. كذلك فإن استصلاح أراضٍ في فلسطين اقتصر على مناطق الاستيطان الألماني وكان تأثيره في محيطه العربي ضعيفاً. وكما أن أعضاء جمعية الهيكل فشلوا في إقامة ملكوت الله في الأراضي المقدسة، كذلك لم ينجح رهبان‌سان كريشونامن خلال إقامة مستوطنة إنجيلية في إعطاء السكان المحليين نموذجاً كيف يعيش المسيحيون مع بعضهم وكيف يتحابون.

ورغم ذلك فقد أعطى الاستعمار الديني الألماني نتائج إيجابية للسكان المحليين من مختلف الطوائف، وإن كان حدث ذلك بنسب قليلة. فمستوطنات دار الأيتام السورية (بير سالم والمستوطنة الصناعية التجارية) التي كان مستوطنوها من العرب الفلسطينيين والسوريين، فقد كان لها نواح إيجابية إذ لقنت آلاف الأشخاص نظرياتٍ جديدة في التقنية الزراعية والمهنية وإدارة الأعمال. ولقد اضطرت الإرساليات الكاثوليكية الألمانية إلى الاقتداء بدار الأيتام السورية في توطين عائلات فلسطينية في مستعمراتها إيماناً منها بأهمية ذلك في تدعيم نشاطاتها التبشيرية.

وليس مبالغة الادعاء أن نزوعاً إلى العمل التجاري قد ظهر منذ البداية لدى الإرساليات التبشيرية مما استلزم إهمال الأهداف الدينية من قبل المبشرين. ففريدريك شبتلر اهتم بشكل خاص بإقامة سلسلة من المحال التجارية[٢٢]. صحيح أن الهدف من ذلك كان تأمين عائدات للإرسالية لتقف على قدميها، ولكن هناك من المعاصرين من أعطى تفسيراً آخر لهذه العملية. ففي تعليق لمجلة « **الأرض المقدسة** » الكاثوليكية الألمانية لعام **١٨٦٤** حول نشاطات شبتلر فقرة تستحق الاقتباس:

«لا توجد أية إشارة إلى التقارير الكثيرة البرَّاقة التي تأتي من الشرق وتذهب إلى أميركا وبريطانيا وللأسف إلى ألمانيا أيضاً وتتحدث عن تقدم التنصير. إنه بلا شك محزن جداً. ففي الشرق بشكل خاص يحتاج المرء إلى المال، إلى مال كثير، وعندما لا يجيد السادة الوعَّاظ أكثر من خشخشة النقود في جيوبهم والعبارات المنمقة والمديح، فسوف يتساءل المرء في ألمانيا عمّا إذا كان عقم الإرساليات وفشلها يحتاجان بالفعل إلى المال وحتى إلى جمع القليل منه. بالتأكيد فإن المتبرعين سوف يعيشون بالوهم، بأن كل غروشن أو كل بنس سوف يساعد على صعود أرواح مسلم أو كافر أو يهودي إلى السماء. وإذا ما قطع شريان الحياة (المال) عن الارسالية فإن وجود المبشرين وراحتهم في الشرق، بل استمرار الارسالية سوف يكون في خطر ولا تعود الارسالية كما كانت حتى اليوم مصلحة مربحة ومريحة لرئيسها، وهو ما يحصل في الشرق»(٢٣).

وفي نهاية القرن الماضي تأسس بدعم من جمعية بيت المقدس بنك فلسطين الألماني الذي كان مشروعاً تجارياً خالصاً.

وسواء كمؤسسين لبيوتات تجارية أو كمستهلكين أو منتجين، ساهم المبشرون الألمان وأعضاء جمعية الهيكل في تطوير التجارة الألمانية مع سوريا وفلسطين. ومع ذلك فلا يمكن إعتبار سوريا وفلسطين من وجهة نظر اقتصادية منطقة هامة للاقتصاد والتجارة الألمانية. فمبيعات الأسلحة إلى الدولة العثمانية وبناء خطوط السكة الحديدية كانا أكثر ربحاً من مبيعات الأقمشة الشرقية أو الأدوات الحديدية الصغيرة.

وأخيراً، فإن إحدى النتائج الهامة لرحلة وليم الثاني الى الشرق كانت في حصول البنك الألماني في عام ١٨٩٩ على إمتياز بناء خط حديد بغداد. ولكي لا يتعرض تنفيذ المشروع الضخم الذي شكل لسنوات قادمة نقطة هامة في سياسة ألمانيا الشرقية للخطر، كان على ألمانيا لأسباب تمويلية وسياسية أن تصل قبيل الحرب العالمية الأولى إلى تسويات مع بريطانيا وفرنسا وروسيا في ما يتعلق بمصالح هذه الدول في المنطقة(٢٤). ولهذا سعت ألمانيا للاعتراف بمركز فرنسا العتيد في سوريا وجزئياً في فلسطين، بينما مارست هي سياسة متحفظة تجاه المنطقة(٢٥). وبهزيمة ألمانيا في الحرب العالمية الأولى أصيبت المصالح الألمانية في فلسطين بشلل تام، ولم تسترجع بعد ذلك أبداً الأهمية التي تمتعت بها قبل عام ١٩١٤.

ملحــق

(١) المبعوثون البروسيون والسفراء الألمان في الآستانة (مستوى سفير منذ ١٨٧٦):

1834 — 1841 Hans Karl Albert Graf von Königsmarck.
1843 — 1847 Karl Emil Gustav von Lecoq
1848 — 1851 Albert Alexander Graf von Pourtalés
1851 — 1858 Anton Albert Hermann Louis von Wildenbruch
1859 — 1862 Heinrich Ludwig Robert Graf von der Goltz
1862 Georg Freiherr von Werthern - Beichlingen
1862 — 1870 Maria Anton Joseph Graf von Brassier de St. Simon - Vallade
1869 — 1871 Heinrich Ernst Werner Graf von Keyserlingk - Rautenburg.
1872 — Maximilian Felix Leopold von Keudell
1873 — 1874 Friedrich Christoph von Eichmann
1874 — 1877 Carl Anton Philipp Freiherr von Werther
1877 — Prinz Heinrich VII. von Reuss
1878 — 1881 Hubert Paul Gustav Graf von Hatzfeldt - Wildenburg.
1882 — 1892 Friedrich Wilhelm Ludwig Aloisius Joseph Maria von Radowitz.

1892 — 1895 Hugo Julius Raoul Edouard Leszczye Graf von Radolinski (seit 1888 Fürst von Radolin).
1895 — 1897 Johann Anton Octavian Freiherr von Saurma - Jeltsch.
1897 — 1912 Adolf Freiherr von Marschall von Bieberstein
1913 — ? Wangenheim

(٢) القناصل البروسيون والألمان في القدس، بيروت، دمشق وحلب[٣].

القدس[٤]:

1842 — 1851 Ernst Gustav Schultz
1852 — 1867 Georg Rosen
1868 — 1869 Heinrich Julius Peterman
1869 — 1873 Karl Viktor von Alten
1874 — 1881 Thankmar von Münchhausen
1882 — 1885 Dr. Julius Reitz
1886 — 1899 Paul von Tischendorf
1899 — 1901 Dr. Friedrich Rosen
1901 — 1916 Eduard Schmidt

بيروت[٥]:

1842 — 1846 Anton Albert Hermann Louis von Wildenbruch (Generalkonsul)
1847 — 1848 Vakant
1849 — 1856 Ernst Friedrich August Freiherr von Pentz (Generalkonsul für Ägypten und Syrien mit Sitz in Kairo).
1850 — 1875 Theodor Weber (Konsular - Agent, seit 1856 Konsul, seit 1866 Generalkonsul).
1875 Dr. von Herzbruch (Gerent des Konsulats, provisorisch als Konsul ernannt).
1875 — 1882 Brüning

1882 — 1885 Dr. Paul Schröder
1885 — 1886 Tettenborn
1886 — 1888 Dr. Julius Reitz
1888 — 1908 Dr. Paul Schröder (Seit 1889 Generalkonsul)

دمشق[٦]:

1848 — 1862 Dr. Johann Gottfried Wetzstein
1862 — 1863 Herford
1863 — 1892 Vakant
1893 — von Lütticke (Vizekonsul, seit 1899 Konsul).

حلب:

شغل هذا المنصب حتى عام ١٨٧٦ أفراد من عائلة بيشيوتي Piciotti
1877 — 1899 J. zollinger

(٣) رعاة الجماعة الانجيلية الألمانية في فلسطين وسوريا

القدس[٧]:

1852 — 1866 Friedrich Peter Valentiner
1866 — 1869 Carl Hoffman
1870 — 1876 Hermann Weser
1876 — 1884 Carl Reinicke
1885 — 1895 Carl Schlicht
1895 — 1903 Paul Hoppe

بيروت[٨]: (مع صلاحيات روحية تمتد الى دمشق)

1856 — 1861 Wilhelm Krämer
1861 — 1865 Samuel Kullen
1866 — 1869 Eduard Ebel
1869 — 1875 Eduard Medem
1875 — 1881 Paul Baarts
1881 — 1886 Bernhard Pein
1887 — 1901 Otto Fritze

جدول رقم (١١) - نمو التجارة عبر مرفأ الاسكندرونة من عام ١٨٨١ إلى عام ١٨٩٩ (بملايين الفرنكات)

السنة	الاستيراد	التصدير
١٨٨١	٤٢,٥٦	٢٢,٣٤
١٨٨٢	٤١,٣٠	٢٦,١٠
١٨٨٣	٤٠,١٧	٢٦,٤١
١٨٨٤	٣٣,٨٩	٢١,٨١
١٨٨٥	٣٨,٩٥	٢٤,٩٦
١٨٨٦	٤١,٧٨	٢٥,٦٣
١٨٨٧	٤٠,٤٧	٢٢,١٢
١٨٨٨	٤٢,٣٢	٢٦,٣١
١٨٨٩	٤٤,١١	٢٤,٥١
١٨٩٠	٤٢,٩٠	١٧,٤٢
١٨٩١	٤٤,٩٩	١٨,٤٠
١٨٩٢	٤٥,٠٢	٢١,٦٥
١٨٩٣	٤٧,٠٧	٢٣,٣٢
١٨٩٤	٤٥,٧١	٢٣,٧٨
١٨٩٥	٣٥,٣٣	٢٦,٩٣
١٨٩٦	٤١,٤٦	٢٨,٢٧
١٨٩٧	٥١,٢٨	٢٨,٤٠
١٨٩٨	٥٨,٣٠	٢٣,٩٧
١٨٩٩	٥٤,٠٩	٢٣,١١

يستند الجدول في معلوماته إلى تقارير أرشيف التجارة الألماني القسم الثاني: (١٨٨٤)، ص ٣٠ والصفحة التالية وص ٧٠٦ والصفحة التالية؛ (١٨٨٥)، ص ٤٦٥، (١٨٨٧)، ص ٢٥٦؛ (١٨٨٨)، ص ٢٢١؛ (١٨٨٩)، ص ٧٠٥؛ (١٨٩٠)، ص ٣٨٠ والصفحة التالية؛ (١٨٩٢)، ص ١٧٥ والصفحة التالية، وص ١٧٨؛ (١٨٩٣)، ص ١٢٤ - ١٢٦؛ (١٨٩٤)، ص ١٢٧ - ١٢٨؛ (١٨٩٥)، ص ١٣٥ - ١٣٦؛ (١٨٩٦)، ص ١٧٦ والصفحة التالية؛ (١٨٩٧)، ص ١٧٤؛ (١٨٩٨)، ص ٢٠٨ والصفحة التالية؛ (١٨٩٩)، ص ١٨٤ والصفحة التالية؛ (١٩٠٠)، ص ٢٩٦ والصفحة التالية.

ابتداء من عام ١٨٩٤ أخذت تقارير أرشيف التجارة الألماني تستند الى مصادر قنصلية بريطانية. وتظهر المعلومات حول قيمة التبادل التجاري بالجنيه الاسترليني، وقد تم تحويل القيمة من العملة الانكليزية الى الفرنك (جنيه واحد = ٢٥ فرنكاً).

جدول رقم (١٢) - الصادرات إلى الاسكندرونة تبعاً لدول المنشأ ١٨٨١ - ١٨٩٩

(بملايين الفرنكات)

…سنة	بريطانيا	فرنسا	النمسا	إيطاليا	بلجيكا	ألمانيا	الولايات المتحدة وروسيا	تركيا ومصر	المجموع
١٨	٢٥,٣٨	٦,٧١	٢,٠٦	٠,٧٨			٠,٧٠	٦,٩٢	٤٢,٥٦
١٨	٢٣,٧٦	٥,٠٢	١,٨٣	٠,٨٨			٠,٥١	٩,٢٨	٤١,٣٠
١٨			١,٧٤						٤٠,١٧
١٨									٣٣,٨٩
١٨	٢٠,٢٤	٥,٩٦	٢,١٩	٠,٧٦			٠,٣٧	٩,٣٩	٣٨,٩٥
١٨	٢٢,٢٤	٥,٧٣	٢,٧٦	٠,٨٥			٠,٥٥	٩,٦٦	٤١,٧٨
١٨	٢١,٩٤	٥,١٦	٣,٦٢	٠,٦٥			٠,٥١	٨,٥٧	٤٠,٤٧
١٨	٢٣,١١	٤,٩٥	٤,٢١	٠,٦٠			٠,٤٩	٨,٩٣	٤٢,٣٢
١٨	٢٤,٠٣	٥,٠٨	٤,٠٠	١,٠٧			٠,٨١	٩,٠٨	٤٤,١١
١٨									٤٢,٩٠
١٨	٢٥,٦٦	٤,٧٩	٤,٧٣	٠,٤٣			٠,٦٨	٨,٦٩	٤٤,٩٩
١٨	٢٦,٦٩	٢,٩١	٥,٠٧	٠,٢٨	٠,٨٤		٠,٧١	٨,٤٩	٤٥,٠٢
١٨	٢٢,٨٣	٤,٥٦	٦,١٠	٠,٣٧	١,٠٧		٠,٢٩	١١,٨٤	٤٧,٠٧
١٨	٢٢,١١	٤,٠٩	٥,٥٦	٠,٧٢	١,١٤	٠,٢٠	٠,٦٨	١١,١٩	٤٥.٧١
١٨	٢٠,٨٨	١,٧٠	٤,٣٩	٠,٥٤	٠,٧١	٠,٢٩	٠,٤٦		٣٥,٣٣
١٨	٢٠,٣٤	٢,٥٨	٤,٨٧	٠,٥٩	٠,٧٣	٠,١٩	٠,٦٤	١١,٥٠	٤١.٤٦
١٨	٢٥,٨٥	٣,٠٦	٤,٥٠	٢,٢٩	١,٦٤	٠,٨٣	١,٦٤	١١,٤٦	٥١,٢٨
١٨	٣٤,٠٢	٢,٧٢	٤,١٦	٢.٦٦	٢,٠٣	١,٠٦		١٠,٩٨	٥٨,٣٠
١٨	٢٨,٩٨	٢,٧٧	٥,٤٠	٣.١٩	١,٤٧	١,٢٦		١٠,٤٠	٥٤,٠٩

جدول رقم (١٣) ـ الصادرات إلى الاسكندرونة تبعاً لدول المنشأ ١٨٨١ ـ ١٨٩٩
(النسبة ٪)

السنة	بريطانيا	فرنسا	النمسا	إيطاليا	بلجيكا	ألمانيا	الولايات المتحدة وروسيا	تركيا مصر
١٨٨١	٥٩,٦	١٥,٧	٤,٨	١,٨			١,٦	١٦,٠٢
١٨٨٢	٥٧,٥	١٢,١	٤,٤	٢,١			١,٢	٢٢,٤
١٨٨٣			٤,٣					
١٨٨٤								
١٨٨٥	٥١,٩	١٥,٣	٥,٦	١,٩			٠,٩	٢٤,١
١٨٨٦	٥٣,٢	١٣,٧	٦,٦	٢,٠			١,٣	٢٣,١
١٨٨٧	٥٤,٢	١٢,٧	٨,٩	١,٦			١,٢	٢١,١
١٨٨٨	٥٤,٦	١١,٧	٩,٩	١,٤			١,١	٢١,١
١٨٨٩	٥٤,٤	١١,٥	٩,٠	٢,٤			١,٨	٢٠,٦
١٨٩٠								
١٨٩١	٥٧,٠	١٠,٦	١٠,٥	٠,٩			١,٥	١٩,٣
١٨٩٢	٥٩,٢	٦,٤	١١,٢	٠,٦	١,٨		١,٥	١٨,٨
١٨٩٣	٤٨,٥	٩,٦	١٢,٩	٠,٨	٢,٢		٠,٦	٢٥,١
١٨٩٤	٤٨,٣	٨,٩	١٢,١	١,٦	٢,٤	٠,٤	١,٥	٢٤,٤
١٨٩٥	٥٩,١	٤,٨	١٢,٤	١,٥	٢,٠	٠,٨	١,٣	
١٨٩٦	٤٩,٠	٦,٤	١١,٧	١,٤	١,٧	٠,٤	١,٥	٢٧,٧
١٨٩٧	٥٠,٤	٥,٩	٨,٧	٤,٤	٣,٢	١,٦	٣,٢	٢٢,٣
١٨٩٨	٥٨,٣	٤,٦	٧,١	٤,٥	٣,٤	١,٨		١٨,٨
١٨٩٩	٥٣,٥	٥,١	٩,٩	٥,٩	٢,٧	٢,٣		١٩,٢

ملاحظة في ما يتعلق بالجدولين ١٢ و١٣:
يستند الجدولان الى المصادرالواردة في حاشية الجدول رقم ١١ وهي أرشيف التجارة الألماني. أما المعلومات حول إيطاليا وروسيا فهي تستند إلى Pinkus, op.cit. ص ١٧٧ والصفحة التالية. أضيفت النسب المئوية من قبلنا.
إن صادرات كل من روسيا والولايات المتحدة الأميركية هي في معظمها من النفط الذي كانت الولايات المتحدة تصدره في البداية وروسيا بعد عام ١٨٨٥ كمنافسة للأولى بأسعار مضاربة.

حواشي الفصول

حواشي التوطئة

(١) **Alex Carmel,** Die Siedlungen der wûrttembergischen Templer in Palâstina 1868- 1918. Ihre Lokalpolitischen und internationalen Probleme, Stuttgart 1973.

(٢) يمكن الاطلاع على نشاطات تلك الجمعيات من خلال:

Zeitschrift des Deutschen Palâstina- Verein (seit 1878)

وأيضاً: **Palâstinajahrbûcher des Deutschen Evangelischen Instituts fûr Altertumswis- senschaft des Heiligen Landes zu Jerusalem** (منذ ١٩٠٥)

(٣) باستثناء السياسة البروسية تجاه اليهود التي عولجت في إطار إنشاء مطرانية القدس الإنجيلية، انظر الفصل الأول من الكتاب.

حواشي المقدمة

(١) حول التقسيمات الإدارية راجع:

عبد الكريم غرابيه، سوريا في القرن التاسع عشر، ١٨٤٠ - ١٨٧٦، القاهرة ١٩٦١ / ٦٢، ص ٧١ - ١٠٨؛ **عبد العزيز عوض**، الإدارة العثمانية في ولاية سوريا ١٨٦٤ - ١٩١٤، القاهرة ١٩٦٩، ص ٦١ - ٧٩، ٣٤٠ والصفحات التالية: **A.L. Tibawi** A Modern History of Syria including Lebanon and Palestine, London 1969, P 23 ff, 180 ff.

عن فلسطين انظر:
القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ص ١، بيروت ١٩٧٣، ص ٤٥ والصفحة التالية.

(٢) أنظر: **John Bowring**, Report on the Commercial Statistics of Syria. Addressed to the Right Hon. Lord Viscount Palmerston (= Bpp, No. 21), London 1840, p3.

K. Baedeker, Palâstina und Syrien. Handbuch fûr Reisende, 5. ed. Leipzig 1900,P.LXXVIII f.; **Gothaischer genealogischer Hofkalender nebst Diplomatisch - statistischem Jahr--buch**, Gotha 1898, p 1211 f.

(٣) راجع. **خيرية قاسمية**، النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه ١٩٠٨ - ١٩١٨، بيروت ١٩٧٣، ص ١٠.

(٤) المرجع السابق، ص ١٠.

(٥) حول نظام المِلّة راجع **عوض**، ص ٣٠١ والصفحات التالية.

(٦) **John Bowring**, Report on the Commericel Statistics of Syria. Addressed to the Right Hon. Lerd Viscount Palmerston(= BPP, No. 21),London 1840, p3

(٧) **Winfried Baumgart**, Vom Europâischen Konzert zum Vôlkerbund. Friedensschlûsse und Friedenssicherung von Wien bis Versailles, Darmstadt 1974, p 23.

وعلى العموم تعتبر دراسة أندرسون عن المسألة الشرقية أفضل ما كتب في هذا الموضوع، أنظر:
Matthew Smith Anderson, The Eastern question, 1774 - 1923. A Study in Internatinal Relations, London 1966.

(٨) نقلاً عن: **L. S. Stavrianos**, , The Balkan since 1453, N. Y. et al. 1958, p 136

(٩) حول مسألة إصلاح الدولة العثمانية في القرن التاسع عشر، راجع: **Stanford J. Shaw**, «The Origins of Ottoman Military Reform: The Nizam - i Cedid Army of Sultan Selim III», in: **The Journal of Modern History** 37 (1965), pp 291 - 305; **T. Naff**, «Reform and the Conduct of Ottoman Diplomacy in the Reign of Selim III. 1789 - 1807»,, in: **Journal of the American Oriental Society** 3 (1963), pp 295 - 315. A. **Kazamias**, Education and the Quest for Modernity in Turkey London 1966; **Uriel Heyd**, «The Ottoman Ulema and Westernization in the Time of Selim III. and Mahmud II», in: **Scripta Hierosolymitana**, 9 (1961), pp63 - 96

(١٠) **عبد الر ؤوف سنو، أثر الغرب الأوروبي في حركة الاصلاح في الدولة العثمانية**، أطروحة دبلوم، جامعة بيروت العربية ١٩٧٥.
انظر: **عبد الرؤوف سنو، «العلاقات الروسية - العثمانية - ١٦٨٧ - ١٨٧٨، روسيا ومشاريع تقسيم الدولة العثمانية»**، مجلة تاريخ العرب والعالم، العددان ٧٥ - ٧٦، ١٩٨٥، ص ٣٦، ٤٣ - ٤٤.

(١١) **Joseph Lammeyer**, Das französische Protektorat über die Christen im Orient, historisch, rechtlich und politisch gewürdigt. Ein Beitrag zur Geschichte der diplomatischen Beziehungen der Hohen Phorte, Borna - Leipzig 1919, p 26 ff; **Karl Lippmann**, Die Konsularjurisdiktion im Orient. Ihre historische Entwicklung von den frühesten Zeiten bis zur Gegenwart, Leipzig 1898, p 58 ff.

(١٢) **Lippmann**, p 75f.

(١٣) المرجع السابق: ص ٧٦ والصفحات التالية.

(١٤) أنظر: **J. C. Hurewitz**, (Editor), The Middle East and North Africa in World politics. A Documentary Record, vol.I: European Expansion 1535 - 1914, **ed.**, New Haven et al. 1975, p 95.

(١٥) **عبد الرؤوف سنو**، «العلاقات الروسية - العثمانية (١٦٨٧ - ١٨٧٨) - سياسة الاندفاع نحو المياه الدافئة، مجلة «**تاريخ العرب والعالم**»، العددان ٧٣ - ٧٤، ١٩٨٤، ص ٥٥.

(١٦) حول محمد علي وسياسته الداخلية والخارجية انظر:
Henry Dodwell, The Founder of Modern Egypt. A Study of Muhammad Ali, 2. ed., Cambridge 1967.

(١٧) حول الأزمة الشرقية ١٨٣١ - ١٨٣٣ وتعقيداتها الدولية انظر **J. Hajjar**, L'Europe et les destinèes du Proche- Orient (1815 — 1848), Paris 1970, Cap. V, pp 99 - 120.

(١٨) **Hurewitz** op. cit. vol. I, p 252.

(١٩) نقلاً عن: **Baumgart**, op. cit. p 46

(٢٠) رسالة بالمرستون إلى ملبورن بتاريخ ٥ تموز ١٨٣٠، نقلاً عن **Henry Lytton Bulwer**, The Life of Henry John Temple, Viscount Palmerston: With Selections from his Diaries and Correspondence, vol. II, London 1870, p 359 f.

(٢١) **Sydney Nettleton Fisher**, The Middle East. A History, 2. ed, London 1771, p. 282 - ,
ولتفاصيل أخرى حول الوجود المصري في لبنان انظر: أسد رستم، بشير بين السلطان والعزيز ١٨٠٤ - ١٨٤١، جـ ٢، ط ٢، بيروت ١٩٦٦.

(٢٢) انظر: ص ١٤ من الكتاب.

(٢٣) نقلاً عن: **Tibawi**, op. cit. p 84.

(٢٤) نقلاً عن: **Bowring**, op, cit. p 7.

ورد في الاقتباس خطأ أن إسم رئيس الإدارة المالية هو «بكري بك»، والصحيح هو بحري بك (حنا بحري)، قارن **Yitzhak Hofman**, «The Administration of Syria and Palestine under Egyptian Rule (1831 - 1840)» in: **Studies on Palestine during the Ottoman Periode**, Editor, **Moshe Ma'oz**, Jerusalem 1975, p 323 ff.

(٢٥) انظر على سبيل المثال حادثة الارتداد عن الإسلام وردة الفعل العثمانية عليها في:
Karl von Sax, Geschichte des 19 Jahrhunderts und die Phasen der «orientalischen Frage» bis auf die Gegenwart, 2. ed. Wien 1913, p 299 f., 346

(٢٦) قارن: **Tibawi**, op cit, p 11

(٢٧) حول بداية نشاطات الإرساليات الإنجيلية راجع بشكل خاص الفصل الأول من كتاب **A. L. Tibawi**,

American Interests in Syria 1800 - 1901. A Study of Educational, Literary and **Religious** Work, Oxford 1966.

(٢٨) حول تسييس التبشر انظر، **Karl Hammer** Weltmission und **Kolonialismus. Sendungsideen** des 19. Jahrhunderts im **Konflikt**, München 1978.

وحول الشرق ص ٢٠٣ والصفحات التالية.

(٢٩) انظر: **Tibawi**, British Interests in Palestine 1800 - 1901, A Study of Religious and Educational **Enterprise**, London 1961, p 12 f. and 31 ff; **Isaiah Friedman**, «Lord Palmerston and the **Protec**tion of the Jews in **Palestine** 1839 - 1851», in **Jewish Social Studies** 30 (1968), pp 23 - 41.

وتعتمد مقالة فريدمان أساساً على الوثائق البريطانية المنشورة حول القنصلية البريطانية في القدس وموقفها من اليهود في فلسطين، انظر: **Albert M. Hyamson** (Editor), The British Consulate in Jerusalem in Relation **to** the **Jews** of **Palestine** (1838 - 1914), Vol I London 1939.

(٣٠) نقـلاً عن: **Arbeit und Aufgabe der Evangelischen Kirchen in Jerusalem, Berlin** 1895, p 9.

(٣١) راجع: Politische **Correspondenz** Friedrichs des Grossen. Editor **Joh. Gust. Droysen, Max Duncker and Heinrich von Sybel**, Vol XI, Berlin 1883 pp 15 - 21, and vol XIX, Berlin 1892, p 296 ff. **Rudolf Porsch**, Die Beziehungen Friedrichs des Grossen zur Türkei bis zum Beginn und Während des siebenjährigen Krieges, Dissertation Marburg 1897, p 6, 24, 80 f.

(٣٢) **de Martens** (Editor), Recueil des principaux Traités d'Alliance, de Paix, de Trève, de Neutralité, de commerce, de Limites, d'echange etc. conclus par les Puissances de L'Europe tant entre elles qu'avec les Puissances et etats dans d'autres parties du monde. Depuis 1761 jusqu'á prèsent, vol, III, Göttingen 1791, p 197, 201, 205.

(٣٣) لمراجعة نص المعاهدتين انظر **Geo. Fréd** de **Martens** (Editor), Recueil de Traités d'Alliance, de Paix etc., 2. ed., vol. IV, Göttingen 1818, p 466 ff.

(٣٤) انظر: **PGSA**, Die Beratung über die Zweckmässigkeit eines Fridensschlusses mit den **nordafri**kanischen **Raubstaaten behufs** der Sicherstellung der preussischen Flagge im **mittelländischen** Meere, Rep. 109 - ac 3/47, No. 3024, 1825 - 1829.

(٣٥) المرجع السابق: Bl. 20

(٣٦) المرجع السابق: Der Preussische Gesandte in Istansul an das Ministerium der Auswärtigen Angelegenheiten, No. 1240, oct. 6 1829.

وقارن أيضاً:

Alfred Zimmermann, Geschichte der preussisch - deutschen Handelspolitik, aktengemässig dargestellt, Oldenburg - Leipzig 1892, p 128.

(٣٧) **Sax**, op. cit. p 235 ff.

(٣٨) انظر: حاشية رقم ١٢ من الفصل الأول للكتاب.

حواشي الفصل الأول

(١) أهم هذه المؤلفات ما كتبه: **Abeken, Bunsen, Hengstenberg, Schneckenburger, Hundeshagen, Ranke, Treitschke** und **Hechler.**

(٢) من هذه الأبحاث والدراسات ما كتبه: **Greaves, Tibawi, Höcker, Karnats, Schmidt-Clausen, Hanselmann, Friedman** and **Hajjar.**

الجدير بالذكر هنا كتاب جوزيف حجّار, L'Europe et Les destinées du proche-Orient **(1815 - 1848)**, Tournai 1970, pp. 325 - 352 الذي يركز فيه على السياسة البريطانية فيما يتعلق بتوطين اليهود في فلسطين.

(٣) **Friedrich Nippold**, Christian Carl Josias Freiherr von Bunsen. Aus seinen Briefen und nach eigener Erinnerung geschildert von seiner Witwe, II Leipzig 1869, p. 200.

(٤) أنظر: **Franz Schnabel**, Deutsche Geschichte im neunzehnten Jahrhundert, IV: Die religiösen Kräfte, 2. ed,. Freiburg i. Br. 1951, p. 530.

(٥) أنظر: **Leopold von Ranke**, Aus dem Briefwechsel Friedrich Wilhelms IV. mit Bunsen, Leipzig 1873, p. 329 ff., **P. Kawerau,** Amerika und die Orientalischen Kirchen. وأيضاً Ursprung und Anfang der amerikanischen Mission unter den Nationalkirchen Westasiens, Berlin 1985, p. 456.

(٦) راجع رسالة فريدريك وليم الرابع عندما كان أميراً إلى بونسن بتاريخ ٢٥ آذار ١٨٤٠ لدى **Ranke**, op. cit. RGG, vol: V, p 563. وقارن p. 59 f.,

(٧) أنظر: **Kurt Schmidt-Clausen,** Vorweggenommene Einheit, Die Gründung des Bistums Jerusalem im Jahre 1841, Berlin Hamburg 1965, 191-217.

(٨) حول رادوفيتز وعلاقته بالملك فريدريك وليم الرابع وتأثيره عليه انظر: **E. Ritter Radowtiz**. Ein Katholischer Staatsmann in Preussen, Köln 1948.

(٩) انظر: **Wilma Höcker**, «Der Gesandte Bunsen als Vermittler zwischen Deutschland und England», in: **Göttinger Bausteine zur Geschichtswissenschaft.** 1 (1951), p. 79 ff.

(١٠) حول مؤتمر لندن انظر: **Hajjar**, op. cit. pp. 262-325.

(١١) انظر: **Adolf Hasenclever** Die orientalische Frage in den Jahren 1838 - 1841, Leipzig 1941, p 29ff, 1928, p 8. وأيضاً **Piers walter,** Preussen und die Orientalische Krise von 1839- 1841, unpubl. Diss., Tübingen:

(١٢) أنظر: **Helmuth von Moltke**, Gesammelte Schriften und Denkwürdigkeiten, vol. 8: Briefe über Zustände und Begebenheiten in der Türkei aus den Jahren 1835-1839, Berlin 1893, وأيضاً **Reinhold Wagner**, Moltke und Mühlbach zusammen unter dem Halbmonde 1837-1839), Berlin 1873.

(١٣) **Ranke**, op, cit., p. 88.

(١٤) **Nippold**, op. cit,. Vol., II, p. 200

(١٥) المرجع السابق:

(١٦) المرجع السابق ص ٢٠٠ وما بعد.

(١٧) أنظر: **Hajjar**, op. cit, p 325 ff.

(١٨) **F. O.** 64/235, **Bülow to Palmerston, March 6, 1841.**

(١٩) أنظر: **Nippold**, op. cit. Vol II, p. 201.

(٢٠) **F. O.** 64/235, **Bülow to Palmerston**, March 6, 1841,

(٢١) حول الموقف الأوروبي انظر المرجع السابق ، وأيضاً : **The Cambridge Modern History**, vol XI: The Growth of Nationalities, Cambridge 1909, p. 311; **Heinrich von Treitschke**, Deutsche Geschichte im neunzehnten Jahrhundert, vol, V, Leipzig 1894, p. 121; «Das anglikanisch - evanglische Bisthum in Jerusalem», in: **Beilage zur ALLgemeinen Zeitung**, München, No. 38 vom. 15 Februar 1899, p. 1; **Nippold**, op. cit. vol. II, p. 201.

(٢٢) حول وضع البروتستانت في السلطنة العثمانية وبدء نشاطات الإرساليات البروتستانتية راجع **W. Jowett**, Christian Researches in the Mediterranean from 1815 to 1820, London 1824. وللمؤلف ايضاً Christian Researches in Syria and the Holy Land in 1823 and 1824, London 1825.

(٢٣) انظر : **Nippold**, op, cit., vol II p. 201.

(٢٤) **R. W. Greaves**, «The Jerusalem Bishopric, 1841», in: **English Historical Review** 64 (July 1949), p 333, and **Isaiah Friedman**, «Lord Palmerston and the Protedtion of The Jews in Palestine 1839-1851», in: **Jewish Social Studies** 30 (1968), p 23.

(٢٥) راجع قرار مجلس القدس لدى، **أسد رستم**، الأصول العربية لتاريخ سوريا في عهد محمد علي باشا، جـ ٣/٤ (١٨٣٠ - ١٨٣٥)، بيروت ١٩٣٠ - ١٩٣٤، وثيقة رقم ٢١٥، ص ٦٥ وما بعد.

(٢٦) **F. O.** 78/390, **Palmerston to Ponsonby**, No.134 Aug 11, 1840, **F. O.** 195/185, **Ponsonby to Palmerston** No. 19 Jan 21, 1841, in: **Albert M. Hyamson**, The British Consulate in Jerusalem in Relation to the Jews of Palestine (1838 - 1914), vol, I, London 1939, p. 33 ff.

(٢٧) **F. O.** 64/235, **Bülow to Palmerston**. June 9, 1841.

(٢٨) نقلا عن: **Heinrich Abeken**, Das evangelische Bisthum in Jerusalem. Geschichtliche Darlegung mit Urkunden, Berlin 1842, p. 33.

(٢٩) **F. O.** 64/235, **Bunsen to Palmerston**, July 15, 1841.

(٣٠) أنظر : ص ٣٥ من الكتاب .

(٣١) **Nippold** op. cit. vol. II, P. 163 f.

(٣٢) **Greaves**. op. cit. p. 342 f.

(٣٣) تمّت الموافقة النهائية بشأن المطرانية في بداية كانون الأول ١٨٤١ . انظر الإعلان الرسمي **W. H. Hechler**, The Jerusalem Bishopric, London 1883, p 107

(٣٤) **Henry Smith**, The Protestant Bishopric in Jerusalem, Its Origin and Progress, London 1847, 34. **Hechler**, op.cit. p. 107.

(٣٥) **Hajjar**, op. cit. p. 373ff.

(٣٦) **Treitschke**, op. cit.. vol. V, p. 123, **Nippold**, op. cit., vol II, 207.

(٣٧) **Caesar E. Farah**, «Protestantism and British Diplomacy in Syria», in: **International Journal of Middle East Studies** 7 (1976), p. 338 f.

(٣٨) انظر : **مصطفى خالدي وعمر فروخ** ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية ط ٢ ، بيروت ١٩٥٧ ، ص ١٧٢ وما يلي .

(٣٩) **F. O.** 78/501, **Aberdeen to Young**, No.1, May 3, 1842, printed by **Hyamson**, op. cit. vol. I,p. 46 f.

(٤٠) أنظر: **Treitschke**, op. cit. vol. V, p. 123.

(٤١) المرجع السابق، ج ٥، ص ١٢٣

(٤٢) **Die orientalische Frage der deutsch - evangelischen Kirche**, Bern 1843, p. 12.

(٤٣) **F. O.** 78/507, **Fuad Efendi to Aberdeen**, Feb. 16, 1842.

(٤٤) **F. O.** 78/507, **Aberdeen to Canning**, No. 19, Feb. 24, 1842.

(٤٥) **Sydney Nettleton Fisher**, The Middle East. A History, 2 ed, London 1971, p. 315 f.

(٤٦) **Edward Shepherd Creasy**, History of the Ottoman Turks; From the Beginning of their Empire to the Present Time, London 1879, p 513.

(٤٧) **فيليب وفريد الخازن**، المحررات السياسية والمفاوضات الدولية عن سوريا ولبنان، جـ ١، جونيه ١٩١٠ / ١٩١١، ص ٥٢.

(٤٨) **Heinrich Abeken**, op. cit. p. 34

(٤٩) لمراجعة تقرير كونغسمارك المؤرخ ٦ تشرين الأول ١٨٤١ انظر: **F. O.** 64/241, **Bunsen to Aberdeen**, No. 53 Jan. 17, 1842

(٥٠) **F. O.** Palmerston to **Ponsonby** Aug. 11, 1840, printed by **Hyamson**, op. cit. vol. I, p 33 f., **F. O.** 78/429, **Palmerston to Ponsonby**, No. 187 July 26, 1841; **F. O.** 78/507, **Fuad Efendi to Aberdeen**, Feb. 16, 1842.

(٥١) **Die orientalische Frage der deutsch - evangelischen Kirche**, op. cit., p. 12.

(٥٢) **Paul Hoppe**, Geschichte der deutschen evangelischen Kirche und Mission im Heiligen Lande, Güterslon 1898, p 7; **Henry Smith**, op cit. p. XIII; **A. L. Tibawi** British Interests in Palestine 1800 - 1901. A Study of Religious and Educational Enterprise, London 1961, p. 46.

(٥٣) اقتباس عن **Hechler**, op. cit., documentspart, P. 107

(٥٤) **Kawerau**, cp. cit. p. 465 f.

(٥٥) هكذا وصف ترايتشكه إنشاء المطرانية: **Treitschke**, op. cit. vol. V, p 123.

(٥٦) **Karl Bernhard Hundeshagen**, Das anglo=preussische Bisthum zu St. Jacob in Jerusalem und was daran hängt, Freiburg 1842, pp 15 - 65, and **D. M. Schneckenburger**, Die Berliner evangelische Kirchenzeitung im kampfe für das Bisthum in Jerusalem. Ein Vorschlag zum Frieden, Bern 1844.

(٥٧) **D. E. Haupt**, «Das protestantische Bisthum zu Jerusalem», in: **Deutsch - evangelische Blätter** 24 (1899), p, 154.

(٥٨) «Das anglikanisch - evangelische Bisthum in Jerusalem», op. cit., p 4, and **Schnabel**, op. cit. vol. IV p. 534.

(٥٩) **Treitschke**, op. cit. vol. V, p. 124.

(٦٠) Johannes F. A. de le Roi, Michael Solomon Alexander, der erste evangelische Bischof von Jerusalem. Ein Beitrag zur orientalischen Frage, Gütersloh 1897. p 100 f.

(٦١) **Haupt**, op. cit. p. 148, **Treitschke**, op. cit. vol. V, p 123.

(٦٢) للاطلاع على دحض لهذه الآراء مراجعة كتاب: **Schnekenburger**, op. cit.

(٦٣) إن تراتيشكه هو الذي يشير إلى أن بونسن وابكن هما مؤلفا الكتاب: **Treitschke**, op. cit. vol. V. p. 123.

(٦٤) لمزيد من المعلومات حول سياسة فريدريك وليم الرابع الكنسية، **Tibawi**, British Interests, op. cit. p. 45; انظر ايضاً: **Schnabel**, op. cit. vol. IV, p 529 ff.

(٦٥) هذا ما جاء في رسالة للملك عندما كان ولياً للعهد إلى بونسن بتاريخ ٢٥ آذار ١٨٤١ في **Ranke**, op. cit. p. 61.

(٦٦) انظر رسالة فريدريك وليم الرابع إلى بونس بتاريخ ١٢ آب ١٨٤١ في المرجع السابق، ص ٩٣.

(٦٧) المرجع السابق: ص ٩٣.

(٦٨) انظر: رسالة فريدريك وليم الرابع إلى بونسن بتاريخ ٢٦ آب ١٨٤١ في المرجع السابق، ص ٩٦.

(٦٩) راجع الفصلين الثاني والرابع من الكتاب.

(٧٠) **F. O.** 64/235, **Bunsen to Palmerston**, July 15, 1841.

(٧١) حول تاريخ هذه الجمعية انظر: **W. T. Gidney**, The History of the London Society for Promoting Christianity amongst the Jews, from 1809 to 1908, London 1908.

(٧٢) انظر: **AKF** 4 (Julu / August 1852) p 16

(٧٣) لمراجعة تقرير كونغسمارك المؤرخ ٦ تشرين اول ١٨٤١، انظر: **F. O.** 64/241, **Bunsen to Aberdeen** No. 53, Jan 17, 1842.

(٧٤) **F. O.** 78/437, **Ponsonby to Aberdeen**, No. 9, Oct. 6, 1841.

(٧٥) المرجع السابق: الوثيقة السابقة.

(٧٦) وايضاً **F. O.** 78/437, **Ponsonby to Aberdeen** No. 4, Sept. 29, 1841. No. 11, oct, 7, 1841.

(٧٧) انظر: بونسوني في حاشية رقم ٧٦.

(٧٨) انظر: **Kawerau**, op. cit. p. 465

(٧٩) حول نظام الملة انظر ما سبق: ص ١٢.

(٨٠) انظر: **Henry Smith**, op. cit, p 34 ff.

(٨١) انظر: رسالة فريدريك وليم الى بونسن بتاريخ ٢٩ تشرين ثاني ١٨٤١ في **Ranke**, op. cit. p 97.

(٨٢) انظر: **Treitschke**, Op. Cit., vol. V, p 122; **Schmidt- Clausen**, op. Cit., p 94.

(٨٣) نقلاً عن حاشية رقم ٨٢.

(٨٤) انظر: **Tibawi**, British Interests, op. cit. p 89; **Henry Smith**, op. cit, p 134 f. **Abeken**, op. cit, p 188 89.

(٨٥) **Hechler**, op. cit. documentspart, p 111

(٨٦) لمراجعة تقرير كونغسمارك المؤرخ ٦ ت' ١٨٤١، انظر: **F. O.** 64/241, **Bunsen to Aberdeen**, No. 53, Jan. 17, 1842.

(٨٧) المرجع السابق؛ وأيضاً: **Hajjar**, op. cit. p 398

(٨٨) انظر: **Christophilos Aletlhes**, Die Lage der Christen in der Türkei und das russissche Protectorat, Berlin 1854, p 118.

(٨٩) لمراجعة نص مرسوم السلطان عبد المجيد لصالح رعاياه المسيحيين البروتستانت، انظر؛ **ZDMG** 7 (1853), pp 568- 572

(٩٠) انظر: **Greaves**, op. cit. p 344

(٩١) حول وضع اليهود في ألمانيا خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر، انظر: **Ernest Hamburger**, Juden im öffentlichen Leben Deutschlands 1848 - 1918, Tübingen 1968, p 6 ff.; **Hans Liebeschütz und Arnold Paucker** (Hrsg.) Das Judentum in der Deutschen Umwelt 1800 - 1850. Studien zur Frühgeschichte der Emanzipation, Tübingen 1977.

(٩٢) انظر: **Erwin Roth**, Preussens Gloria im Heiligen Land. Die Deutschen und Jerusalem, München 1973, p 61.

(٩٣) **Joh. Gottlieb Fichte**, Beitrag zur Berichtigung der Urteile des publikums über die französische Revolution, Erster Teil: Zur Beurteilung ihrer Rechtmässigkeit (1793). Beigefügt die Rezension von **Friedrich von Gentz**, hrsg, von **Richard Schottky**, Hamburg 1973, p 114 f.

(٩٤) المرجع السابق، ص ١١٥.

(٩٥) **Egmont Zechlin, Die deutsche Politik und die Juden im Ersten Weltkrieg** Göttingen 1969, p 23.

(٩٦) انظر: **Schnabel**, op. cit. vol III: Erfahrungswissenschaften und Technik, Freiburg I. Br. 1934 p. 140 f

(٩٧) **Simon M. Dubnow**, Die neueste Geschichte des jüdischen Volkes (1789 - 1914) vol I. Berlin 1920, p 21.

(٩٨) المرجع السابق: ص ٢١ وما يلي.

(٩٩) انظر: **Jacob Lestschinsky**, Das wirtschaftliche Schicksal des deutschen Judentums. Aufstieg - Wandlung - Krise - Ausblick, Berlin 1936, p 16.

(١٠٠) المرجع السابق؛ ص ٢٦.

(١٠١) المرجع السابق؛ ص ٢٩.

(١٠٢) المرجع السابق؛ ص ٢٧ و٢٩.

(١٠٣) حوالي عام ١٨٤٠ كان ٩٠٪ من يهود بروسيا (بدون بوزنان) منخرطين في التجارة. انظر المرجع السابق؛ ص ٢١. أيضاً: **Kurt Zielenziger**, Die Juden in der deutschen Wirtschaft, Berlin 1970, pp 64 - 192.

(١٠٤) المرجع السابق؛ ص ٥٨ وما يلي.

(١٠٥) المرجع السابق، ص ٢٣ وما يلي.

(١٠٦) انظر: **Gustav Mayer**, «Early German Socialism and Jewish Emancipation», in: **Jewish Social Studies** 1 (1939), p. 419

حسان حلاق، موقف الدولة العثمانية الحركة الصهيونية، بيروت ١٩٧٥، ص ٣٠ وما يلي.

(١٠٧) **Zechlin**, op. cit p 23

(١٠٨) المرجع السابق؛ ص ٢٢.

(١٠٩) **Lestschinsky**, op cit p 42.

وأيضاً: **Hamburger**, op. cit. p 7.

(١١٠) راجع **Jacob Toury**, «Der Eintritt der Juben ins deutsche Bürgertum», in: **Libeschütz und Paucker** (Hrsg.), op, cit, pp 139- 242.

(١١١) المرجع السابق؛ ص ٢٢٧ .

(١١٢) انظر: **Zechlin**, op. cit. p 22

(١١٣) حول هذا الموضوع انظر: **Gustav Mayer**, q. cit. pp. 410 - 412

(١١٤) حول شروط قبول يهود بوزنان في المجتمع الألماني.
انظر: **Stefi Wenzel**, Jüdische Bürger und Kommunale Selbstverwaltung in preussischen Städten, Berlin 1967, p 163.

(١١٥) حول الجمعية الإنكليزية انظر ما سبق: ص ٣٥.

(١١٦) انظر: **Isaak Markus Jost**, Neuere Geschichte der Israeliten von 1815 bis 1845, Berlin 1846, p 292.

(١١٧) انظر: **Hajjar**, op. cit. p 8

(١١٨) **Walter Holsten**, «Israel and Palästina im Missionsdenken des 19. jahrhunderts», in: **Evangelische Theologie**, München, 14 (1954), p 214.

(١١٩) انظر: **Jost**, op. cit. p 132.

(١٢٠) انظر: **Nippold**, op. cit. vol II p 163

(١٢١) انظر: **Friedmann**, «Lord Palmerston..» op. cit. p 29; **F. O.** 195/165, **Palmerston to Ponsonly**, No. 251, Nov. 25, 1840: **Hyamson**, op. cit., vol II (1941), pp LXVII - LXXIII

(١٢٢) حول الهجرة اليهودية إلى فلسطين راجع كتاب وليم فهمي: الهجرة اليهودية إلى فلسطين المحتلة، القاهرة ١٩٧١ ص ١٦ وما يلي؛ **S. Tolkowsky**, The Gateway of Palestine. A History of Jaffa, London 1924, p 160; عند إنشاء المطرانية كان يوجد في فلسطين ٦٢٣ يهودياً ألمانياً، أنظر: **Hyamson** op. cit. Vol p 4. ff, **Smith,** P 16

(١٢٣) انظر: **Friedmann**, «Lord Palmerston...» op. cit. p. 29. حيث جرى الحديث عن مشروعات يهودية أخرى **Hyamson**, vol 1, p LXVIII - LXXI

(١٢٤) المرجع السابق؛ ص ٣٣ والصفحة التالية.

(١٢٥) المرجع السابق، ص ٢٣ - ٤١ وايضاً: كتاب هيامسون .

(١٢٦) انظر: **Nippold**, op. cit vol II, p 1 ff.

(١٢٧) نقلاً عن: **Schmidt - Clausen** ص ٨٩.

(١٢٨) انظر: **Nippold**, op. cit. vol II, p 114 ff.

(١٢٩) انظر ما سبق، ص ٣٥ .

(١٣٠) انظر: رسالته إلى اللورد إشلي بتاريخ ٣ آب ١٨٤١ في: **Nippold**, op. cit., vol II, p 151

(١٣١) المرجع السابق، ص ١٢٠ وما يلي.

(١٣٢) المرجع السابق، ص ١٥١ وانظر أيضاً: حاشية رقم ١٣٠ .

(١٣٣) نقلاً عن: **Nippold,** op. citl vol. II p 171 . إن تاريخ الرسالة هو ١٩ تموز ١٨٤١ . وقد عين بونسن بعد ذلك

مساعد راع لجمعية يهود لندن **Tibawi British Interests**, op.cit., p 96.

(١٣٤) نقلاً عن: **Ranke**, op. cit. p 94 f.

(١٣٥) المرجع السابق، ص ٩٥.

(١٣٦) انظر **Mordechai Eliav,** «German Interests and the Jewish Community in Nineteenth-Century Palestine», in: **Studies on Palestine during the Ottoman Period,** hrsg. von **Moshe Ma'oz**, Jerusalem 1975, f 426 f.

(١٣٧) نقلاً عن: **Hechler,** op. cit. documentspart, p 125.

(١٣٨) انظر: **Holsten**, p 214.

(١٣٩) انظر رسالة القنصل البروسي العام لسوريا وفلسطين إلى شولتز، القنصل البروسي في القدس بتاريخ ١٣ حزيران ١٨٤٣، في: **Mordechai Eliav,** Die Juden Palästinas in der deutschen Politik, 1842- 1914: Tel - Aviv 1973, p XVI; حول انشاء القنصلية انظر ص ٢٢٧ من الكتاب .

(١٤٠) **Hedwig Abeken, Heinrich Abeken**, Ein Schlichtes Leben in bewegter Zeit, aus Berichten zusammengestellt, 3. ed. Berlin 1904, p 122; **Smith,** op. cit. p. 65 ff.

(١٤١) انظر: **Nippold,** op. cit. vol II, p 113 f.

(١٤٢) **Bernhard Neumann,** Die Heilige Stadt und deren Bewohner in ihren naturhistorischen, culturgeschichtlichen, socialen und medicinischen Verhâltnissen, Hamburg 1877, p 284 ff.

(١٤٣) **Hedwig Abeken**, op. Cit, p 123.

(١٤٤) أنظر: **16. jb. des JV** (1868) p 26; **NNM** 8 (1864), No 29, p 131.

(١٤٥) **Neumann**, op. cit. PP. 286 - 288.

(١٤٦) المرجع السابق؛ ص ٣٧٦ وما يلي.

(١٤٧) المرجع السابق؛ ٣٩٩ وما يلي.

(١٤٨) انظر؛ **Greaves**, op. cit. p 349 f.

(١٤٩) **Roi**, op. cit. p 168. **Tibawi**, British Interests, op. cit. pp. 67 - 77; **Hyamson,** op.cit. vol. I pp. 46 - 63.

(١٥٠) حول حياة غوبات انظر؛ **Theoder Schölly**, Samuel Gobat. evangelischer Bischof in Jerusalem. Lebensbild, Basel 1900.

(١٥١) **Tibawi**, British Interests, op. cit. p 96 ff.

(١٥٢) انظر: **أسعد منصور**: تاريخ الناصرة، القاهرة ١٩٢٤ ص ٨٢ .

(١٥٣) **James Graham**, Jerusalem, Its Missions, Schools, Converts, etc. under. Bishop Gobat, London, 1958, p 8 f.

(١٥٤) **Tibawi**, British Interests, op. cit. p 135 ff.

(١٥٥) **Bernhard Karnatz,** Das preussisch-englische Bistum in Jerusalem, Berlin 1972, p 8.

(١٥٦) المرجع السابق؛ ص ٧

(١٥٧) انظر: **Theodor Fliedner**, Reisen in das heilige Land, nach Smyrna, Beirut, Constantinopel: Alexandrien und Cairo, in den jahren 1851, 1856 und 1857, vol I. Kaiserswerth 1858, p 253 ff.

(١٥٨) المرجع السابق .

(١٥٩) انظر : **AJV**, Anglikanisches Bistum und evangelische Gemeinde in Jerusalem, 1853 - 1893: **Oberkirchenrat in Berlin an Hoffmann**, No. 331, E. O. Feb. 6, 1869.

(١٦٠) المرجع السابق ؛ **Johanniterorden an den Vorstand des Jerusalems verin**,12. Feb. 1869, Bl, 87 وأيضاً: **Vorstand des Jerusalemsvereins an den Oberkirchenrat in Berlin**, Feb, 16, ff, 1869 Bl. 90f.

(١٦١) أنظر: ص ١٣٩ .

(١٦٢) **Hans - Wilhelm Hertzberg**, Jerusalem. Geschichte einer Gemeinde, Kassel 1965, p 29 f.

(١٦٣) نقلاً عن:

«Die Evangelische Jerusalem - Sti tung», in: **EGBP** 3 (1927), No. 9, p34.

(١٦٤) أنظر: ص ٢٧٨ و ٢٨٠ .

حواشي الفصل الثاني

(١) **Kenneth Scott Latourette**, A History of the Expansion of Christianity, 1800 - 1914, London - N.y. 1944, vol. III, p 79 f, vol IV, p. 24f; وأيضاً **Julius Richter**, A History of Protestant Missions in the Near East, Edinburgh 1910, p 91 f.

(٢) تأسست هذه الجمعية أصلاً تحت اسم .- **«Böhmisch mährische Brüderunität»** عام ١٩٥٧ . وخلال القرنين ١٦ و١٧ أجبر أعضاء هذه الحركة البروتستانتية على الفرار إلى بولندا، هولندا، إيرلندا وبريطانيا. وفي عام ١٧٢٢ أعيد إحياء هذه الجمعية بتأسيس مركز لها في هرنهوت بزعامة الغراف نيقولا لودفيغ Nicolas Ludwig في تسنزندروف Zinzendorf . ومنذ القرن ١٨ بدأت الجمعية نشاطاً تبشيرياً في أنحاء مختلفة من العالم، انظر: **Encyclopaedia of Religion and Ethics**, editor **James Hastings**, vol VIII, N.y. 1951, pp 837 - 841.

(٣) أنظر: **RGG.** vol I, p 914 حول تأسيس هذه الجمعية ونشاطاتها في الحركة الإنجيلية للقرن التاسع عشر، انظر: **Paul Eppler,** Geschichte der Basler Mission, 1815 - 1899, Basel 1900

(٤) وراجع أيضاً: **عارف العارف**: تاريخ المسيحية في القدس، القدس ١٩٥١، ص ١٧٤ .

(٥) انـظر : **Christian Friedrich Spittler im Rahmen seiner Zeit, mit einem Wort von A. Garasin,** vol. I., Basel 1878. pp 1- 82 **(Kindheit und Jugenjahre)**

وأيضاً ص ١٠١ - ٢٥٣ حول **(Tatigkeit in Basel)** .

صدر هذا الكتـاب عام ١٨٦٧ عن إبنـة شبتلر بالتبني كجزء أول للدراسة ، حيث يعـالج حياة شبتلر من خـلال ٢٥ ألف رسالـة ووثيقة . وبعـد وفاة الكـاتبة في عـام ١٨٨٠ أكمل يـوحنا كـوبـر **Johann Kober** الدراسة استناداً إلى الوثائق التي كانت إبنة شبتلر بالتبني قد جمعتها . انظر :

Chrisitian Friedrich Spittler's Leben, Basel 1887.

(٦) نقلاً عن: **Heinrich C. Rappard,** Fünfzig Jahre der Pilgermission auf St. Chrischona, 2 ed. Die Pilgermission zu St. Chrischona, Basel 1908, p 26. بعد وفاة شبتلر في عام ١٨٦٧ عيّن رابارد سكرتيراً لإرسالية كريشونا .

(٧) انظر: **Wilhelm D. Oehler**, Geschichte der deutschen evangelischen Mission, vo. I: 1706 - 1885, Baden 1885, p 117.

(٨) أنظر: **Hausordnung der Pilgeranstalt auf St. Chrischona, Basel 1869**

(٩) Das Deutsche Kaiserpaar im Heiligen Lande im Herbst 1898. Nach authentischen Berichten und Akten, Berlin 1899, p 23 and 32 f. **Walter Holsten**, «Israel und Palästina im Missionsdenken des 19 jahrhunderts», in **Evangelische Theologie**, München, 14 (1954) p 217.

(١٠) **G.H.V. Schubert,** Reise in das Morgenland in den Jahren 1836 und 1837, Erlangen 1838/39.

(١١) انظر: **Carl Reinicke,**«Die evangelische Mission in Palästina», in: **ZDPV** 4 (1881) p 24.

(١٢) أنظر: **Kober**, op. cit. p 185

(١٣) نقلاً عن المرجع السابق، ص ٢٢٩ .

(١٤) انظر: **Friedrich Nippold, Christian Carl** Josias Freiherr von Bunsen. Aus Seinen Briefen und nach eigener Erinnerung geschildert von seiner Witve, vol II, Leiptig 1869, p 196.

وراجع أيضاً: ما سبق ص ٤٣ .

(١٥) نقلاً عن: Das deutsche Kaiserpaar op. cit, p 23.

(١٦) أنظر: **AKF** 3 (Sept. / Oct. 1851), p 19.

(١٧) نقلاً عن: **Kober**, op. cit. p 229.

(١٨) أنظر: Das deutsche Kaiserpaar, op. cit p 23.

(١٩) نقلاً عن: **F. Veiel**, Die Pilgermission von St. Chrischona, Basel 1940, p 57 f.

(٢٠) أنظر: **Kober**, op. cit. p 145

(٢١) Nachrichten aus Jerusalem, Basel 1846, p 1.

(٢٢) أنظر: **Kober**, op. cit., p 203 f.

(٢٣) المرجع السابق، ص ١٩١.

(٢٤) Nachrichten aus Jerusalem, op. cit. p 13, 15.

(٢٥) **Friedrich Wilhelm Mohr und Walter von Hauf** (Editors), Deutsche im Ausland, Breslau 1923, p 12.

(٢٦) **Paul Hoppe,** Geschichte der deutschen evagelischen Kirche und Mission im Heiligen Land, Gütersloh 1898, p 44.

(٢٧) Nachrichten aus Jerusalem, op. cit. p 14

(٢٨) **Hoppe,** op. cit. p 45; **AKF** 4 (Sept./Oct 1852), p 12.

(٢٩) انظر: **Kober**, op. cit p 192

(٣٠) المرجع السابق: ص ٢٠٣.

(٣١) C. Hoffmann, «Das Fünfzigjährige Jubilâum der Pilgermission auf St. Chrischona» in: **NNM** 34 (1890) No 4 and 5, p 95.

(٣٢) أنظر: **Kober**, op. cit. p 228

(٣٣) المرجع السابق: ص ٢٣٠.

(٣٤) انظر: **Hoffmann,** op. cit. p 95

(٣٥) **Hoppe,** op. cit., p 50.

(٣٦) Nachrichten aus Jerusalem, op. cit p 15.

(٣٧) **AKF** 4 (Sept./Oct 1852), p 12.

(٣٨) من أسباب تخلي الرهبان عن إرسالية كريشونا، منع الزواج عليهم من قبل الإرسالية ولأن الإرساليات التبشيرية الانكليزية عرضت عليهم مرتبات أعلى.

(٣٩) انظر: الفصل الرابع

(٤٠) انظر: ما سبق ص ٨٨

(٤١) Rundschreiben an die Freunde der Pilgermissionsanstalt No. 11 Basel, 1859, P 12.
(سيختصر المرجع بعد ذلك **RSFRM**)

(٤٢) انظر: **Kober**, op. cit. p 315

(٤٣) **RSFRM**, No 5, Basel 1853, p 3.

(٤٤) **RSFRM**, No 6. Basel 1854, p 2 f.

(٤٥) **Rappard**, op. cit. p 100 وأيضاً: **RSFRM**, No 9, Basel 1857, p 7 f;

(٤٦) أنظر: **Kober** op. cit. p 291

(٤٧) المرجع السابق.

(٤٨) إن الرهبان العاملين في المتجر كانوا على التوالي لب **Lepp**، لوفنتال **Löwentahl**، هرمان **Hermann**،

كوبر **Kober**، لفي **Levy**، وفروتيغر **Frutiger**. انظر: **Rappard**, op. cit, p 100

(٤٩) **RSFRM**, No. 10, Basel 1858, p 4; No. 15, Basel 1863, p 5; No. 18, Basel 1866, p 10.

(٥٠) **AKF** 19 (Jan./Feb. 1867), p 9 ff.

(٥١) **RSFRM**, No 12, Basel 1860, p 6

(٥٢) **Kober**, op. cit, p 315 ff. Hoffmann op. cit. p 99.

(٥٣) **RSFRM**, No 13, Basel 1861, p 5 ff; No 15 Basel 1863, p 7; No 16; Basel 1864, p 12.

(٥٤) أنظر: **21. Jb. der Pilgermissionsanstalt auf St. Chrischona, Basel** 1870, 21;
وأنظر ايضاً: Die Pilgermission auf St. Chrischona Basel, 1869, p 7 f.

(٥٥) انظر: **Hoppe**, op. cit, p 49 f.

(٥٦) انظر: **Reinicke**, op. cit. p 25.

(٥٧) انظر: ص ٢٦٠.

(٥٨) **Alex Carmel**, Die Siedlungen der Württembergischen Templer in Palästina 1868 - 1918' Ihre lokalpolitischen und internationalen Probleme, Stuttgart 1974, p 37 f.
وايضاً **21. Jb der Pilgermissionsanstalt..., op cit. p 23 f;**

(٥٩) **Veiel,** op cit. p 60; **Hoppe**, op. cit. p. 50; وأنظر أيضا الفصل التالي ص٦٤.

(٦٠) انظر الفصل التالي: ص ٧٢ وما يلي.

(٦١) انظر ص ٢٦٠ وما يلي.

(٦٢) انظر: **BZ** 15 (1899), No 4, p 52

حواشي الفصل الثالث

(١) انظر الصفحة الأولى من الفصل السابع .

(٢) **Ludwig Schneller**, Vater Schneller, ein Patriarch der evangelischen Mission im Heiligen Lande. Mit einem Lebensbilde von Frau Magdalene Schneller, Leipzig 1904, p 16f. 20f; وأنظر أيضاً: **BZ** 14 (1898), No 3, p 37 f

(٣) أنظر: **BZ** 17 (1901), No 2, p 17.

(٤) **22. Jahresbericht des Syrischen Waisenhauses in Jerusalem** Basel 1882, p 8. (**SyrW** ; سيختصر بعد ذلك

(٥) **BZ** 17 (1901), No 2, p17; وأنظر أيضاً: **Ludwig Schneller**, Evangelische Mission im HeiligenLande,Entstehungsgeschichte, Arbeit und Missionsziele des Syrischen Waisenhauses in Jerusalem, Münster 1914, p 30.

(٦) أنظر: ما سبق، ص ٦٠

(٧) **Ludwig Schneller**, Vater Schneller, op. cit. p 65 ff.

(٨) **Johannes Kober**, Christian Friedrich Spittler's Leben. Basel 1887, p 311f.

(٩) **BZ** 8 (1892), No. 2, p 19f.

(١٠) **BZ** 14 (1898), No 3, p 34 f.

(١١) المرجع السابق، ص ٣٩.

(١٢) **Ludwig Schneller**, Wünschet Jerusalem Glük. Festschrift zum 50 jährigen Jubiläum des Syrischen Waisenhauses in Jerusalem, Münster, 1911, p 87 f

(١٣) 1. Jb. des **SyrW** (1860/1861), p 4.

(١٤) **BZ**12 (1896), No 4, p 59 f.

(١٥) المرجع السابق ص ٥٨ وما يلي.

(١٦) 3. Jb. des **SyrW** (1863), p 10.

(١٧) 9. Jb. des SyrW (1869), p 16. وأيضاً؛ **Ludwig Schneller**, Wünschet, op. cit. p 97.

(١٨) أنظر: 11. Jb. des **SyrW** (1871), p 10.

(١٩) 13. Jb.des **SyrW** (1873), p 13.

(٢٠) **Mitteilungen des Institut für Auslandsbeziehungen,** Stuttgart, 5 (1955), No. 1/2, p 24.

(٢١) **Samir Akel**, Der Pädagoge und Missionar Johann Ludwig Schneller und seine Erziehungsanstalten, Dissertation, Tübingen 1978, p 79.

(٢٢) **Ludwig Schneller** Wünschet..., op. cit, p 94 .

(٢٣) 12. Jb. dés **SyrW** (1872), p 11.

(٢٤) عندما عاد التلميذ إلى فلسطين عام ١٨٧٩ امكن البدء بصناعة الخزف. أنظر أيضاً 19. Jb.dès **SyrW** (1879), p 14. 10. Jb. des **SyrW**. p 19.

(٢٥) 16. Jb. des **SyrW** (1876), p 9. وأنظر: ص ٧٠

(٢٦) وانظر أيضا: ص ٧٦ و ٧٧ **HL** 5 (1861), p 141.

(٢٧) **Hermann Schneller**, Festschrift zum neunzigsten Jahrestag der Gründung des Syrischen Waissenhauses in Jerusaleım Köln/ Dellbrück 1950, p 13 f .

(٢٨) **BZ** 19 (1903), No 2, p 19. وأيضاً؛ 16. Jb, des **SyrW** (1876), p 29 and 31 f.

(٢٩) نقلاً عن: **Ludwig Schneller**, Aus meiner Reisetasche, Wanderbuchnotizen aus Palästina, Leipzig 1901, p 34.

(٣٠) **Ludwig Schneller** Evangelische Mission im Heiligen Lande, op. cit. p 5 f; وللمؤلف نفسه Wüschet, op. cit. p 89 f. وأيضاً انظر: **BZ** 10 (1894), No 3, p 55 f. وحول مطرانية القدس الإنجيلية، راجع الفصل الأول من الكتاب.

(٣١) أنظر: ص ٩٣ وما يلي.

(٣٢) 13. Jb. des **SyrW** (1873), p 12. **Ludwig Schneller**, Evangelishe Mission..., op. cit. p 5 f; **Ludwig Schneller**, Wünschet... op. cit. p 89 f; **Ludwig Schneller**, Vater Schneller, op. cit. p 117 f.

(٣٣) 12. Jb. des **SyrW** (1873), p 8 f.

(٣٤) **Johann Schneller,** Waisenhaus - Colonien im heiligen Lande, Nachricht und Bitte an Freunde des Reiches Gottes», in: **NNM** 21 (1877), No. 93, p 146.

(٣٥) المرجع السابق:

(٣٦) انظر المرجع السابق: **Akel**, op. cit, p 95

(٣٧) **AJV**, Anglikanisches Bistum und evangelische Gemeinde in Jerusalem: plan der evangelischen Gemeinden oder Colonien, welche das Syrische Waisenhaus in Jerusalem mit den männlichen und weiblichen Zöglingen des evangelischen Erziehungs - Anstalten im Heiligen Land zu errichten beabsichtigt, verfasst von **Johann Schneller**, Feb, 12, 1880, Bl. 217 f.

(٣٨) حول «جمعية الهيكل الألمانية» انظر: **Alex Carmel** Die Siedlungen der württembergischen Templer in Palästina 1868 - 1918, Ihre lokalpolitischen und internationalen Probleme, Stuttgart 1973; حول بداية استيطان هذه الجمعية في فلسطين أنظر: ص ٢٣٦ و ٢٣٧

(٣٩) أنظر: **AJV**, Anglikanisches Bistum und evangelische Gemeinde in Jerusalem: **Münchhausen an Johann Schneller**, Abschrift, Jerusalem Feb.14. 1880, bl. 213.

(٤٠) 16. Jb.des **SyrW** (1876), p 42.

(٤١) Jb. der **DAK** (1870/71) p 17 f. وأيضاً **Ludwig Schneller**, Vater Schneller, op. cit, p 118:

(٤٢) **Mordechai Eliav**, Die Juden Palästinas in der Deutschen politik, 1842 - 1914, Tel - Aviv 1973, p 178 ff; وأنظر: ص ٢٣٦

(٤٣) نقلاً عن 16. Jb. des **SyrW** (1876), p 9

(٤٤) انظر: **Hans Nieman**, Gedächtnisschrift zum 70 jährigen Bestehen des Syrischen Waisenhauses in Jerusalem, Köln 1930, p 39 f.; **Ludwig Schneller**, Vater Schneller, op. cit, p 122

(٤٥) **AJV**, Syrisches Waisenhaus in Jerusalem: Die General — Versammlung des Vereins für das Syrische Waisenhaus in Jerusalem, Sitzung vom4. April 1892, p 40. **Ludwig Schneller**, Wünschet..., op. cit. p 99.

(٤٦) أنظر: **Ludwig Schneller**, Tröstet Jerusalem, Tagebuchblätter über eine Inspektionsreise zu den Anstalten des Syrischen Waisenhauses im Heiligen Lande, Köln 1906, p 41.

(٤٧) أنظر: ص ٢٦٨ وما يلي .

(٤٨) وانظر ص ٢٧١ **H.G. Schneider,** Das Aussâtzigenazyl in Jerusalem, Berthelsdorf 1888, p 39f.

(٤٩) 18. Jb.des **SyrW** (1878), p 19

(٥٠) راجع: **Shimon Shamir,** «The Modernization of Syria: Problems and Solutions in the Early Period of Abdûlhamid», in: Beginnings of Modernization in the Middle East, The Nineteenth Century, Editor **William R. Polk and Richard L. Chambers,** chicage 1968, p 353 f.

(٥١) أنظر: مدحت باشا إلى عبد الحميد، وثيقة رقم ٣٥ تاريخ ١٨٧٩ في: **نادر العطار**: تاريخ سوريا في العصور الحديثة، دمشق ١٩١٢ ص ٣٢٣ وما يلي:

(٥٢) أنظر: **Johann Schneller** «Waisenhaus - Colonien... op. cit. p 152.

(٥٣) **Ludwig Schneller**, Trôstet Jerusalem, op. cit. p 41

(٥٤) أنظر: ص ٢٣١ وما يلي .

(٥٥) **AJV**. Anglikanisches Bistum und evangelische Gemeinde in Jerusalem: **Mûnchhausen an Johann Schneller,** Abschrift, Jerusalem, Feb. 14, 1880, Bl. 214 - 16

(٥٦) أنظر: ص ٢٤١ .

(٥٧) أنظر: **PAAA**, Acta der Kaiserlich Deutschen Botschaft zu Constantinopel, pro 1903 - 1910, betr. Syrisches Waisenhaus (Schneller) in Jerusalem,Gen.195, vol. III: **Pastor Schneller an Reichskanzler**, April 16, 1904; **Das Auswârtige Amt an Marschall**, No. 5679/ 22851, April 22, 1904

(٥٨) **Ludwig Schneller,** Trôstet Jerusalem, op. cit. p 41.

(٥٩) المرجع السابق: ص ٥٤ وما يلي: **Ludwig Schneller** Evangelische Mission..., op. cit. p 22 ff.; **BZ** 10 (1894), No. 2. p 19.

(٦٠) **AJV**, Anglikanisches Bistum..., op cit.: Plan der evangelischen Gemeinden oder Colonien..., Feb. 12, 1880, Bl. 217 f. (انظر حاشية ٣٧)

(٦١) أنظر: **BZ** 10 (1884), No. 3 p 35. وطبقاً لنظام المرابعة يقدم الإقطاعي إلى الفلاح قطعة الأرض والسكن والماشية والبذور ويدفع الضرائب، ومقابل ذلك يسلم الفلاح الإقطاعي ثلاث أرباع المحصول، راجع **عبد الله حنا: القضية الزراعية والحركات الفلاحية في سوريا ولبنان، جـ ١ (١٨٢٠ - ١٩٢٠)، بيروت ١٩٧٥، ص ١١٩.**

(٦٢) **PAAA**, Acta der Kaiserlich Deutschen Botschaft zu Constantinopel, Pro 1903 - 1910, betr. Syrisches Waisenhaus..., op. cit. vol. III. **Pastor Schneller an Reichskanzler** April 16, 1904

(٦٣) المرجع السابق: **Konsul Schmidt an Marschall**, No, 1941, Dec, 15, 1904.

(٦٤) المرجع السابق، وأيضاً: **Neville J. Mandel**, The Arabs and Zionism before the Wold War I. Berkely et al, 1976, p 24.

(٦٥) **PAAA**, Acta der Kaiserlidh Deutschen Botschaft zu Constantinopel, Pro 1903 - 1910, betr. Syrisches Waisenhaus..., op. cit. vol III, **Konsul Schmidt an Marschall,** No 1941, Dec, 15, 1904.

(٦٦) أنظر: المرجع السابق.

(٦٧) **Ludwig Schneller**, Trôstet Jerusalem, op. cit. p 43; **BZ** 15 (1899), No 3, p 48.

(٦٨) **PAAA**, Acta der Kaiserlich Deutschen Botschaft Zu Constantinopel, Pro 1903- 1910, betr. Syrisches Waisenhaus..., op. cit. vol, III: Schmidt an Marschall, No 159. Jan, 20, 1906.

(٦٩) المرجع السابق: **Schmidt an den Geschâftstrâger in Konstantinopel**, No. 1393, August 12,

1906; No. 1430, August, 19, 1906; **Reichskanzler, im Auftrage Kriege, an den Geschâftstrâger in Konstantinopel**, No. 8671 / 37544, June 6 1906.

(٧٠) المرجع السابق: - **Schmidt an Marschall**, No. 1613, Sept. 23 1906; No. 1742, Oct. 17, 1906 - وأنظر أيضاً: **Siegfried Hanselmann** Deutsche evangelische Palâstinamission. Handbuch, ihrer Motive, Geschichte und Ergebnisse, Erlangeen 1971, p 121.

(٧١) **Ludwig Schneller**, Trôstet Jerusalem..., op. cit. pp 46 - 50.

(٧٢) **Ludwig Schneller**, Vater Schneller, op. cit. p 115.

(٧٣) راجع: **Richard Pflanz**, Verlassen, nicht, vergessen. Das heilige Land und die deutsch-evangelische Liebesarbeit. Zum 50 Jâhrigen Jubelfest des Jerusalemsvereins, Berlin 1903, p 211 f.

(٧٤) 25. Jb. des **SyrW** (1885), p 9 f; **Ludwig Schneller, Wûnschet... op. cit. p 94 f.**

(٧٥) **BZ** 18 (1902), No. 2 p 25.

(٧٦) **Ludwig Schneller**, Wûnschet.... op. cit. p 94.

(٧٧) **A. Ruppin**, Syrien als Wirtschaftsgebiet, Berlin 1920, p 217.

(٧٨) المرجع السابق: ص ٣٠١ والصفحات التالية.

(٧٩) **Hans Niemann**, Ein Rundgang durch das Syrische Waisenhaus und seine Zweig - Anstalten im heiligen Lande, Kôln 1929 p 22.

(٨٠) **Ruppin**, op. cit. p211, **BZ** 19 (1903), No. 3, p 47; **Ludwig Schneller**, Wûnschet..., op. cit. p 40f

(٨١) **BZ** 16 (1900). 2 p 22.

(٨٢) **BZ** 8 (1892), 2 p 31.

(٨٣) انظر: ص ٧٩ و ٨٠ من الكتاب.

(٨٤) 25. Jb. des **SyrW** (1885), pp. 7 - 10,

(٨٥) **BZ** 12 (1896), No 2 p 24.

(٨٦) **BZ** 16 (1900), No 2 p 21 f.

(٨٧) 20. Jb des **SyrW** (1880) p 10 ff.

(٨٨) 23. Jb. des **SyrW** (1883), p. 10.

(٨٩) 25. Jb. des **SyrW** (1885) p 6; **Ludwig Schneller**, Wûnschet..., op. cit. p 95.

(٩٠) المرجع السابق: ص ٩٥ والصفحات التالية.

(٩١) للدلالة على مساهمة البروتستانت الألمان في الحركة الثقافية بمدينة القدس نورد الأرقام التالية: في مؤسسات جمعية الكيزرزفرت كان يدرس ٢٢٨ تلميذاً، ٥٣ تلميذاً في مدرسة الجماعة الإنجيلية الألمانية، ٤٥ تلميذاً في جمعية الهيكل. و٣٥ في مدرسة جمعية بيت المقدس السويدية. وبالمقابل بلغ مجموع تلامذة المدارس البروتستانتية الإنكليزية ٨٤٥، انظر: **BZ** 20 (1904) No. 3, p 40 f.

(٩٢) **Ludwig Schneller**, Wûnschet..., op. cit. p 93.

(٩٣) **AKF 36** (March / April 1884), p 41.

(٩٤) **PAAA,** Acta der Kaiserlich Deutschen Botochaft zu Constantinopel, Abt. II; Die protestantische Gemeinde in Beirut K. vol. II **Luise Throta an Hartmann,** No. 397, April 28, 1886; **Gies an Radowitz** No 455, April 7 1887.

(٩٥) المرجع السابق: **Radowitz an Gies** No. 806, July. 29 1886; **Radowitz an Reitz**, No. 455 April 7, 1887.

(٩٦) المرجع السابق: **Gies an Radowitz**, No. 609, June 29, 1886; **Radowitz an Gies,** No. 806, July 29, 1887.

(٩٧) المرجع السابق: **Radowitz an Reitz**, No. 455, April 7, 1887

(٩٨) **Hermann Schneller**, Festschrift zum neunzigsten Jahrestag..., op. cit. p 17.

(٩٩) **AJV**, Syrisches Waisenhaus in Jerusalem: **Barkhausen**, Vorsitzender des Kuratoriums des Evangelischen Jerusalem - Sitzung, **an den Vorstand des Jerusalemsvereins**, No. 60, Berlin, Jan. 30, 1890.

(١٠٠) المرجع السابق: **Pastor Schlicht in Jerusalem an ?**, Jerusalem, March 12, 1890.

(١٠١) **Ludwig Schneller**, Wûnschet..., op. cit. p 97 f.

(١٠٢) المرجع السابق: ص ٩٧.

(١٠٣) 24. Jb. des **SyrW** (1884), p 11 f.

(١٠٤) **AJV**, Syrisches Waisenhaus in Jerusalem:Sitzungdes Vorstandes des Syrischen Waisenhauses in Jerusalem, Vertraulich, No 35, p 3 f.

(١٠٥) بعدما قررت الهيئة الإدارية لدار الأيتام السورية استقبال أيتام أرمن في القدس، طالب القنصل الألماني في القدس الهيئة العمل بصمت ودون ضجة كي لا يستفز الأمر السلطات العثمانية وتمنع قدوم الأيتام الأرمن إلى القدس، راجع: **AJV**, Syrisches Waisenhaus in Jerusalem: vertraulich, No. 33, Oct. 12, 1896.

(١٠٦) **Ludwig Schneller**, Trôstet Jerusalem, op. cit. p 127 ff.

(١٠٧) **BZ** 18 (1902), No. 2, p 18, 23.

(١٠٨) **Ludwig Schneller**, Trôstet Jerusalem, op. cit. p 96; **Ludwig Schneller**, Evangelische Mission..., op. cit. p 12; **Ludwig Schneller**, Wûnschet Jerusalem... op. cit. p 99.

(١٠٩) المرجع السابق، ص ٣٤.

(١١٠) 6. Jb des **SyrW** (1866), p 23; **Paul Hoppe**, Geschichte der deutschen evangelischen Kirche und Mission in Heiligen Lande, Gûtersloh 1898, p 97.

(١١١) **Ludwig Schneller** Evangelische Mission, op. cit. p 4

(١١٢) **AJV**, Syrisches Waisenhaus in Jerusalem General — Versammlung..., op. cit. p 38 f.

(١١٣) **Ludwig Schneller, Vater Schneller**, op. cit. p 125f.

(١١٤) **35. Jb der Pilgermissionanstalt auf St. Chrischona,** Basel 1885 p 18.

(١١٥) **Kober** op. cit., p 311; 1. Jb des **SyrW** (1860)/61), p 8; 5. Jb des **SyrW** (1865), p 21 .

(١١٦) 26. Jb. des **SyrW** (1886), p 17.

(١١٧) **AJV**, Anglikanisches Bistum und evangelische Gemeinde in Jerusalem: **Pastor Schlicht an?** No. 7, June, 16, 1887.

(١١٨) **BZ** 14 (1898), No 1, p 15. **Ludwig Schneller**, Wûnschet..., op. cit. p 34.

(١١٩) **2. Jb. des JV** (1854), p 40.

وانظر ايضاً: ص ١١٠ .

(١٢٠) **25. Jb des JV** (1879), p 27 f.

(١٢١) **AJV**, Syrisches Waisenhaus in Jerusalem: **Stitzung des Vorstandes des Syrischen Waisenhauses in Jerusalem, vertraulich, No. 42, April 14, 1898.**

(١٢٢) **AJV** Anglikanisches Bistum und evangelische Gemeinde in Jerusalem: **Graf von Zieten - Schwerin** an **Pastor Thime**, No. 1600 / 10, May 20, 1898.

(١٢٣) **AJV**, Syrisches Waisenhaus in Jerusalem: Sitzung des Vorstandes des Syrischen Waisenhauses in Jerusalem, No I, 8297 / 1, July 18 1912; **Ludwig Schneller an den Vorsitzenden des Jerusalemsvereins**, Herrn von Meyeren, No. 30/10, Kôln Jan. 27 1935.

(١٢٤) **Ludwig Schneller**, Trôstet Jerusalem, op. cit, p 70.

(١٢٥) **Ludwig Schneller**, Vater Schneller, op. cit p 90

(١٢٦) **4. Jb des SyrW** (1864), p11.

(١٢٧) **8. Jb des SyrW** (1868), p21f.

(١٢٨) **26. Jb, des SyrW** (1886), p10.

(١٢٩) **BZ** 17 (1901), No. 2, p 24 f.

(١٣٠) **BZ** 18 (1902). No. 2, p 25.

(١٣١) **BZ** 13 (1897) No. 2, p 21 f.

(١٣٢) **Ludwig Schneller**, Wûnschet..., op. cit. p 99.

(١٣٣) نقلا عن حنا صلاح : فلسطين وتجديد حياتها، نيويورك ١٩١٩، ص ١٠٤ .

حواشي الفصل الرابع

(١) **Hans - Wilhelm Hertzberg,** Jerusalem. Geschichte einer Gemeinde, Kassel 1965, p 21.

(٢) شغل فليدنر منصب راعٍ للجماعة الإنجيلية الصغيرة في كيزروزفرت وقد تأثر في نشاطاته الاجتماعية والكنسية بالنمط الإنكليزيّ والهولندي وأسس المؤسسات التالية: **١٨٢٨** مؤسسة لرعاية المسجونين في ديلسدورف، أول مؤسسة من نوعها في ألمانيا، **١٨٣٣** ملجأ للسجينات المسرحات؛ **١٨٣٥** أول مدرسة للأطفال في ديسلدورف، تشرين أول ١٨٣٦ « بيت الشمَّاسات » في كيزرزفرت، التي ضمت عند وفاته **٤١٥** شمَّاسة ومساعدة شمّاسة. وفي عام **١٨٦٤** كانت جمعية الكيزرزفرت تتألف من **٣٠** مركزاً مستقلاً، ضم **١٦٠٠** شمَّاسة تعملن في **٤٠٠** مكان عمل. عن هذا الموضوع راجع: **Allgemeine Deutsche Biographie,** Berlin 1878, p 119 ff; **Brockhaus Enzyklopâdie** vol, VI, Wiesbaden 1968, p 344 f

(٣) إن الإسم الرسمي لهذه الجمعية هو «Rheinisch Westfâlischer Diakonissenverein» لكن الجمعية اشتهرت تبعاً للمنطقة التي تأسست فيها أول بيت للشمَّاسات في كيزرزفرت قرب ديلسدروف.

(٤) Fûngzif Jahre Kaiserswerther Diakonissen - Arbeit im heiligen Land. Fertschrift zur jebulfeier des Diakonissen - Anstalten in Jerusalem am 4. Mai 1901, Kaiserwerth 1901, p 5 f.

(٥) Aus deutscher Bildungsarbeit im Auslande Erlebnisse und Ergahrungen in Selbstzeungnissen aus aller Welt, Editor **Franz Schmidt and Otto Bôlitz,** vol II: **Ausseneuropa, Langens** 1928, p 147.

(٦) Fünfzig Jahre Kaiserwerther Diakonissen - Arbeit..., op. cit. p 9.

(٧) **Dank - und Denkblâtter aus des Kaiserswerther Diakonissen - Arbeit im Morgen Lande** 12 (1912), No 1, p 24; **DDB**) ستختصر بعد ذلك بـ، **Paul Hoppe**, Geschichte der deutschen evangelischen Kirche und Mission im Heiligen Lande, Gütersloh 1893, p 78

(٨) **AJV**, Mâdchen - Waisenhaus Talitha Kumi des Kaiserswerther Mutterhaus, No. 1, Aug. 1, 1851, Bl. 1.

(٩) **AKF** 53 (March / April 1901), p 42 f.
وراجع أيضاً: **Theodor Schôlly**, Samuel Gobat evangelischer Bischof in Jerusalem. Lebensbild, Basel 1900, p 151.

(١٠) عن النزل راجع: ما بعد ص١٣٩ وما يلي.

(١١) **AKF** 52 (jan./Feb. 1900), p 79; **NNM** 44 (1900), Np. 2, p 55.

(١٢) **Das Zweite Jahrzehnt der Diaconissen - Anstalt zu** Kaiserswerth **am Rhein, in einem Abdrucke des 11 - 20 Johresberichtes von 1.** Jan. 1847 bis 1. Jan. 1857, Kaiserswerth 1857: 15. Jb. der **Kw** (1851 / 52), p 102; وراجع أيضاً: **AJV**, Mâdchen - Waisenhaus Talitha - Kumi des Kaiserswerther Mutterhauses No. I, August 1. 1851, Bl. 1. (**KMS**) ستختصر بعد ذلك بـ

(١٣) **8. Bericht über die Diakonissen - Stationen im Morgenlande, Kaiserwerth (1866 - 1858), p 5; 13.** (1876 - 78), p 9. **BDSM** ستختصر بعد ذلك بـ

(١٤) **AKF** 4 (May - June 1852), p 4

(١٥) **AKF** 5 (Jan./Feb. 1853), p 12.
وعلى النقيض من ذلك ذكرت الجمعية في تقريرها السنوي لعام **١٨٥٢ / ١٨٥٣** إن المستشفى لم يستقبل مرضى مسلمين بسبب الافتقار إلى مكان، راجع: **Das Zweite Jahrzehnt der Diaconissen - Anstalt zu Kaiserswerth am Rhein**, op. cit. p 134.

(١٦) **Hoppe**, op. cit. p 79.

(١٧) **AKF** 7 (Jan./Feb. 1855), p 5.

(١٨) **BZ** 10 (1894), No. 3 p 61.

(١٩) نقلاً عن: **AJV**, KMS: **Fliedner an Strauss, Dec. 29, 1858, Bl. 46.**

(٢٠) نقلاً عن: **Hoppe**, op. cit, P 87.

(٢١) **18. Jb der Kw** (1854 - 55) in: **Das zweite Jahrzehnt..., op.cit. p 203**

(٢٢) 5. **BDSM** (1860 - 62), p 5.

(٢٣) **AKF** 21 (March / April 1869), p 40.

(٢٤) **AKF** 14 (March /April 1862), p 46.

(٢٥) **AJV**, KMS: **Fliedner an Strauss,** Sept. 30, 1858, Bl. 35.

(٢٦) **4. BDSM** (1858 / 59), p 32 f.

(٢٧) **5. BDSM** (1860 - 62), p 5; **AKF** 12 (Nov. - Dec. 1860), p 161.

(٢٨) **AKF** 35 (March / June 1883), p 55.

(٢٩) **20. BDSM** (1890 - 92), p 10.

(٣٠) نقلاً عن: **DDB** 12 (1912), No 1, p 25.

(٣١) **AJV,** KMS: **Fliedner an den Jerusalemsverein,** Oct. 31, 1856, Bl.20.

(٣٢) على سبيل المثال «مستشفى الأطفال Marienstift» (١٨٧٣)، و«المستشفى الفرنسي» (١٨٨٠) و«مصح المجذومين» الذي انتقل في عام ١٨٨٧ إلى مبناه الجديد، «مستشفى روتشيلد» (١٨٩٠)، «المستشفى البريطاني» (١٨٩٤). عن هذا الموضوع راجع: **Wochenblatt der Johanniter - Orden - Bally Brandenburg** 36 (1895), No. 15, p 88 f. (**WBJO**) ستختصر بعد ذلك بـ

(٣٣) **AJV,** KMS: **Pastor Schlicht an den Jerusalemsverein,** Nov. 27, 1888, Bl. 64.**AJV,**

(٣٤) إن المستشفيين الألمانيين هما « مصح المجذومين » و « مستشفى الأطفال ـ مؤسسة ملريا » ، راجع الفصل السادس من الكتاب.

(٣٥) **AJV** KMS: **Pastor Schlicht an den Jerusalems verein** Nov 27, 1888, BL. 62; **AKF** 42 (Nov. / Dec. 1890), p 181.

(٣٦) **AJV** KMS: **Pastor Schlicht an den Jerusalems verein**, Nov, 27, 1888, Bl 64.

(٣٧) المرجع السابق: Bl. 62 عن نشاطات جمعية بيت المقدس راجع الفصل الخامس من الكتاب.

(٣٨) **AJV,** KMS; Schlicht an den Jerusalems verein Wer hilft zu einem Neubau des evangelichen Hospitals zu Jerusalem? Jerusalem, Feb. 1889, Bl 70.

(٣٩) أنظر ما سبق: ص٦٠ و ٦١.

(٤٠) **AJV**, KMS**: Schlicht: Wie Stehts mit dem Neubau des Diakonissen - Hospitals zu Jerusalem,** Jerusalem, Jan. 19, 1891, Bl. 85 f.

(٤١) **AJV**, KMS: **Schlicht an die Mitglieder des Sammel - Comites fûr den Neubau des Diakonissen - Hospitals zu Jerusalem,** Jerusalem, Jan. 19, 1891, BL.84f.

(٤٢) **AKF** 47 (Jan. / Feb. 1895), p19.

(٤٣) **AJV**, KMS: **Schlicht an die Mitglieder..., op cit,** Bl. 85 ; AKF (Jan. / Feb. 1895), p 58

(٤٤) **21. BDSM** (1892 - 94), p XLIII.

(٤٥) **23. BDSM** (1896 - 99), p 29 f.

(٤٦) **AKF 33** (March / April 1881), p 51; **20. BDSM**, (1890 - 92), p 10.

(٤٧) AJV, KMS: **Angaben für 1853,** Bl. 18, Fünfzig Jahre Kaiserswerther Diakonissen - Arbeit im heiligen Land, op. cit. p 25.

(٤٨) عارف العارف: تاريخ المسيحية في القدس، القدس ١٩٥١، ص ١٧٨ والصفحات التالية.

(٤٩) انظر: ص ١٤٧ .

(٥٠) **AJV** KMS: **Fliedner an den Jerusalems verein,** August 15, 1861, Bl. 58.

(٥١) **AJV**, KMS: **Fliedner an Strauss**, August 31, 1857, Bl. 23.

(٥٢) **9. BDSM** (1868 - 70), p 10.

(٥٣) **AKF** 26 (Jan. / Feb. 1874), p 8.

(٥٤) **17. BDSM** (1884 - 1886), p 22.

(٥٥) **8. BDSM** (1866 - 1868), p 15 ff.

(٥٦) **16. Jb. der Kw (1852/53), in: Das Zweite Jahrzehnt...** op cit, p 135.

(٥٧) **17. BDSM** (1884 - 1886), p 17.

(٥٨) **Richard Pflanz,** Verlassen, nicht vergessen. Das heilige Land und die deutsch - evangelische Liebesarbeit, Berlin 1903, p 193.

(٥٩) **DDB** 15 (1910), No 1, p 17f; **Siegfried Hanselmann,** Deutsche evangelische Palästinamission. Handbuch ihrer Motive, Geschichte und Ergebnisse, Erlangen 1971, p 74 f.

(٦٠) **AJV** KMS: **Schreiber, Pfarrer, an der Diakonissen - Anstalt zu Kaiserswerth, an den Jerusalemsverein,** May 22, 1897, bl. 116 f.

(٦١) **Pflanz,** op. cit. p 192.

(٦٢) المرجع السابق: ص ١٩٦ **Richter, op. cit., p 268.**

(٦٣) **Pflanz, op. cit. p 196.**

(٦٤) **1. Jb. der Kw** (1836), in: Das erste Jahrzehnt der Diakonissen - Anstalt zu Kaiserswerth am Rhein, von Oktober 1836 Bis Januar 1847, in einem Abdrücke der zehn ersten Jahrberichte, nebst einem Vorwort, als Übersicht über die zehnjahrige Wirksamkeit, Kaiserswerth 1847, p I

(٦٥) **Hoppe**, op. cit, p 77.

(٦٦) **شاهين مكاريوس**: «المعارف في سوريا»، في: «المقتطف» عدد ٧ (١٨٨٣)، ص ٤٧١ .

(٦٧) المرجع السابق، ص ٤٧١ .

(٦٨) **NNM** 22 (1878), No. 97, p 68; **17 Jb. der Kw** (1853 / 54), in: Das zweite Jahrzehnt..., op. cit. p 172.

(٦٩) **DDB2** (1902), No. 3/4, p 13.

(٧٠) NNM 22 (1878), No 95, p 16.

(٧١) المرجع السابق

(٧٢) **33. Jb. der DAK** (1869/70), p 28.

(٧٣) **AKF** 16 (March / April), p 49 f.

(٧٤) **Hanselmann**, op. cit. p 72.

(٧٥) **2. BDSM** (1854/55), p 19 f.

(٧٦) NNM 19 (1875), No. 78, p 32 ff; **Hoppe**, op. cit. p 90 ff.

(٧٧) **AKF** 29 (Jan./ Feb. 1877) p 8.

(٧٨) 17. **BDSM** (1884- 86), p22.

(٧٩) **16. BDSM** (1882 - 84), p 35 f.

(٨٠) المقصود هنا القنصلية البروسية التي كانت تمثل اتحاد شمال المانيا رسمياً منذ عام ١٨٦٧ .

(٨١) **NNM** 19 (1875), No. 78, p 32.

(٨٢) المرجع السابق: ص ٣٦

(٨٣) **NNM** 26 (1882), No. 2, p 47.

(٨٤) **Hoppe** op cit. p 90.

(٨٥) 2. **Bericht über das Diakonissen - Haus zu Jerusalem, Kaiserswerth** (March / Oct. 1853). p 13.

(٨٦) **AKF 14** (March / April 1862), p 47.

(٨٧) **AKF**, 36 (March / April 1884), p 40 f. **16. BDSM** (1882 - 84), 2 f.

(٨٨) **DDB 12** (1912), No. 1, p 27.

(٨٩) **16 BDSM** (1882 - 84), p 15 ff.

وانظر أيضاً المعلومات التي **تعود** إلى الحواشي ٩٦ - ١٠٠ في هذا الفصل .

(٩٠) **NNM 22** (1878), No. 95, p 15.

(٩١) **NNM 9** (1865), No. 35, p 81.

(٩٢) **NNM 15** (1871), No. 57, p 47 f,; **34. Jb. der DAK** (1870/71), p 17 f.

(٩٣) **Julius Disselhoff**, An Appeal for Turkish Orphans in Palestine under Christian Instruction, and a Short Report of the Circumstances, Kaiserswerth, July 1879.

(٩٤) **AKF 11** (Jan./ Feb. 1859), p 3 f.

(٩٥) **16. BDSM** (1882 - 84), p 23 f.

(٩٦) انظر: ص ١٠٣ ومايلي.

(٩٧) **AKF 21** (March / April 1869), p 43 f.

(٩٨) **16. BDSM** (1882 - 84), p 26; **AKF** 36 (March / April 1884), p 40 f.

(٩٩) **16. BDSM** (1882 - 84), p 15 and 23.

(١٠٠) **NNM 41** (1897), No. 6, p 225; **WBJO** 36 (1895), No 14, p 84.

(١٠١) **AKF 36** (March / April 1884), p 41.

(١٠٢) راجع: ص ١٠١ و١٠٢ ومايلي.

(١٠٣) راجع: ص ٧٠ ومايلي.

(١٠٤) **NNM 12** (1868), No. 48, p 315.

(١٠٥) **AJV,** Anglikanisches Bistum und evangelische Gemeinde in Jerusalem: **Pastor Schlicht an den Jerusalemsverein,** No. 4, Jerusalem, Jan. 4, 1888, Bl. 379 f.

(١٠٦) المرجع السابق: ص ٣٨٩ .

(١٠٧) المرجع السابق: ص ٣٨١

(١٠٨) المرجع السابق: **Schlicht an den geheimen Rat Barkhausen,** den Vorsitzenden des Kuratoriums des Evangelischen Jerusalem - Stiftung, Abschrift, Jerusalem, Dec. 13. 1893, Bl. 406 f.

(١٠٩) المرجع السابق: ص ٤٠٦ .

(١١٠) **DDB** 12 (1912), No. 1, p 28.

(١١١) **AJV**, KMS; Einnahme und Ausgabe des Diakonissen - Hauses in Jerusalem von 1851 - 1853, Bl. 6.

(١١٢) المرجع السابق.

(١١٣) **RGG**, vol, II, 2. ed. p 737 f.

(١١٤) **AJV**, KMS: **Fliedner an den Jerusalemsverein,** Jan. 16, 1858, Bl. 27. **Fliedner an Hoff-**

(١١٥) **mann,** August 15, 1861, Bl, 54.

(١١٦) **AJV**, KMS: Fliedner **an Strauss,** Feb. 9, 1955, BL, 13.

(١١٧) **AJV**, KMS: **Fliedner an den Jerusalemsverein**, April, 4, 1853, Bl. 2.

راجع: **2. Jb. des JV,** Jan. 21 1854, p 47;

3. Jb. des JV, Jan. 21 1855, p 51;

4. Jb. des JV, Jan. 21 1856, p 58;

5. Jb. des JV, Jan. 3 1857, p 60;

6. Jb. des JV, 1858, p 20;

7. Jb. des JV, 1859, p 14;

9. Jb. des JV, 1861, p 15 ff.;

وأيضاً: **NNM 4** (1860), No. 13, p 139.

(١١٨) **Theodor Fliedner**, Nachricht über die Schulen and andere Anstalten der Diskonissen - Stationen im Morgenlande, zunâchst an die Vereine und Freunde der Gustav - Adolph - Stiftung, und herzliche Bitte an dieselben, Kaiserswerth 1854, p 1, and 3.

عن نشاطات جمعية غوستاف أدولف انظر:

Brockhaus Enzyklopâdie, vol, VII, Wiesbaden 1969, p 799; **Meyers Lexikon,** vol. V, ed. 7, Leipzig 1926, p 828; **WBJO** 12 (1871), No. 48, p 303; 15 (1874), No. 44, p 262; 23 (1882), No. 30, p 181 f.; 33 (1892), No. 44, p 260.

(١١٩) **AJV**, KMS: **Fliedner an Strauss,** Oct. 31, 1856, Bl. 20; **4 BDSM** (1858 /59), pp 4 - 12; **NNM 4** (1860), No. 13, p 139.

(١٢٠) **AJV,** KMS: **Fliedner an Strauss**, June 1, 1859, Bl. 36 ff; **20. Jb. des Kw** (1856/57), in: **Das zweite Jahrzehnt...,** op. cit. p 265; **4 BDSM** (1858/59), pp 4 - 12; **NNM 4** (1860), No. 13, p 139.

(١٢١) **AJV,** KMS: **Fliedner an den Jerusalemsverein,** August 31, 1857, Bl. 23; Fúnfzig Jahre Kaiserswerther Diakonissen - Arbeit im heiligen Lande, op. cit., p 27.

(١٢٢) **AKF** 20 (Jan. / Feb. 1868), p 14 f.

(١٢٣) **AJ,** KMS: Fliedner **an den Jerusalemsverein,** Jan. 16, 1858, Bl. 27 f.

(١٢٤) Funfzig Jahre Diakonissen Arbeit im heiligen Lande, op. cit., p 31.

(١٢٥) **AJV,** KMS: **Fliedner an den Jerusalemsverein,** Jan, 15, 1858, Bl. 27 f.; **NNM** 36 (1892), No. 6. p 196.

(١٢٦) **23. Jb. der DAK** (1859 / 60), p 15; «Zur Erinnerung an die heimgegangene Diakonisse Charlotte Pilz, Vorsteherin von Talita Kumi», in: **NNM** 47 (1903), No. 5, p 189; **NNM** 22 (1878), No. 95, p 11.

(١٢٧) **Disselhoff,** op. cit.

(١٢٨) Fûnfzig Jahre Kaiserswerther Diakonissen Arbeit im heiligen Lande, op. cit., p 31 f.;

عن جمعية فرسان يوحنا راجع: ص ١٤٠ومايلي.

(١٢٩) **18. BDSM** (1886 - 88), p 17.

(١٣٠) المرجع السابق: ص ١٩، و **Pflanz,** Verlassen, nicht vergessen, op. cit. p 192.

(١٣١) **Hoppe,** op. cit. p. 85 f.

(١٣٢) **عارف العارف، تاريخ المسيحية**، ص ١٧٩ والصفحة التالية.

(١٣٣) **19. Rechnungsbericht über die Kaiserswerther - Anstalten in Beirut,** July 1st 1895 - June 30

1897, Kaiserswerth 1897, p 9; **NNM 35** (1891(, No. 2 p 46.

(١٣٤) **21. BDSM** (1892 - 94), p XLIII.

(١٣٥) **12. BDSM** (1874 - 76), p 57; **10. BDSM** (1888 - 90), p 69.

(١٣٦) **12. BDSM** (1874 - 76), p 57; **BZ** 13 (1897), No. 2. p. 24.

حواشي الفصل الخامس

(١) **Hans - Wilhelm Hertzberg**, Jerusalem, Geschichte einer Gemeinde, Kassel 1965, p 21.

(٢) **Erwin Roth**, Preussens Gloria im Heiligen Land. Die Deutschen und Jerusalem, Mûnchen 1973, p 74.

(٣) **1. Jb. des JV.** (Jan. 21 1853), p 23.

(٤) المرجع السابق.

(٥) عمل كوغل في الفترة ما بين ١٨٧٦ - ١٨٩٢ رئيساً للوعاظ في البلاط الملكي ببرلين ورئيساً للجمعية. وقد حل محله في رئاسة جمعية بيت المقدس في عام ١٨٩٢ الغراف تزيتن - شفرين. أما شتراوس فظل اميناً عاماً حتى عام ١٨٨٦، حيث حلّ فيسر محله. عن اعضاء جمعية بيت المقدس في الخمسين سنة الأولى على إنشائها، راجع: **NNM 47** (1903), No. 6. pp 245 - 252; **1. Jb. des JV** (Jan. 21 1853), p 23 f.

(٦) **NNM 47** (1903), No. 6, p 245 ff.

(٧) **Hermann Weser**, Geschichte des Jerusalemsvereins fûr Evangelisation des Heiligen Landes, 2ed; Berlin 1898, p 20: **Richard Pflanz,** Verlassen, nicht vergessen. Das heilige Land und die deutsch - evangelische Liebesarbeit. Zum 50 Jâhrigen Jubelfest des Jerusalemsvereins. Berlin 1903, p 113.

(٨) المرجع السابق: ص ١١٠.

(٩) **AJV** Anglikanisches Bistum und evangelische Gemeinde in Jerusalem: **Mûnchhausen an Strauss**, No. 942, Jerusalem, May, 27, 1879, Bl. 202 and 209; **Reinicke an Kôgel,** June 6, 1886, Bl. 283f; **Reinicke an Kôgel,** July 23, 1884, Bl. 298 f.

(١٠) المرجع السابق، **Weser an Schick,** Berlin, Nov. 10, 1886, Bl. 306f. **Weser an Tischendorf,** Berlin, Dec, 31 1886, Bl. 271;
وأيضاً Weser, op. cit., p 21 f.

(١١) **Pflanz,** op. cit., p 109 and 113; **Weser,** op. cit., p 5 f.; **EGBP 4** (1928), No. 2, I, p. 7.

(١٢) العمل الإنجيلي في الشرق العربي، (١٩٦٠)، عدد ٥، ص ٢٩.

(١٣) **Im Lande der Bibel 22** (1977), No. 1, p 10.

(١٤) عن **صموئيل مولر** راجع: ص ٥٨.

(١٥) **AJV,** Anglikanisches Bistum und evangelische Gemeinde in Jerusalem: **Valentiner an den Jerusalemsverein,** Jerusalem, Sept. 27, 1860, Bl. 53 f.

(١٦) **NNm 5** (1861), No. 17, p 7.

(١٧) 10. Jb. des Jv. (1862), p 8; 11. Jb. des JV (1863), p 17; 12. Jb. des JV (1864), p 22;
NNM 9 (1865), No. 33. p 38 f.

(١٨) **NNM 15** (1871), No. 58, p 107.

(١٩) **AJV,** Anglikanisches Bistum, op. cit.: **Reinicke an Kôgel,** Jerusalem, Dec, 29, 1882, Bl. 267.

(٢٠) **NNM 29** (1885), No. 2 2, p 49 ff.

(٢١) راجع: ص ١٣١ وما يلي من الكتاب.

(٢٢) **NNM 36** (1892), No. 1, p 3.

(٢٣) **NNM 33** (1889), No. 1, p 4.

(٢٤) **NNM 38** (1894), No. 6. p 155 ff.

(٢٥) المرجع السابق: ص ١٥٦.

(٢٦) **Paul Hoppe,** Geschichte der deutschen evangelischen Kirche and Mission im Heiligen Lande, Gûtersloh 1898, p 63 f.

(٢٧) **Pflanz** op. cit., p 123.

(٢٨) **NNM 38** (1984), No. 1, p 4.

(٢٩) Weser, op. cit. p 15.

(٣٠) **AJV,** Anglikanisches Bistum..., op. cit.: **Bôttcher an Graf von Zieten - Schwerin,** o.J. vermutlich Sommer des Jahres 1893, Bl. 89 - 92; Disselhoff **an Zieten - Schwerin,** Kaisers - werth, Feb.19, 1894, No. 386, p 119 f.; **Schwerin an Disselhoff**, Wustrau, Oct. 20 1984, Bl 123;
AJV Mâdchen - Waisenhaus Talitha - Kumi des Kaiserswerther Mutterhauses: Antwort auf den Fragebogen betr. Missionsdiakonie des Jerusalemsvereins, Anlage zum Jb. I. 69/17 of Sept. 16 1938, Bl. 1.

(٣١) **«Der Jerusalemsverein und die englische Kirchenmissionsgesellschaft in Bethlehm.»,** in: **NNM 45** (1901), No. 2, pp.27 - 37.

(٣٢) **Pflanz,** op. cit. p 126.

(٣٣) **NNM 9**(1865), No. 39, p 51.

(٣٤) **NNM 24** (1880), No. 1, p 3.

(٣٥) راجع ص ١٢٥ من الكتاب.

(٣٦) **NNM 23** (1879), No. 6, p 194 f.

(٣٧) **NNM 44** (1900), No. 3, p 84.

(٣٨) **Siegfried Hanselmann,** Deutsche evangelische Palâstinamission, Handbuch ihrer Motive, Geschichte and Ergebnisse Erlangen 1971, p 126f.

(٣٩) **NNM 6 (1862), No. 22, p 190.**

(٤٠) **NNM 5** (1861), No. 20, p 133.

(٤١) **NNM 9** (1865), No. 33, p 38.

(٤٢) **NNM 29** (1885), No. 2, p 52.

(٤٣) **NNM 23** (1879), No. 3, p 78.

(٤٤) **NNM 9 (1865)**, No 34, p 52 f; 22 (1878), No. 97, p 68; 26 (1882), No. 3 p 62.

(٤٥) **NNM 9** (1865), No. 37, p 174; 11 (1867), No. 41, p 23.

(٤٦) **NNM 12** (1868), No, 45, p 225; 13 (1869), No. 39, p 44.

(٤٧) **Weser,** op. cit. p 6 f.

(٤٨) **AJV,** Anglikanisches Bistum..., op. cit: **Weser an Hoffmann,** Jerusalem, March 31, 1871, Bl. 110. **Strauss an Hoffmann und Westphal,** Berlin, April, 18, 1871, Bl. 107.

(٤٩) المرجع السابق: **Bericht Werses an den Jerusalemsverein,** Jerusalem, May 11, 1871, Bl. 118.

(٥٠) راجع: ص ١٣١ من الكتاب.

(٥١) **Konrad Lûbeck,** Die Katholische Orientmission in ihrer Entwicklung dargestellt, Kôln 1971, p 53 f.

(٥٢) **NNM 23** (1879), No. 3, p 80; 29 (1885), No. 2 p 56.

(٥٣) **NNM 33** (1889), No. 4, p 93 f.

لمعلومات وافية عن الموضوع راجع:

A.L. Tibawi, «Russian Cultural penetration of Syria - Palestine in the Nineteenth Century», in: **Royal Central Asian. Journal** (1966), I, P 182; II., p 312.

(٥٤) **NNM 28** (1884), No. 2, p 36 ff.

(٥٥) المرجع السابق: ص **٣٨**.

(٥٦) **NNM 33** (1889), No. 1, p 4.

(٥٧) **NNM 38** (1894), No. 1. p 8.

(٥٨) **NNM 26 26** (1882), , No. 2, p 31.

(٥٩) **NNM 43** (1899), (1899), No. 4, p 169 f.

(٦٠) **NNM 26** (1882), No. 4, p 103.

(٦١) المرجع السابق: ص **١٠٣** والصفحة التالية.

(٦٢) **NNM 33** (1889), No. 4, p 91.

(٦٣) **NNM 13** (1869), No. 51, p 125.

(٦٤) **NNM 9** (1865), No. 35, p 130.

(٦٥) **NNM 26** (1882), No, 4, p 104.

(٦٦) انظر: **Moshe Ma'oz,** Ottoman Reform in Syria and Palestine 1840 - 1861. The Impact of the Tanzimat on Politics and Society, Oxford 1968, p 194 f. and 204: **Sydney Nettleton Fisher,** The Middle East. A History, 2 ed., London 1971, p 216.

(٦٧) op. cit.p 98f, **Hanselmann** op. cit., p 60 f. **Hoppe,** يذكران أن الجماعة البروتستانتية في بيت لحم كانت تؤدي «الضرائب الرسمية» من خلال الأديرة. والواقع أن المسألة تتعلق هنا بالتباس بين ضريبة «البدل» وضرائب أخرى. فتقرير مولر المؤرخ ٣١ آذار ١٨٦٥ لا يذكر «ضرائب رسمية»، بل ضرائب تتعلق بـ «٧٠ رجلا ملزمين بدفع الضرائب». ولما كانت ضريبة الجزية قد ألغيت بتاريخ **١٨٥٥**، فإنه يمكن الاستنتاج أن الضريبة المقصودة هنا هي ضريبة «البدل» وهذا يتطابق مع ما يؤكده Ma'oz بأن ضريبة البدل كانت تجمع من قبل الكنائس، راجع حاشية رقم ٦٦.

(٦٨) **Hoppe,** Op. cit. p 60, **Hanselmann,** op. cit. p 98, **Karl von Sax,** Geschichte des Machtverfalls der Tûrkei bis Ende des 19. Jahrhunderts und die phasen der «orientalischen Frage» Bis auf die Gegenwart, 2. ed., Wien 1913, p 283.

(٦٩) نقلاً عن: **NNM 9** (1865), No. 33. p 53 f,

(٧٠) **AJV,** Anglikanisches Bistum..., op. cit.: **Bericht Wesers an den Jerusalemsverien,** Jerusalem, May 11, 1871, Bl. 112, f.

(٧١) يعود هذا الوصف إلى السبعينات من القرن الماضي، راجع **Derek Hopwood,** The Russian Presence in Syria and Palestine 1843 - 1914. Church and Politics in the Near East, Oxford 1969, p 28.

(٧٢) **AJV,** Anglikanisches Bistum..., op. cit: **Bericht Wesers an den Jerusalemsverein,** Jerusalem, May, 11; 1871, Bl. 113.

(٧٣) المرجع السابق: **Weser an Hoffmann,** Jerusalem, March, 31, 1871, Bl. 109; **Reinicke an Kôgel,** Jerusalem, March 22, 1878, p. 185

(٧٤) **Hopwood,** op. cit., p 28.

(٧٥) **NNM** 29 (1885), No. 2, p 55.

(٧٦) **Pflanz,** op. cit., p 119.

(٧٧) **NNM** 16 (1872), No. 64, p 173 ff.

(٧٨) المرجع السابق: ص ١٧٥ .

(٧٩) انظر: ص ٦١ من الكتاب.

(٨٠) راجع: ص ١٣١ من الكتاب.

(٨١) **AJV,** Anglikanisches Bistum..., op. cit.: **Weser an Hoffmann,** Jerusalem, March 31, 1871, Bl. 108 f.

(٨٢) المرجع السابق: **Werser Bericht an den Jerusalemsverein,** May 11, 1871, Bl. 118

(٨٣) **NNM** 29 (1885), No. 2, p 55. **Hopwood,** op. cit. p 28.

(٨٤) **Pflanz,** op. cit. p 130 f.

(٨٥) المرجع السابق: ص ١٣٢.

(٨٦) **NNM** 44 (1900), No. 3, p 85 f.

(٨٧) راجع: ص ١١٩ و١٢٠ من الكتاب.

(٨٨) **Pflanz,**. p 139.

(٨٩) نقلاً عن: **Hanselmann,** p 127 f.

(٩٠) **AJV,** Anglikanisches Bistum..., op. cit: **Reinicke an Kôgel,** Jerusalem, June, 11, 1884, Bl. 331 f.

(٩١) **NNM 30** (1886), No. 1, p 5.

(٩٢) **NNM 29** (1885), No. 1, p 2 f.

(٩٣) **NNM 29** (1885), No. 2, p 64.

(٩٤) **NNM 35** (1891), No. 14, p 90.

(٩٥) **NNM 29** (1885), No. 2, p 65.

(٩٦) **Pflanz,** op. cit. p 143, **NNM 29** (1885), No. 2 p 67 f.

(٩٧) **Hoppe,** op. cit. p 74.

(٩٨) المرجع السابق: ص ٧٤ والصفحة التالية .

(٩٩) **Pflanz,** p 142.

(١٠٠) **PAAA,** Acta der Kaiserlich Deutschen Botschaft zu Constantinopel, Pro 1883 - Ausûbung des ârztliche praxis in der Tûrkei Spec, 154, No. 1, 34 e: **Das deutsche Konsulat in Beirut an Radowitz,** No. 482, March 26, 1888; **Radowitz an das deutsche Konsulat in Beirut,** A 379, May 23, 1888; وراجع أيضاً: **Pflanz,** op. cit. p 142.

(١٠١) **HA** 1879 / II. p 574 f., وأيضاً: **PAAA,** Acta des Kaiserlich Deutschen Botschaft zu Constantinopel, pro 1883, Ausübung..., op. cit.: Über die ärztliche Ausûbung der Deutschen in Jerusalem, A 1270, Wo. 1021 Nov. 15, 1887; Über Beirut, **Schrôder an die deutsche Botschaft in Konstantinopel,** March 26 th 1888; **Deutsche Botschaft in Konstantinopel an Schrôder,** A 379, May 23, 1888.

(١٠٢) **Pflanz,** p 143.

(١٠٣) المرجع السابق.

(١٠٤) **NNM 38** (No. 6, 155.

(١٠٥) المرجع السابق: **NNM 43** (1899), No. 4, p 171و

(١٠٦) **Pflanz,** p 143.

(١٠٧) **Hanselmann,** op. cit. 128: **Richter,** p 260.

(١٠٨) **Hoppe,** op. cit. p 132 ff. **Alex Carmel** Die Siedlungen des Württembergischen Templer in Palâstina 1868 - 1918. Inre lokalpolitischen und internationalen Probleme, Stuttgart 1973.

(١٠٩) **AJV** Anglikanisches Bistum ..., op. cit.: **Reinicke an Kôgel**, Jerusalem, Dec. 18, 1879, Bl. 211 f.; Pflanz, p 149.

(١١٠) **AJV,** Anglikanisches Bistum..., op. cit.: **Evangelischer Kirchenrat in Berlin an den Vorstand des Jerusalemsvereins,** Wo. 4503, EO, Berlin, Nov. 5, 1886, Bl. 357; وراجع ايضاً: **NNM 33** (1889), No. 1, p 5.

(١١١) **AJV,** Anglikanisches Bistum..., **op. cit.: Reinicke an Kôgel,** Jerusalem, Dec, 18, 1879, Bl. 212.

(١١٢) **NNM 41** (1897), No. 1, p 22.

(١١٣) **NNM 45** (1901), No. 1. p 9.

(١١٤) **EGBP 5** (1929), No. 7, p 25.

(١١٥) **NNM 41** ((1897), No. 2, p 59. عن عدد اعضاء الجماعة راجع: **NNM 45** (1901), No. 1, p 7.

(١١٦) **NNM 41** (1897), No. 1, p 18 f.

(١١٧) **EGBP 5** (1929),, No. 7 p 26.

(١١٨) المرجع السابق.

(١١٩) راجع: ص ٦٧ من الكتاب.

(١٢٠) **AJV,** Anglikanisches Bistum..., op. cit.: **Weser an Kôgel, Berlin** March 17, 1880, Bl. 226 f.

(١٢١) المرجع السابق: Bl. 226.

(١٢٢) **NNM 15** (1871), No. 58, p 102; 26 (1882), No. 3. p 62.

(١٢٣) المرجع السابق.

(١٢٤) **NNM 16** (1872), No. 64, p 163 f.

(١٢٥) **NNM 38** (1894), No. 97, p 69.

(١٢٦) **AJV,** Anglikanisches Bistum..., op. cit.: **Reinicke an Kôgel,** Jerusalem, March 19, 1884, Bl. 319 f.

(١٢٧) المرجع السابق: **Reinicke an Kôgel, Jerusalem,** May, 18, 1883, Bl. 280.

(١٢٨) **EGBP 3** (1977), No. 6, p 22.

(١٢٩) **AJV** Anglikanisches Bistum..., op. cit.: **Reinicke an Kôgel,** Jerusalem, March, 23. 1878, Bl. 184.

(١٣٠) المرجع السابق: **Reinicke an Kôgel, Jerusalem** Dec, 7, 1881 (Bl. 240, f.), Nov 30, 1882 (Bl. 265), Dec, 29, 1882 (Bl, 267), March 14, 1883 (Bl. 276); **Reinicke an Hoffmann,** Jerusalem, Dec 29, 1882 Bl. 267

(١٣١) اعتبرت القنصلية الألمانية في القدس دار الأيتام جزءاً من نشاطات جمعية بيت المقدس في بيت لحم. راجع تقرير القنصلية الألمانية في القدس إلى وزارة الخارجية في برلين، القدس ١٤ تموز ١٨٧٥ في: **Mordechai Eliav**: Die Juden Palâstinas in der Deutschen Politik, 1842 - 1914, Tel - Aviv 1973, p 89, f.

(١٣٢) **AJV,** Anglikanisches Bistum..., op. cit.: **Reinicke an Kôgel,** O. J. vermutlich Anfang des Jahres 1880, Bl. 221.

(١٣٣) المرجع السابق: **Strauss an Kôgel und Westphal,** Berlin, March 4, 1880, Bl. 224 f.

(١٣٤) المرجع السابق: **Reinicke an Kôgel,** Jerusalem, August, 31, 1880, Bl. 220

(١٣٥) المرجع السابق: **Reinicke an Kôgel** , Jerusalem, Dec, 7, 1881, Bl. 239 f; May 18, 1883, Bl. 280; وراجع أيضاً: **NNM 39** (1894), No. 6, p 159.

(١٣٦) **AJV,** Anglikanisches Bistum..., op. cit: **Reinicke an Kôgel, Jerusalem,** Dec,7, 1881, Bl.239ff.

(١٣٧) المرجع السابق: **Reinicke an Kôgel,** Jerusalem, May, 18, 1883, Bl. 280 f.

(١٣٨) المرجع السابق: **Vorstand des Jerusalemsvereins an Reinicke,** Berlin, Oct. 7, 1883, Bl. 290 f.

(١٣٩) **NNM 38** (1894) , No. 6, p 159.

(١٤٠) **NNM 41** (1897); No. 6, p 202.

(١٤١) **NNM 41** (1897), No. 1., p 15 f.

(١٤٢) **Weser,** op. cit., p 18. وراجع أيضاً: **AKF 51** (Jan. / Feb. 1899), p 6;

(١٤٣) **NNM 43** (1899), Jahresfestnummer, p 52.

(١٤٤) **Weser,** , p 20.

(١٤٥) عن رحلة **وليم الثاني** راجع الفصل الحادي عشر من الكتاب.

(١٤٦) **NNM 41** (1897), No. 5, p 164 f.

(١٤٧) **NNM 43** (1899), No. 4, p 167 f.

(١٤٨) المرجع السابق: ص ١٦٨.

(١٤٩) **Pflanz,** p 176.

(١٥٠) **NNM 45** (1901) Jahresfestnummer, p 113.

(١٥١) **NNM 43** (1899), No. 4, p 169 f.

(١٥٢) **Pflanz,** p 174 f.

(١٥٣) المرجع السابق: ص ١٧٥ والصفحة التالية.

(١٥٤) **NNM 43** (1899), No. 4 p 172.

(١٥٥) **Pflanz,** p 172.

(١٥٦) **NNM 45** (1901), No. 3, p 32.

(١٥٧) **2. Jb. des JV.** (1854), p 47; **4. Jb. des JV.** (1865), p 58.

(١٥٨) **6. Jb. des JV.** (1858), p 5; **27. Jb. des JV.** (1879), p 24 f.

(١٥٩) **7. Jb. des JV. (1859), p 14 f.; 11. Jb. des JV.** (1863) p 16 f.; **17 Jb. des JV.** (1859), p 22 f.

(١٦٠) **Weser,** op. cit. p 14.

(١٦١) **NNM 37** (1893), No. 1, p 54.

(١٦٢) **Weser,** p 14 f.

(١٦٣) **Pflanz,** p 111; **NNM** 37 (1893), No. 1. p 53 f.

(١٦٤) **Pflanz,** p 114.

(١٦٥) **Kenneth Scott Latourette,** A History of the Expansion of Christianity, 1800 - 1914, vol. IV, London / N. y. 1944, p 41.

(١٦٦) **Weser,** p 20.

(١٦٧) **NNM 45** (1901), Jahresfestnummer, p 108.

(١٦٨) المرجع السابق.

(١٦٩) **NNM 41** (1897), No. 1, p 21 f.; **Pflanz,** op. cit. p 112.

(١٧٠) المرجع السابق: ص ١٢٢ والصفحة التالية.

(١٧١) انظر: ص ٣٤ وما يلي من الكتاب.

(١٧٢) **Julius Richter,** A History of Protestant Missions in the Near East, Edinbrugh 1910, p 260 f.

(١٧٣) **Pflanz,** p 126.

(١٧٤) راجع: ص ١٢٩ وما يلي من الكتاب.

حواشي الفصل السادس

(١) **Paul Hoppe,** Geschichte der deutschen evangelischen Kirche und Mission im Heiligen Lande, Gûtersloh 1898, p. 115.

(٢) **Hans-Wilhelm Hertzberg,** Jerusalem, Geschichte einer Gemeinde, Kassel 1965, p. 18; **Richard Pflanz,** Verlassen, nicht vergessen, Das heilige Land und die deutsch-evangelische Liebesarbeit. Zum 50jährigen Jubelfest des Jerusalemsvereins, Berlin 1903, p.

(٣) **Hoppe,** p. 115; 1. **Bericht über das Diakonissen-Haus zu Jerusalem,** Kaiserswerth (von Mitte April bis 10. Sept. 1851), p. 6.

(٤) نقلاً عن: **Hoppe,** p. 115.

(٥) **AKF** 3 (July/August 1851), p. 5.

(٦) Das deutsche Kaiserpaar im Heiligen Lande im Herbst 1898. Nach authentischen Berichten und Akten, Berlin 1899, p. 32.

(٧) انظر الفصل الرابع من الكتاب.

(٨) **Bernhard Neumann,** Die Heilige Stadt und deren Bewohner in ihren naturhistorischen, culturgeschichtlichen, socialen und medicinischen Verhältnissen, Hamburg 1877, p. 309.

(٩) عن الوقف في الإسلام، راجع: **Handworterbuch des Islam,** edited by **A.J. Wensinck** and **J.H. Kramers,** Leiden 1941, p. 787 ff.

(١٠) **PAAA,** Acta der Kaiserlich Deutschen Botschaft zu Constantinopel, Glia 192, 32c: Der Besitztitel - Umschreibungen der Diakonissen - Anstalten - Johanniter Hospiz zu Jerusalem, Vol. I Pro 1876 - August 1889, betr. die Eigentumsverhältnisse an dem Evangelischen Pastorat, dem Johanniter - Hospize und den deutschen Wohltätigkeitsan-stalten zu Jerusalem: **Reitz an Bismarck,** No. 32, Jerusalem, May 27, 1882.

(١١) **2. Bericht über die Diakonissen - Stationen im Morgenlande,** Kaiserswerth (Jan. 1854 – Ende Dec. 1855), p. 32.

(١٢) عن فرسان يوحنا راجع: **Karl Herrlich,** Die Balley Brandenburg des Johanniter – Ordens von ihrem Entstehen bis zur Gegenwart und in ihren jetzigen Einrichtungen dargestellt, 4th ed., Berlin 1904; **Wilhelm Obernitz,** Die Balley Brandenburg des ritterlichen Ordens St. Johannis vom spital zu Jerusalem. Wesen und Wirken einst und heute, Dûsseldorf 1932.

(١٣) **Herrlich,** op. cit., p. 66 f.; **Obernitz,** op. cit., p. 24 f.; **Meyers Lexikon,** Vol. VI, 7th ed., Leipzig, 1927, p. 559.

(١٤) **Herrlich,** p. 69 f.

(١٥) **Wochenblatt der Johanniter – Orden – Balley Brandenburg** (ستختصر بعد ذلك بـ WBJO) No. 1, p 1 ff.

(١٦) **Obernitz,** p. 114 f.

(١٧) **Herrlich,** p. 226.

(١٨) **Obernitz,** p. 114.

(١٩) **WBJO** 36 (1895), No. 9, p. 49 f.

(٢٠) المرجع السابق.

(٢١) Das deutsche Kaiserpaar..., op. cit. p. 4.

(٢٢) **WBJO** 30 (1889), No. 30, pp. 176-181.

(٢٣) **WBJO** 15 (1874), No. 9, p. 50.

(٢٤) **WBJO** 2 (1861), No. 16, p. 169; 5 (1864), No. 13, p. 79; 7 (1866), No. 18, p. 103.

(٢٥) **WBJO** 36 (1895), No. 9, p. 50.

(٢٦) **PAAA** (انظر حاشية رقم ١٠) **Reitz an Bismarck,** No. 32, Jerusalem, May 27; 1882.

(٢٧) **Neumann,** op. cit., p. 309; **Karl Baedeker,** Palestine and Syria, Leipzig 1912, p. 19.

(٢٨) **PAAA,** General-Acten des Norddeutschen Bundeskonsulats zu Bairut, betr. Kirchen – und Schulsachen und Angelegenheiten milder stiftungen ûberhaupt, (auch?) zu Wohltâtigkeits - zwecken, Vol. II, Rep. No. 77K: **Reitz an Schrôder,** No. 404, Jerusalem, Feb. 26th 1883; **Reitz an Schrôder,** No. 772, Jerusalem, May 4, 1884.

(٢٩) **AKF** 3 (July/August 1851), p. 6; **WBJO** 2 (1861), No. 16, p. 69; 11 (1870), No. 22, p. 132; 15 (1874), No. 9, p. 51.

(٣٠) **Paul Lietzow,** Ein Besuch in der heiligen Stadt, Berlin 1888, p. 15 ff.

(٣١) **WBJO** 11 (1870), No. 22, p. 132.

(٣٢) **WBJO** 8 (1867), No. 12, p. 67; 13 (1872), No. 9, p. 54; 20 (1879), No. 21, p. 61; **Obernitz,** op. cit. p. 104.

(٣٣) **WBJO** 18 (1877), No. 10, p. 54.

(٣٤) **WBJO** 36 (1895), No. 9, p. 50.

(٣٥) **WBJO** 39 (1898), No. 10, p. 55.

(٣٦) **Obernitz,** p. 104.

(٣٧) إنجيل متى ٨، ١-٤؛ مرقس ١، ٤٠-٤٥؛ لوقس ٥، ١٢-١٦.

(٣٨) **EGBP** 1 (1925), No. 6, p. 22; **Titus Tobler,** Denkblâtter aus Jerusalem, Konstanz 1853, pp. 438-464.

(٣٩) **H.G. Schneider,** Das Aussâtzigenasyl in Jerusalem. Geschichtliche Darstellung seines nunmehr 20 jâhrigen Bestehens, Berthelsdorf 1888, p. 11; **Tobler,** op. cit., p. 411.

(٤٠) **Tobler,** p. 412.

(٤١) **Otto Eberhard,** Palâstina. Erlebtes und Erlerntes **im** heiligen Lande, Eisleben. 1910, p 39 f.

(٤٢) **Tobler,** op. cit., p. 414.

(٤٣) **WBJO** 15 (1874), No. 43, p. 254; **NNM** 26 (1882), No. 5, p. 127.

(٤٤) **1. Jb. des Aussâtzigenasyles** (1867), p. 8 f.

(٤٥) المرجع السابق: ص ١٥.

(٤٦) **Pflanz,** op. cit., p. 215.

(٤٧) **1. Jb. des Aussâtzigenasyles** (1867), p. 10 ff.

(٤٨) **Bericht ûber das Aussâtzigenasyl** (1905), p. 16.

(٤٩) **1. Jb. des Aussâtzigenasyl** (1867), p. 9.

(٥٠) المرجع السابق: ص ١٠ والصفحة التالية.

(٥١) **Bericht ûber das Aussâtzigenasyl** (1887), p. 5.

(٥٢) Bericht ûber das Aussâtzigenasyl fûr das Jahr 1885, in: **NNM** 30 (1886), No. 5, p. 174.

(٥٣) **Bericht Dr. Chaplins** in: **NNM** 21 (1877), No. 13, p. 142.

(٥٤) **1. Jb. des Aussâtzigenasyles** (1867), p. 9.

(٥٥) **Hoppe,** op. cit., p. 107; **Siegfried Hanselmann,** Deutsche evangelische palâstina-mission. Handbuch ihrer Motive, Geschichte und Ergebnisse, Erlangen 1971, p. 106.

(٥٦) **PAAA** (انظر حاشية رقم ١٠) **Reitz an Bismarck,** No. 32, Jerusalem, May 27; 1882.

(٥٧) **Erwin Roth,** Preussens Gloria im Heiligen Land. Die Deutschen und Jerusalem, Mûnchen 1973, p. 113.

(٥٨) **PAAA** (انظر حاشية رقم ١٠) **Reitz an Bismarck,** No. 32, Jerusalem, May 27 1882; **Bericht ûber das Aussâtzigenasyl** (1888), p. 12, وأيضاً تقرير عام ١٨٩١، ص ٥ والصفحة التالية.

(٥٩) المرجع السابق: ص ٥.

(٦٠) **Bericht ûber das Aussâtzigenasyl** (1893), p. 3, 12 ff.; **Pflanz,** Verlassen, op. cit. p. 222.

(٦١) راجع التقارير السنوية عن المسح لعام ١٨٩٣ في **NNM** 38 (1894), No. 4, p. 101 f.; وللعام ١٨٩٨ في: **NNM** 43 (1899), No. 3, p. 139

(٦٢) **Bericht ûber das Aussâtzigenasyl** (1905), p. 17.

(٦٣) **NNM** 45 (1901), No. 5, p. 176.

(٦٤) المرجع السابق: ص ١٨٥.

(٦٥) راجع التقرير السنوي للمصح لعام ١٨٨٧ في: **NNM** 32 (1888), No. 3, p. 76; **AJV,** Anglikanisches Bistum und evangelische Gemeinde in Jerusalem: **Pastor Schlicht an den Jerusalemsverein,** No. 4, Jerusaem, Jan. 4, 1888, p. 379 f.

(٦٦) التقرير السنوي للمصح لعام ١٨٨١ في: **NNM** 26 (1882), No. 5, p. 130.

(٦٧) المرجع السابق: ص ١٢٨؛ **AKF** 39 (1887), Sept./Oct., p. 147 ff.

(٦٨) التقرير السنوى للمصح لعام ١٨٨٢ في: **NNM** 27 (1883), No. 3, p. 82.

(٦٩) التقرير السنوي للمصح لعام ١٩٨٣ في: **NNM** 38 (1894), No. 4, p. 100.

(٧٠) **Carl Reinicke,** «Das evangelische Aussâtzigenhaus bei Jerusalem im Jahre 1879», in: **NNM** 24 (1880), No. 2, p. 32; die Berichte ûber das Aussâtzigenasyl fûr 1881, in: **NNM** 26 (1882), No. 5, p. 128 f., und fûr 1882, in: **NNM** 27 (1883), No. 3, p. 83; وقارن أيضاً **Schneider,** op. cit., p. 39 f.

(٧١) هذا ماجاء في تقرير المصح لعام ١٨٨٣، راجع: **NNM** 28 (1884), No. 3, p. 52.

(٧٢) المرجع السابق.

(٧٣) نقلاً عن: **Bericht ûber das Aussâtzigenasyl** (1888), p. 10 f.; وانظر أيضاً **NNM** 33 (1889), No. 4, p. 102 f.

(٧٤) قارن: **NNM** 26 (1882), No. 5, p. 30; 31 (1887), No. 4, p. 116. f.; 44 (1900), No. 5, p. 177 f.

(٧٥) راجع: **Schneider,** p. 35.

(٧٦) **Bericht ûber das Aussâtzigenasyl** (1889), p. 14 f.

(٧٧) انظر: **Schneider,** p. 12.

(٧٨) **Reinicke,** «Das evangelische Aussâtzigenhaus..., op. cit. p. 32 f.

(٧٩) **Bericht ûber das Aussâtzigenasyl** (1889), p. 7; **NNM** 31 (1887), No. 4, p. 113 f.; وتقرير عام ١٨٨٥، ص ١٢.

(٨٠) **Bericht ûber das Aussâtzigenasyl** (1894). P.S.

(٨١) **Bericht ûber das Aussâtzigenasyl** (1895), p. 13.

(٨٢) **Bericht ûber das Aussâtzigenasyl** (1887), p. 6; **AKF** 34 (July/August 1882), p. 121; وقارن أيضاً: التقارير السنوية لعام ١٨٧٩/١٨٨١ ص ١٢١، ولعام ١٨٨٨، ص ٧٢.

(٨٣) **Hoppe,** op. cit. p. 110.

(٨٤) قارن: **The Moslem World** 14 (1924). p. 29

(٨٥) **Bericht ûber das Aussâtzigenasyl fûr. 1874** in: **NNM** 19 (1875), No. 81, p. 159 f.

(٨٦) واصل المصح نشاطه خلال الحرب العالمية الأولى وبعد دون انقطاع. وفي عام ١٩٦٠ انتقل إلى مركز جديد قرب رام الله في الضفة الغربية. عن نشاطات المصح من الحرب العالمية الثانية حتى عام ١٩٦٧ راجع: **Peter Schenkel,** «German and Arab Evangelical Lutheran Churches in the Land of

(٢٤) **WBJO** 2 (1861), No. 16, p. 169; 5 (1864), No. 13, p. 79; 7 (1866), No. 18, p. 103.

(٢٥) **WBJO** 36 (1895), No. 9, p. 50.

(٢٦) **PAAA** (انظر حاشية رقم ١٠) **Reitz an Bismarck,** No. 32, Jerusalem, May 27; 1882.

(٢٧) **Neumann,** op. cit., p. 309; **Karl Baedeker,** Palestine and Syria, Leipzig 1912, p. 19.

(٢٨) **PAAA,** General-Acten des Norddeutschen Bundeskonsulats zu Bairut, betr. Kirchen – und Schulsachen und Ängelegenheiten milder stiftungen ûberhaupt, (auch?) zu Wohltâtigkeits – zwecken, Vol. II, Rep. No. 77K: **Reitz an Schrôder,** No. 404, Jerusalem, Feb. 26th 1883; **Reitz an Schrôder,** No. 772, Jerusalem, May 4, 1884.

(٢٩) **AKF** 3 (July/August 1851), p. 6; **WBJO** 2 (1861), No. 16, p. 69; 11 (1870), No. 22, p. 132; 15 (1874), No. 9, p. 51.

(٣٠) **Paul Lietzow,** Ein Besuch in der heiligen Stadt, Berlin 1888, p. 15 ff.

(٣١) **WBJO** 11 (1870), No. 22, p. 132.

(٣٢) **WBJO** 8 (1867), No. 12, p. 67; 13 (1872), No. 9, p. 54; 20 (1879), No. 21, p. 61; **Obernitz,** op. cit. p. 104.

(٣٣) **WBJO** 18 (1877), No. 10, p. 54.

(٣٤) **WBJO** 36 (1895), No. 9, p. 50.

(٣٥) **WBJO** 39 (1898), No. 10, p. 55.

(٣٦) **Obernitz,** p. 104.

(٣٧) إنجيل متى ٨، ١-٤؛ مرقس ١، ٤٠-٤٥؛ لوقس ٥، ١٢-١٦.

(٣٨) **EGBP** 1 (1925), No. 6, p. 22; **Titus Tobler,** Denkblätter aus Jerusalem, Konstanz 1853, pp. 438-464.

(٣٩) **H.G. Schneider,** Das Aussâtzigenasyl in Jerusalem. Geschichtliche Darstellung seines nunmehr 20 jâhrigen Bestehens, Berthelsdorf 1888, p. 11; **Tobler,** op. cit., p. 411.

(٤٠) **Tobler,** p. 412.

(٤١) **Otto Eberhard,** Palâstina. Erlebtes und Erlerntes **im** heiligen Lande, Eisleben 1910, p .39 f.

(٤٢) **Tobler,** op. cit., p. 414.

(٤٣) **WBJO** 15 (1874), No. 43, p. 254; **NNM** 26 (1882), No. 5, p. 127.

(٤٤) **1. Jb. des Aussâtzigenasyles** (1867), p. 8 f.

(٤٥) المرجع السابق: ص ١٥.

(٤٦) **Pflanz,** op. cit., p. 215.

(٤٧) **1. Jb. des Aussâtzigenasyles** (1867), p. 10 ff.

(٤٨) **Bericht ûber das Aussâtzigenasyl** (1905), p. 16.

(٤٩) **1. Jb. des Aussâtzigenasyl** (1867), p. 9.

(٥٠) المرجع السابق: ص ١٠ والصفحة التالية.

(٥١) **Bericht ûber das Aussâtzigenasyl** (1887), p. 5.

(٥٢) Bericht ûber das Aussâtzigenasyl fûr das Jahr 1885, in: **NNM** 30 (1886), No. 5, p. 174.

(٥٣) **Bericht Dr. Chaplins** in: **NNM** 21 (1877), No. 13, p. 142.

(٥٤) **1. Jb. des Aussâtzigenasyles** (1867), p. 9.

(٥٥) **Hoppe,** op. cit., p. 107; **Siegfried Hanselmann,** Deutsche evangelische palâstina-mission. Handbuch ihrer Motive, Geschichte und Ergebnisse, Erlangen 1971, p. 106.

(٥٦) **PAAA** (انظر حاشية رقم ١٠) **Reitz an Bismarck,** No. 32, Jerusalem, May 27; 1882.

(٥٧) **Erwin Roth,** Preussens Gloria im Heiligen Land. Die Deutschen und Jerusalem, Mûnchen 1973, p. 113.

(٥٨) **PAAA** (انظر حاشية رقم ١٠) **Reitz an Bismarck,** No. 32, Jerusalem, May 27 1882; **Bericht ûber das Aussâtzigenasyl** (1888), p. 12, وأيضاً تقرير عام ١٨٩١، ص ٥ والصفحة التالية.

(٥٩) المرجع السابق: ص ٥.

(٦٠) **Bericht ûber das Aussâtzigenasyl** (1893), p. 3, 12 ff.; **Pflanz,** Verlassen, op. cit. p. 222.

(٦١) راجع التقارير السنوية عن المسح لعام ١٨٩٣ في **NNM** 38 (1894), No. 4, p. 101 f.;
وللعام ١٨٩٨ في: **NNM** 43 (1899), No. 3, p. 139

(٦٢) **Bericht ûber das Aussâtzigenasyl** (1905), p. 17.

(٦٣) **NNM** 45 (1901), No. 5, p. 176.

(٦٤) المرجع السابق: ص ١٨٥.

(٦٥) راجع التقرير السنوي للمصح لعام ١٨٨٧ في: **NNM** 32 (1888), No. 3, p. 76; **AJV,** Anglikanisches Bistum und evangelische Gemeinde in Jerusalem: **Pastor Schlicht an den Jerusalemsverein,** No. 4, Jerusaem, Jan. 4, 1888, p. 379 f.

(٦٦) التقرير السنوي للمصح لعام ١٨٨١ في: **NNM** 26 (1882), No. 5, p. 130.

(٦٧) المرجع السابق: ص ١٢٨؛ **AKF** 39 (1887), Sept./Oct., p. 147 ff.

(٦٨) التقرير السنوى للمصح لعام ١٨٨٢ في: **NNM** 27 (1883), No. 3, p. 82.

(٦٩) التقرير السنوي للمصح لعام ١٩٨٣ في: **NNM** 38 (1894), No. 4, p. 100.

(٧٠) **Carl Reinicke,** «Das evangelische Aussâtzigenhaus bei Jerusalem im Jahre 1879», in: **NNM** 24 (1880), No. 2, p. 32; die Berichte ûber das Aussâtzigenasyl fûr 1881, in: **NNM** 26 (1882), No. 5, p. 128 f., und fûr 1882, in: **NNM** 27 (1883), No. 3, p. 83;
وقارن أيضاً **Schneider,** op. cit., p. 39 f.

(٧١) هذا ماجاء في تقرير المصح لعام ١٨٨٣، راجع: **NNM** 28 (1884), No. 3, p. 52.

(٧٢) المرجع السابق.

(٧٣) نقلاً عن: **Bericht ûber das Aussâtzigenasyl** (1888), p. 10 f.; وانظر أيضاً **NNM** 33 (1889), No. 4, p. 102 f.

(٧٤) قارن: **NNM** 26 (1882), No. 5, p. 30; 31 (1887), No. 4, p. 116. f.; 44 (1900), No. 5, p. 177 f.

(٧٥) راجع: **Schneider,** p. 35.

(٧٦) **Bericht ûber das Aussâtzigenasyl** (1889), p. 14 f.

(٧٧) انظر: **Schneider,** p. 12.

(٧٨) **Reinicke,** «Das evangelische Aussâtzigenhaus..., op. cit. p. 32 f.

(٧٩) **Bericht ûber das Aussâtzigenasyl** (1889), p. 7; **NNM** 31 (1887), No. 4, p. 113 f.; وتقرير عام ١٨٨٥، ص ١٢.

(٨٠) **Bericht ûber das Aussâtzigenasyl** (1894). P.S.

(٨١) **Bericht ûber das Aussâtzigenasyl** (1895), p. 13.

(٨٢) **Bericht ûber das Aussâtzigenasyl** (1887), p. 6; **AKF** 34 (July/August 1882), p. 121; وقارن أيضاً: التقارير السنوية لعام ١٨٧٩/١٨٨١ ص ١٢١، ولعام ١٨٨٨، ص ٧٢.

(٨٣) **Hoppe,** op. cit. p. 110.

(٨٤) قارن: **The Moslem World** 14 (1924). p. 29

(٨٥) **Bericht ûber das Aussâtzigenasyl fûr. 1874** in: **NNM** 19 (1875), No. 81, p. 159 f.

(٨٦) واصل المصح نشاطه خلال الحرب العالمية الأولى وبعد دون انقطاع. وفي عام ١٩٦٠ انتقل إلى مركز جديد قرب رام الله في الضفة الغربية. عن نشاطات المصح من الحرب العالمية الثانية حتى عام ١٩٦٧ راجع: **Peter Schenkel,** «German and Arab Evangelical Lutheran Churches in the Land of

the Bibel», in: **Shristian News from Israel**, Jerusalem, 19 (1968); No. 3-4, p. 53 f.; وراجع أيضاً **Hanselmann**, p. 179

(٨٧) **NNM** 19 (1875), No. 81, p. 158.

(٨٨) **Pflanz**, op. cit., p. 222.

(٨٩) Bericht über das Aussätzigenasyl für 1893, in: **NNM** 38 (1894), No. 4, p. 107 f.

(٩٠) نقلاً عن: **AKF** 39 (Sept./Oct. 1887), p. 147 ff.; **NNM** 31 (1887), No. 4, p. 107 f.; 45 (1901), No. 5, p. 185 ff.

(٩١) Bericht über das Aussätzigenasyl für 1874, in: **NNM** 19 (1875), No. 81, p. 157.

(٩٢) راجع: **Schneider**, p. 26.

(٩٣) **Eberhard**, op. cit. p. 36; **NNM** 44 (1900), No. 5, p. 175 f.

(٩٤) **1. Jb. des Aussätzigenasyles** (1867), p. 15.

(٩٥) المرجع السابق؛ وانظر ص. ١٤٤ من الكتاب.

(٩٦) NNM 29 (1885), No. 4, p. 133 f.; 21 (1877), No. 93, p. 139 and 143; Bericht über das Aussätzigenasyl für 1875, in: **NNM** 20 (1876), No. 85, p. 69.

(٩٧) **Bericht über das Aussätzigenasyl** (1887), p. 57.

(٩٨) **Bericht über das Aussätzigenasyl** (1890), p. 16.

(٩٩) قارن: **NNM** 45 (1901), No. 15, p. 188 f.

(١٠٠) **PAAA,** Acta der Kaiserlich Deutschen Botschaft zu Constantinopel. Pro 1883 – Ausübung der ärztlichen praxis in der Türkei, Spec. 154, No. 1, 34e: **Radowitz an das Auswärtige Amt,** No. 1011, A. 1244, Pera, Nov. 11, 1887.

(١٠١) **NNM** 19 (1875), No. 83, p. 269.

(١٠٢) قارن: **Hoppe**, p. 112

(١٠٣) **NNM** 19 (1875), No. 83, p. 268.

(١٠٤) **NNM** 19 (1875), No. 72, p. 36 f.

(١٠٥) **Hoppe**, p. 112.

(١٠٦) **NNM** 19 (1875), No. 83, p. 267 ff.

(١٠٧) راجع: (سيختصر بعد ذلك بـ 'KHMS) **Jahresbericht über das Kinder – Hospital Marienstift** für 1884, in: **NNM** 39 (1895), No. 4, p. 146.

(١٠٨) **NNM** 19 (1875), No. 83, p. 269.

(١٠٩) المرجع السابق: ص ٢٦٩ والصفحة التالية.

(١١٠) المرجع السابق: ص ٢٧١.

(١١١) **Jb. des KHMS** (1889), p. 4.

(١١٢) **WBJO** 14 (1873), No. 11, p. 66.

(١١٣) **Pflanz**, op. cit. p. 189.

(١١٤) **NNM** 19 (1875), No. 83, p. 268.

(١١٥) **NNM** 26 (1882), No. 1, p. 3.

(١١٦) **Jb. des KHMS** (1890), p. 3.

(١١٧) **Pflanz**, p. 189.

(١١٨) **Jb. des KHMS** (1889), p. 4; (1890), p. 3; (1891), p. 23; (1895), p. 3.

(١١٩) **NNM** 19 (1875), No. 83, p. 268.

(١٢٠) **NNM** 29 (1885), No. 4, p. 136; 24 (1880), No. 5, p. 147.

(١٢١) **Jb. des KHMS** (1889), p. 4; (1890), p. 4.

(١٢٢) **NNM** 24 (1880), No. 5, p. 147; 19 (1875), No. 83, p. 270.

(١٢٣) **NNM** 29 (1885), No. 4, p. 36.

(١٢٤) **Hertzberg**, op. cit. p. 29.

(١٢٥) **NNM** 29 (1885), No. 4, p. 138 f.; 19 (1875), No. 83, p. 271.

(١٢٦) **NNM** 19 (1875), No. 83, P. 271.

(١٢٧) **AJV** Anglikanisches Bistum..., op. cit.: **Sandreczky an den Jerusalemsverein,** Jerusalem, April 29, 1886, Bl. 339 ff.

(١٢٨) **NNM** 29 (1885), No. 4, p. 137 f.

(١٢٩) المرجع السابق: ص ١٣٨.

(١٣٠) **AJV,** Anglikanisches Bistum..., op. cit.: **Sandreczky an den Jerusalemsverein,** Jerusalem, April 29; 1886, Bl. 339 f.

(١٣١) **Pflanz,** op. cit. p. 189 f.; **Hertzberg,** p. 29.

(١٣٢) **AJV,** Anglikanisches Bistum..., op. cit.: **Sandreczky an den Jerusalemsverein,** Jerusalem, April 29, 1886, Bl. 339 ff.

حواشي الفصل السابع

(١) أنظر: **يوسف مزهر، تاريخ لبنان العام**، جزء ١، بيروت، ص **٥٧٧** والصفحات التالية.

(٢) المرجع السابق: ص ٦١١ والصفحة التالية.

(٣) حول هذا الموضوع: انظر **لحد خاطر، عهد المتصرفين في لبنان ١٨٦١ - ١٩١٨**، بيروت ١٩٦٧.

(٤) راجع: **Charles Issawi,** «British Trade and the Rise of Beirut, 1830 - 1860», in: **IJMES 8** (1977), pp 91 - 101.

(٥) قارن، **عبد الكريم غرايبه**، سوريا في القرن التاسع عشر، **١٨٤٠ - ١٨٧٦**، القاهرة **١٩٦١/٦٢** ص **١٤٤** والصفحة التالية؛ **Dominique Chevallier,** La Société du Mont Liban à l'Epoque de la Révolution industrielle en Europe, Paris, 1971, chap. XIV, pp 210 - 242; وقارن أيضاً: **NNM 11** (1867), No. 43, p 139 ff.

(٦) راجع: **غرايبه**، ص ٨٦ والصفحة التالية؛ **عبد العزيز عوض، الإدارة العثمانية في ولاية سوريا ١٨٦٤ - ١٩١٤**، القاهرة ١٩٦٩، ص ٧٢ والصفحة التالية؛ **A.L. Tibawi,** A Modern History of Syria including Lebanon and Palestine, London 1969, p 181.

(٧) **غرايبه**، المرجع السابق: ص ٨٧؛ «Türkei, Wirtschaftliche Verhältnisse Syriens and seiner Hauptplätze, in: **H A** 1878 / **II**, p 545; **Chevallier,** op. cit. p 292 وحاشية رقم ٤

(٨) راجع: **A.L. Tibawi,** American Interests in Syria 1800 - 1901. A Study of Educational, Literary and Religious Work, Oxford 1966, p 150 ff.

(٩) المرجع السابق: ص **١٥٢** والصفحات التالية.

(١٠) المرجع السابق: ص ١٦٠ .

(١١) رفيق التميمي **ومحمد** بهجت ، **ولاية بيروت**؛ ط ٢، جـ ١، بيروت **١٩٧٩**، ص **٢٦** والصفحة التالية.

(١٢) حول نشاط الجمعية الروسية قارن: **Derek Hopwood,** The Russian Presence in Syria and Palestine 1843 — 1914, Church and Politics in the Near East, Oxford 1969, pp, 96 - 158.

(١٣) انظر مقالة: **Fritz Steppat,** «Eine Bewegung unter den Notabeln Syriens 1877 - 1878. Neues Licht auf die Entstehung des Arabischen Nationalismus», in **ZDMG** (1969), Suppl, I, p 648f.

(١٤) راجع: **Tibawi,** Modern History, op.cit. p 134, 168; **وعوض**: المرجع السابق ص **٢٥٤** والصفحات التالية.

(١٥) انظر: **HA 1878** / II, p 578 f.

(١٦) انظر: **شاهين مكاريوس**: «**المعارف في سوريا**»، **في**: **المقتطف ٧** (**١٨٨٣**)، ص **٣٩١**.

(١٧) راجع: **عوض**: المرجع السابق، ص **٢٦٢**.

Tibawi, Modern History, op. cit. p 169

NNM 23 (1879), No. 5, p 122.

(١٩) **مكاريوس**: المرجع السابق، ص **٣٩١**.

(٢٠) **NNM 42** (1898), No. 5, p 151.

(٢١) المرجع السابق: ص **١٥١** والصفحة التالية.

(٢٢) راجع: ص ٢٣٢ وما يلي من الكتاب.

(٢٣) انظر: ritz **Ulrich,** Geschichte der evangelischen Gemeinde zu Beirut. 1856 - 1906, Fest-schrift zum 50 Jährigen Jubiläum, Berlin 1907.

(٢٤) أنظر: **AAA,** Acta der Kaiserlich Deutschen Botschaft zu Constantinopel, Abt. II: Die Protestan-ische Gemeinde in Beirut, K vol. I: No 12, Dec, 30, 1873.

(٢٥) راجع: **Ulrich**، ص ١٠.

(٢٦) راجع: **AKF 12** (Nov. / Dec. 1860), p 184.

(٢٧) **AKF 55** (July / Aug, 1903), p 112.

(٢٨) المرجع السابق.

(٢٩) قارن: **NNM 30** (1886), No. 1, p 25

(٣٠) انظر: ص ١٧٥ من الكتاب.

(٣١) **AKF 13** (July / Aug. 1861), p 114.

(٣٢) المرجع السابق: ص ١٢٠، **NNM 5** (1861). No. 18,; p 114.

(٣٣) **AKF 13** (Jan. / Feb, 1861), p 26 f. ; 13 (July / Aug. 1861), p 124.

(٣٤) **WBJO 1** (1860), No. 11, p 46 f.

(٣٥) **AKF 13** (July / Aug. 1861), p 124.

(٣٦) قارن: **26. Jb. über die Diakonissen Anstalt zu Kaiserswerth am Rhein** (1862 / 63), p 16.

(٣٧) حول مساعدة هذه المنظمة للجمعيات الألمانية أنظر: ما سبق ص ٨٥ .

(٣٨) انظر: **1. Bericht über die Diakonissen Station in Beirut am Libanon (namentlich über das Waisenhaus Zoar),** Kaiserswerth (1862), p 17.

(٣٩) أنظر: **2. B. Zoar** (1862 / 63), p 9

(٤٠) بعد انتصار الحلفاء في الحرب العالمية الأولى انتقلت ممتلكات الكيزرزفرت في بيروت إلى حكومة الانتداب الفرنسية . وقد أدارت المدرسة Collège Protestant Français des Jeunes Filles, تحت اسم (Collége Français) لتفاصيل أخرى حول الموضوع راجع :
AJV, KMS: **Denkschrift über die Anstalten der Kaiserswerther Diakonissen in Beirut nach dem Weltkrieg.**

(٤١) **AKF 37** (Sept./ Oct. 1885), p 142; **13 B. Zoar** (1883 - 85), p 9; **Wahrig** Deutsches Wörterbuch, 2. ed. (Gütersloh, Berlin - München - Wien 1975, p 4125.

(٤٢) أنظر: **Theodor Fliedner,** Das Mädchenwaisenhaus Zoar in Beirut, Kaiserswerth 1864 ولتفاصيل وافية عن سياسة التنصير والتغريب للكيزرزفرت، راجع: ص ٩٨ وما يلي من الكتاب.

(٤٣) راجع: **Fliedner,** Das Mädchenwaisenhaus Zoar in Beirut, **op. cit.**

(٤٤) **AKF 14** (Jan. / Feb. 1862), p 8.

(٤٥) **AKF 16** (May / April 1864), p 49; **Richard Pflanz,** Verlassen, nicht vergessen, Das heilige Land und die deutsch - evangelische Liebesarbeit. Zum 50 Jährigen Jubelfest des Jerusalemsvereins Berlin 1903, p 164.

(٤٦) **Fliedner,** Das Mädechenwaisenhaus Zoar in Beirut, op. cit.

(٤٧) قــارن: **4. B. Zoar** (1865 - 67), p 18 f.; **12. B. Zoar** (1881 - 83), p 8 ff.

(٤٨) راجع: ص ١٠٠ وما يلي من الكتاب.

(٤٩) **PAAA,** General - Acten des Norddeutschen Bundes - Konsulats zu Bairut, betr, Kirchen - und Schul - Sachen und Angelegenheiten Milder Stiftungen überhaupt, (auch?) zu Wohltätigkeits-zwecken, k vol. II: No. 248, ohne Datum (Vermutlich um1882); **Direktion der Kaiserswerther an Brüning,** No. 6. Dec, 21, 1878; **Brüning an die Direktion der Kaiserswerther,** No. 6, Jan. 14, 1879, No. 141, March 19, 1879;

وقارن أيضاً: **PAAA,** Acta der Kaiserlich Deutschen Botschaft zu Constantinopel betr, Die Wohl-tätigkeits Anstalten des Diakonissen - Vereins Kaiserswerth, vol. III: **Gies (Konsulatsstellver-treter in Beirut) an Rodowitz,** No. 609, June 23, 1886; **Radowitz an das Konsulat in Beirut.** No. 806, July 29, 1886; **Reitz an Radowitz,** No. 3151, Dec, 2, 1887.

(٥٠) راجع: **Ulrich**، ص ٤٨.

(٥١) **NNM 23** (1879), No. 15. p 129.

(٥٢) **3. B. Zoar** (1863 - 65), p 12f., 30.

(٥٣) **4. B. Zoar** (1865 - 67), p 10.

(٥٤) المرجع السابق: ص ٣٤.

(٥٥) **11. B. Zoar** (1879 - 18), p 2, 24.

(٥٦) **15. B. Zoar** (1887 - 89), p 2 f.

(٥٧) **AKF 37** (Sept. / Oct. 1885) p 145.

(٥٨) **13. B. Zoar** (1883 - 85), p 17.

(٥٩) **4. B. Zoar** (1865 - 67), p 15 f.

(٦٠) AKF 37 (Sept. Oct. 1885), p 144.

(٦١) أنظر: **Karl Baedeker,** Palestine and Syria, Leipzig 1912, p 280.

(٦٢) **15. B. Zoar** (1887 - 89), p 8 f.

(٦٣) **3. B. Zoar** (1863 - 65), p 25.

(٦٤) المرجع السابق: ص ٤١.

(٦٥) **13. B. Zoar** (1883 - 85), p 26.

(٦٦) **14. B. Zoar** (1885 - 87), p 18 f.

(٦٧) المرجع السابق: ص ١٩.

(٦٨) **AKF 40** (Jan. / Feb. 1888), p 13.

(٦٩) أنظر: «50 jähriges Jubiläum der deutschen Schule in Beirut (Syrien)», in: **DDB 12**(1912),No.12, p 2.

(٧٠) **AKF 45** (Sept. / Dec. 1893) p 151.

(٧١) **11. B. Zoar** (1879 - 81), p 11.

(٧٢) **18. B. Zoar** (1893 - 95), p 14 f.

(٧٣) أنظر التقرير حول زوآر حتى عام ١٨٧٩ في تقرير رقم ١٤ ص ١٥.

(٧٤) **PAAA,** Acta der Kaiserlich Deutschen Botschaft zu Constantinopel., Abt. II: Die protestantische Gemeinde in Beirut, K. Vol. II: **Disselhoff an Reitz,** No. 714, June 8, 1887; **Disselhoff an Bismarck,** No. 714, June 8, 1887;

وقارن أيضاً: **14. B. Zoar** (1885 - 87), p 15

(٧٥) المرجع السابق: **Schröder an Radowitz, No. 425, April 7, 1891.**

(٧٦) في عام ١٨٩٩ نصحت «اللجنة الاستعمارية الاقتصادية» الألمانية في تقرير لها الحكومة الألمانية «بأن تنشط اقتصادياً وثقافياً في المستعمرات وفي مناطق مصالحها فيها وراء البحار» مشيرة بشكل خاص إلى الشرق. انظر: **PAAA,** Türkei 189, **Plan Deutscher Ansiedlungen in Kleinasien,** vol. I: 120001, Nov, 4, 1899 - وفي تقرير للسفير الألماني في الأستانة يظهر بوضوح ربط المصالح الاقتصادية بالمصالح الثقافية، حيث اقترح رادوفيتز إنشاء مستشفيات ومدارس على طول خطوط السكة الحديدية التي يبنيها الألمان في الأناضول «لكي تكون دعماً للمصالح الألمانية»، انظر: **PAAA,** Türkei 182, **Schulen in der Türkei** vol, II: **Radowitz an das Auswärtige Amt in Berlin,** A, 22758 (Nov, 14. 1913), A 4721 (Nov, 4, 1912);

وقارن أيضاً: **Die Welt des Islams 2** (1914), No. 1, p 14.

(٧٧) أنظر: **PAAA,** Acta der Kaiserlich Deutschen Botschaft zu Constantinopel Abt. II: Die Protestan-tische Gemeinde in Beirut, K vol, III: **Rodowitz an Schröder,** No. 287, March 13, 1891; **PAAA,** General - Acten des Noddeutschen Bundes - Konsulats zu Bairut, op. cit. vol. II: **Deutsche Botschaft in Beirut,** No. 327, June 18, 1878; **Brüning an Graf Hatzfeldt,** July, 3, 1878, Bl 146; **Hatzfeldt an Brüning.** No. 600, Dec, 2. 1878.

(٧٨) **PAAA,** Acten des Deutschen Reichskonsulats zu Beirut, betr. Deutsche Schulen zu Beirut, 196 (s), K III: **Kölnische Zeitung,** March 5. 1892 **Das Auswärtige Amt an Schröder,** No. 11 (Feb, 13, 1889(, A 796, No. 34, (June 26, 1890), A 9870, No. 31 (July 25, 1892), No. 29 (July 31, 1983), No. 30, (July 23, 1894), No. 39 (July 24. 1895), No. 68 (Nov. 10. 1898).

(٧٩) **PAAA,** Acta der Kaiserlich Deutschen Botschaft zu Constantinopel, Abt. II: Die protestantische Gemeinde in Beirut, K Vol. II: **Radowitz an Reitz,** No. 671, July, 1, 1887.

(٨٠) المرجع السابق: K Vol, III: **Radowitz an Schröder,** No. 821, July 4, 1890.

(٨١) المرجع السابق: K Vol. III: **Disselhoff an Schröder,** No. 1184, , Oct, 10, 1890.

(٨٢) انظر: **AKF 55** (July / Aug. 1903), p 115

(٨٣) المرجع في حاشية ٧٩: K vol. II: **Radowitz an Schröder,** No. 982, Aug, 17, 1891. **Schröder an die Vorsteherin der Kaiserswerther Anstalt in Beirut, Schwester Luise,** No. 876, Aug.

.31, 1891. إضافة إلى ذلك حصل ميتم زوآر ابتداء من عام ١٨٩٢ على مساعدة حكومية قدرها ١٠٠٠ مارك
في السنة، أنظر: **PAAA,** General - Acten des Norddeutschen Bundes - Konsulats zu Bairut, betr.
Kirchen - und Schul - Sachen..., op. cit. vol II, pro 1892, Bl. 485;

وقارن أيضاً: **16. B. Zoar** (1889 - 91), p 16

(٨٤) **5. B. Zoar** (1867 - 69), p 24.

(٨٥) **Tibawi,** American Interests in Syria, op. cit. p 156, 164.

(٨٦) **5. B. Zoar** (1867 - 69), p 23 f.

(٨٧) راجع: **Isabel Burton,** The Inner Life of Syria, Palestine and the Holy Land. From my Private
Journal , vol, I, London 1875, P 269 f. حيث تشير إلى مصدر آخر وهو **H. Rath** , Durch Italien und
Griechenland nach dem Heiligen Lande, 2 vols, Heildelberg 1882; **AKF 35**(Nov./Dec. 1883),
p 149ff.

(٨٨) **5. B. Zoar** (1867 - 69), p 26.

(٨٩) **15. B. Zoar** (1887 - 89), p 16.

(٩٠) المرجع السابق: ص ١٦.

(٩١) **22.. Bericht über die Diakonissen- Station im Morgenlande** (1894 - 96), p 16.

(٩٢) تتحدث مجلة **NNM** عدد ٢٣ (١٨٧٩) ورقم ٥، ص ١٢٣ و٤٢ (١٨٩٨) رقم ٥، ص ١٥١، عن مدرستين
لراهبات الناصرة.

أما **مكاريوس** فيذكر مدرسة واحدة ولكنه يتفق مع NNM في ما يتعلق بعدد تلميذات المدرسة.

(٩٣) **23. B. Zoar** (1896 - 99), p 61.

(٩٤) أنظر المرجع في حاشية ٧٧.

vol. II: **Direktor der Kaiserswerther an Weber,** Ohne No. Oct, 12, 1868 -

والجدير بالذكر هنا هو دعم والي بيروت للمشروع بألف فرنك.

(٩٥) المرجع السابق: **Disselhoff an Brûning,** No. 161, July 5, 880. **Brûning an Disselhoff**
No. 161, July 5, 1880 **Brûning an Disselhoff,** No. 163, Aug. 31, 1880; **Disselhoff an Brûning**
وأيضاً: No. 168 (Sept. 26, 1880) No. 329, (April 8, 1882);

(٩٦) **AKF 55** July / Aug. 1903), p 116.

(٩٧) **AKF 45** (Sept, Dec. 1893), p 154.

(٩٨) راجع: **2. B. Zoar** (1862 / 63), p 39

(٩٩) المرجع السابق.

(١٠٠) المرجع السابق.

(١٠١) راجع: **1. B. Zoar** (1862), p 19 f.

(١٠٢) **4. B. Zoar** (1865 - 67), p 21.

(١٠٣) **AKF 12** (Nov. / Dec. 1860), p 184; **Fliedner,** Das Mâdchenhaus Zoar in Beirut, op. cit.

(١٠٤) أنظر على سبيل المثال: **12. Jb. des JV (1864), p 22, f., 17 Jb. des JV** (1869), P 22 f.

(١٠٥) **7. B. Zoar** (1871 - 73), p 35.

(١٠٦) **14. Bo Zoar** (1885 - 87), p 26 f. 34 f.

(١٠٧) **15. B. Zoar** (1887 - 89), p 32 f.

(١٠٨) **18. B. Zoar** (1893 - 95), p 11.

(١٠٩) انظر: **19. Rechnungsbericht über die** Kaiserswerther - **Anstalten in Beirut, July,** 1, 1895 -
June 30, 1897, Kaiserswerth 1897, p 9.

(١١٠) بلغ القسط السنوي في الفرع الداخلي لمدرسة البنات ـ ٧٥٠ فرنكاً. وفي عام ١٨٩٩ حصل نائب قنصل
النمسا في صفد على تخفيض لقسط ابنتيه في المدرسة الداخلية وسدَّد عنهما ٨٠٠ فرنك فقط. ،
راجع المصدر في القسم الأول من حاشية رقم ٨٢.

K vol, II: **Joseph Niklasieroiz,** Österreichischer Vizekonsul in Safed, **an Schrôder,** No. 566,
April 30, 1889, vol, III **Disselhoff an Schrôder,** No 777, May 28, 1869.

(١١١). هذه المراكز هي **الاستانة منذ عام ١٨٤٦، القدس منذ عام ١٨٥٢، سمرنه منذ عام ١٨٥٣، الاسكندرية
منذ عام ١٨٥٧ و «لبنان» منذ عام ١٨٦٠.**

(١١٢) راجع حاشية رقم ٨٣ وص ١٧٢ و١٧٣ من الكتاب. على عكس الحكومة الألمانية كانت الحكومتان الروسية
والفرنسية تقدمان مساعدات سخية لإرسالياتها التبشيرية، قارن: **Konrad Lûbeck** Die Katholische
Orientmission in ihrer Entwicklung dargestellt, Kôln 1917; **Hopwood** op.cit.,

(١١٣) حول **رهبنة فرسان يوحنا** راجع ص ١٤٠ وما يلي من الكتاب.

(١١٤) **Wilhelm Obernitz,** Die Balley Brandenburg des ritterlichen Ordens St. Johannis vom Spital zu
Jerusalem, Wesen und Wirken einst und heute, Dûsseldorf 1932, p 104.

(١١٥) **WBJO 1 (1860), No. 7, p 23.**

(١١٦) **Obernitz,** op. cit. p 104.

(١١٧) نقلاً عن: **WBJO 2** (1861), No. 23, p 98

(١١٨) **WBJO 2** (1861), No. 12, p 49.

(١١٩) **WBJO 2** (1861), No. 23, p 98.

(١٢٠) **5. BDSM** (1860 - 62) p 101f.

(١٢١) **WBJO 2** (1861), No. 18, p 77.

(١٢٢) **DDB 12** (1912), No. 1, p 19.

(١٢٣) **NNM 11** (1867), No. 43. p 139.

(١٢٤) اشتهر المستشفى بهذا الإسم رغم أنه كان ملكاً لرهبنة فرسان يوحنا. قارن: **WBJO 18** (1877),, No 4, p
22; **S.B.L. Penrose,** That They May Have Life: The Story of the American University of Beirut
1866 - 1941, N.Y. 1941 p 34.

(١٢٥) أنظر: **NNM 11** (1867), No. 43. p 139.

(١٢٦) **WBJO 10** (1869), No. 25, p 150.

(١٢٧) راجع المصدر في القسم الأول من حاشية رقم ٨٣. K vol. II: **Radowitz an Tettenborn,** No. 199,
Feb. 15, 1886.

(١٢٨) **WBJO 15** (1874), No. 49, p 254 f.; **مكاريوس**، المرجع السابق، ص ٣٨٥. كان يوجد في بيروت عام ١٨٨٦ ستة مستشفيات، ثلاثة منها تتبع الارسالية الكاثوليكية، انظر: **HL 32** (1888), No. 5, p 166

(١٢٩) أنظر المصدر في القسم الأول من حاشية رقم ٨٣. **Radowitz an Tettenborn**, No. 199, Feb. 15, 1886; وقارن أيضاً، **فيليب حتي**، لبنان في التاريخ، بيروت ١٩٥٩، ص ٥٤٦.

(١٣٠) **NNM 11** (1867), No. 43, p 140; **Karl Herrlich,** Die Balley Brandenburg des Johanniter - Ordens von ihrem Entstehen Bis zur Gegenwart und in ihren jetzigen Einrichtungen dargestellt, 4. ed. Berlin 1904, p 178.

(١٣١) **WBJO 13** (1872), No. 7, p 38.

(١٣٢) **Baedeker,** op. cit., p 280; **WBJO 10** (1869), No. 25. p 151; وراجع أيضاً الحاشية رقم ١٣٣.

(١٣٣) راجع المصدر في القسم الثاني من حاشية رقم ٨٣. vo., II: **Pfarrer Ebel an Weber,** Nov. 30, 1868.

(١٣٤) **13. B. Zoar** (1883 - 85), p 27 f.

(١٣٥) راجع المصدر في القسم الثاني من حاشية رقم ٨٣. **Weber an Muhammed Munir,** No. 17, March 31, 1868.

(١٣٦) **5. B. Zoar** (1867 - 69), p 27.

(١٣٧) **WBJO 19** (1878), No. 5 p 25.

(١٣٨) راجع المصدر في حاشية رقم ١٢٩. **Das Preussische Krankenhaus in Beirut an Schrôder,** No. 25 Feb. 13, 1885.

(١٣٩) **WBJO 31** (1890), No. 6, p 32; 32 (1891), No. 7, p 38; 36 (1895), No. 6, p 32; 42 (1901), No. 6, p'32.

(١٤٠) **5. B. Zoar** (1867 - 69), p 27.

(١٤١) **WBJO 18** (1877), No. 28, p 163.

(١٤٢) **15. B. Zoar** (1887 - 89), p 20.

(١٤٣) **DDB 12** (1912), No. 1, p 20.

(١٤٤) راجع ما سبق: ص ٩٢ وص ٩٥.

(١٤٥) نقلاً عن: **WBJO 18** (1877), No. 28, P 162

(١٤٦) المرجع السابق.

(١٤٧) أنظر: **Paul Lietzow,** Ein Besuch in der heiligen Stadt, Berlin 1888, p 17, 87; **Tibawi,** American Interests in Syria, op. cit. p 156.

(١٤٨) **AKF 22** (May / June 1870), p 87.

(١٤٩) **NNM 29** (1885), No. 2. p 42 ff.

(١٥٠) **WBJO 20** (1879), No. 9, p 50.

(١٥١) **WBJO 30** (1889), No. 31, p 220.

(١٥٢) المرجع السابق.

(١٥٣) **WBJO 42** (1901), No. 6, p 32.

(١٥٤) **Penrose,** op. cit. p 34 f., 180 f.

(١٥٥) **WBJO 14** (1873), No.. 10, p 56.

(١٥٦) راجع: **Frederick Jones Bliss,** The Reminiscences of Daniel Bliss N.Y. - Chicago 1920, f 187, 234; **Penrose,** op. cit., p 34 f.; **WBJO** 14 (1873), No. 10, p 56, **Tibawi.** American Interests in Syria, op. cit., p 180 f.

(١٥٧) **Penrose,** p 42.

(١٥٨) **Obernitz,** op. cit., p 104.

(١٥٩) **WBJO 14** (1873), No. 10, p 57.

(١٦٠) **Lûbeck,** op. cit., p 99, 102.

(١٦١) راجع هنا وفيما يلي: **Penrose,** p 102, 109 f.

(١٦٢) المرجع السابق، ص ١٦٥.

(١٦٣) **WBJO 32** (1891), No. 49, p 292; **17. B. Zoar** (1891 - 93), p 18 f.

(١٦٤) **11. B. Zoar** (1879 - 81), p 16; **15. Bericht über die Diakonissen - Stationen im Morgenlande** (1880 - 82), p 40.

(١٦٥) **18. B. Zoar** (1893 - 95), p 18.

(١٦٦) **WBJO 32** (1891), No. 49, p 292.

(١٦٧) **DDB 12** (1912), No. 1, p 20.

(١٦٨) **Ulrich,** op. cit. p 32.

(١٦٩) المرجع السابق، وأيضاً: **Gustav - Adolf Kriener,** Geschichte des evangelischen Gemeinde zu Beirut, Beirut 1958, p 11.

(١٧٠) **Ulrich,** p 22.

(١٧١) المرجع السابق: ص ٢٣.

(١٧٢) **NNM 13** (1869), No. 51, p 131; **Ulrich,** op. cit., p 43 ff.

(١٧٣) **Kriener,** op. cit., p 26.

(١٧٤) **Ulrich,** p 55.

(١٧٥) أنظر ما سبق: ص ١٧٠.

(١٧٦) **Ulrich,** p 55.

(١٧٧) راجع: **PAAA,** Acten des deutschen Reichs - Konsulats zu Beirut, betr, Deutsche Schulen zu Beirut, 196 (s), K vol. III: **Schrôder an Bismarck,** No. 99, Feb. 8. 1883.

(١٧٨) المرجع السابق: وأيضاً: **Schwarz an Schrôder**, Jan, 1, 1883, Bl. 28 and 30. (برنامج المدرسة الألمانية في بيروت)، أنظر ما سبق: ص ١٧٢ من الكتاب.

(١٧٩) راجع المصدر في حاشية رقم ١٧٧. **Brûning an Bismarck,** No. 25, July 2, 1881.

(١٨٠) المرجع السابق: **Schwarz an Schrôder,** Jan, 1, 1883, Bl. 28, 30. (برنامج المدرسة الألمانية في بيروت).

(١٨١) راجع المصدر في القسم الأول من حاشية رقم ٨٣، **27. Jb. des evangelischen Gemeinde in Beirut 1882/83**, No. 105.

(١٨٢) المصدر في حاشية رقم ١٧٧. **Schwarz an Schrôder,** No. 1120, Sept. 4 1885.

(١٨٣) المرجع السابق: **Schrôder an Bismarck,** No. 99, Feb, 8, 1883.

(١٨٤) المرجع السابق، الرسالة نفسها.

(١٨٥) راجع المصدر في حاشية رقم ١٧٧، **Schwarz an Schrôder,** No. 1120, Sept. 4, 1885.

(١٨٦) المرجع السابق: **Bismarck an Schrôder,** No. 17, May 8, 1883; **Schwarz an Schrôder,** No. 107, Feb, 16. 1884.

(١٨٧) المرجع السابق: **Schwarz an Schrôder,** Feb, 15, 1884. (تقرير عن الفصل الأول ١٨٨٣ / ٨٤ للمدرسة الألمانية).

(١٨٨) المرجع السابق: **Schwarz an Schrôder,** No. 773, Sept, 16, 1884. (خطة التعليم للمدرسة الألمانية عن العام الدراسي ١٨٨٤ / ٨٥)؛ **Schwarz an Schrôder,** No. 1120, Sepr 4, 1885.

(١٨٩) المرجع السابق: **Bismarck,** im Auftrag,, **an Tettenborn,** No. 9, Jan, 21, 1886.

(١٩٠) المرجع السابق: **Tettenborn an Bismarck,** بدون رقم وبدون تاريخ، ص ص ١٠٥ ـ ١٠٩

(١٩١) المرجع السابق: **Das Auswârtige Amt im Auftrage von Bismarck an Tetlenborn,** No. 9, Jan, 21, 1886.

(١٩٢) راجع ما سبق ص ١٧٣ من الكتاب.

(١٩٣) المرجع السابق: **Schwarz an Reitz,** No. 315, March 11, 1887.

(١٩٤) المرجع السابق: **Schwarz an Reitz,** No. 315, March 11, 1887; **Schwarz an den deutschen Konsul in Beirut,** No, 1188, Dec, 31, 1886.

(١٩٥) المرجع السابق: **Schwarz an Schrôder,** Feb, 15, 1884. (تقرير عن المدرسة الألمانية في الفصل الأول ١٨٨٣ / ٨٤).

(١٩٦) المرجع السابق: **Das Auswârtige Amt an Reitz,** No. 28, June 15, 1887.

(١٩٧) المرجع السابق: **Schwarz an Reitz** No. 315, March 11, 1887; **Pfarrer Fritze an Reitz,** No. 805, July 9, 1887.

(١٩٨) المرجع السابق: **Pfarrer Fritze an Reitz,** No. 805, July 9 1887.

(١٩٩) المرجع السابق: **Pfarrer Fritze an Reitz,** No. 1463, Dec, 29, 1887.

(٢٠٠) المرجع السابق: **Bismarck, im Auftrage, an Reitz,** No, 4, Jan, 18, 1888.

(٢٠١) **Ulrich,** op. cit., p 55 f.

حواشي الفصل الثامن

(١) حول النشاطات الكاثوليكية عامة راجع: **Konrad Lûbeck,** Die Katholische Orientmission in inrer Entwicklung dargestellt, Kôln 1917, p 45, ff, 86 ff.

(٢) **J. Hajjar,** L'Europe et les destinées du Proche - Orient (1815 - 1848), Paris, 1970, p 504 ff.

(٣) حول مناهضة المانيا للحماية الفرنسية على الكاثوليك في الشرق راجع ص ٢٨٢ وما يلي من الكتاب.

(٤) **RGG,** vol, IV, Tûbingen 1960, p 109 ff.

(٥) **KM 31** (1902/03), No. 4, p 95).
وانظر ص ٢٠٨ وما يلي من الكتاب.

(٦) لمعلومات إضافية حول نشاطات راهبات بوروميه، انظر: HL 56 (1912), No. 2, pp 104 - 109.

(٧) **KM** . 32 (1903/04),No.4, p 80. استقرت راهبات بوروميه بادىء الأمر في القدس وبعدها (١٨٨٨) في حيفا، الجليل (١٩٠٦)، بيروت (١٩٠٨) وأخيراً في حلب عام ١٩١٣.

(٨) راجع ص ٢٠٤ من الكتاب.

(٩) **Ernst Schmitz,** Das Katholische Deutschtum in Palâstina, Freiburg 1913, p 8.

(١٠) **Lûbeck,** p 54.

(١١) **KM** 32 (1903/04), No. 2, p 30 f.

(١٢) انظر ص ٤٨ و١٤١ من الكتاب.

(١٣) **Schmitz,** op, cit. p 8.

(١٤) **KM** 32 (1903/04), No. 2, p 34; **Pflanz,** «Die Arbeit der Katholiken Deutschlands fûr das heilige Land», in: **NNM** 48 (1904), No. 5, P 162 f.

(١٥) **Etienne Lamy,** La France du Levant, Paris 1900, p 23.

(١٦) **KM** 32 (1903/04), No. 2, p 32.

(١٧) **PB** 1 (1886), No. 1, p 1 ff.

(١٨) **HL** 29 (1885), No. 4, p 123.

(١٩) **Christoph Weber** (Hrsg.) Das Deutschtum im Ausland, Berlin 1925, p 27.

(٢٠) **Paul Krage,** Die Christlichen Missionsschulen in Palâstina, Breslau 1915, p 17.

(٢١) نقلاً عن: **KM** 32 (1903/04), No. 2, p 30

(٢٢) نقلاً عن: **F. Schwager,** Die Katholische Heidenmission der Gegenwart im Zusammenhang mit ihrer grossen Vergangenheit, vol. III: Orientmission, Steyl 1908, P 269.

(٢٣) **KM** 32 (1903/), No. 2. 2, p 34.

(٢٤) **HL** 5 (1861), No. 1, p 2.

(٢٥) **Schwager,** op. cit. p 270.

(٢٦) **Krage,** p 12.

(٢٧) المرجع السابق: ص ١٣.

(٢٨) **Lûbeck,** op. cit., p 57 **Krage,** p 18; يخطىء **عارف العارف، تاريخ المسيحية في القدس**، القدس ١٩٥١، ص ١٧٩، عندما يدرج هذه المدرسة ضمن المدارس البروتستانتية في القدس.

(٢٩) **3. Jb. des Krankenhauses zur heiligen Familie in Nazareth,** Nazareth Feb. 24, 1885.

(٣٠) **HL** 27 (1883), No. 3, p 103 ff.

(٣١) **Schmitz** op. cit., p 12.

(٣٢) نقلاً عن: **KM** 32 (1903 / 04), No. 4, p 78.

(٣٣) نقلاً عن: **Schmitz,** p 13

(٣٤) **HL** 30 (1886), No. 4, p 40.

(٣٥) **HL** 28 (1884), No. 5, p 197.

(٣٦) **Krage,** Op. cit. p 18.

(٣٧) **PB,** (1886), No. 2, p 9: **PB** 4 (1889), No. 14, p 114; Schmitz, p 114.

(٣٨) أنظر النظام الداخلي للجمعية في: **PAAA,** Tûrkei 175a, A 5613, March 23, 1891.

(٣٩) نقلاً عن: **KM** 1 (1903 / 04), No. 4, p 78

(٤٠) **PB** 1 (1886), No. 1, p 1 ff.

(٤١) **KM** 32 (1903 / 04), No. 4, p 80.

(٤٢) نقلاً عن **زين زين، الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان**، بيروت ١٩٧١، ص ١٩٩ والصفحة التالية (حاشية).

(٤٣) **PB** 1 (1886), No. 2, p 10; 3 (1888), No. 11, p 91; 4 (1889), No. 14, p 114.

(٤٤) نقلاً عن: **KM** 32 (1903/04), No. 4, p 82

(٤٥) انظر ص ٢٨٢ وما يلي من الكتاب.

(٤٦) نقلاً عن: **HL** 39(1895), No. 1/2, p 2

(٤٧) البند الثالث من النظام الداخلي للجمعية؛ انظر المرجع السابق.

(٤٨) **HL** 39 (1895), No. 1/2, p5

(٤٩) المرجع السابق: ص ٢.

(٥٠) نقلاً عن: **KM** 32 (1903/04), No. 9, p 196

(٥١) المرجع السابق: وانظر ايضاً: **Lûbeck,** p 54

(٥٢) 32 (1903/ 04), No. 4 p 80 **KM**

وقارن: ص ٢١٠ وما يلي من الكتاب. **KM** 32 (1903/04), No. 4, p 80

(٥٣) أنظر: ص ١٩٦ وما يلي من الكتاب.

(٥٤) **HL** 59 (1915), No. 3, p 143, 146.

(٥٥) **HL** 31 (1887), No. 6, p 203.

(٥٦) **HL** 46 (1902), No. 1, p 13 f.

(٥٧) المرجع السابق: ص ١٤؛ **KM** 32 (1903 / 04), No. 10, p 217 f.

(٥٨) **PAAA,** Tûrkei 175a, vol. 19: **Rosen an Schillingsfûrst,** No. 98, A 11867, Sept 25, 1899.

(٥٩) المرجع السابق: جـ ٢٢٠: **Marschall an das Auswârtige Amt,** 1, A 12, Jan, 1, 1902; **KM** 32 (1903 / 04), No. 10, p 218.

(٦٠) **PAAA,** Tûrkei 175 a, vol, 23: **Marschall an das Auswârtige Amt**, No. 70 A 3108, Feb. 24, 1902.

(٦١) أنظر: توقعات كلفة المشروع في: **HL** 45 (1901), No. 2, p 84.

(٦٢) **PB** 8 **(1893),** No. 31, p 258 ff.

(٦٣) **PB** 9)1894), No. 34, p 279.

(٦٤) **PB** 10 (1895), No. 36. p 295 f.

(٦٥) **PB** 9 (1894), No. 34, p 279.

(٦٦) **Karl Imberger,** Die Deutschen landwirtschaftlichen Kolonien in Palâstina, Tûbingen 1938, p 111.

(٦٧) **PB** 7 (1892), No. 26, p 209 f.

(٦٨) **العارف، تاريخ المسيحية**، ص ١٨٦.

(٦٩) **HL** 46 (1902), No. 1, p 12.

(٧٠) **Krage,** op. cit., p 19.

(٧١) **Schwager,** op. cit. p 277; **HL** 46 (1902), No. 4, p 185.

(٧٢) **HL** 46 (1902), No. 3, p 141.

(٧٣) المرجع السابق.

(٧٤) نقلاً عن: **HL** 44 (1900), No. 2, p 92.

(٧٥) **Krage,** p 19.

(٧٦) **Lûbeck,** op. cit. p 67.

(٧٧) **Krage,** p 12.

(٧٨) **HL** 41 (1897), No. 1, P 20 f. Lûbeck, p 67.

(٧٩) **Lûbeck,** , p 71; **Schwager,** p 276 f.

(٨٠) نقلاً عن: **KM** 32 (1903 / 04), No. 9, p 218

(٨١) أنظر: **HL** 44 (1900), No. 4, p 170

(٨٢) راجع: Palâstina **jahrbuch des Deutschen Evangelischen Instituts fûr Altertumswissen -**

schaft des Heiligen Landes zu Jerusalem, Berlin, vol. IX 1915, p 140 f. Imberger, op. cit., p 111; Schwager, p 276; Lûbeck, p 67 f; RGG, vol. IV, 2. ed. Tûbingen 1930, p 762.

(٨٣) PAAA, Tûrkei 175 a, vol. 13: A 10454, Sept, 10, 1898; Schwager, , p 277; Alex Garmel, Die Siedlengen der wûrttembergischen Templer in Palâstina 1868 - 1918. Ihre lokalpolitischen und internationalen Probleme, Stuttgart 1973, p 31; Imberger p.109 ff; HL 46 (1902), No. 3, p 139 f.

(٨٤) KM 32 (1903 / 04), No. 10, p 219. KM

(٨٥) إن أولى اجتماعات الجمعية العمومية حدثت في مدينة ماينز Mainz عام ١٨٤٨ . ، انظر: RGG, vol. III. Tûbingen 1929, p 667 ff.

(٨٦) من محضر الاجتماع ٣٢ للجمعية العمومية للكاثوليك الألمان في مونستر عام ١٨٨٥ (ص ١٦١، ٣٩٦)، نقلاً عن Robert Streit, Die Katholische Deutsche Missionsliteratur, Aachen, 1925, p 48 f.

(٨٧) من محضر مناقشات الجمعية العمومية الـ ٤١ في كولونيا عام ١٨٩٤ (ص ٢٥٢)، نقلاً عن: Zteit, p 49

(٨٨) من محضر مناقشات الجمعية العمومية الـ ٤٣ في دورتموند Dortmund عام ١٨٩٦ (ص ٣٥٢)، نقلاً عن: Streit, p 50.

(٨٩) من محضر مناقشات الجمعية العمومية للجمعية الألمانية للأرض المقدسة في فرانكفورت بتاريخ ٥ آذار ١٨٩٩، نقلاً عن: HL 43 (1899), No. 2, p 80 f

(٩٠) PAAA, Tûrkei 175a: Mûller, Mitglied des Deutschen Vereins vom heiligen Lande, an Schillings - fûrst, No. 79, A 4047, March 27, 1897

(٩١) Die Generalversammlung des Deutschen Vereins vom Heiligen Lande in Frankfurt a. M. am March, 5,1899, in: HL 43 (1899), No. 2, p 80f.

(٩٢) نقلاً عن: KM 32 (1903 / 04), No. 10, p 219,

(٩٣) PB 1 (1886), No. 4, Beilage, p 36

(٩٤) نقلاً عن: PB 4 (1889), No. 14, p 113.

(٩٥) المرجع السابق:

(٩٦) HL 46 (1902), No. 1, p 14.

(٩٧) HL 42 (1898), No. 2, p 152.

(٩٨) HL 46 (1902), No. 1, p 15.

(٩٩) Lûbeck, op. cit. p 67.

(١٠٠) Der Deutsche Verein vom Heiligen Lande und seine Besitzungen (Tabgha) am See Genezareth mit ihren biblischen Erzâhlungen, Bachem 1916, p 7 f.

(١٠١) PB 2 (1887), No. 7, p 59.

(١٠٢) HL 45 (1901), No. 2, p 120.

(١٠٣) PB 2 (1887), No. 7. p 62.

(١٠٤) HL 41 (1897), No. 1, p 15.

(١٠٥) PB 4 (1889), No. 14, p 113 f.

(١٠٦) PB 6 (1891), No. 22, p 178.

(١٠٧) تم احتساب هذا المبلغ استناداً إلى المصادر التالية:

PB 2 (1887), No. 7, p 62; 6 (1891), No. 25, p 199; 10 (1895), No. 36, p 296; HL 40 (1896), No. 3, p 136; 41 (1897), No. 2 p 104; 42 (1898), No. 2, p 67 f.; 43 (1891), No. 2, p 71; 45 (1901), No. 1, p 13; 46 (1902), No. 1, p 17 f.

(١٠٨) PB 9 (1894), No. 34, p 280.

(١٠٩) المرجع السابق: ص ٢٨١ .

(١١٠) Der Deutsche Verein vom Heiligen Lande, op.cit. p 8.

(١١١) المرجع السابق: ص ٨ والصفحة التالية، وانظر أيضاً: PB 9 (1894), No. 34, p 281.

(١١٢) HL 45 (1901), No. 1, p 11.

(١١٣) HL 41 (1897), No. 1, p 45.

(١١٤) PAAA, Tûrkei 175 a, vol. 11: Jansen an das Auswârtige Amt, A 9267, July 20, 1897; Das Auswârtige Amt an Jansen, A 9267, Aug. 18, 1897.

(١١٥) Lazar Felix Pinkus, Palâstina und Syrien, Untersuchungen zur wirtschaftspolitik, Genf 1903, p 48.

(١١٦) PB 10 (1895), No. 36, p 296.

(١١٧) PB 6 (1891) No. 21, p 170, f.

(١١٨) Eugen Wirth, Syrien, Eine geographische Landeskunde, Darmstadt 1971, p 347 ff.

(١١٩) Schmitz, op. cit. p 24 ff.

(١٢٠) نقل العثمانيون تطبيق ضريبة العُشر عن العرب. ومنذ عام ١٨٧٨ كانت ضريبة العُشر تبلغ ١٢٪ من قيمة المحصول. انظر: **عبد العزيز عوض، الإدارة العثمانية في ولاية سوريا ١٨٦٤ - ١٩١٤**، القاهرة ١٩٦٩، ص ١٦٦ والصفحات التالية.

(١٢١) Schmitz, p 16.

(١٢٢) المرجع السابق: ص ٢٥ .

(١٢٣) Der Deutsche Verein vom heiligen Lande, op. cit. p 10.

(١٢٤) راجع ص ٢٨٨ و٢٨٩ من الكتاب.

(١٢٥) تعتبر «الكوناكولم» (قاعة العشاء الأخير) أولى الكنائس المسيحية في فلسطين، فهي تقع على جبل صهيون وتعتبر من مقدسات المسيحيين. قارن: Joseph Nirschl, Das Haus und Grab der heiligen Jungfrau Maria, Mainz 1900.

(١٢٦) PAAA, , Tûrdei, 175 g: vol. 1,: Marschall an Fûrst von Hohenlohe, No. 128, May 28, 1898.

(١٢٧) المرجع السابق: Bûlow an Kardinal Kopp, Top Confidential, No. 2989, April, 9 1898; Jansen an Bûlow, A 4779, April 18, 1898.

(١٢٨) المرجع السابق: Marschall an Fûrst von Hohenlohe,. No. 128, May 28, 1898.

(١٢٩) المرجع السابق:

(١٣٠) أنظر ص ٢٨٦ وص ٢٨٨ من الكتاب.

(١٣١) **PAAA,** Tûrkei 175 a, vol. 12: **Der Deutsche Verein vom Heiligen Lande an Marschall,** A 609, Feb, 26, 1898.

(١٣٢) **PAAA,** Tûrkei 175 f. vol. 1: **Bûlow an Marschall,** No. 13 A 2878, Oct. 15, 1898.

(١٣٣) المرجع السابق: **Marschall an das Auswârtige Amt,** No. 417, A 2799, Oct. 8, 1898.

(١٣٤) Das Deutsche Kaiserpaar im Heiligen Lande im Hebst 1898, nach authentischen Berichten und Akten, Berlin 1899, p 257 ff.

(١٣٥) انظر: حاشية ٩ من الفصل السادس.

(١٣٦) **PAAA,** Tûrdei 175 g, vol, 3: **Marschall an Schillingsfûrst,** No. 241, Dec, 11, 1898 وتحتوي الرسالة أيضاً على تقرير من تيشندورف مؤرخ ٣٠ تشرين الثاني، انظر أيضاً:
vol. 1: **Marschall an das Auswârtige Amt,** No. 802, A 2723, Oct. 2, 1898;
Marschall an Bûlow, No. 437, Oct. 13, 1898; and vol. 3: **Marschall an Bûlow,** No. 199, A 13530, Nov. 22, 1898. شيخ الإسلام هو أعلى سلطة روحية في السلطنة العثمانية.

(١٣٧) **PAAA,** Tûrkei175g, vol. 3: **Tischendorf an Schillingsfûrst,** No. 103, Nov. 26, 1898.

(١٣٨) Das Deutsche Kaiserpaar..., op. cit. p 261.

(١٣٩) **PAAA,** Tûrkei 175 g, vol. 3: **Marschall an Bûlow,** No. 241, Dec. 11, 1891; vol.1: **Bûlow an Prinz Arenberg,** No. 62, A 12470, Oct. 30, 1898.
وقارن أيضاً، **ابراهيم الأسود، الرحلة الأمبراطورية في الممالك العثمانية**، بعبدا ١٨٩٨، ص ١٢٩، والصفحة التالية.

(١٤٠) **PAAA,** Tûrkei 175 g, vol. 1: **Tischendorf an Bûlow ,** No. 11, A 3079, Oct. 29; 1898, vol. 2: **Frankfurter Allgemeine Zeitung,** A 13387, Nov. 5, 1898; **Norddeutsche Allgemeine Zeitung,** Nov. 8, 1898. وقارن ص ٢٦٢ من الكتاب.

(١٤١) **PAAA,** Tûrkei 175 g vol. 1: No. 72, Nov. 1, 1898; vol. 2: **Norddeutsche Allgemeine Zeitung,** Nov. 8, 1898; vol 3: **Tischendorf an Schillingsfûrst** , No. 94, Nov. 10, 1898.

(١٤٢) نقلاً عن Das Deutsche Kaiserpaar, op. cit. p 260.

(١٤٣) **PAAA,** Tûrkei 175 f, vol. 2: **Das Auswârtige Amt an Tischendorf,** No. 178, A 13387, Nov. 18, 1898.

(١٤٤) **KM** 32 (1903 / 04), No. 9, p 199.

(١٤٥) **HL** 29 (1885), No. 4, p 123.

(١٤٦) **KM 32** 32 (1903 / 04), No. 2. p 33.

(١٤٧) **HL** 40 (1896), No. 3, p 96.

(١٤٨) **HL** 40 (1896), No. 3, p 134 ff; 4 (1897); No. 2, p 102 ff; 42 (1898). No. 2, p 94 ff.

(١٤٩) **KM** 32 (1903 / 04), No. 9, p 198.

(١٥٠) **Schmitz,** op.cit. p 19.

(١٥١) **KM** 32 (1903 / 04), No. 9, p 198.

(١٥٢) راجع: ص ٢٠٨ وما يلي من الكتاب.

(١٥٣) **Schmitz,** p 26.

(١٥٤) انظر على سبيل المثال: **HL** 29 (1885), No. 4, p 123. حيث جرى الحديث عن « حملة صليبية مسالمة لفتح الأرض المقدسة » . .

حواشي الفصل التاسع

(١) حول النمو الاقتصادي لدويلات ألمانيا في بداية القرن التاسع عشر وقيام «الاتحاد الجمركي»، راجع: **W. Roscher,** Zur Grundungsgeschichte des Zollvereins, Berlin 1870; **Heinrich Rau,** Vergleichende Statistik des Handels der Deutschen Staaten, Wien, 1863, p 76 ff.; **A. Sartorius von Waltershausen,** Deutsche Wirtschaftsgeschichte, 1815 - 1914, 2. ed. Jena 1923, P 31, ff; **Gehard Bondi,** Deutschlands Aussenhandel, **1815 - 1870, Berlin, (DDR).**

(٢) أنظر: **Sartorius von Waltershausen,** op. cit. 135

(٣) المرجع السابق: ص ١٦٦. ارتفع إنتاج الفحم الحجري في ألمانيا من ٠,٨٨ مليون طن في عام ١٨٤٨ إلى ٣,٨٨ مليون طن في عام ١٨٦٤. أما انتاج الحديد الخام فارتفع من ٠,١٤ مليون طن في عام ١٨٤٨ الى ٠,٥٢ في عام ١٨٦٤.

(٤) المرجع السابق: ص ١٦٨.

(٥) راجع: **Bondi,** op. cit. p 110

Sartorius von Waltershausen, p 190, f. 555 f.

(٦) ولمعلومات إضافية حول التطور المالي والبنكي في ألمانيا راجع: **J. Riesser,** Zur Entstehungsgeschichte der deutschen Grossbanken mit besonderer Rücksicht auf die Konzentrationsbestrebungen, Jena 1906, p 23 and pp 33- 36.

(٧) **Bondi,** p 81 f.

(٨) المرجع السابق: ص ١٢٤.

(٩) المرجع السابق: ١٢٨.

(١٠) انظر ما سبق: ص ١٦ وما يلي من الكتاب.

(١١) **John Vernon Puryear,** International Economics and Diplomacy in the Near East. A Study of British Commercial Policy in the Levant 1843 - 1853, Neudruck, Stanford 1969, p 118 ff.

(١٢) المرجع السابق، ص ١٢٥ والصفحات التالية.

(١٣) أنظر: ص ٢١ من الكتاب.

(١٤) **Jürgen Prüser,** Die Handelsverträge der Hansestädte Lübeck, Bremen und Hamburg mit überseeischen Staaten im 19. Jahrhundert, Bremen 1962, p 58 ff.

(١٥) **C.A.v. Kamptz,** Die Handels - und Schiffahrtsverträge des Zollvereins, Berlin 1845, p 26 ff.

(١٦) HA 1863 / I Beilage zu No. 16, pp 1 - 18, 284 ff. and 327.

(١٧) لتفاصيل وافية حول هذا الموضوع أنظر: **Ernst von der Nahmer,** «Deutsche Kolonisationspläne und = ergolge in der Türkei vor 1870», in: **Schmollers Jahrbuch** 40, 2 (1916) p 413 f.

(١٨) حول هذا الموضوع راجع: **Julius Zwiedinek von Südenhorst,** Syrien und seine Bedeutung Für den Welthandel. Wien 1973, p 12 ff.

(١٩) راجع ص ١٦٠ و١٦١ من الكتاب.

(٢٠) حول المرافىء الفلسطينية وأهميتها التجارية انظر **Alexander Schölch,** European Penetration and the Economic Development of Palestine 1856- 1882, Typerwritten manuscript. Damascus 1978, p 24.

(٢١) تُلحق بعض التقارير المعاصرة مرفأ مرسين بولاية اضنه، وقبرص إلى حد ما بولاية دمشق. راجع ص ١١ و١٢ من الكتاب حيث التقسيم الإداري لسوريا.

(٢٢) يستند الجدول في مصادره إلى: **Charles Issawi,** «British Trade and the Rise of Beirut 1830 - 1860», in: **IJMES 8** (1977), p 92 f. ولمعلومات مفصَّلة حول تطور ميناء بيروت راجع: **Dominique Chevallier,** La Société du Mont Liban à l'Epoque de la Révolution industriell en Europe. Paris. 1971, p 196

(٢٣) انظر جدول رقم ٣، ص ٢٢٢.

(٢٤) حول تجارة سويسرا مع سوريا انظر على سبيل المثال: «Berichte des Königlichen General- Consuls für Aegypten und Syrien über die Handels - und Gewerbsverhältnisse dieser Länder», **1. Bericht** vom July 23, 1850, **in: Ha** 1851 / I, p 410; **Zwiedinek von Südenhorst,** op. cit., p 139.

أنظر أيضاً: جدول رقم ٢، ص ٢٢١.

(٢٥) **PGSA,** Rep, 109, C/E 36: Bestellung von Geschenken für den Grossultan und die beamten der osmanischen pforte 1892 - 1834.

(٢٦) لا يوجد في الواقع تحديد دقيق لمصطلح Kurzwaren «لوازم الخياطة». ففي كثير من الأحيان يشمل ألعاب الأطفال، لبات، شماسي، ساعات، أدوات زينة وخلافه من الكماليات.

(٢٧) انظر: **Julius Hagenmeister,** Der europäische Handel in der Türkei und in Persien, Leipzig 1838, p 75; وقارن أيضاً: **Heinrich Rau,** Vergleichende Statistik des Handels der deutsshen Staaten, Wien: 1863, p 85.

(٢٨) **E. Dellenbusch,** Merkantil - Memorien aus der Türkei, Düsseldorf 1841, p 40.

(٢٩) **John Bowring,** Report on the Commercial Statistics of Syria. Addressed to the Right Hon. Lord Viscount Palmerston, London, 1840, p 112 f. (Appendix b) and p 39.

(٣٠) المرجع السابق: ص ١٩ والصفحة التالية، وأنظر أيضاً: «Syriens Handel», in: **AAZ** March 21, 1841, p 637.

(٣١) المرجع السابق و: **Bowring.** p 13.

(٣٢) **Alfred Zimmermann,** Geschichte der Preussisch - deutschen Handelspolitik, aktenmässig dargestellt, Oldenburg- Leipzig 1892, p 251.

(٣٣) راجع مقالة عيساوي حول التجارة الانكليزية ونمو بيروت ص ٩٦.

(٣٤) يستند الجدول في معلوماته إلى تقرير:

«Syrien. Bericht über die Handels- Verhältnisse von Syrien und die Einfuhr europîscher **Waaren Dahin»,** Oct. 28, 1850, in: **HA** 1851/1, **Statistik II, pp 176- 182** النسبة المئوية أضيفت من قبلنا.

(٣٥) يقدر بول دان صادرات دويلات ألمانيا إلى الدولة العثمانية ما بين ١٨٦٣ - ١٨٧٢ بقيمة ٥٨ مليون مارك وحلت بذلك في المرتبة الثالثة بعد بريطانيا (٣٩٥ مليون مارك) وفرنسا (١٩٥ مليون مارك)، في حين بلغت صادرات النمسا إلى تركيا في نفس الفترة ما قيمته ٣٠ مليون مارك: **Paul Dehn,,** Deutschland and Orient in ihren Wirtschaftlichen Beziehungen, Vol. I, München - Leipzig 1884, p III

(٣٦) HA 1878/llp 543.

(٣٧) يستند الجدول في معلوماته على HA 1878 /II, p 541 and 543; . النسبة المئوية أضيفت من قبلنا .

(٣٨) HA 1878 / II, p 543.

(٣٩) المرجع السابق: ص ٥٤٤ .

(٤٠) **Chevalleir,** op. cit. pp 210 - 242.

(٤١) أنظر: **HA** 1854 / II Statistik III, p 79; 1855 / II, p 161; 1858 / II, Statistik, p 759; 1859 / I, p 75; 1859 / II, Statistik, p 271; 1860; 1860 / I. Statistik I, p 218.

(٤٢) لا يوجد في الواقع تحديد دقيق لمصطلح Quincaillerie فتارة تستعمل من قبل «أرشيف التجارة» على انها «الخردوات» بمعناها الواسع، وتارة أخرى تستعمل للدلالة على «لوازم الخياطة»، راجع حاشية رقم ٢٦ .

(٤٣) أنظر: **HA** 1851 / I, Statistik II, p 178.

(٤٤) راجع على سبيل المثال : «Breichte des Kôniglichen General- Consuls fûr Aegypten and Syrien ûber die Handels- und Gewerbs- verhâtlnisse dieser Lânder», 4. Bericht vom Sept. 2 1850 and 6. Bericht vom, Oct. 16, 1850, **in: HA** 1851/1, Statistik II, p 419, and 422.

(٤٥) **HA** 1878 / II p 543.

(٤٦) **Dominique Chevallier,** La Société du Mont Liban à l'Epoque de la Revolution industrielle en Europe, Paris 1971, p 183.

(٤٧) **Chevalleir,** op. cit.; **HA** 1854 / II, Gesetzgebung, p 151.

(٤٨) **HA** 1856/I, p 53 f.

Lothar Rathnann, Die Nahostexpansion des deutschen Imperialismus vom Ausgang des 19. Jahrhunderts bis zum Ende der ersten Weltkrieges. Ein Studie ûber die Wirtschaftspolitik, un - published Habil. thesis of the Karl- Marx- Universitât, Leipzig 1961, vol, I, p 36.

(٤٩) **KHB** 6 (1901), No. 2 p 18.

وأيضاً: **J. Krauss,** Deutsch - Tûrkische Handelsbeziehungen. Seit dem Berliner Vertrag unter besonderer Berûcksichtigung der Handelswege, Jena, 1901, p 47.

(٥٠) راجع: **HA** 1878 / II, p 544.

(٥١) **J. Krauss,** Hamburgs Rhederei und die Levante im 19, Jahrhundert, Hamburg 1902, p 25, 32; أنظر: für das Jahr 1862 **HA** 1864/II, p 265 . والجدير بالملاحظة هنا أن معظم السفن كانت تخص منطقة مكلنبورغ ، Mecklenburg .

(٥٢) **Krauss,** Hamburgs Rhedereli. op.cit. P 25.

(٥٣) المرجع السابق : ص ٢٥ والصفحات التالية .

(٥٤) **HA** 1864, p 264 ff.

(٥٥) **Zwiedinek von Sûdenhorst,** op. cit. p 104; وقارن أيضاً: **NNM 12** (1868), No. 47, p 284.

(٥٦) يذكر كراوس أن عدداً كبيراً من المنشورات صدرت تدعو لإقامة خط يجري مباشر بين ألمانيا والمشرق، انظر: **Krauss,** Hamburgs Rhederei, op. cit. p 23

(٥٧) كان لدى الدويلات الالمانية ومدن الهنزا في عام ١٨٦٠ ، ٢٦٥٤ سفينة للرحلات البعيدة قيد الخدمة حمولتها مجتمعة ١,٠٢١,٤٩٥ طن (منها ٩٢ سفينة بخارية)، في حين امتلكت النمسا ٩٤١ سفينة (من بينها ٦١

سفينة بخارية) حمولتها الإجمالية ٢٦٤١٣٠ طن، انظر الجدول الإحصائي في **Heinrich Rau,** Vergleichende Statistik des Handels der deutschen Staaten, Wien 1863, p 183.

(٥٨) **L. Ross,** Kleinasien und Deutschland. Reisebriefe und Aufsâtze, Halle 1850, p 197; وقارن أيضاً ؛ «Syriens Handel», in: **AAZ** vom March 21, 1841, p 637 التي تعالج مسألة عودة السفن من الشرق بدون حمولة .

(٥٩) **Alfred Zimmermann,** Geschichte der preussisch- deutschen Handelspolitik, aktenmâssig dargestellt, Oldenburg- Leipzig 1892, p 253.

(٦٠) **Krauss,** Deutsch- tûrkische...,op. cit., p 53.

(٦١) النص الحرفي لطلب هاركورت وزملائه في : **Sammlung sâmmtlicher Drucksachen der Zweiten Kammer aus der dritten Session der II. Legislatur- Periode 1851 bis 1852,** Berlin 1852, vol. II, No. 98 p 1.

(٦٢) راجع : **«Bericht der Kommission fûr Handel und Gewerbe ûber einen Antrag des Abgeordneten Harkort** (no. 98 der (Drucksachen)., في المرجع السابق ؛ جزءه ، رقم ٢٣٩ : ص ٦ .

(٦٣) راجع ص ٢٦١ وما يلي من الكتاب.

(٦٤) **Hanbuch ûber den Kôniglich preussischen Hof und Staat** (1830), p 43.

(٦٥) المرجع السابق ؛ ص ١٦٠ .

(٦٦) **Bowring,** op. p 92.

(٦٧) **Zimmermann,** o p. cit. p 252.

(٦٨) المرجع السابق ؛ وأيضاً : **Evan Lewin,** The German Road to the East, An Account of the Drang nach Osten and the the teutonic Aims in the Near and Middle East, London 191. 6, p 28f.

(٦٩) تسلم منصبه عام ١٨٤٣ ، راجع: **Hanbuch ûber kôniglich preussischen Hof und Staat (1845)**: p182.

(٧٠) المرجع السابق ؛ وأيضاً : **Henry Smith,** The protestant Bishopric in Jerusalem. Its Origin and Progress, London 1847, p 5f. عن شولتز راجع : **Philipp wolff,** Jerusalem, Leipzig 1857, pp 204- 217.

(٧١) طبقاً لـ Kamptz ص ١٤ والصفحة التالية فقد أرسلت بفّاريا قنصلين إلى الآستانة وسمرنة . كذلك أرسلت سكسونيا وكيل تجاري الى العاصمة اللعثمانية .

(٧٢) حول فتزشتاين راجع مقالة : **Gerhard Kûchler,** «Johann Gottfried Wetzstein. Kôniglich preussischer Konsul in Damaskus 1848- 1862. Orientalist und freund Alexander von Humboldts», in: **Jahrbuch fûr brandenburgische landesgeschichte** 29 (1978), pp 7- 24.

(٧٣) **Handbuch ûber den kôniglich preussischen Hof ând Staat** (18), p 90. وفي عام ١٨٥٦ أصبح قيبر قنصلاً، وقنصلاً عاماً في عام ١٨٦٦ .

(٧٤) Preussischer Staatskalender (1859), p 114.

(٧٥) **Handbuch ûber den Kôniglich preussischen Hof und staat** (1862/63), p 120.

(٧٦) المرجع السابق ؛ ص ١٢٢ .

(٧٧) راجع B.W. Kônig, Handbuch des deutschen Konsularwesens, Berlin 1914, p 12

(٧٨) راجع تقارير القناصل الألمان في : HA .

(٧٩) كانت السفن الألمانية ملزمة بتقديم تقارير إلى القنصل الألماني في المرسى حول طاقم السفينة والحمولة ، يفترض عام ١٨٥٥) راجع : AJ 67/450: **Schultz an Murad,** Sept. 17, 1850; **Jacob an Rosen,**

(٨٠) HA 1853/ II, p 166f.

(٨١) راجع التقرير رقم ١ حول « الأوضاع المالية للسلطنة التركية » في : **HA** 1856/I pp 57- 61

(٨٢) **Philipp Wolff,** «Zur neueren Geschichte Jerusalems, in: **ZDPV** 8 (1885), No. 1, p 4.

(٨٣) قارن ملحق الكتاب حول فترات عمل القناصل الألمان في المدن السورية والفلسطينية . ص٣٠٥ وما يلي .

(٨٤) حتى عام ١٨٩٣ لم يعين خلفاً لفتز شتاين في قنصلية دمشق ، انظر : ص ٣٠٥ وما يلي .

(٨٥) راجع : **«Antrag Harkort und Genossen»** in: Sammlung. Sâmmtlicher Drucksachen der Zweiten Kammer, op. cit., p. 4.

(٨٦) **«Bericht der Kommission fûr Handel und Gewerbe, o p. cit, p 3.**

(٨٧) المرجع السابق : ص ٣ و ٥ .

(٨٨) راجع : «Berichte des Kôniglichen General - Consuls fûr Aegypten und Syrien ûber die Handels - und Gewerbs - Verhâltnisse dieser Lânder»,1. Bericht von July 23, 1850, In: **HA** 185/I, Statistik II, p 412

(٨٩) المرجع السابق ؛ تقرير رقم ١٠ تاريخ ٥ أذار ١٨٥١ - ص ٤٣٢ .

(٩٠) انظر : «Bericht ûber die Handels - Verhâltnisse von Syrien und die Einfuhr europâisher waaren dahin», in: **HA** 1851/I, Statistik II, p 179.

(٩١) **Issawi,** «British Trade...», o p. cit., p 99

(٩٢) انظر : ص ٦٠ و٦١ من الكتاب.

(٩٣) انظر : **Dellenbusch,** o p. cit. p 54f., 58.

(٩٤) **Zimmermann,** op. cit. p 252.

(٩٥) نقلاً عن تقرير قنصل ألمانيا العام في مصر وسوريا حول التجارة في منطقته ، : 1. Bericht vom July 23, 1850, **in HA** 1851/I, statistik II, p 410.

(٩٦) المرجع السابق : ص ٤١١ والصفحة التالية .

(٩٧) المرجع السابق : تقرير رقم ١٠ ، ٥ اذار ١٨٥١ ، ص ٤٣١ .

(٩٨) حول النشاطات الاستيطانية الألمانية في مناطق أخرى من السلطنة العثمانية راجع الدراسة المفصلة لـ **Nahmer,** op. cit.

(٩٩) **Sartorius von Waltershausen,** op. cit. p 34; **Franz Schnabel,** Deutsche Geschichte im neunzehnten Jahrhundert, vol. III: Erfahrungswissenschaften und Technik, Freiburg; Br. 1934, p 359; **Ellis J. Barker,** «Germany and the Parting of the Ways», in: **The Nineteenth Century.** (Feb. 1907), p 212f.

(١٠٠) حول الهجرة من ألمانيا راجع : **Sartorius von Walterhausen,** op. cit. pp 34- 37, 220- 224, **Schnabel,** vol III. p 359.

(١٠١) راجع : ص ٣٨ وما يلي من الكتاب.

(١٠٢) انظر مذكرات بونس بتاريخ ٢٩ نيسان ١٨٤١ في **Friedrich Nippold,** Christian Carl Josias Freiherr von Bunsen. Aus Seinen Briefen und nach eigener Erinnerung geschildert von seiner Witve, vol. II, Leipzig 1869, p 199f.; وقارن أيضاً : «Das anglikanisch- evangelische Bisthum in Jerusalem» in : **Beilage zur Allgemeinen Zeitung,** München, No. 38 vom Feb. 15 Th 1899, p 3.

(١٠٣) **Heinrich Abeken,** Das evangclische Bisthum im Jerusalem. Geschichtliche Darlegung nit Urkunden, Berlin 1842, pp 4- 8.

(١٠٤) تقرير كونفسمارك موجود ضمن رسالة لبونسن الى أبردين ، انظر : **F. O.** 64/241: **Bunsen to Aberdeen,** No. 53, Jan. 17, 1842.

(١٠٥) **F. O.** 78/429: **Palmerston to Ponsonby,** No. 187, July 26, 841.

(١٠٦) **F. O.** 78/473: **Aberdeen to Canning, secret,** No. 27, March 24, 1842.

(١٠٧) **PAAA,** Tûrkei 189: Plan deutscher Ansiedlungen in Kleinasien. Eine geheime Denkschrift des Legationsrates Raffauf im Auswârtigen Amt vom July 19, 1894, betr. **Sicherstellung der deutschen Interessen fûr den Fall der Lôsung der Dardanellenfrage,** A 6619, No. II, 17207.

(١٠٨) المرجع السابق :

(١٠٩) **Nahmer,** op. cit. p 439f.

(١١٠) **PAAA,** Tûrkei 189: Plan deutscher Ansiedlungen... op. cit.

(١١١) المرجع السابق :

(١١٢) نقلاً عن : **Ernst Jâckh,** «Friedrich List als Orient - Prophet», in : **Patria.** Bûcher fûr Kultur und Freiheit, hrsg. von **Fr. Naumann,** vol. 10, Berlin 1910., p 47.

(١١٣) نقلاً عن : **Krauss,** Deutsch- tûrkische Handelsbeziehungen, op. cit. p 3f.

(١١٤) عنوان المقالة «Deutschland und palâstina», in: **Beilage zur Aug. Allgemeinen Zeitung,** No. 59, Feb. 28: 1841, p 468f. وبعد نشر أعمال مولتكه في ١٨٩٢ تبين ان مولتكه هو نفسه كاتب المقال «ألمانيا وفلسطين» ، راجع : Gesammelte Schriften und Denkwûrdigkeiten des General- Feldmarschalls Grafen Helmuth von Moltke, vol. 2, Berlin 1892, pp 279- 288.

(١١٥) انظر على سبيل المثال : «Syriens Handel», in **AAZ** von March 21, 1841, p637; **Philipp Wolff,** «Zur Frage ûber die Colonisation von palâstina», in **AAZ** vom July 13, 1865, p 3162f.
وقارن أيضاً : **Nahmer,** p 412

(١١٦) راجع : **Ross,** op. cit p 176, pp 213- 217, 281 f.

(١١٧) نقلاً عن المرجع السابق : ص ٢١٧ .

(١١٨) نقلاً عن : **Lewin .,** of. cit. وقارن أيضاً : **Alldeusche Blâtter,** No. 49 vom Dec. 8,1895, p 222f.; p 27 and 30

(١١٩) نقلاً عن : Denkwûrdigkeiten des Fûrsten Chlodwig zu Hohenlohe- Schillingsfûsst, Hrsg. Von **Friedrich Curtuis,** vol 1, 4. ed, stuttgart- Leipzig 1907, p 53f. وانظر ايضاً : **Nahmer,** p 422f.

(١٢٠) **Nahmer,** pp 419- 421.

(١٢١) تفاصيل أخرى عن هذا الموضوع لدى : **Conrad Schick,** «Studien ûber Colonisirung des heiligen landes», in: **Ôsterreichische Monatsschrift fûr den Orient (1881),** pp 37- 39, 58- 61, 80- 81.

(١٢٢) المرجع السابق ؛ ص ٣٨ والصفحة التالية .

(١٢٣) **3. Bericht ûber das Diakonissen- Haus zu Jerusolem** (March/Oct. 1853), p19;

(١٢٤) **Alex Carmel,** Palâstina- Chronik: 1853 bis 1882; deutsche Zeitungsberichte vorn Krimkrieg bis zur ersten jûdischen Einwanderungswelle, Ulm 1978, p 19.

(١٢٥) **Theodor Fliedner,** Reisen in das heilige Land, nach Smyrna, Beirut, Constantinopel, Alexandrien und Cairo, in den jahren 1851, 1856 und 1857, vol. I. Kaisers werth 1858, p 102f.

(١٢٦) **Wolff,** op. cit. p 3162.

(١٢٧) المرجع السابق : ص ٣١٦٢ والصفحة التالية .

(١٢٨) **Carmel,** Die Siedlungèn der wûrttembergischem Tempter in palâstina, op. cit. p 17f.

(١٢٩) Palâstima als Ziel und Boden germanischer Auswanderurg und Kolonisation mit Rûcksicht au feine germanische Kolonisation des Orients im Allgemeinen, Pest- Wien- Leipzig 1868, p 3 f. اسم الجمعية بالألمانية . «Genossenschaft fûr urbildliches Leben und fûr Erweiterung der abendlandischen Heimath gegen Morgenland».

(١٣٠) المرجع السابق : ص ٤٩ والصفحة التالية .

(١٣١) حول نشاطات جماعة الهيكل الألمانية انظر : الدراسة الوثائقية لكارمل المشار إليها في حاشية ١٢٨ .

(١٣٢) بتاح تكفا (أي بوابة الأمل) هي اولى المستعمرات الزراعية اليهودية التي أنشأت في عام ١٨٧٨ ، راجع : **Mordechai Eliav** Die Juden Palâstinas in der deutschen politik, 1841- 1914, Tel- Aviv 1973 p 178 ff.

(١٣٣) Das Deutsche Kaiserpaar im Heiligen Lande im Herbst 1898. Nach authentischen Berichten und Akten, Berlin 1899, P 39; **KHB** 12 (1907),, No. 14, p 159.

(١٣٤) **Lewin,** op. cit. p 101; **Nahmer,** p 445.

Nahmer, p 445; **Carmel,** Die Siedlingen, op. cit. p 103.

(١٣٥) راجع دراسة **Carmel,** op. cit.

(١٣٦) بلغت قيمة صادرات دول الاتحاد الجمركي في عام ١٨٥٠ ما مجموعه ٥٢٢ مليون مارك ، في حين بلغت قيمة مجمل الصادرات الألمانية ٦٣٠ مليون مارك . وفي ١٨٦٩ كان نصيب دول الاتحاد الجمركي بالنسبة للصادرات الألمانية ٢٢٧٥ مليون مارك مقابل ٢٣٨٠ مليون مارك مجمل قيمة الصادرات الألمانية ، انظر : **Bondi,** op. cit. p 145. وللمقارنة انظر الجدولين الاحصائيين عن حصص الدول الأوروبية وبينها المانيا في التبادل التجاري مع بيروت وسوريا ، في : ص ٢٢١ و ٢٢٢ .

(١٣٧) **Carmel,** Die Siedlungen, op. cit., p 298.

(١٣٨) حنا صلاح ، فلسطين وتجديد حياتها ، نيويورك ١٩١٩ ، ص ٢٦ ، ٤٥ ، ٨٠ و ١٥٩ . ويرى الكسندر

شولش أن هناك مبالغة في تقييم نشاطات جماعة الهيكل الألمان ودورهم في «نهضة» فلسطين ، انظر : **Schôlch,** European Penetration and the Economic Development of palestine, 1856- 1882, Typewritten manscript, Damascus 1978, p 49f. and 62 ff.

حواشي الفصل العاشر

(١) انظر: **Charles Issawi,** The Economic Histor of the Middle East, 1800-1914, Chicago 1966, p. 100 ff.

(٢) راجع: قائمة الديون العثمانية وصلاحيات مجلس الدين العثماني لدى **Konstantinopler Handelsblatt** 1 (1896), No. 21 pp. 281-284; ستختصر بعد ذلك **(KHB))**

ولمعلومات اضافية حول إدارة الدين العثماني انظر:
D.C. Blaisdell, European Financial Control in the Ottoman Empire, N.Y. 1929; **Herbert Feis,** Europe, the World's Banker, 1870-1914. An Account of European Foreign Investment and the Connection of World Finance with Diplomacy before the War, Clifton 1974;
وبشكل خاص، ص ٣١٣: **Jean Ducruet,** Les capitaux européens au Proche-Orient, Paris 1964, p. 78 ff.

(٣) راجع: **J. Krauss,** Deutsch-tûrkische Handelsbeziehungen. Seit dem Berliner Vertrag unter besonderer Berûcksichtigung der Handelswege, Jean 1901, p. 30;
وحول الجانب المالي لمشروع بنا خطوط سكك الحديد راجع أيضاً. **Alexander Schôlcn,** «Wirtschaftliche Durchdringung und Politische Kontrolle durch die europâischen Mâchte im Osmanischen Reich (Konstantinopel, Kairo, Tunis)», in: **Geschichte und Gesellschaft** 1 (1975), p. 445 f.
ولمعلومات إضافية عن بناء خطوط سكك الحديد انظر: **Carl Anton Schâfer,** Die Entwicklung der Bagdadbannpolitik, Weimar 1916; **Edward Mead Earle,** Turkey, the Great Powers and Bagdad Railway, N.Y. 1923.

(٤) **KHB** 9 (1904), No. 34, pp. 529-531;
وحول نص معاهدة الصداقة والتجارة والملاحة بين الدولة العثمانية وألمانيا بتاريخ ٦ آب ١٨٩٠ راجع:
Stenographische Berichte ûber die Verhandlungen des Reichstages, 8. Legislaturperiode, I. Session 1890/91, **2. Anlageband,** Vol. 122, Berlin 1891, Aktenstûck 170, pp. 1225-1320.

(٥) انظر الدراسة الملخصة لـ **Hans-Ulrich Wehler,** Das Deutsche Kaiserreich 1871-1918, Gôttingen 1977, p. 42f.

(٦) قارن: **Wilhelm Treue,** «Gesellschaft, Wirtschaft und Technik Deutschlands im 19. Jahrhundert», in **Gebhardt, Handbuch der deutschen Geschichte,** vol. 3: von der franzôsischen Revolution bis zum ersten Weltkrieg. 9 ed. Editor **Herbert Grundmann,** Stuttgart 1973, p. 378 f.

(٧) راجع: مقالة **W. O. Henderson,** «German Economic Penetration in the Middle East 1870-1914», in: **Economic History Review** 18 (1940), p. 54.

(٨) **H.S.W. Corrigan,** British, French and German Interests in Asiatic Turkey 1881-1914, Dissertation, Kings College, London 1954, p. 17 f. **GP,** Vol. 12, Berlin 1923: **Marschall an Hohenlohe,** No. 3339 Pera, March 5th 1898.

(٩) **C.A.V. Engelbrechten,** Kaiser Wilhelms Orientreise und deren Bedeutung fûr den deutschen Handel. Neue Bahnen und Wege fûr den deutschen Ausfuhrhandel, Berlin 1890.

(١٠) راجع ٢٦١ وما يلي.

(١١) **Krauss,** op. cit. p. 101.

(١٢) راجع: «Fûnfundzwanzig Jahre deutscher Levante-handel», in: **Deutsche Levante-Zeitung**

عدد ١٢، ص ٤٧٨؛ (ستختصر بعد ذلك على النحو التالي **DLZ**)) ان المعلومات الاحصائية لعام ١٨٨٠ وكذلك التي تتعلق بمبيعات الأسلحة مأخوذة عن **Krauss,** op. cit., p. 101, 102، وطبقا لكراوس فإن هذه الأرقام هي فقط لمبيعات الأسلحة، يضاف إلى ذلك معدات لبناء خطوط سكة الحديد، كما حصل في عام ١٨٩٧ على سبيل المثال، عندما بلغت حوالي ١٤ مليون مارك، ص ١٠١؛ وإننا نتفق مع **KHB** ٤ (١٨٩٩) عدد ٢١، ص ٣٢٥ التي تذكر أن ألمانيا باعت في عام ١٨٩٣ أسلحة ومعدَّات لبناء خطوط السكة الحديدية إلى تركيا بمبلغ ١٣ مليون مارك.

(١٣) **Krauss,** p. 102.

(١٤) المرجع السابق: ص ١٠٩.

(١٥) **KHB** 5 (1900), No. 19, p. 297;
وانظر أيضاً: **Hugo Grothe,** Deutschland, die Tûrkei und der Islam, Leipzig 1914, p. 13.

(١٦) **KHB** 12 (1907), No. 13, p. 148.

(١٧) وطبقاً لتقديرات عثمانية رسمية فإن الصادرات الألمانية المباشرة إلى الدولة العثمانية لم تتجاوز ٢٪، راجع: **KHB** 9 (1904), No. 9, p. 129 f.

(١٨) عام ١٨٩٧ حلَّت ألمانيا في المرتبة الرابعة خلف بريطانيا، النمسا ـ هنغاريا، وفرنسا، انظر: **KHB** 4 (1899), No. 21, p. 326;
وفي عام ١٩٠١/١٩٠٢ حلَّت ألمانيا في المرتبة السادسة بعدما سبقتها كل من إيطاليا وروسيا، انظر: **KHB** 8 (1903), No. 19, p. 293, 12 (1907), No. 12, p. 136.

(١٩) انظر جدول رقم ١١ ص ٣٠٠ حول تجارة الإسكندرونة في ملحق الكتاب.

(٢٠) راجع: بشكل خاص **HA** 1878/II, p. 118 and 495; 1880/II, p. 232 f.

(٢١) يستند الجدول في معلوماته على: **HA** 1896/II, p. 561;
حول مسألة الأسعار الدولية للسلع انظر تقارير أرشيف التجارة الألماني.

(٢٢) قارن: **Moshe Ma'oz,** Ottoman Reform in Syria and Palestine 1840-1861. The Impact of the Tanzimat on Politics and Society, Oxford 1968, p. 179; وراجع أيضاً تقارير أرشيف التجارة حول هذا الموضوع

(٢٣) انظر: **HA** 1878/II, p. 493.

(٢٤) **HA** 1900/II, p. 877. وقارن أيضاً: **KHB** 7 (1902), No. 43, p. 675;

(٢٥) **KHB** 7 (1902), No. 39, p. 611 f.

(٢٦) **HA** 1896/II, p. 562; 1899/II, p. 615, 878.

(٢٧) انظر: **HA** 1895/II, p. 589; 1896/II, p. 557
حول مرفأ بيروت راجع: **KHB** 2 (1897), No. 38 pp. 445-47

(٢٨) انظر على سبيل المثال: **HA** 1878/II, p. 546; 1885/II, p. 463 f.; 1892/II, p. 408, 509; 1896/II p. 535, 563.

(٢٩) انظر بشكل خاص: **HA** 1878/I, p. 396; 1878/II, p. 198, 543; **PAAA,** Tûrkei 126; **Graf von Hacke, «Bericht ûber Lage und Verhâltnisse der Deutschen in Palâstina und Syrien, insbesondere der in den Kûsten - plâtzen Jaffa, Caifa und Beirut angesieldeten deutschen Colonisten»,** A 3279, Berlin, May 24, 1877.

(٣٠) **HA** 1878/II, p. 53 f.

(٣١) **(Bericht fûr das Jahr 1882);** **HA** 1884/II, p. 14 f. وقارن أيضاً: جدول رقم ٦ ص ٢٤٧

(٣٢) قارن حاشية جدول رقم ١١ حول تجارة الإسكندرونة في الملحق ص ٣٠٠ وحول التجارة مع دمشق خلال عامي ١٨٩٣ و ١٨٩٤ انظر: **HA** 1895/II, p. 579. حيث يظهر بوضوح حلول ألمانيا في المرتبة الرابعة.

(٣٣) يستند الجدول في معلوماته على **Noël Verney et George Dambmann,** Les Puissances Étrangères dans le Levant, en Syrie et en Palestine, Paris-Lyon 1900, pp. 493-495.

(٣٤) انظر: ص ٢١٩ ـ ٢٢٣ من الكتاب.

(٣٥) HA 1884/II, p. 15 (لعام ١٨٨٢)؛ 1889/II, p. 698 f. (لعام ١٨٨٨)

(٣٦) HA 1896/II, p. 557 (لعام ١٨٩٥)؛ 1899/II, p. 613 (لعام ١٨٩٨).

(٣٧) **PAAA,** Türkei 177.

(٣٨) **KHB** 7 (1902), No. 46, p. 724.

(٣٩) يستند الجدول في معلوماته على: **Felix Pinkus,** Palästina und Syrien. Untersuchungen zur Wirtschaftspolitik, Genf 1903, p. 126, 117.

(٤٠) **HA** 1895/II, p. 579.

(٤١) **HA** 1897/II, p. 173 f.; 1898/II, p. 208.

(٤٢) حول أهم المنتجات الألمانية المصدَّرة إلى سوريا، انظر تقارير أرشيف التجارة الألماني وبشكل خاص السنوات التالية: **HA** 1875/II, p. 353; 1884/II, p. 15; 1896/II, p. 557 f.

وأيضاً: الحلقات الطويلة التي نشرها **Quandt** في **KHB** 1902, 1903.

(٤٣) **HA** 1887/II, p. 773.

(٤٤) **KHB** 8 (1903), No. 6, p. 83; **HA** 1889/II, p. 701; 1896/II, p. 558.

(٤٥) انظر: ص ٢٤٦ من الكتاب. تذكر تقارير عدة أن الألمان تفوقوا في تسويق المنتجات الغالية الثمن أكثر منه في السلع الشعبية.

(٤٦) **HA** 1880/II, p. 234.

(٤٧) **HA** 1884/II, p. 18; 1887/II, p. 773.

(٤٨) **KHB** 8 (1903), No. 6, p. 83.

(٤٩) يستند الجدول في معلوماته على المصادر الواردة في الحاشية السابقة (٤١)، وقد تم تحويل المبالغ بالفرنكات لتسهيل عملية المقارنة مع الجدولين ١١ و ١٢ في الملحق ص ٣٠٠ و ٣٠١. إن المعلومات بين المزدوجين وكذلك النسب المئوية وُضعت من قبلنا.

(٥٠) **HA** 1896/II, p. 558; **KHB** 5 (1900), No. 39, p. 629.

(٥١) **HA** 1878/I, p. 396;

وقارن أيضاً: **HA** 1875/II, p. 353; 1878/II, p. 544; 1880/II, p. 242; **KHB** 7 (1902), No. 51, p. 803 f.

(٥٢) راجع بشكل خاص: **HA** 1875/II, p. 353; 1880/II, p. 236 ff.; 1889/II, p. 702; **KHB** 8 (1903), No. 21, p. 323 ff.

(٥٣) **KHB** 8 (1903), No. 21, p. 323.

(٥٤) **KHB** 8 (1903), No. 25, p. 388.

(٥٥) **HA** 1878/I, p. 396; 1878/II, p. 544; 1880/II, p. 237; 1884/II, p. 23 f.; 1889/II, p. 702; 1892/II, p. 512 f.; **KHB** 8 (1903), No. 9, 10, p. 131, 147 f.

(٥٦) **HA** 1892/II, p. 514.

(٥٧) **KHB** 8 (1903), No. 12, p. 180.

(٥٨) **HA** 1878/I, p. 396; 1880/II, p. 236; 1884/II, p. 24; 1889/II, p. 702.

(٥٩) **KHB** 8 (1903), No. 15, p. 228.

(٦٠) انظر المرجع السابق، والمعلومات الواردة في حاشية ٥٨.

(٦١) انظر: ص ٢٤٧ ـ ٢٤٩ من الكتاب.

(٦٢) **HA** 1884/II, p. 14.

(٦٣) **HA** 1890/II, p. 379; 1892/II, p. 512; 1894/II, p. 127; 1895/II, p. 135/ 1896/II, p. 537 f; 560 f.; 1897/II, p. 173; 1900/II, p. 876.

(٦٤) راجع أيضاً: **KHB** 7 (1902), No. 46, p. 724.

(٦٥) راجع ص ٢٤٣ ـ ٢٤٦ وما يلي.

(٦٦) **Alexander Schölch,** European Penetration and the Economic Development of Palestine

1856-1882, typewritten manuscript, Damascus 1978, p. 17, 27.

وحول حجم الاستيراد والتصدير وتناقض المعلومات عنها انظر: **BPP** 89 (1896), No. 1698, **Report on the Trade and Commerce of the Consular District of Jerusalem for the year 1895, Total value of all Articles Exported from and Imported to Jaffa during the years** 1895-94, p. 8; **BPP** 94 (1897), No. 1872, **Report on the Trade and Commerce of the Consular District of Jerusalem for the year 1896, Total Value of all Articles Exported from and Imported to Jaffa during the years** 1896-1895, p. 9; **BPP** 99 (1898), No. 2050, p. 12; **BPP** 103 (1899), No. 2217, p. 9.;

Felix Pinkus, Palästina und Syrien. Untersuchungen zur Wirtschaftspolitik, Genf. 1903, p. 79.

(٦٧) عن الوضع في حيفا انظر: **Pinkus,** op. cit. p. 40.

(٦٨) **Schölch,** op. cit. p. 6 ff.

(٦٩) **HA** 1876/II, p. 312; 1878/I, p. 553.

وقارن أيضاً: **AJ** 67/452: Generalbericht vom May 3, 1875; **Duisberg an Münchhausen,** No. 57, Jerusalem, Dec. 11, 1875; **Münchhausen an Werther**- بدون تاريخ

(٧٠) **HA** 1880/II, p. 287.

(٧١) راجع جدول رقم ٦ ص ٢٤٧؛ وأيضاً: **HA** 1883/II, p. 421; 1885/II, p. 75, 691 f.; 1888/II, p. 662; 1895/II, p. 414; 1897/II, p. 40; **KHB** 3 (1898), No. 46, p. 567; 7 (1902), No. 3, p. 36.

(٧٢) إضافة إلى التقارير التي جاء ذكرها انظر: **HA** 1901/II, p. 483 f, 1124 f.; **KHB** 7 (1902), No. 50, p. 788; **Pinkus,** op. cit. p. 77.

(٧٣) **KHB** 3 (1898), No. 46, p. 567.

(٧٤) **HA** 1897/II, p. 340; **KHB** 4 (1899), No. 17, p. 261 and 7 (1902), No. 3, p. 36, No. 50, p. 787 f; **Pinkus,** op. cit., p. 78; **BPP** 99 (1898), No. 2050, p. 5.

الملاحظ أن تقارير التجارة الألمانية التي تستند في معظمها على التقارير القنصلية البريطانية لاتعطي أهمية إلى الصادرات النمساوية إلى فلسطين، في حين أن **Pinkus** يؤكد أن النمسا- هنغاريا كانت تساهم بنصيب كبير في تجارة الصادر إلى فلسطين.

(٧٥) راجع على سبيل المثال أكلاف الشحن بين ألمانيا ومرفأ الإسكندرونة في عام ١٨٨٩ ويافا في عام ١٨٩٣ في: **HA** 1890/II, p. 379; 1894/II, p. 449.

(٧٦) **Krauss,** Hamburgs Rhederei und die Levante im 19. Jahrhundert, Hamburg 1902, p. 39 f.

(٧٧) **Sartorius von Walterhausen,** Deutsche Wirtschaftsgeschichte 1815-1914, 2nd ed. Jena 1923, p. 325 f.

(٧٨) **Krauss,** Hamburgs Rhederei, p. 40.

(٧٩) **Handbuch der deutschen Aktiengesellschaften für Bankiers, Leipzig** 1896, p. 417.

(٨٠) **Krauss,** Hamburg Rhederei, op. cit., p. 40 f.

(٨١) المرجع السابق: ص ٤٦.

(٨٢) **KHB** 2 (1897), No. 19, p. 217 f.

(٨٣) كما حدث على سبيل المثال في عام ١٨٩١ عندما زارت سفينة واحدة مرفأبيروت ويافا. انظر: **AJ** 67/450, **Vizekonsul in Jaffa an Tischendorf,** No. 16, Feb. 16, 1891.

وكما حدث في ميناء بيروت عام ١٨٩٨ عندما زارت الميناء سفينتان فقط ولكن جرى تدوين ٣ سفن في جداول الميناء حيث أن إحدى السفينتين رست مرتين في الميناء، انظر: **HA** 1899/II, p. 615.

(٨٤) **Münchener Allgemeine Zeitung vom** Dec. 5, 1897; **KHB** 2 (1897), No. 26, p. 307. (1888), p. 179; (1894), p. 14; (1897), p. 193 (1898), p. 235; (1899), p. 615; (1900), p. 402, (1902), p. 630;

(٨٥) **Mûnchener Algemeine Zeitung** Nov. 5, 1897; **KHB** 2 (1897), No. 26, p. 307; **KHB** 2 (1897), No. 21, p. 246 f.; 3 (1898), No. 44, p. 536, and No. 47, p. 582 f.

(٨٦) **GP** Vol. 12: **Marschall an Hohenlohe,** No. 3339, pera, March 5, 1898.

(٨٧) راجع: ص ٢٧٧ وما يلي من الكتاب .

(٨٨) إن معلوماتنا حول هذه النقطة تعود إلى: بالنسبة لبيروت الأعوام ١٨٨٢، ١٨٨٥-١٨٨٧، ١٨٩٢، ١٨٩٦-١٨٩٩ و١٩٠١. **HA** II. Abt.: (1884), p. 27; (1887), p. 123 and 539.

السنة (١٨٨٨) ص ١٧٩ ، السنة (١٨٩٤) ص ١٤ ،

السنة (١٨٩٧) ص ١٩٣ ، السنة (١٨٩٨) ص ٢٣٥ ،

السنة (١٨٩٩) ص ٦١٥ ، السنة (١٩٠٠) ص ٤٠٢ ،

السنة (١٩٠٢) ص ٦٣٠ .

السنوات ١٨٨٩و ١٨٩٠ و١٨٩٣ و١٨٩٥ هي نقلاً عن: **Verney et Dambmann,** op. cit. p. 499;

العام ١٨٩١ عن: **AJ** 67/450 **Vizekonsul in Jaffa an Tischendorf,** No. 16, Feb. 16th 1891;

العام ١٩٠٠ عن: **KHB** 7 (1902), No. 47, p. 739

بالنسبة للإسكندرونة، السنوات ١٨٧٥، ١٨٩٢، ١٨٩٩ و١٩٠١، عن: **HA** II. Abt: (1878), p. 556; (1893), p. 126; (1900), p. 297; (1902), p. 632;

للعام ١٩٠٠ **KHB** 7 (1902), No. 42, p. 660

بالنسبة لطرابلس، السنوات ١٨٩٧، ١٨٩٩ و ١٩٠١ عن: **HA**/II Abt.: (1898), p. 235; (1900), p. 402; (1902), p. 578;

للعام ١٩٠٠. **KHB** 7 (1902), No. 47, p. 740

بالنسبة ليافا، السنوات ١٨٨٤ و ١٨٨٧ عن: **HA** 1885/II, p. 692; 1888/II, p. 663;

لعامي ١٨٧٨ و ١٨٩١ **AJ** 67/450: **Murad an Mûnchhausen,** No. 207, March 20, 1878; **Vizekonsul in Jaffa an Tischendorf,** No. 16. Feb. 16th 1891;

الأعوام ١٨٩١ و١٨٩٣ و١٨٩٤ و ١٨٩٦ و ١٨٩٨ عن: **Verney et Dambmann,** op. cit. p. 499.

لعام ١٩٠٠ **KHB** 7 (1902), No. 3, p. 36;

بالنسبة لحيفا المعلومات لعام ١٩٠٠ عن: **Verney et Dambmann,** op. cit. p. 499;

لعامي ١٨٩٧ و ١٩٠١ **HA** 1896/II, p. 235; 1902/II, p. 641.

(٨٩) **KHB** 4 (1899), No. 41, p. 661.

(٩٠) **Max Schlagintweit,** «Die Hâfen der syrischen Kûste und die Deutsche Levante-Linie», in: **Asien** 2 (1903), p. 127.

(٩١) **AJ** 67/453: **Werther an Hoffmann,** No. 458, Pera, Feb. 12, 1877.

(٩٢) نقلاً عن: **AJ** 67/453: **Werther an Mûnchhausen,** No. 1216, Pera, June 2, 1877.

وقارن أيضاً: **AJ** 67/455: **Auswârtiges Amt an Mûnchhausen,** No. 1415, Nov. 6, 1880.

(٩٣) انظر: **Lothar Rathmann, Die Nahost-expansion des deutschen Imperialismus vom Ausgang des 19. Jahrhunderts bis zum Ende des ersten Weltkrieges. Eine studie ûber die wirtschaftspolitische Komponente der Bagdadbahnpolitik, unpublished Habil. Dissertation of the Karl-Marx – Universitât,** Leipzig 1961, Vol. I, p. 150 f.

(٩٤) **KHB** 11 (1906), No. 3, pp. 25-27; «German Methods in Turkey», in: **Quarterly Review,** Vol. 228, No. 453 (Oct. 1917), p. 297 ff.

(٩٥) انظر: **Charles Issawi,** «British Trade and the Rise of Beirut, 1830-1860», in: **IJMES** 8 (1977), p. 99; **AJ** 67/451: Bekanntmachung vom May 15, 1873.

(٩٦) **HA** 1878/II, p. 543.

(٩٧) **AJ** 67/453: **Mûnchhausen an Geschâftstrager in Istanbul,** March 20, 1877.

(٩٨) **AJ** 67/454: **Keller an Mûnchhausen,** No. 139, Haifa, Jan 20, 1879.

(٩٩) **HA** 1888/II, p. 329.

(١٠٠) **Rathmann,** op. cit., Vol. I, p. 55.

(١٠١) **KHB** 5 (1900), No. 19, p. 297; **KHB** 10 (1905), No. 9, p. 130.

(١٠٢) **KHB** 2 (19897), p. 208.

(١٠٣) **HA** 1887/II, p. 31.

(١٠٤) انظر: **Ruppin,** op. cit., p. 318;

وأيضاً: «German Methods in Turkey», op. cit. p. 309 ff; **Corrigen,** op. cit., p. 19 ff; **Henderson,** op. cit. p. 60.

(١٠٥) **HA** 1887/II, p. 31.

(١٠٦) **HA** 1896/II, p. 560.

(١٠٧) جرى اقتباس هذا التحذير حرفياً عن: **KHB** 2 (1897), No. 10, p. 112

Carl v. Scherzer, «Deutschland und der Orienthandel», in: **Oesterreichische Monatsschrift fûr den Orient,** Wien, No. 12, Dec. 15, 1881, p. 187 ff;

وأيضاً: **Krauss,** Deutsch-tûrkische Handelsbeziehungen..., op. cit. p. 54 ff.

(١٠٨) **H. Loehnis,** Die wichtigsten Ergebnisse einer Informationsreise in die Levante am Bord des Dampfers «Lucifer» (October und Ndvember 1881), Leipzig 1882.

(١٠٩) **Krauss,** Deutsch-tûrkische Handelsbeziehungen, op. cit. p. 57.

(١١٠) **Handbuch der deutschen Aktiengesellschaften fûr Bankiers...,** op. cit. p. 694; **Verney et Dambmann,** op. cit. p. 486 f; **Krauss,** Deutsch-tûrkischen, op. cit. p. 59.

(١١١) **KHB** 2 (1897), No. 37, p. 435.

(١١٢) نقلاً عن: **KHB** 2 (1897), No. 9, p. 100.

(١١٣) **KHB** 2 (1897), No. 37, p. 435.

(١١٤) **Krauss,** Deutsch-tûrkische Handelsbeziehungen, p. 60.

(١١٥) المرجع السابق: ص ٥٨ والصفحة التالية و ص ١٠٣؛ حول الجمعيات التجارية انظر أيضاً: **Linda Schatkowski-Schilcher,** «Ein Modellfall indirekter wirtschaftlicher Durchdringung: Das Beispiel Syrien», in: **Geschichte und Gesellschaft** 1 (1975), p. 486 f.

(١١٦) راجع: حاشية ١٠٤.

(١١٧) راجع مقالة: «Die deutsche Gefahr», in **KHB** 4 (1899), No. 40, pp. 641-643.

(١١٨) ص ٧٧.

(١١٩) انظر: ص ٧١ والصفحات التالية من كتاب شوب.

(١٢٠) انظر ماسبق: ص ٦١ و٦٢.

(١٢١) انظر على سبيل المثال: **AJ** 67/454/ **Frutiger an Mûnchhausen,** No. 133, Jerusalem, Jan. 16, 1878; No. 130, Jerusalem, Jan. 14, 1879; No. 141, Jan. 20, 1880.

(١٢٢) نقلاً عن: **KHB** 1 (1896), No. 8, p. 117

KHB 4 (1899), No. 1, p. 4.

وأيضاً: **HL** 46 (1902), No. 2, p. 89.

(١٢٣) **KHB** 2 (1897), No. 29, p. 342.

(١٢٤) يذكر بعض المصادر أن بنك فلسطين قد تأسس في عام ١٨٩٩ **Walter Hoffmann,** «Deutsche Banken in der Tûrkei», in: **Weltwirtschaftliches Archiv,** Vol. 6, Jena 1915 II, p. 410; **Ruppin,** op. cit., p. 357; **Karl Strasser,** Die deutschen Banken im Ausland. Entwicklungs geschichte und wirtschaftliche Bedeutung, 2nd ed., Mnchen 1925, p. 94.

والواقع أن هذا التاريخ يعود إلى تاريخ تأسيس مركز البنك في برلين، في حين أن البنك كان قد باشر أعماله في

فلسطين ابتداء من عام ١٨٩٧، راجع نشرات: **KHB** لهذه الفترة وأيضاً: **National-Zeitung,** No. 684, Dec. 19, 1898.

(١٢٥) **Strasser,** op. cit. p. 93.

(١٢٦) المرجع السابق: ص ٩٤.

(١٢٧) نقلاً عن: **KHB** 4 (1899), No. 1, p. 4
وأيضاً: **National-Zeitung,** op. cit. No. 684, Dec. 19, 1898

(١٢٨) **Handelsblatt der National-Zeitung,** No. 312, May 17th 1899; **KHB** 4 (1899), No. 1, p. 4.

(١٢٩) هذا ماكتبه بولوف إلى الغراف فون تز[illegible] ـشفرين. نقلاً عن: **Rathmann,** op. cit. Vol. I, p. 196; وقارن أيضاً: **KHB** 3 (1898), No. 20, p. 243.

(١٣٠) انظر ما سبق: ص ٢٠٧ ـ ٢١٠. وأيضاً: **National-Zeitung** No. 682, Dec. 17, 1898; **KHB** 4 (1899), No. 1, p. 4.

(١٣١) **HL** 46 (1902), No. 2, p. 89.

(١٣٢) **KHB** 6 (1901), No. 28, p. 438.

(١٣٣) انظر **Deutsche Palâstinabank,** Charlottenburg, o.J. (um 1914);
أيضاً: **Stras[illegible]r,** op. [illegible], [illegible]4 ff;
Thomas F.A. Smith, «Germany and the Near East» in: **Quarterly Review,** Vol. 227, No. 450 (Jan. 1917), p. 157.

(١٣٤) **KHB** 13 (1908), No. 31, p. 487.

(١٣٥) **Strasser,** op. cit., p. 96, 98.

(١٣٦) قارن: **Werner Sombart,** Die deutsche Volkswirtschaft im 19. Jahrhundert, 2nd ed., Berlin 1909, p. 601 f.

حواشي الفصل الحادي عشر

(١) انظر: **Hajo Holborn,** Deutschland und die Tûrkei 1978 — 1890, Berlin 1926, p.6.

(٢) حول سياسة بسمارك تجاه المسألة الشرقية راجع أيضاً:
Anrold Oskar Meyer, Bismarcks Orientpolitik. Festrede beider Reichsgrûndungsfeier der Georg - August - Universitât zu Gôttingen am 18, Jan. 1925, Gôttingen 1925. **Winfried Baumgart,** Vom Europâischen Konzert zum Vôlkerbund. Friedensschlûsse und Friedenssicherung von Wien bis Versailles, Darmstadt 1974, p. 19 ff.

(٣) نقلاً عن: **Holborn.** p, 102 f. 113 **Herbert von Bismarck an Hatzfeldt am** 31. OKt. 1898.
Hans - Ulrich Wehler (Hrsg.), Imperialismus, Kôln- Berlin 1970, p. 263 f.; **Gebhardt,** Handbuch der deutschen Geschichte, vol. III, g. ed. **von Herbert Grundmann,** Stuttgart 1973, p 292.

(٤) **Hans - Ulrich Wehler,** Das Deutsche Kaiserreich 1971 - 1918, 3.ed. Gôttingen 1977, p175.

(٥) **Fritz Fischer,** Griff nach der Weltmacht. Die kriegszielpolitik des Kaiserlichen Deutschland 1914/18, 4.ed., Dûsseldorf 1971, p. 16 ff.

(٦) حول سياسة وليم الثانية تجاه المسألة الشرقية انظر:
Erich Eyck, Das persônliche Regiment Wilhelms II. Politische Geschichte des deutschen Kaiserreichs von 1890 bis 1914, Erlenbach - Zûrich 1948, pp 239 - 248; **Evans Lewin ,** The German Road to the East. An Account of the Drang nach Osten and of Teutonic Aims in the Near and Middle East, London 1916; **Lothar Rathmann,** Die Nahostexpansion des deutschen Imperialismus vom Ausgang des 19. Jahrhunderts bis zum Ende des ersten Weltkrieges. Eine Studie ûber die Wirtschaftspolitische Komponente der Bagdadbahnpolitik, unpublished Habib. - Dissertation of the Karl - Marx - Universitât, Leipzig 1961.

(٧) **C. A. v. Engelbrechten,** Kaiser Wilhelms Orientreise und deren Bedentung fûr den deutschen Handel, Neue Bahnen und Wege fûr den deutschen Ausfuhrhandel, Berlin, 1890.

(٨) **J. Bensinger,** Palestine in German Thought and Action 1871 - 1914, Dissertation, Loyola University of Chicago, 1971, p. 39f.

(٩) حول هذا النزاع راجع: **Derek Hopwood,** The Russian Presence in Syria and Palestine 1843 - 1914. Church and Politics in the Near East, Oxford 1969, p.181f. **A.L. Tibawi,** «Russian Cultural Penetration of Syria - Palestine in the Nineteenth Century», in **Royal Central Asian Journal** (1966), pp. 166 - 82 pp 309 - 23.

(١٠) انظر: **Hopwood,** op.cit., p 184; **Bensinger,** 40 - 44; **AJ** 67/451: **Simon Murad an von Alten,** Jaffa, Dec. 31 1872.

(١١) لم يرفع فون ألتن العلم الألماني ويشارك في استقبال الدوق متذرعاً بالمرض.

(١٢) **Hopwood,** p. 184.

(١٣) **PAAA, Tûrkei 189 :** Plan deutscher Ansiedlungen in Kleinasien, eine geheime

Denkschrift des Legationsrates Raffauf im Auswârtigen Amt vom July 19.,1984 betr. Sicherherstellung der deutschen Interessen fûr den Fall der Lôsung der Dardanellenfrage, A 6619, No. II, 17207.

(١٤) PAAA, Tûrker 126; . Graf von Hacke, Bericht ûber Lage und Verhâltnisse der Deutschen in Palâstina und Syrien, insbesondere der in den Kûsten- Plâtzen Jaffa, Haifa und Beirut angesiedelten deutschen Colonisten, A 3279, Berlin, May 24, 1877.

(١٥) Bensinger, p 45f.

(١٦) AJ 67/453: Murad an Mûnchhausen: No. 74, Jaffa, June 30 1877; No. 116, oct. 1, 1877.

(١٧) نقلاً عن: PAAA, Tûrkei 126: A 3279, Berlin, May 24, 1877.

(١٨) AJ 67/453: Generalbericht des deutschen Konsulats in Jerusalem fûr 1877. Mûnchhausen an den deutschen Botschafter in Konstantinopel.

(١٩) PAAA, Tûrkei 126: Bericht Mûnchhausen, A 3856, Jerusalem May 30, 1877.

(٢٠) PAAA, Tûrkei 140: Reuss an das Auswârtige Amt: No. 76, A 3418, Pera, May 31, 1977; A 3548, Pera, June 5, 1877; No. 1088, A 3858, Pera, May 30, 1877.

(٢١) كانت النمسا - هنغاريا الدولة الوحيدة التي لم ترسل سفنها الحربية الى الشاطىء السوري، راجع: AJ 67/453: Murad an Mûnchhausen: No. 160, Jaffa, Dec. 31 1877; No. 71 Jaffa, ٤, April 1878.

(٢٢) نقلاً عن: Alex Carmel, «Die deutsche Palâstinapolitik 1871 - 1914», in: Jahrbuch des Instituts fûr deutsche Geschichte, Tel. Aviv 7 (1975), p 226.

(٢٣) Bensinger; p 51.

(٢٤) المرجع السابق: ص ٤٨ والصفحة التالية وأيضاً: HA 1878/I, p 553f.

(٢٥) انظر على سبيل المثال موقف القنصلية الألمانية من نزاع الرعايا الألمان مع السلطات العثمانية في فلسطين، بالنسبة لطاليطا قومي ص ١٠١ و١٠٢ . من الكتاب ، جمعية بيت المقدس ص ١٢٦ ، ومأوى المجزومين ص ١٤٧ وما يلي .

(٢٦) PAAA, Tûrkei 140: Auswârtiges Amt an Hatzfeldt, No. 54, June 30, 1880.

(٢٧) المرجع السابق: Mûnchhausen an Hatzfeldt ohne Nummer, July 6, 1880.

(٢٨) المرجع السابق: Brûning an Hatzfeldt, No. 202, A 4240, Beirut, July 8, 1880.

(٢٩) المرجع السابق: Hatzfeldt an dasAuswârtige Amt, No. 196, A 4168, Pera July 5, 1880.

(٣٠) راجع: Alexander Schôlch, Âgypten den Âgyptern! Die politische und gesellschaftliche Krise der Jahre 1878 - 1882 in Âgypten, Zûrich and Freiburg 1973.

(٣١) حول الجماعة الألمانية في القدس راجع: H.G. Schneider, Das Aussâtzigenasyl in Jerusalem. Geschichtliche Darlegung seines nunmehr 20 jâhrigen Bestehens, Berthelsdorf 1888, p 35.

(٣٢) حول هذا الموضوع انظر: Bensinger, pp 54 - 59

(٣٣) Ernst Reventlow, Deutschlands auswârtige Politik 1888 - 1914, 5, ed. Berlin 1917, p 4f.

(٣٤) PAAA, Tûrkei. 177: Die Admiralitât an Bismarck A 3433, la, June 1, 1887; Werner Zûrrer, Die Nahostpolitik Frankreichs und Russlands 1891 - 1898, Wiesbaden 1970, p 123.

(٣٥) انظر ما سبق: ص ١٤ وما يلي .

(٣٦) نقلاً عن: J.B. Sâgmûller, «Das franzôsische Missionsprotektorat in der Levante und in China», in: Zeitschrift fûr Missionswissenschaft 3 (1913), p 121.

(٣٧) J.C. Hurewitz (hrsg.) The Middle East and North Africa in World politics. A Documentary Record, vol! I: European Expansion 1535 - 1914, 2.ed., New Haven et al. 1975, p. 319ff.

(٣٨) PB 7 (1892), No. 27, p 214.

(٣٩) نقلاً عن: PAAA, Tûrkei 175a: Schlôzer an Caprivi, No. 28, Rom, June 16, 1892.

(٤٠) Sâgmûller op. cit., p 123.

(٤١) Joseph Lammeyer, Das franzôsische protektorat ûber die Christen im Orient, historisch. rechtlich und politisch gewûrdigt. En Beitrag zur Geschichte der diplomatischen Beziehungen der Hohen pforte, Dissertation Erlangen, Borna - Leipzig 1919.

(٤٢) انظر ما سبق: ص ١٩٥ و١٩٦

(٤٣) Lammeyer, p 94f.

(٤٤) PAAA, Tûrkei 175a: A 10299, Germania vom Sept. 13, 1898.

(٤٥) نقلاً عن المرجع السابق: وراجع أيضاً Lammeyer, P 92.

(٤٦) PAAA Tûrkei 175a: Auswârtiges Amt an Radowitz, No. 1321, Oct. 15, 1888; Keller an schrôder, A 56.5, Haifa, April 14, 1889.

(٤٧) المرجع السابق: Radowitz an Bismarck, No. 27, A 2834, Pera, Feb. 23, 1889; Radowitz an Bismark, No. 36, Pera, March 7, 1889; Schrôder an Radowitz, No. 3725, Beirut, Feb. 13, 1889, Auswârtiges Amt an Radowitz, No. 42, March 23, 1889, Bismarck an Schrôder, No. 42, March 23, 1889. Schrôder an Bismarck, No. 16, March 13, 1889; Bismarck an Radowitz, No. 4407, March 29, 1889.

(٤٨) PAAA, Tûrkei 175a: Keller an Schrôder, A 56.5, Haifa, April 14, 1889.

(٤٩) Wilhelm I. Shorrock, French Imperialism in the Middle East. The Failure of Policy in Syria and Lebanon, 1900 - 1914, Wisconsin 1976, p34.

(٥٠) المرجع السابق: Tischendorf an Caprivi No. 59, June 4, 1892.

(٥١) المرجع السابق: Schlôzer an Caprivi, No- 28, Rom, June 16 1892 Mûnster an Caprivi, No- 169 A 6436, Paris, July 23, 1892 Jansen. an das Auswârtige Amt: A4791, May 28, 1892

(٥٢) المرجع السابق: Tischendorf an Caprivi, No, 59, June 4, 1892.

(٥٣) لم نعثر في الوثائق على موقف محدد للخارجية الألمانية لاقتراح تيشندورف.

(٥٤) نقلاً عن: PAAA, Tûrkei 175a: Auswârtiges Amt an Schrôder, A 4624, June 2, 1892.

(٥٥) المرجع السابق: Kûnzer an Vizekonsul Keller in Haifa: A 5919, Haifa, June 16, 1892. Vizekonsul Frakreichs in Haifa an die Vorsteherin des Borromâushospizes in Haifa, June 9,

1892, **Radowitz an Caprivi,** No. 133, July 5, 1892, **Schrôder an Radowitz,** A 5915, June 21, 1892, **Tischendrof an Caprivi,** No. 70, A6199, July 1, 1892.

(٥٦) المرجع السابق: صحيفة «استانبول» ١٣ حزيران ١٨٩٢، A 5340.

(٥٧) انظر المرجع السابق: **Schlôzer an Caprivi,** No. 28, June 16, 1892.

وفي الوقت نفسه قامت الخارجية الألمانية بحملة دبلوماسية في العواصم الأوروبية لتوضيح وجهة النظر الألمانية من مسألة الحماية، راجع: **PAAA,** Tûrkei 175a: **Auswârtiges Amt an den Botschafter in Wien,** No. 350, A 5952, July 2, 1892; **Auswârtiges Amt an Mûnster,** den Botschafter in Paris, No. 158, A 6197, July 2, 1892; **Auswârtiges Amt an den Botschafter in Rom,** No. 135, A 3511, July 4, 1892; **Auswârtiges Amt an den Gesandten in Madrid,** No. 28, ohne Datum.

(٥٨) **PAAA,** Tûrkei 175a: **Caprivi an Schlôzer,** No. 19 June 10, 1892.

(٥٩) حول موقف البطريرك اللاتيني لودفيكو بيافي من مسألة الحماية، انظر: **PAAA,** Tûrkei 175a: **Tischendorf an Caprivi,** No. 57, May 29, 1892.

(٦٠) المرجع السابق: المراسلة السابقة: **Auswârtiges Amt an Tischendorf,** No. 60, June 26, 1892 No. 3, June, 30, 1892.

(٦١) المرجع السابق: **Jansen an Caprivi,** A 5869, April 3, 1892; **Jansen an Geheimrat Raschdan** A 6757, Aug. 3, 1892; **Schlôzer an caprivi,** No. 30, June 26, 1892. **Schlôzer an Tischendrof,** No. 3, June 30, 1892.

(٦٢) **PAAA,** Tûrkei 175a: **Verein vom Heiligen Lande an Marschall,** A 619, Feb. 16, 1898; **Sâgmûller,** op.cit. p 126.

(٦٣) انظر ما سبق، ص ٢٨٠ وما يلي.

(٦٤) نقلاً عن: **PAAA,** Tûrkei 175a: **Radowitz an das Auswârtige Amt,** No. 65, June 9, 1892.

(٦٥) المرجع السابق: **Mûller,** Vorstandsmitglied des palâstinavereins, **an Caprivi,** No. 148, A. 6967, Aug. 9, 1892.

(٦٦) حول الموقف الروسي بشأن زيارة وليم لثاني للشرق انظر: ص ٢٩١ من الكتاب.

(٦٧) **GP,** Vol. 10, No. 2371 and 2372; **Matthew Smith Anderson,** The Eastern Question. 1774 - 1923. A Study in International Relations, London 1966, p.255f.

(٦٨) انظر: **Fyck,** op.cit.p 119 ff.

(٦٩) **Edward Mead Earl,** Turkey, the Great Powers, and the Bagdad Railway; a Study in Imperialism, N.Y., 1923, p 44.

(٧٠) **Carl Anton Schâfer,** Die Entwicklung der Bagdadbahnpolitik, Weimar 1916, p 46.

(٧١) **Eyck,** pp 203 - 207; **Gebhardt,** vol. III, op.cit., p 338 f. and 356 ff.

(٧٢) **Reventlow,** op.cit.p 123ff.

(٧٣) **Eyck,** p 247g.; **Rathmann,** op.cit., vol. I, p172.

(٧٤) **GP,** vol. 12, II p 557f; **Lewin,** op.cit. p 103 f.

وطبقاً للثين فان التحضير للرحلة استغرق أربع سنوات.

(٧٥) انظر: التقرير الرسمي عن الرحلة Das Deutsche Kaiserpaar im Heiligen lande im Herbst 1898, Nach authentischen Berichten und Akten, Berlin 1899.

(٧٦) **GP,** vol. 12, II, No. 3357: **Marshall an Hohenlohe,** confidential, Pera, Feb. 25, 1898.

(٧٧) نقلاً عن: **PAAA,** Tûrkei 175a, vol.1 **Bûlow an Kaiser Wilhelm II,** No. 1592/4848, June 4; 1898;

وانظر أيضاً: **GP,** vol. 12, II, No. 3368

(٧٨) انظر: ص ٢٨٠ و ٢٨١ من الكتاب.

(٧٩) **GP,** vol. 12, II, No. ~~3357:~~ **Marschall an Hohenlohe,** Feb. 25, 1898, p 595.

(٨٠) المرجع السابق: No. 3356: **Marschall an den vortragenden Rat in Auswârtigen Amt, Mumm von Schwarzenstein,** Pera, Feb. 24 1898.

(٨١) المرجع السابق: وراجع ص ٢٨٣ و ٢٨٤ من الكتاب.

(٨٢) **PAAA,** Tûrkei 175a, vol. 3: **Mûnster an Schillingsfûrst,** No. 106, April 23, 1898; **GP,** vol. 12, II, No. 3356 and No. 3365: **Marschall an das Auswârtige Amt, Telegramm,** Pera, May 20: 1898.

(٨٣) **PAAA,** Tûrkei, 175a: **Agence Havas** vom Sept. 6. 1898, No. 234, A 10384; **Kôlnische Zeitung** vom 10. Sept. 1898; **AKF** 51 (jan/Feb. 1899), p 43f.

(٨٤) وقارن أيضاً: **Shorrock,** op.cit. p 35f.

(٨٥) **PAAA,** Tûrkei 175a, vol. 13: **Marschall an das Auswârtige Amt.** No. 381, A 10513, Sept. 11, 1898.

(٨٦) **PAAA,** Tûrkei 175a: vol. 15: A 11920 oct 14, 1898; **Das Vaterland,** Wien, Sept. 13 1898.

وقارن أيضاً: **AKF** 51 (Jan/Feb/1899), p 44

(٨٧) **Konrad Lûbeck,** Die Katholische Orientmission in ihrer Entwicklung dargestellt, Kôln 1917, p 58; **HL** 41 (1897), No.3, p 89; **PAAA,** Tûrkei 175 a, vol. 12: **Jansen an Bûlow,** a 4779, April 18, 1898.

(٨٨) **PAAA,** Tûrkei 175a, vol. 16: **Germania** Non Dec. 14, 1898; vol. 17: **Der Gesandte in Rom an das Auswârtige Amt** No. 176, A 14647; **Kardinal Kopp an das Auswârtige Amt,** A 683, Jan. 17, 1899.

(٨٩) **Lûbeck,** p 58; **Georg Graf,** Geschichte der christlichen arabischen Literatur, vol. 4: die Schriftsteller von der Mitte des 15. bis zum Ende des 19. Jahrhunderts. Syrer, Armenier, Kopten, Missionsliterateur, profanliteratur, Vatikan MCMLI, p 190.

(٩٠) **PAAA, Preussen, 1,** No. 1, vol, 5: **Dr. Rasefeld an das Ministerium des Innern,** Sept, 20 1898; **Ministerium des Innern an das Auswârtige Amt,** A 2699, Sept. 30, 1898; **Ministerium des Innern an Tischendorf,** A 26 991, Sept. 30, 1898; **Ministerium des Innern an Marschall,** No. 639, Sept. 30, 1898; **Auswârtiges Amt an Bûlow,** No. 38, Sept. 30, 1898.

(٩١) **Karl Wippermann,** Deutscher Geschichtskalander fûr 1898. Sachlich geordnete Zusammen-

stellung der politisch Wichtigsten Vorgânge im In = und Ausland, vol. 2, Leipzig 1899, p 12.

(٩٢) **PAAA, preussen 1,** No. 1, vol. 5: **Kaiser Wilhelm II. an Marschall,** No. 16, Oct. 7, 1898; **Marschall an das Auswârtige Amt,** No., 424, Oct. 9, 1898; **Marschall an das Auswârtige Amt,** No. 435, Oct 11, 1898; **Unterstaatssekretâr an Bûlow,** No. 5, Oct. 12, 1898; **Bûlow an das Ministerium des Innern, No. 5, Oct. 12, 1898; Ministerium des Innern an Schillings-fürst,** No. 1199, Oct. 17; 1898.

(٩٣) المرجع السابق: Vol. 7: **Schrôder an das Auswârtige Amt,** Oct. 15, 1898; **Auswârtiges Amt an Schillingsfûrst,** No., 220, Oct. 26 1898.

(٩٤) **يوسف مزهر، تاريخ لبنان العام،** جـ ١، بيروت (حوالي ١٩٤٧) ص ٨١٢ والصفحة التالية

(٩٥) لتفاصيل دقيقة عن محطات الرحلة، راجع:
Das Deutsche Kaiserpaar im Heiligen Lande im Herbst, 1898, op.cit.; **Wippermann,** op.cit. p 13ff.

(٩٦) راجع: ص ٢١٣ ومـا يـلي من الكتاب.

(٩٧) **PAAA,** Tûrkei 175g, vol. 2: **Telegramm Jansens an Kaiser Wilhelm II,** No. 72, A 12575, Nov. 1, 1898; **Bûlow an das Auswârtige Amt,** No. 98, A 3109, Nov. 1, 1898.

(٩٨) **Shorrock,** op.cit. p 38; **Lammeyer,** op.cit. p 93f.

(٩٩) **PAAA, Preussen,** No. 1, vol. 7a: **Bûlow an wolff,** A 12624, Nov. 2, 1898, Das Deutsche Kaiserpaar..., op.cit., p 287f.
وقارن أيضاً:

(١٠٠) انظر: **David Yisraeli,** «Germany and Zionism», in: **Jahrbuch des Instituts fûr Deutsche Geschichte 4 (1975), Beiheft 1, p 143.**

(١٠١) نقلاً عن: **PAAA, Preussen** 1, No. 1, vol. 8 **Bûlow an das Auswârtige Amt,** No. 114, Mamascus, Nov. 8, 1989; No. 116 **dringend,** Nov. 9. 1898.

(١٠٢) المرجع السابق: vol. 8, **Geschâftstrâger in konstantinopel an Bûlow,** Nov. 11, 1898.

(١٠٣) **Eyck,** op.cit., p 239f.

(١٠٤) نقلاً عن: **Hugo Grothe,** Deutschland, die Tûrkei und der Islam, Leipzig 1914, p 10.

(١٠٥) **Fr. Naumann,** «Asia» - Athen, Konstantinopel, Baalbek, Damaskus, Nazaret, Jerusalem, Kairo, Neapel, 2. ed., Berlin 1899, p 145.

(١٠٦) **GP,** vol. 12, II, p 575.

(١٠٧) نقلاً عن: المرجع السابق، ص ٥٧٩. والصفحة التالية.

(١٠٨) انظر ما سبق: ص ٢١٤ ومـا يـلي

(١٠٩) نقلاً عن: Pressûbersicht in **PAAA, Preussen 1,** No. 1, vol. 8: **Untersekretâr im Auswârtigen Amt an Bulôw,** No. 129, Nov. 7, 1898.

(١١٠) راجع: تقرير **Nowoje Wremja** في: **PAAA,** Tûrkei 189: **Radowitz an Hohenlohe,** Vol. 1, No. 291, July 8, 1898.

(١١١) راجع: تقرير صحيفة **St. Petersburg** في: **PAAA,** Tûrkei 175a, vol. 13: A 8508, July 16, 1898.

(١١٢) راجع التقرير في: **PAAA,** Tûrkei, 175g, vol. 2, No. 133, Nov. 8, 1898 (= **Frankfurter Allgemeine Zeitung)** Nov.7, 1898.

(١١٣) نقلاً عن: **PAAA, Preussen** 1, No. 1, vol. 5: **Botschafter in London an Schillingsfûrst,** No., 675, Oct. 12, 1898, 3 **Anlagen.**

(١١٤) نقلاً عن المرجع السابق: Vol. 7: **Botschafter in London an Schillingsfûrst,** No. 697, Oct. 21, 1898.

(١١٥) نقلاً عن المرجع السابق: Vol. 5: **Botschafter in London an das Auswârtige Amt,** A 10156, Aug. 31, 1898.

(١١٦) المرجع السابق: Vol. 7: **Botschafter in London an Schillingsfûrst, No.** 701, Oct. 23, 1898.

(١١٧) نقلاً عن المرجع السابق: Vol. 5: **Botschafter in London an Schillingsfûrst,** No. 675, Oct. 11, 1898; No. 671, Oct. 8, 1898.

(١١٨) **PAAA,** Tûrkei 175a, Vol. 6: **Caprivi an den deutschen Botschafter in Wien** No. 331, june 27, 1892; **Deutscher Botschafter in Wien an Caprivi,** No. 183 July 7, 1892.

(١١٩) المرجع السابق: Vol. 14: A 11556, Oct. 6, 1898

(١٢٠) **PAAA,** Tûrkei 189, Vol. 1, No. 28, A 9405, Aug. 16, 1898.

(١٢١) المرجع السابق: **Anlage zu dem Bericht No.** 32, A 3656/08.

(١٢٢) نقلاً عن: **Mârkische Volkszeitung,** Nov. 9, 1898.

(١٢٣) **Rathmann,** op.cit. vol 1, p 181.

(١٢٤) نقلاً عن المرجع السابق: ص ١٨٢، والصفحة التالية.

حواشي الخلاصة العامة

(١) نقلاً عن: **HL** 46 (1902), No. p7.

(٢) نقلاً عن: **Alex Carmel,** «Die deutsche Palâstinapolitik 1871 - 1914», in **Jahrbuch des Instituts fûr deutsche Geschichte, Tel - Aviv,** 4 (1975), p 241.

(٣) Das Deutsche Kaiserpaar im Heiligen Lande im Herbst 1898. Nach authentischen Berichten und Akten, Berlin 1899, p 11.

(٤) المرجع السابق: ص ٤٥.

(٥) هذا الرقم يعود للعام ١٨٩٨، راجع: **Alex Carmel:** Die Siedlungen der wûrttembergischen Templer in Palâstina 1868 - 1918, Ihre Lokalpolitischen und internotionalen probleme, Stuttgart 1973, p 67.

وطبقاً لتقديرات السفارة الالمانية في الاستانة فقد كان يعيش عام ١٩٠٢ (٧٢٠) ألمانياً في ولايتي بيروت ودمشق.

انظر: **PAAA,** Tûrkei 189: **Deutsche Botschaft in Konstantinopel an Reichskanzler von Bethmann Hollweg,** No. 257, Therapia, Sept. 1, 1911 (Anlage)

(٦) راجع: **خيرية قاسمية**، النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه، ١٩٠٨ - ١٩١٨، بيروت ١٩٧٣ ص ١٠.

(٧) **BZ** 20 (1904), No. 3, p 39 ff.

(٨) حول أعداد تلاميذ المدارس الفرنسية، راجع:
PAAA, Tûrkei 189: zu A 12584, **Kôlnische Zeitung vom July 16, 1913,** العدد الأخير (٤٠ ألف) يعود لعام ١٩٠٧

(٩) المرجع السابق.

(١٠) طبقا لحاشية رقم ٥ قدرت السفارة الألمانية في الاستانة ان هناك ٤٥٠٠ مواطن ألماني ومتمتع بالحماية الألمانية يعيشون في السلطنة العثمانية، منهم ٢٠٠ سويسري.

(١١) ارتفعت المساعدة التي كانت تقدمها الحكومة الألمانية الى المؤسسات الالمانية في الخارج الى ١٥٠ ألف مارك في عام ١٨٩٨، راجع:
PAAA, Tûrkei 175a, vol. 14: zu A 11382, **Kôlnische Zeitung,** Sept 11, 1898.

(١٢) بلغ مجمل مساعدات الحكومة الفرنسية الى مؤسساتها في الشرق عام ١٨٩٣ (٧٠٠) الف فرنك، راجع تفاصيل أخرى على هذا الموضوع في: **PAAA,** Tûrkei 175a Vol. 11 **Deutsche Botschaft in Paris an Reichskanzler zu Hohenlohe - Schillingsfûrst.** No. 12. Jan. 12, 1895.

(١٣) انظر: **A.L. Tibawi** «Russian Cultural Penetration of Syria - Palestine in the Nineteenth Century» II, in: **Royal Central Asian Journal**, (1966), p 318.

(١٤) حول هذه الأسباب وعلاقتها بالأوضاع الداخلية بألمانيا راجع: **Franz Schnabel,** Deutsche Geschichte im neunzehnten Jahrhundert, vol. IV: Die religiôsen krâfte, 2.ed. Freiburg i, Br. 1915, p 535.

(١٥) حول هذا الموضوع راجع: **Harold W.V. Temperley,** «The Last phase of stratford de Redcliffe, 1855 - 1858, in: **English Historical Review** 47 (1932), p 216f, 229, 257ff.

(١٦) بالنسبة لمدارس بيروت، انظر: **NNM** 42 (1898), No. 5, p 150 ff بالنسبة للقدس انظر: **BZ** 20 (1904), No. 3, p 33ff.

(١٧) قارن: Alex Carmel, op.cit. p 33, 296.

(١٨) نقلاً عن: **KM** 32 (1903/04), No. 9, p 218.

(١٩) نقلاً عن: **HL** 46 (1902), No. 1, p 11.

(٢٠) راجع: **HL** 42 (1898), No. 2, p 80f.

(٢١) نقلاً عن: **Erwin Roth,** Preussens Gloria im Heiligen Land. Die Deutschen und Jerusalem, Mûnchen 1973, p 133.

(٢٢) انظر ما سبق: ص ٦٠ وما يلي.

(٢٣) نقلاً عن: **HL** 8 (1864), No. 5, p 158

(٢٤) راجع: **Matthew Smith Anderson,** The Eastern Question, 1774 - 1923. A study in International Relations, London 1966, p 264ff.

يرى هلموت ميشر ان المساومات التي رافقت مد خط حديد بغداد وتوسيعه قد ساعدت كل من فرنسا وبريطانيا على تدعيم نفوذها في السلطنة العثمانية، انظر:

Helmut Mejcher, «Die Bagdadbahn als Instrument deutschen wirtschaftlichen Einflusses im Osmanischen Reich», in: **Geschichte und Gesellschaft 1 (1975), p 476.**

(٢٥) **Anderson,** p 266; **Carmel,** op.cit. p 198 ff.

المصادر والمراجع والفهارس

حواشي الملحق

(١) تم تجميع هذه المعلومات من المصادر التالية:
Handbuch über den königlich preussischen Hof und Staat (Beziehungsweise **preussischer Staatskalender**) J g. 1835- 1916; **Gothaischer genealogischer Hofkalender nebst Diploma-tisch - statistischen Jahrbuch, Jg. 1835 - 1914; Register der GP. vol 6 and vol. 12.**

(٢) بقي الغراف برازير عاماً آخراً في الأستانة رغم تسلم خلفه لمنصبه.

(٣) تم تجميع المعلومات عن: **Handbuch über den königlich preussischen Hof und Staat; Gotha-scher genealogischer Hofkalender...,** op.cit.

(٤) إضافة إلى المصادر أعلاه، راجع:
Mordechai Eliav, «German Interests and the Jewish Community in the Nineteenth - Century Palestine », in: **Studies on Palestine during the Ottoman Period, hrsg.** von **Moshe Ma'oz**, Jerusalem 1975, pp 423 - 441.

(٥) انظر: **Fritz Ulrich,** Geschichte der evangelischen Gemeinde zu Beirut, 1856- 1906. Fest-schrift zum 50 jährigen Jubilâum, Berlin 1907, p 69.

(٦) انظر: **Gerhard Küchler,** «Johann Gottfried Wetzstein, Königlich Preussischer Konsul in Damaskus 1848 - 1862. **Jahrbuch für brandenburgische Landesgeschichte 29** (1978), p 7.

(٧) تم تجميع المعلومات عن: **Hans - Wilhelm Hertzberg,** Jerusalem. **Geschichte** einer Gemeinde, Kassel 1965.

(٨) تم تجميع المعلومات عن: **Ulrich,** op.cit., p 68f.

١ - المصادر والمراجع العربية

الأسود، ابراهيم: الرحلة الامبراطورية في الممالك العثمانية، بعبدا ١٨٩٨ .

التميمي، رفيق ومحمد بهجت: ولاية بيروت، ط ٢، بيروت ١٩٧٩ .

حنا، عبد الله: القضية الزراعية والحركات الفلاحية في سوريا ولبنان، جـ ١ (١٨٢٠ - ١٩٢٠)، بيروت ١٩٧٥ .

الخازن، فيليب وفريد: المحررات السياسية والمفاوضات الدولية عن سوريا ولبنان، جـ ١، جونيه ١٩١١/١٩١٠ .

الخالدي ، مصطفى وعمر فروخ التبشير والاستعمار في البلاد العربية، ط ٢، بيروت ١٩٥٧ .

زين، زين: الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان ، بيروت ١٩٧١ .

سنّو ، عبد الرؤوف : أثر الغرب الأوروبي في حركة الاصلاحات في الدولة العثمانية ، اطروحة دبلوم في التاريخ ، جامعة بيروت العربية ١٩٧٥ .

سنو ، عبد الرؤوف : « العلاقات الروسية - العثمانية (١٦٨٧ - ١٨٧٨) . روسيا ومشاريع تقسيم الدولة العثمانية » ، **مجلة تاريخ العرب والعالم** ، العددان ٧٥ - ٧٦ ، ١٩٨٥ ، ص ٣٤ - ٤٧ .

صلاح، حنا: فلسطين وتجديد حياتها، نيويورك ١٩١٩ .

العارف، عارف: تاريخ المسيحية في القدس، القدس ١٩٥١ .

العطار، نادر: تاريخ سوريا في العصور الحديثة، دمشق ١٩٦٢ .

عوض، عبد العزيز: الادارة العثمانية في ولاية سوريا ١٨٦٤ - ١٩١٤، القاهرة ١٩٦٩ .

غرابيه، عبد الكريم: سوريا في القرن التاسع عشر، ١٨٤٠ - ١٨٧٦، القاهرة ١٩٦٢/١٩٦١ .

فهمي، وليم: الهجرة اليهودية الى فلسطين المحتلة، القاهرة ١٩٧١ .

قاسمية، خيرية: النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه ١٩٠٨ - ١٩١٨، بيروت ١٩٧٣ .

القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية/ وزارة الدفاع الوطني - الجيش اللبناني،

مزهر، يوسف: تاريخ لبنان العام، جـ ١، بيروت بدون تاريخ.

مكاريوس، شاهين: «المعارف في سوريا»، المقتطف ٧ (١٨٨٣)، ص ٣٨٥ - ٩٢، ٤٦٥ - ٦٧، ٥٢٩ - ٣٧ .

منصوراً سعد: تاريخ الناصرة، القاهرة ١٩٢٤ .

٢ - المصادر والمراجع الأجنبية

أ - الوثائق غير المنشورة :

POLITISCHES ARCHIV DES AUSWÄRTIGEN AMTES, BONN (PAAA)

Preussen N. 1 - 1, Nr. 4^v: Reisen Seiner Majestät des Kaisers nach dem Orient (Athen, Constantinopel, Palästina, Egypten), Bd. V bis X, August 1898 bis Mai 1900.

Türkei 126: Der Schutz der Christen in Palästina, 1877 - 78.

Türkei 140: Die Streitigkeiten zwischen Christen und Mohammedanern in Haifa, Bd. 1, 1880.

Türkei 175 a: Die Christen in der Türkei, Bd. I bis IV, 1886 - 1891, (Katholische Kirche) Bd. V - XXIII, 1891 - 1902.

Türkei 175g: Das Coenaculum und die Dormition de la Sainte Vierge, Bd. I bis V, 1897 p 1901.

Türkei 177: Der Libanon (Syrien), Bd. I bis IV, 1887 - 1901.

Türkei 182: Schulen in der Türkei, Bd. I, 1889 - 1907, Bd. II,1907 - 1915.

Türkei 189: Plan deutscher Ansiedlungen in Kleinasien, Bd. I, II, 1891 - 1913.

Acta der Kaiserlich Deutschen Botschaft zu Constantinopel, Abt. II: Die protestantische Gemeinde in Beirut 1860- 1873, Fach 98, 29d, Nr.2 (enthält auch Aktenstücke aus späteren Jahren).

Acta der Kaiserlich Deutschen Botschaft zu Constantinopel, Glie 192, 32c: Der Besitztitel - Umschreibungen der Diakonissen - Anstalten - Johanniter Hospiz zu Jerusalem, Bd. I pro 1876 - August 1889, betr. die Eigentumsverhältnisse an dem Evangelischen Pastorat, dem Johanniter Hospize und den deutschen Wohltätigkeitsanstalten zu Jerusalem.

Acta der Kaiserlich deutschen Botschaft zu Constantinopel, betr. Die Wohltätigkeits - Anstalten des Diakonissen - Vereins Kaiserswerths, Gen. 196, 33b, Bd. III pro 1900.

Acta der Kaiserlich Deutschen Botschaft zu Constantinopel, betr. Syrisches Waisenhaus (Schneller) in Jerusalem, Gen 195, 33a, Bd. III pro 1903 - 1910.

Acta der Kaiserlich Deutschen Botschaft zu Constantinopel: Ausübung der ärztlichen Praxis in der Türkei, Spec. 154, Nr. 1, 34e. pro 1883.

General - Acten des Norddeutschen Bundes - Konsulats zu Bairut, betr. Kirchen - und Schul - Sachen und Angelegenheiten milder Stiftungen überhaupt, (auch?) zu Wohltätigkeits - zwecken, Bd. II (beginnt 1868), Rep. Nr. 77 K.

Acten des deutschen Reichs- Konsulats zu Beirut, betr. Deutsche Schulen zu Beirut, seit dem Jahre 1883 auch die deutschen schulen in Haifa, 196 (S), K 111, 1881- 1888.

PREUSSISCHES GEHEIMES STAATSARCHIV, BERLIN (PGSA)

Die Berathung über die Zweckmässigkeit eines Friedens - schlusses mit den nordafrikanischen Raubstaaten behufs der Sicherstellung der preussischen Flagge im mittelländischen Meere. Rep. 109 - ac 3/47.

FOREIGN OFFICE ARCHIVE IN PUBLIC RECORD OFFICE, LONDON (F. O.)

وثائق مختلفة تتعلق بانشاء مطرانية القدس الانجيلية والسياسة الاستعمارية البروسية في السلطنة العثمانية تحت المتاتيح التالية :

64/235, 64/241, 78/429, 78/437, 78/439, 78/473, 78/507.

ARCHIVE JERUSALEM (AJ)

ما تبقى من أرشيف القنصلية الألمانية في القدس، ١٨٥٠ - ١٨٧٨ :

67/450. Schiffssachen, A XXXVIII 1.
67/451. Janhresberichte 1869 - 1873, A XXXIX 1.
67/452. Jahresberichte 1874- 1876, A XXXIX 3.
67/454. Jahresberichte 1878 - 1881, A XXXIX 4.

ARCHIV DES JERUSALEMSVEREINS. BERLIN (AJV)

Anglikanisches Bistum und evangelische Gemeinde in Jerusalem, 1853 - 1893.

Mâdchen - Waisenhaus Talitha - Kumi des Kaiserswerther Mutterhauses, 1853 - 1942 (= **KMS).**

Syrisches Waisenhaus in Jerusalem, 1887 - 1940.

ب - المصادر المنشورة :

(١) كتب الوثائق :

Abeken, Hedwig: Ein schlichtes Leben in bewegter Zeit, aus Briefen zusammengestellt, 3. Aufl., Berlin 1904.

Abeken, Heinrich: Das evangelische Bisthum in Jerusalem. Geschichtliche Darlegung mit Urkunden, Berlin 1842.

Bulwer, Henry Lytton: The Life of Henry John Temple, Viscount Palmerston: with Selections from his Diaries and Correspondence, Bd. II, London 1870.

Politische Correspondenz Friedrichs des Grossen, hrsg. von **Joh. Gust. Droysen, Max Duncker, Heinrich von Sybel,** Bd. XI, Berlin 1883, Bd. XIX, Berlin 1892.

Eliav, Mordechai: Die Juden Palästinas in der deutschen Politik, 1842 - 1914, Tel - Aviv 1973.

Hechler, W.H.: The Jerusalem Bishopric. Documents, with Translations, chiefly derived from «Das Evangelische Bisthum in Jerusalem», London 1883.

Hurewitz, J.C. (Hrsg.) The Middle East and North Africa in World Politics. A Documentary Record, Bd. I: European Expansion 1535 - 1914, 2. Aufl., New Haven et al. 1975.

Hyamson, Albert M. (Hrsg.): The British Consulate in Jerusalem in Relation to the Jews of Palestine (1838 - 1914), 2 vols. London 1939 und 1941.

Kamptz, C.A. v.: Die Handels - und schiffahrtsverträge des Zollvereins, Berlin 1845.

Martens, de (Hrsg.): Recueil des principaux Traités d'Alliance, de Paix, de Tréve, de Neutrali-

té, de commerce, de Limites, d'échange etc. conclus par les Puissances de L'Europe tant entre elles qu'avec Les puissances et etats dans d'autres parties du monde. Depuis 1761 jusqu'à présent, vol. iii: 1787- 1790 inclusiv, Cöttingen 1791.

Martens, Geo. Fréd. de (Hrsg.): Recueil de Traités d'Alliance, de Paix, de Trève, de Neutralité, de commerce, de Limites, d'échange etc. et de plusieurs autres actes servant à la connaissance des relations étrangères des Puissances et états de L'Europe tant dans leur rapport mutuel que dans celui envers les puissances et états dans d'autres parties du globe. Depuis 1761 jusqu' à présent, 2., durchges. U. erw. Aufl., vol. LV: 1789- 1789- 1790 inclusiv, Göttingen. 1818.

Nippold, Friedrich: Christian Carl Josias Freiherr von Bunsen, Aus seinen Briefen und nach eigener Erinnerung geschildert von seiner Witwe, vol. II, Leipzig 1869.

Die Grosse Politik der Europäischen Kabinette 1871 - 1914. Sammlung der Diplomatischen Akten des Auswärtigen Amtes, im Auftrage des Auswärtigen Amtes hrsg. von Johannes Lepsius, Albrecht Mendelssohn - Bartholdy und Friedrich Thimme. vol. 6, Berlin 1922, vol. 10, Berlin 1923, vol. 12, Berlin 1924.

Ranke, Leopold von: Aus dem Briefwechsel Friedrich Wilhelms IV. mit Bunsen, Leipzig 1863.

(٢) تقارير ومنشورات الجمعيات والارساليات :

Smith, Henry: The Protestant Bishopric in Jerusalem. Its Origin and Progress, London 1847.

Berichte über das Aussätzigenasyl in Jerusalem, 20, Jg. (1886) ff., Berthelsdorf 1887 ff.

Berichte über das Diakonissen - Haus zu Jerusalem, 1. Jg. (1851) ff., Kaiserswerth.

Berichte über die Diakonissen - Station in Beirut am Libanon (namentlich über das Waisenhaus Zoar), 1. Jg. (1861) ff., Kaiserswerth 1862 ff. (= **B. Zoar).**

Stenographische Berichte über die Verhandlungen des Reichstages, 8. Legislaturperiode, I. Session 1890/91, 2. Anlageband, vol. 122, Berlin 1891.

Bowring, John: Report on the Commercial Statistics of Syria. Addressed to the Right Hon. Lord Viscount Palmerston (= **British Parliamentary Papers 21**), London 1840.

Disselhoff, Julius, An Appeal for Turkish Orphans in Palestine under Christian Instructions, and a Short Report of the Circumstances, Kaiserswerth, Juli 1879.

Fliedner, Theodor: Nachricht über die Schulen und andere Anstalten der Diakonissen - Stationen in Morgenlande, zunächst an die vereine und Freunde der Gustav = Adoloph = Stiftung, und herzliche Bitte an diselben, Kaiserswerth 1854.

Hausordnung der Pilgeranstalt auf St. Chrischona, Basel 1869.

Fünfzig Jahre Kaiserswerther Diakonissen - Arbeit im heiligen Lande. Festschrift zur Jubelfeier der Diakonissen - Anstalten in Jerusalem am 4. Mai 1901, Kaiserswerth. 1901.

Jahresberichte des Aussätzigenasyles in Jerusalem, Jesus Hilfe, 1. Jg. (1867) ff., Demmin 1868 ff.

Jahresberichte über die Diakonissen - Anstalt zu Kaiserswerth am Rhein, 21. Jg. (1858) ff., Kaiserswerth. (**Jb. der DAK).**

Jahresberichte des Jerusalemsvereins '. Jg. (1853) ff., Berlin (= **Jb. des JV).**

Jahresberichte über das Kinder - Hospital Marienstift in Jerusalem, Jerusalem 1889 ff. (= **Jb. des KHMS).**

3. Jahresbericht des Krankenhauses zur heiligen Familie in Nazareth, Nazareth, 24. Februar 1885.

Jahresbericht der Pilgermissionsanstalt auf St. chrischona, 21. Jb. ff., Basel 1870 ff.

Jahresberichte des Syrischen Waisenhauses in Jerusalem, 1. — 24. Jg. (1860/61 - 1884), Basel, 25. - 26. Jg. (1885 - 1886), Jerusalem (= **Jb. des Syrw).**

Das erste Jahrzehnt **der Diakonissen - Anstalt zu Kaiserswerth am Rhein, vom Oktober 1836 bis Januar 1847 in einem Abdrucke der zehn ersten Jahresberichte, nebst einem Vorwort, als Uebersicht über die zehnjährige Wirksamkeit,** Kaiserswerth 1847.

Das zweite Jahrzehnt der Diaconissen - Anstalt zu Kaiserswerth am Rhein, in einem Abdrucke des 11. - 20. Jahresberichtes vom 1. Januar 1847 bis 1. Januar 1857, Kaiserswerth 1857.

Nachrichten aus Jerusalem, Basel 1846.

Deutsche Palästinabank, Charlottenburg o.j. (um 1914).

Die Pilgermission auf St. Chrischona, Basel 1869.

19. Rechnungsbericht über die Kaiserswerther - Anstalten in Beirut, 1. Juli 1895 bis 30. juni 1897, Kaiserswerth 1897.

Rundschreiben an die Freunde der Pilgermissionsanstalt, Nr. 5 ff., Basel 1853 (= **RSFPM).**

Sammlung sämmtlicher Drucksachen der Zweiten Kammer aus der dritten Session der II. Legislatur = Periode 1851 bis 1852, vol. II und V, Berlin 1852.

(٣) الدوريات :

Armen - und Krankenfreund! Eine Zeitschrift für die Diakonie der evangelischen Kirche, namentlich für die Armen, Kranken , Kinder und Gefangenen - Pflege, nebst Mittheilungen über verwandte Bestrebungen, auch in anderen Kirchen, gegründet von **Theodor Fliedner** , Kaiserswerth später Düsseldorf, 1. Jg. (1849)- 58. Jg. (1906) (= **AKF).**

Alldeutsche Blätter, Mitteilungen des Allgemeinen Deutschen Verbandes, Berlin, No. 49 vom 8. Dezember 1895.

Bote aus Zion. Quartalsschrift des Syrischen Waisenhauses in Jerusalem, hrsg. im Namen des

Komitees des Syrischen Waisenhauses von **Johann Ludwig Schneller,** seit 1888 **von Schneller,** Jerusalem, 1. Jg. (1885) - 21. Jg. (1905) (**=BZ).**

Dank - und Denkblätter aus der Kaiserswerth Diakonissen - Arbeit im Morgenlande, Kaiserswerth, 1. Jg. (1901) - 13. Jg. (1913) (**= DDB).**

Evangelisches Gemeindeblatt für Palâstina, Jerusalem, 1. j.g. (1925) - 9. Jg. (1933) (**= EGBP).**

Handels - Archiv, Berlin 1847 - 55, seit 1856 **Preussisches Handels - Archiv,** seit 1881 **Deutsches Handels - Archiv** (**= HA).**

Konstantinopler Handelsblatt, Organ fûr Handel, Finanzen, Industrie und Verkehr in der Levante, hrsg. von **Hugo von Koeller,** Konstantinopel, 1. Jg. (1896) ff. (**= KH).**

Das heilige Land. Organ des Vereins vom Heiligen Grabe, hrsg. von dem Vorstande des Vereins zum Besten des heiligen Landes, seit 1895 Organ des Deutschen Vereins vom Heiligen Lande, Kôln, 1. Jg. (1857) - 59. Jg. (1915) (**= HL).**

Im Lande der Bibel. Neue Folge der Neuesten Nachrichten aus dem Morgenlande Berlin (West), 1. Jg. (1956) ff.

Deutsche Levante = Zeitung. Organ der Deutschen Levante = Linie, der Hamburg = Amerika Linie, der Mittelmeer = Linie Rob. M. Sloman jr., des Deutschen Balkan Vereins E. V.u. a., Hamburg, 1. Jg. (1911) - 7. Jg. (1917) (**= DLZ).**

Die Katholischen Missionen. ILLustrierte Monatschrift im Anschluss an die Lyoner Wochenschrift des Vereins der Glaubensverbreitung hrsg. von einigen Priestern der Gesellschaft Jesu, 31. Jg. (1902/03) und 32. Jg. (1903/04) (**= KM).**

Ôsterreichische Monatsschrift fûr den Orient, hrsg. vom Orientalischen Museunm in Wien.

Neueste Nachrichten aus dem Morgenlande, hrsg. **vom Jerusalemsverein zu Berlin,** 1. Jg. (1857) - 59. Jg. (1915) (**= NNM),** seit 1956 « **Im Lande der Bibel».**

National - Zeitung, Berlin, Jg. 1898 und 1899.

Palâstina - Blatt. Vierteljahresschrift des Palâstina - Vereins der Katholiken Deutschlands, Aachen, 1. Jg. (1886) - 10. Jg. (1895) (**= PB).**

Palâstinajahrbuch des Deutschen Evangelischen Instituts fûr Altertumswissenschaft des Heiligen Landes zu Jerusalem, Berlin, 1. Jg. (1905) ff.

Wochenblatt der Johanniter = Ordens = Balley Brandenburg, Berlin, 1. Jg. (1860) - 47. Jg. (1906) (**= WBJO).**

Zeitschrift der Deutschen Morgenlândischen Gesellschaft, Leipzig, 1. Jg. (184) ff. (**= ZDMG).**

Zeitschrift des Deutschen Palâstina - Vereins. Beiträge zur biblischen Landes - und Altertumskunde, zugleich Organ des Deutschen Evangelischen Instituts fûr Altertumswissenschaft des Heiligen Landes, Wiesbaden, 1. Jg. (1878) - 23. Jg. (1900) (**= ZDPV).**

Augsburger Allgemeine Zeitung, Jg. 1841 und 1865 (**= AAZ).**

(٤) مذكرات وكتب رحلات معاصرة إلخ .

Alethes, Christophilos: Die Lage der Christen in der tûrkei und das russische Protectorat, Berlin 1854.

Arbeit und Aufgabe der evangelischen Kirchen in Jerusalem, Berlin 1895.

Aus deutscher Bildungsarbeit im Auslande. Erlebnisse und Erfahrungen in Selbstzeugnissen aus aller Welt, hrsg. **von Franz Schmidt und Otto Bölitz,** 2. Bd.: **Ausseneuropa,** Langensalza 1928.

Bliss, F.J.: The Reminiscences of Daniel Bliss, New York - Chicago 1920.

Burton, Isabel: The Inner Life of of Syria, Palestine and the Holy Land. From my Private Journal, vol. I, London 1875.

Curtius, Friedrich (Hrsg.): Denkwûrdigkeiten des Fûrsten Chlodwig zu Hohenlohe =Schillingsfûrst, vol. 1, 4. Abdruck, Stuttgart - Leipzig 1907.

Dehn, Paul: Deutschland und Orient in ihren wirtschaftlichen Beziehungen, vol. I, Mûnchen - Leipzig 1884.

Dellenbusch, E.: Merkantil - Memoiren aus der Tûrkei, Dûsseldorf 1841.

Engelbrechten, C.A. v.: Kaiser Wilhelms Orientreise und deren Bedeutung fûr den deutschen Handel. Neue Bahnen und Wege fûr den deutschen Ausfuhrhandel, Berlin 1890.

Eppler, Paul: Geschichte der Basler Mission, 1815 - 1899, Basel 1900.

Fichte, Joh. Gottlieb: Beitrag zur Berichtigung der Urteile des Publikums ûber die franzôsische Revolution. Erster Teil: Zur Beurteilung ihrer Rechtmâssigkeit (1793). Beigefûgt die Rezension von Friedrich von Gentz, hrsg. von **Richard Schottky,** Hamburg 1973.

Fliedner, Theodor: Das Mâdchenwaisenhaus Zoar in Beirut, Kaiserswerth 1864.

Fliedner, Theodor: Reisen in das heilige Land, nach Smyrna, Beirut, Constantinopel, Alexandrien und Cairo, in den Jahren 1851, 1856 und 1857, vol. I, Kaisers werth 1858.

Die orientalische Frage der deutsch- evangelischen kirche, Bern 1843.

Gothaischer genealogischer Hofkalender nebst Diplomatisch - statistischem Jahrbuch, Gotha 1835 ff.

Graham, James: Jerusalem. Its Missions, Schools, Converts, etc. under Bishop Gobat, London 1858.

Hagenmeister, Julius: Der europâische Handel in der Tûrkei und in Persien, Leipzig 1838.

Handbuch der deutschen Aktiengesellschaften fûr Bankiers, Leipzig 1896.

Handbuch ûber den Kôniglichpreussischen Hof und Staat, Berlin 1820 ff.

Hoffmann, C.: «Das fûnfzigjährige Jubilâum der Pilgermission auf St. Chrischona», in: **Neueste Nachrichten aus dem Morgenlande** 34 (1890), Nr. 4/5, S. 89 - 105.

Hoppe, Paul: Geschichte der deutschen evangelischen Kirche und Mission im Heiligen Lande, Gûtersloh 1898.

Hundeshagen, Karl Bernhard: Das anglo =preussische Bisthum zu St. Jacob in Jerusalem and was daran hângt, Friburg 1842.

Jost, Isaak Markus: Neuere Geschichte der Israeliten von 1815 bis 1845, Berlin 1846.

Jowett, W.: Christian Researches in the Mediterranean from 1815 to 1820, London 1824.

Jowett, W.: Christian Researches in Syria and the Holyland in 1823 and 1823 and 1824, London 1825.

Das Deutsche Kaiserpaar im Heiligen Lande im Herbst 1898. Nach authentischen Berichten und Akten, Berlin 1899.

Kober, Johannes: Christian Friedrich Spittler's Leben, Basel 1887.

Krauss, J.: Hamburgs Rhederei und die Levante im 19. Jahrhundert, Hamburg 1902.

Lamy, Etienne: La France du Levant, Paris 1900.

Lietzow, Paul: Ein Besuch in der heiligen Stadt, Berlin 1888.

Loehnis, H.: Die wichtigsten Ergebnisse einer Informationsreise in die Levante am Bord des Dampfers «Lucifer» (October und November 1881), Leipzig 1882.

Moltke, Helmuth von: «Deutschland und Palâstina», in: **Beilage zur Augsburger Allgemeinen Zeitung,** Nr. 59 vom 28. Februar 1841, S. 468f.

Moltke, Helmuth von: Gesammelte Schriften und Denkwûrigkeiten, vol. 2: Vermischte Schriften, Berlin 1892, vol. 8: **Briefe Über Zusânde und Begebenheiten in der Tûrkei aus den Jahren 1835- 1839**, Berlin 1893.

Naumann, Fr.: «Asia» - Athen, Kostantinopel, Baalbek, Damaskus, Nazaret, Jerusalem, Kairo, Neapel, 2. Aufl., Berlin 1899.

Neumann, Bernhard: Die Heilige Stadt und deren Bewohner in ihren naturhistorischen, culturgeschichtlichen, socialen und medicinischen Verhâltnissen, Hamburg 1877.

Palâstina als Ziel und Boden germanischer Auswanderung und Kolonisation mit Rûcksicht auf eine germanische Kolonisation des Orients im Allgemeinen, Pest- Wien- Leipzig 1868.

Pflanz, Richard: Verlassen, nicht vergessen. Das heilige Land und die deutsch - evangelische Liebesarbeit. Zum 50 Jährigen Jubelfest des Jerusalemsvereins. Mit einem Vorwort von Graf von Zieten - Schwerin, Neu - Ruppin, Berlin 1903.

Pflanz: «Die Arbeit der Katholiken Deutschlands für das heilige Land», in: **Neueste Nachrichten aus dem Morgenlande** 48 (1904), No. 5 pp. 151- 165.

Pinkus, Lazar Felix: Palâstina und Syrien. Untersuchungen zur Wirtschaftspolitik, Genf 1903

Rappard, Heinrich C.: Fûnfzig Jahre der Pilgermission auf St. Chrischona, 2., verm. Aufl. Der Gedenkschrift: Die Pilgermission zu St. Chrischona, Basel 1908.

Rau, Heinrich: «Das evangelische Aussâtzigenhaus bei Jerusalem im Jahre 1879» in: **Neueste Nachrichten aus dem Morgenlande** 24 (1880), Nr. 2, S. 29 - 34.

Reinicke, Carl: «Die evangelische Mission in Palâstina», in: **Zeitschrift des Deutschen Palâstina - Verins,** 4 (1881), pp. 13- 30.

Roscher, W.: Zur Grûndungsgeschichte des Zollvereins, Berlin 1870.

Ross, L.: Kleinasien und Deutschland. Reisebriefe und Aufsâtze, Halle 1850.

Scherzer, Carl v.: «Deutschland und der Orienthandel» in: **Oesterreichische Monatsschrift für den Orient,** Nr. 12 vom 15. December 1881, S. 187 - 192.

Schick, Conrad: «Studien ûber Colonisirung des Heiligen Landes», in: **Ôsterreichische Monatsschrift für den Orient,** Jg. 1881, Nr. 3, S. 37 - 39; Nr. 4, S. 58 - 61; Nr. 5, 80f.

Schlagintweit, Max: «Die Hâfen der syrischen Kûste und die Deutsche Levante - Linie», in: **Asien** 2 (1903), S. 107 - 09, 125 - 28.

Schneckenburger, M.: Die Berliner evangelische Kirchenzeitung im Kampfe fûr das Bisthum in Jerusalem, Ein Vorschlag zum Frieden, Bern 1844.

Schneider, H.G.: Das Aussâtzigenasyl in Jerusalem. Geschichtliche Darstellung seines nunmehr 20 Jährigen Bestehens, Berthelsdorf 1888.

Schneller, Johann «Waisenhaus - Colonien im heiligen Lande. Nachricht und Bitte an Freunde des Reiches Gottes», in: **Neueste Nachrichten aus dem Morgenlande** 21 (1877), Nr. 93, S. 144 - 154.

Schneller, Ludwig: Aus meiner Reisetasche. Wanderbuchnotizen aus Palâstina, Leipzig 1901.

Schneller, Ludwig: Vater Schneller, ein Patriarch der evangelischen Mission im Heiligen Lande. Mit einem Lebensbilde von Frau Magdalene Schneller, Leipzig 1904.

Schneller, Ludwig: Trôstet Jerusalem. Tagebuchblâtter über eine Inspektionsreise zu den Anstalten des Syrischen Waisenhauses im Heiligen Lande, Kôln 1906.

Schneller, Ludwig: Wûnschet Jerusalem Glûck! Festschrift zum 50 Jährigen Jubilâum des Syrischen Waisenhauses in Jerusalem, Mûnster 1911.

Schneller, Ludwig: Evangelische Mission im Heiligen Lande. Entstehungsgeschichte, Arbeit und Missionsziele des Syrischen Waisengauses in Jerusalem, Mûnster 1914.

Schubert, G. H. v.: Reise in das Morgenland in den Jahren 1836 und 1837, Erlangen 1838/39.

Schwob, Maurice: Le Danger Allemand. Etude sur le développement Industriel et Commercial de L'Allemagne, Paris 1896.

Christian Friedrich Spittler im Rahmen Seiner Zeit, mit einem Vorwort von A. Garasin, vol. I, Basel 1878.

Preussischer **Staatskalender, Handbuch über den Königlich preussischen Hof und** : انظر
Staat.

Tobler, Titus: Denkblätter aus Jerusalem, Konstanz 1853.

Treitschke, Heinrich von: Deutsche Geschichte im neunzehnten Jahrhundert, vol. IV and V, Leipzig 1889 und 1894.

Verdy du Vernois, F.V.: Die Frage der Heiligen Stätten, Berlin 1901.

Verney, Noel, und George Dambmann: Les Puissances Étrangères dans le Levant, en Syrie et en Palestine, Paris - Lyon 1900.

Weser, Hermann: Geschichte des Jerusalems - Vereins für Evangelisation des heiligen Landes, 2., verm. Aufl., Berlin 1898.

Wippermann, Karl: Deutscher Geschichtskalender für 1898. Sachlisch geordnete Zusammenstellung der politisch wichtigsten Vorgänge im In = und Ausland, vol. 2, Leipzig 1899.

Wolff, Philipp: Jerusalem, Leipzig 1857.

Wolff, Philipp: «Zur Frage über die Colonisation von Palästina» in: **Augsburger Allgemeine Zeitung** vom 13. Juli 1865, S. 3162f.

Wolff, Philipp: «Zur neueren Geschichte Jerusalems», in: **Zeitschrift des Deutschen Palästina-Vereins** 8 (1885), Nr. 1, pp. 1- 15.

Zimmermann, Alfred: Geschichte der preussisch = deutschen Handelspolitik, aktenmässig dargestellt, Oldenburg - Leipzig 1892.

Zwiedinek von Südenhorst, Julisu: Syrien und seine Bedeutung für den Welthandel, Wien 1873.

ج - المراجع الثانوية :

Akel, Samir: Der Pädagoge und Missionar Johann Ludwig Schneller und seine Erziehungsanstalten, Dissertation, Tübingen 1978.

Allgemeine Deutsche Biographie, hrsg. durch die historische commission bei der Königl. Akademie der wissenschaften (von Bayern), Leipzig 1875 ff.

Anderson, Matthew Smith: The Eastern Question, 1774 - 1923. A Study in International Relations, London 1966.

Baedeker, K.: Palästina und Syrien. Handbuch für Reisende, 5., verb. u. verm. Aufl., Leipzig 1900.

Baedeker Karl: Palestine and Syria, Leipzig 1912.

Barker, Ellis J.: «Germany and the Parting of the Ways» in: **The Nineteeth Century** (Feb. 1907), S. 209 - 26.

Baumgart, Winfried: Vom Europäischen Konzert zum Völkerbund. Friedensschlüsse und Friedenssicherung von Wien bis Versailles, Darmstadt 1974 (= Erträge der Forschung, vol. 25).

Bensinger, Gad J.: Palestine in German Thought and Action 1871 - 1914, Dissertation, Loyal University of Chicago 1971.

«Das anglikanisch - evangelische Bisthum in Jerusalem», in: **Beilage zur Allgemeinen Zeitung,** München, Nr. 38 vom 15. Februar 1899, p. 1 - 5.

Blaisdell, D.C.: European Financial Control in the Ottoman Empire, New York 1929.

Bondi, Gerhard: Deutschlands Aussenhandel 815 - 1870, Berlin (Ost) 1958.

Brockhaus Enzyklopädie, vol. VI u. a., Wiesbaden 1968 ff.

The Cambridge Modern History, vol. XI: **The Growth of Nationalities,** Cambridge 1909.

Carmel, Alex: Die Siedlungen der württembergischen Templer in Palästina 1868 - 1918, Ihre Lokalpolitischen und internationalen Probleme, aus dem Hebräischen übersetzt von Perez Leshem, Stuttgart 1973 (= Veröffentlichungen der Kommission für geschichtiche Landeskunde in Baden - Württemberg, Reihe B Forschungen, vol. 77).

Carmel, Alex: «Die deutsche Palästinapolitik 1871 - 1914» in: **Jahrbuch des Instituts für deutsche Geschichte,** Tel - Aviv, 4 (1975), pp. 205 - 255.

Carmel, Alex: Palästina - Chronik: 1853 bis 1882; deutsche Zeitungsberichte vom Krimkrieg bis zur ersten jüdischen Einwanderugswelle, ULm 1978.

Catalogue of Files and Microfilms of the German Foreign Ministry Archives 1867 - 1920, ed. by **The American Historical Association, Committee for the Study of War Documents,** Oxford 1959.

Chevallier, Dominique: La Société du Mont Liban à L'Èpoque de la Révolution industrielle en Europe, Paris, 1971.

Corrigan, H.S.W.: British, French and German Interests in Asiatic Turkey, 1881 - 1914, Dissertation, Kingscollege, London 1954.

Creasy, Edward Shepherd: History of the Ottoman Turks; from the Beginning of their Empire to the Present Time, London 1878.

Dodwell, Henry: The Founder of Modern Egypt. A Study of Muhammad Ali, 2. Aufl., Cambridge 1967.

Dubnow Simon M.: Die neueste Geschichte des Jüdischen Volkes (1789 - 1914), 2 vols., Berlin 1920.

Ducruet, Jean: Les capitaux européens au Proche - Orient, Paris 1964.

Earle, Edward Mead: Turkey, the Great Powers, and the Bagdad Railway; a Study in imperialism, New York 1923.

Eberhard, Otto: Palästina. Erlebtes und Erlerntes im Heiligen Lande, Eisleben 1910.

Eliav, Mordechai: «German Interests and the Jewish Community in the Nineteenth - Century Palestine» in: **Studies on Palestine during the Ottoman Period,** hrsg. von **Moshe Ma'oz,** Jerusalem 1975, S. 423 - 41.

Encyclopaedia Britannica, London et al. 1968.

Encylopaedia of Religion and Ethics, hrsg. von **James Hastings,** New York 1951 ff.

Eyck, Erich: Das persônliche Regiment Wilhelms II. Politische Geschichte des Deutschen Kaiserreichs von 1890 bis 1914, Erlenbach/Zûrich 1948.

Farah, Caesar E.: «Protestantism and British Diplomacy in Syria», in: **International Journal of Middle East Studies,** 7 (1976), S. 321 - 344.

Feis, Herbert: Europe, the World's Banker, 1870 - 1914. An Account of European Foreign Investment and the Connection of World Finance with Diplomacy before the war, Clifton 1974.

Fischer, Fritz: Griff nach der Weltmacht. Die Kriegszielpolitik des kaiserlichen Deutschland 1914/18, 4. Aufl., Dûsseldorf 1971.

Fisher, Sydney Nettleton: The Middle East. A History, 2., rev. u. erw. Aufl., London 1971.

Friedman, Isaiah: «Lord Palmerston and the Protection of the Jews in Palestine 1839 - 1851», in: **Jewish Social Studies** 30 (1968), pp 23 - 41.

Friedman, Isaiah: Germany, Turkey and Zionism 1897 - 1918, Oxford 1977.

Gebhardt. Handbuch der deutschen Geschichte, vol. 3: Von der franzôsischen Revolution bis znm ersten Weltkrieg, 9., neu bearb. Aufl,. hrsg. **von Herbert Grundmann,** Stuttgart 1873.

Gigney, W. T.: The History of the London Society for Promoting Christianity amongst the Jews, from 1809 to 1906, London 1908.

Graf, Georg: Geschichte der christlichen arabischen Literatur, vol. 4: Die Schriftsteller von der Mitte des 15. bis zum Ende des 19. Jahrhunderts, Syrer, Armenier, Kopten, Missionsliteratur, Profanliteratur, Vatikan MCMLI.

Greaves, R. W.: «The Jerusalem Bishopric, 1841», in: **English Historical Review** 64 (1949), S. 328 - 52.

Grothe, Hugo: Deutschland, die, Tûrkei und der Islam, Leipzig 1914.

Hajjar. J.: L'Europe et Les destinées du Proche - Orient (1815- 1848), Turnai 1970.

Hallgarten, George Wolfgang Felix: Imperialismus vor 1914. Theoretisches. Soziologische Skizzen der, aussenpolitischen Entwicklung in England and Frankreich. Soziologische Darstellung der deutschen Aussenpolitik bis zum 1. Weltkrieg, 3 vols., 2. Aufl., Mûnchen 1963.

Hamburger, Ernest: Juden im ôffentliche Leben Deutschlands 1848 - 1918, Tübingen 1968.

Hammer, Karl: Weltmission und Kolonialismus, Sendungsideen des 19. Jahrhunderts im Konflikt, Mûnchen 1978.

Handwôrterbuch des Islam, hrsg. von **A. J. Wensinck and J. H Kramers,** Leiden 1941.

Hanselmann, Siegfried: Deutsche evangelische Palâstinamission, Handbuch ihrer Motive, Geschichte und Ergebnisse, Erlanden 1971.

Hasenclever, Adolf: Die orientalische Frage in den Jahren 1838 - 1841, Leipzig 1914.

Haupt, D. E.: «Das Protestantische Bisthum zu Jerusalem», in: **Deutsch - evangelische Blâtter** 24 (1899), pp 145 - 59.

Henderson, W. O.: «German Economic Penetration in the Middle East, 1870 - 1914», in: **Economic History Review** 18 (1940), pp 54 - 64.

Herrlich, Karl: Die Balley Brandenburg des Johanniter - Ordens von ihrem Entstehen bis zur Gegenwart und in ihren jetzigen Einrichtungen dargestellt, 4. Aufl., Berlin 1904.

Hertsberg Hans - Wilhelm: Jerusalem. Geschichte einer Gemeinde, Kassel, 1865.

Heyd, Uriel: «The Ottoman 'Ulema' and Westernization in the Time of Selim III. and Mahmud II», in: **Scripta Hierosolymitana** 9 (1961), pp 63 - 96.

Hitti, Philip Khuri: Islam and the West. A Historical Cutlural Survey, New York 1979 (= Nachdruck der Ausgabe von 1962).

Hôcker, Milma: «Der Gesandte Bunsen als Vermittler zwischen Deutschland und England», in: **Gôttinger Bausteine zur Geschichtswissenschaft** 1 (1951).

Hoffmann, Walter: «Deutsche Banken in der Tûrkei», in: **Weltwirschattliches Archiv. Zeit-Schritt fûr Allgemeine und Spezielle Weltwirschahftslehre,** hrsg. **von Berhnard Harms,** 6. vol.,Jena 1915 II,. pp 410 - 21.

Hofman, Yitshak: «The Administration of Syria and Palestine under Egyptian Rule (1831 - 1840)», in : **Studies on Palestine during the ottoman Period,** hrsg. von **Moshe Ma'oz,** Jerusalem 1975, pp 311 - 33.

Holborn, Hajo: Deutschland und die Tûrkei 1878 - 1890, Berlin 1926.

Holsten, Walter: «Israel, und Palâstine im Missionsdenken des 19. Jahrhunderts», in: **Evangelische Theologie,** München, 14 (1954), pp 212 - 26.

Hopwood, Derek: The Russian Presence in Syria and Palestine 1843 - 1914. Church and Politics in the Near East, Oxford 1969.

Imberger, Karl: Die Deutschen Landwirtschaftlichen Kolonien in Palâstina, Tübingen 1936.

Issawi, Charles: The Economic History of the Widdle East, 1800 - 1914, Chicage 1966.

Issawi, Charles: «British Trade and the Rise of Beirut, 1830 - 1860», in: **International Journal of Middle East Studies** 8 (1977). pp 91 - 101.

Jâckh, Ernst: «Friedrich List als Orient - Prophet», in: **Patria, Bûcher für Kuttur und Freiheit,** hrsg. von **Fr. Naumann,** 10. vol, Berlin 1910, pp 34 - 54,

«Die Evangelische Jerusalem - Stiftung», in: **Evangelisches Gemeindeblatt fûr Palâstina** 3 (1927), No. 9. pp. 1- 15.

Karnatz Bernhard: Das preussische- englische Bistum in Jerusalem, Berlin 1972.

Kawerau, p.: Amerika und die Orientalischen Kirchen, Ursprung and Anfang der amerikani-

schen Mission unter den Nationalkirchen Westasiens, Berlin 1958.

Kazamias, A.: Education and the Quest for Modernity in Turkey, London 1966.

König, B. W.: Handbuch des deutschen Konsularwesens, Berlin 1914.

Krage, Paul: Die christlichen Missionsschulen in Palästina, Breslau 1915.

Kriener, Gustav - Adolf: Geschichte der evangelischen Gemeinde zu Beirut, Beirut 1958.

Küchler, Gerhard: «Johann Gottfried Wetzstein, KöniglichPreussischer Konsul in Damaskus 1848 - 1862. Orientalist und FreundAlexander von Humboldts», in: **Jahrbuch Für brandenburgische Landesgeschichte** 29 (1978), pp 7 - 24.

Lammeyer, Joseph: Das Französische Protektorat über die Christen im Orient, historisch, rechtlich und politisch gewürdigt. Ein Beitrag zur Geschichte der diplomatischen Beziehungen der Hohen Pforte, (Dissertation Erlangen), Borna - Leipzig 1919.

Latourette, Kenneth Scott: A History of the Expansion of Christianity, 1800 - 1914, vol III; IV. London - New York 1944.

Lestschinsky, Jacob: Das wirtschaftliche Schicksal des deutschen Judentums. Aufstieg - Wanklung - Krise - Ausblick, Berlin 1936.

Lewin, Evans: The German Road to the East. An Accont of the 'Drang nach Osten' and of Teutonic Aims in the Near and Middle East, London 1916.

Lewis, Bernard: The Middle East and the West, London - Bloomington, Ind. 1964.

Lewis, Bernard: The Emergence of Modern Turkey, , 2, Aufl., London - Oxford - New York 1968.

Liebeschütz, Hans, and Arnold Paucker (Hrsg.) : Das Judentum in der Deutschen Umwelt 1800 - 1850, Studien zur Frühgeschichte der Emanzipation, Tübingen 1977.

Lippmann, , Karl: Die Konsularjurisdiktion im Orient, Ihre historische Entwicklung von den frühesten Zeiten bis zur Gegenwart, Leipzig 1898.

Lübeck, Konrad: Die katholische Orientmission in ihrer Entwicklung dargestellt, Köln 1917.

Mandel, Neville, J.: The Arabs and Zionism before the World War I. Berkeley et al, 1976.

Ma'oz, Moshe: Ottoman Reform in Syria and Palestine 1840 - 1861, The Impact of the Tansimat on Politics and Society, Oxford 1968.

Mayer, Gustav: «Early German Socialism and Jewish Emancipation», in: **Jewish Social Studies 1** (1939) pp 409 - 22.

Mejcher, Helmut: «Die Bagdadbahn als Instrument deutschen wirtschaftlichen Einflusses im Osmanischen Reich», in: **Geschichte und Gesellschaft. Zeitschrift für Historische Sozialwissenschaft** 1 (1975), pp 447 - 81.

«German Methods in Turkey», in: **Quarterly Review,** Oct. 1917, pp 296 - 314.

Meyer, Arnold Oskar: Bismarcks Orientpolitik. Festrede bei der Reichsgründungsfeier der

Georg - August - Universität zu Göttingen am 18. Januar 1925, Göttingen 1925.

Meyers Lexiken vol V und VI, 7. Aufl, Leipzig 1926 und 1927.

Meyer's Reisebücher: Palästina und Syrien 3. Aufl., Leipzig 1895.

Mitteilungen des Instituts für Auslandsbeziehungen, vol. 5. Stuttgart 1955.

Mohr, Friedrich Wilhelm and Walter von Hauff (Hrsg.) Deutsche im Ausland, Breslau 1923.

The Moslem - World. A. Quarterly Review of History, Culture, Religions and the Christian Mission in Islamdon, Hartford, Conn., 14 (1924).

Naff, T.: (: «Reform and the Conduct of Ottoman Diplomacy in the Reign of Selim III, 1789 - 1807», in **Journal of the American Oriental Society** 3 (1963), PP 295 - 315.

Nahmer, Ernst von der: «Deutsche Kolonisationspläne und- erfolge in der Türkei vor 1870» in: **Schmollers Jahrbuch** 40, 2 (1916), pp 387 - 448».

Niemann, Hans, : Ein Rundgang durch das Syrische Waisenhaus und Seine Zweig - Anstalten im heiligen Lande, Köln 1929.

Niemann, Hans: Gedächtnisschrift zum 70 jährigen Bestehen des Syrischen Waisenhauses in Jerusalem, Köln 1930.

Nirschl, Joseph: Das Haus und Grab der heiligen Jungfrau, Maria, Mainz 1900.

Obernits, Wilhelm: Die Balley Brandenburg des ritterlichen Ordens St. Johannis von Spital zu Jerusalem, Wesen und Wirken einst und heute, Düsseldorf 1932.

Oehler, Wilhelm, D.: Geschichte der deutschen evangelischen Mission, vol. I: 1706 - 1885, Baden 1885.

Penrose, S. B. L.: ThatThey May Have Life: The Story of the American University of Beirut 1866 - 1941, New York 1941.

Prosch, Rudolf: Die Beziehungen Friedrichs des Grossen zur Türkei bis zum Beginn und während des siebenjährigen Krieges, Dissertation Marburg 1897.

Prüser, Jürgen: Die Handelsverträge der Hansestädte Lübeck. Bremen und Hamburg mit überseeischen Staaten im 19. Jahrhundert, Bremen 1962 (=Veröffentlichungen aus dem Staatsarchiv Bremen, vol XXX)

Puryear, John Vernon: International Economics and Diplomacy in the Near East, A Study of British Commercial Policy in the Levant 1834 - 1853, reprinted, Stanford 1969.

Rathmann, Lothar: Die Nahostexpansion des deutschen Imperialismus vom Ausgang des 19. Jahrhunderts bis zum Ende des ersten Weltkrieges, Eine Studie über die wirtschaftspolitische Komponente der Bagdadbahnpolitik, ungedruckte Habil. - Schrift der Karl - Marx - Universität, Leipzig, 1961.

Reventlow, Ernst: Deutschlands auswartige Politik 1888 - 1914, 5. Aufl., Berlin 1917.

Richter, Julius: A History of Protestant Missions in the Near East, edinburgh 1910.

Riesser, J.: Zur Entstehungsgeschichte der deutschen Grossbanken mit besonderer Rücksicht auf die Konzentrationsbestrebungen, Jena 1906.

Ritter, E.: Radowitz, Ein Katholischer Staatsmann in Preussen,Köln 1948.

Roi, Johannes F. A. de le: Michael Solomon Alexander der erste evangelische Bischof von Jerusalem, Ein Beitrag zur Orientatischen Frange, Gütersloh 1897 (= 'Schriften des Institutum Judaicum in Berlin, 22).

Roth, Erwin: Prussens Gloria im Heiligen Land, Die Deutschen und Jerusalem, München 1973.

Ruppin, A.: Syrien als Wirtschaftsgebiert, Berlin 1920.

Sägmüller, J. B.: «Das französische Missionsprotektorat in der Levante und in China»,pp 118 - 133.

Sartorius von Waltershausen, A.: Deutsche wirtschaftsgeschichte 1815 - 1914, 2. erg, aufl., Jena 1923.

Sax, Karl von: Geschichte des Machtverfalls der Türkei bis Ende des 19. Jahrhunderts und die Phasen der«OrientalischenFrage» bis auf die Gegenwart, 2. Aufl., Wien 1913.

Schäfer, Carl Anton: Die Entwicklung der Bagdagbahnpolitik, Weimar 1916.

Schatkowski - Schilcher, Linda: «Ein Modellfall indierkter wirtschartlicher Durchdringung: Das Beispiel Syrien» in: **Geschichte und Gesellschaft. Zeitschrift für Historische** Sozial - wissenschaft 1 (1975).

Schenkel, Peter:«German and Arab Evangelical Lutheran Churches in the Land of the Bible» in: **Christian News from Israel,** Jerusalem, 19 (1968), No. 3 - 4 pp 48- 55.

Schmidt - Clausen, Kurt: Vorweggenommene Einheit, Die Gründung des Bistums Jerusalem im Jahre 1841, Berlin Hamburg 1965.

Schmitz, Ernst: Das Katholische Deutschtum in Palästina, Freiburg 1913.

Schnabel, Franz: Deutsche Geschichte im neunzehnten Jahrhundert, vol. III: Erfahrungswissenschaften und Technik, Freiburg i. Br. 1934, vol IV: Die religiösen Kräfte, 2. Aufl., Freiburg i. Br. 1951.

Schneller, Hermann: Festschrift zum neunzigsten Jahrestag der Gründung des Syrischen Waisenhauses in Jerusalem, Köln / Dellbrück 1950.

Schölch, Aexander: Ägypten den Ägyptern!Die Politische und geselschafticheKrise der Jahre 1878 - 1881 in Ägypten, Zürich - Freiburg 1973 (= Beiträge zur Kolonial - und Überseegeschichte, hrsg, von **R. von Albertini und H. Gollwitzer, vol. 9).**

Schölch, Alexander: «Wirtschaftliche Durchdringung und Politische Kontrolle durch die europäischen Mächte imOsmanischen Reich (Konstantinopel, Kairo. Tunis)», in: **Geschichte und Gesellschaft. Zeitschrift für Historische Sozialwissenschaft** 1. (1975), pp404 - 446.

Schölch, Alexander: Europen Penetration and the Economic Development of Palestine 1856 - 1882, Typewritten, manuscript, Damascus 1978

Schölly, Theodor: Samuel Gobat, evangelischer Bischof in Jerusalem, Lebensbild, Basel 1900.

Schwager, F. Die Katholische Heidenmisstion der Gegenwart im Zusammenhang mit ihrer grossen Vergangenheit, vol. III Orientmission, Steyl 1908.

Shamir, Shimon «The Modernization of Syria: Problems and Solutions in the Early Preiod of Abdülhamid» in: **Beginnings of Modernization in the Middle East. The Ninettenth Century,** hrsg, von **William R. Polk und Richard L. Chambers,** Chicago 1968, pp 351 - 382.

Shaw, Stanford J.: «The Origins of Ottoman Military Reform: The Nisam - i Cedid Army of Sultan Selim III», in: **The Journal of Modern History,** Chicago, 37 (1965), pp 291 - 305.

Shorrock, Wilhelm I.: French Imperialism in the Middle East, The Failure of Policy in Syria and Lebanon, 1900 - 1914, Wisconsin 1976.

Smith, Thomas, F. A.: «Germany and the Near East», in: **Quarterly Review,** Jan, 1917 pp 144 - 159.

Sombart, Werner: Die deutsche Volkswirtschaft im 19. Jahrhundert, 2. Aufl, Berlin 1909.

Stavrianos, L. S.: The Balkans since 1453, New York et al. 1958.

Steppat, Fritz: «Eine Bewegeng unter den Notabeln Syriens 1877 - 1878, Neues Licht auf die Entstehung des Arabischen Nationalismus», in: **Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft,** Wiesbaden 1969, Suppl, I. pp, 613 - 649.

Strasser, Karl: Die deutschen Banken im Ausland, Entwicklungsgeschichte und wirtschaftliche Bedeutung,2., erg. Aufl., München 1925.

Streit, Robert: Die Katholische deutsche Missionsliteratur, Aachen 1925.

Temperley, Harold, W. V.: «The Last Phase of Statford de Redcliffe, 1855 - 1858», in: **English Historical Review** 47 (1932), pp. 216 - 259.

Thomsen, Peter, (Hrsg.): Die Palästina - Literatur. Eine Internationale Bibliographie in Systematischer Ordnung mit Autoren - und Sachregister, hrsg. mit Unterstützung des Deutschen Vereins zur Erforschung Palästinas vol. 1: 1895 - 1904, Leipzig 1908; vol. 2: 1905 - 1909, Leipzig 1911, vol 3: Die Literatur der Jahre 1910 - 1914. Leipzig 1916.

Tibawi, A. L.: British Interests in Palestine 1800 - 1901. A Study of Religious and Educational Enterprise, London 1961.

Tibawi, A. L.: «Russian Cultural Penetration of Syria - Palestine in the Nineteenth Century», in: **Royal Central Asian Journal** 6 (1966), pp 166 - 82, 309 - 23

Tibawi, A. L.: American Interests in Syria 1800 - 1901. A Study of Educational, Literary and Religious Work, Oxford 1966.

Tibawi, Al L.: A Modern History of Syria including Lebanon and Palestine, London 1969.

Tolkowsky, S.: The Gateway of Palestine. A History of Jaffa, London 1924.

Toury, Jacob: «Der Eintritt der Juden ins deutsche Bürgertum», in: **Das Judentum in der Deutschen Umwelt 1800 - 1850.** Studien zur Frühgeschichte der Emanzipation, hrsg. von **Hans Liebeschütz and Arnold Paucker,** Tübingen 1977, pp. 139 - 242.

Ulrich, Fritz: Geschichte der evangelischen Gemeinde zu Beirut, 1856 - 1906, Festschrift zum 50 jährigen Jubiläum, Berlin 1907.

Veiel, F.: Die Pilgemission von St. Chrischona, Basel 1940.

Der Deutsche Verein von Heiligen Lande und Seine Besitzungen (Taggha) am See Genezreth mit ihren biblischen Erzählungen, Bachem 1916.

Wagner, Reinhold: Moltke und Mühlbach zusammen unter dem Halbmonde (1837 - 1839), Berlin 1873.

Wahrig Deutsches Wörterbuch, 2. Aufl. Gütersloh - Berlin - München - Wien 1975.

Walter, Piers: Preussen und die orientalische Krise von 1839 - 1841, unpublished thesis, Tübingen 1924,

Weber, Christoph (Hrsg.): Das Deutschtum im Ausland. Eine systematische Zusammenstellung der im Gesamtkatalog den preussischen wissenschftlichen Bibliotheken verzeichneten Schriften 1900 - 1923, Berlin 1925

Wehler, Hans - Ulrich (Hrsg.): Imperialismus, Köln - Berlin 1970.

Wehler, Hans - Ulrich: Das Deutsche Kaiserreich 1871 - 1918; 3. durchges. u. bibliograph. erg. Aufl, Göttingen 1977 (= Kleine Vandenhoeck - Reihe, 1380)

Die Welt des Islams, Zeitschrift für die Entwicklungsgeschichte des Islam. besonders in der Gegenwart, hrsg. non, **G. Kampffmayer und G. Jäschke,** 2. Jg., Berlin, - Leipzig- Leiden 1914.

Wenzel, Stefi: jüdische Bürger und Kommunale Selbstverwaltung in preussischen Städten, Berlin 1967 (= Veröffentlichungen der Historischen kommission zu Berlin, vol. 21).

Wirth, Eugen: Syrien, Eine Geographische Landeskunde, Darmstadt 1971.

Yisraeli, David: «Germany and Zionism» in: **Handbuch des Instituts für Deutsche Geschichte** 4 (1975), Beiheft 1. pp. 143 - 166.

Zechlin, Egmont: Die deutsche Politik und die Juden im Ersten Weltkrieg, Göttingen 1969.

Zielenziger, Kurt: Die Juden in der deutschen Wirtschaft, Berlin 1930.

Zürrer, Werner: Die Nahostpolitik Frankreichs und Russlands 1891 - 1898, Wiesbaden 1970.

٣ - فهرس الأعلام

(أ)

(ب)

(ر)

(ف)

(لا)

(ي)

٤٠ - فهرس الجمعيات والمؤسسات الثقافية - الدينية والتجارية - الاقتصادية

٥ ـ فهرس الجداول الإحصائية

فهرس الموضوعات

هـذا الكتاب

هـذا الكتاب هـو محاولـة لتحليل المصالح الألمانيـة الثقافيـة ـ الـدينية والاقتصادية والسياسية في سوريا وفلسطين في إطار السياسة الألمانية في الشرق الأدنى . ففي الفصل الأول تتطرّق الدراسة إلى المشروع البروسي ـ البريطاني لإنشاء مطرانية القدس البروتستانتية التي كانت البداية والأساس لنشاطات الإرساليات البروتستانتية الألمانية في المنطقة . وفي الفصول (٢ ـ ٨) تمّ تحليل نشاطات الجمعيات البروتستانتية والكاثوليكية الألمانية وأهدافها التبشيرية والارتباط الحميم بين تلك الأهداف والمصالح السياسية والاقتصادية لألمانيا في المنطقة . كما تلقي الدراسة الضوء على السياسة الاستعمارية الألمانية وربط التبشير بالاستعمار وردود الفعل العثمانية والمحلية على ذلك . ويُخصص الفصلان (٩ و ١٠) لبحث العلاقات التجارية والاقتصادية بين ألمانيا وسوريا وفلسطين : العقبات التي اعترضت تلك العلاقات في المرحلة الأولى ، ومن ثم توطيدها بعد توحيد ألمانيا من خلال التبادل التجاري وتأسيس الجمعيات والمؤسسات والشركات التجارية والاقتصادية . وفي الفصل (١١) تمّ بحث أهمية سوريا وفلسطين بالنسبة للسياسة الألمانية ضمن برنامج « الزحف نحو الشرق » الذي تمحور في التدخل المباشر في الشؤون السورية والفلسطينية من خلال التنافس الامبريالي مع الدول الأوروبية الأخرى : مع بريطانيا في سياستها الإسلامية وفرنسا في نفوذها العتيد في سوريا .

المؤلـف

- د. عبد الرؤوف سنو ـ مواليد بيروت ١٩٤٨ .
- دكتوراه الفلسفة في التاريخ ـ جامعة برلين الحرة .
- دبلوم في التعليم العالي والانماء الدولي ـ جامعة كاسل .
- أستاذ تاريخ العرب الحديث ـ الجامعة اللبنانية .
- له عدة أبحاث ومؤلفات باللغتين الألمانية والعربية حول العلاقات الأوروبية العثمانية ومشكلات التعليم العالي في لبنان .

الثمن 6 دولارات